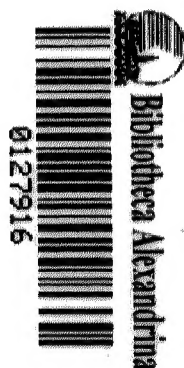


د. محمد علي الشهاري



نظرة في بعض قضايا الثورة اليمنية

مكتبة مدبولي

الدكتور
محمد عبد الحليم الشارح

نظرة في بعض قضايا الشورى اليمنية

الطبعة الأولى

١٩٩٠

تصميم الغلاف : الفنان أنس الديب

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
اضافة	٥
القسم الاول - حصول ثورة ٢٦ سبتمبر	
معاهدة اول نوفمبر ١٩٢٨ كبرت الطوق الاستعماري	١٢
علاقة الثورة بحركة الاصرار التقليدية والتجربة الفاصرية	٢٥
ملاحظات حول حركتنا ١٩٤٨ و ١٩٥٥ في الشطر الشمالي من اليمن	٣٥
مذكرات تمجيد النفس باسم ثورة ٢٦ سبتمبر	٤٧
الثورة التي اخرجت اليمن من قبوها المظلم الى حياة العصر	٥٥
من ملف التآمر الأمريكي على اليمن	٦٩
جبهة وطنية ديمقراطية عريضة	٧٧
القسم الثاني - حول تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية	
ابعاد وآفاق الاستقلال التي بشر بها الميثاق الوطني للجبهة القومية	٨٥
حصيلة اعمال الندوة العلمية حول الثورة وتجربة اليمن الديمقراطية	٩٩
خطاب اليمن الديمقراطية	١٠٧
لماذا تتساقط الأنظمة الوطنية في العالم النامي	١١٤
من أجل أن يمضى ضرب الطبقة العاملة قدما الى الأمام	١٢٣
مسيرة ثورية ، تاريخية متقدمة أبدا	١٣١
خطوة ١٢ يونيو التصحيحية	١٣٩
بقيام الحزب الاشتراكي اليمني اقتحمت ثورة ١٤ أكتوبر آفاق التوجه	
الاشتراكي	١٤٧
الحلقة المفقودة والمركزية التي مسكت بها الثورة في اليمن الديمقراطية	١٥٥

القسم الثالث — حول أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦

١٦٣	استمرار التجربة الثورية في اليمن الديمقراطية
١٦٥	مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ والمعبرة المستخلصة منها
١٧٣	تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية نبض حي في حبل وريد الثورة العالمية
		نظرة سريعة في بعض ما كتب حول مسار الثورة في اليمن الديمقراطية
١٨٥	بعد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامي
٢١٥	عبد الفتاح اسماعيل .. حياة جديدة ومديدة
٢٢٥	تكريات وخواطر في حرم متحف عبد الفتاح اسماعيل
		نظرة برجوازية صغيرة ونظرة ثورية علمية ازاء تجربة الثورة في
٢٣٣	اليمن الديمقراطية
٢٤٣	تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية نموذج طليعى للثورات الديمقراطية
٢٨٣	ثورات ١٤ أكتوبر وثلاثة منعطفات تاريخية
٢٩٣	ديالكتيك الثورة والدولة
٣٠١	ثورة ١٤ أكتوبر .. ليست حركة القرامطة ولاكومونة باريس
٣٣٧	مراجع
٣٣٩	نظرة على تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية وآفاقها المستقبلية
		دور الثقافة الثورية الأساسى في التطور التاريخى المتصاعد لثورة
٣٧١	١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م
٣٨١	اليمن الديمقراطية .. وحصاد عقدين من النضال
		الخاص والعام .. في عملية التجديد الديمقراطى .. التراث الثقافى
٣٩٧	— السياسى ... فى الوطن اليمنى
		اليمن الديمقراطية فى مرحلة البناء واعادة البناء الديمقراطى فى ضوء
٤١٥	« البريسترويكا »
٤٤١	المسألة الزراعية ... والمسألة الأيديولوجية
٤٤٩	من أجل اعادة فتح ... الملف الثقافى اليمنى
٤٦١	فى اليمن الديمقراطية مشروع سياسى ثقافى ديمقراطى لاحصار ثقافى
		التعمق فى دراسة الفكر الاشتراكى العلمى وتعميم الثورة الثقافية فى
٤٦٧	اليمن الديمقراطية

اضاءة :

المقالات المبسوطه أمام القارئ الكريم تكتب ونشر بعضها قبل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الأساسية ، وبعضها كتب ونشر بعدها (في صحافة اليمن الديمقراطية) *

القليل منها يتحدث عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التي عصفت بها قوى التآمر والتخريب الداخلية والخارجية ، في وقت كانت فيها الحركة الوطنية اليمنية ضعيفة العود ، غير موحدة الكلمة ، وغير معبأة في جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تقادرة على احباط أعمال التآمر والتخريب الرجعية والاستعمارية ، والمضى بالثورة نحو انجاز مهامها الاستراتيجية في التحرر الوطني الكامل ، والتقدم الاجتماعي الشامل ، وتحقيق اليمن الديمقراطي الموحد *

أما أكثر هذه المقالات لمنصب حول ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ، التي بفضل أدواتها القيادية المتحمة بجمهير الشعب الساحقة ، أمكن لها لا أن تتغلب فقط على شتى المحاولات الداخلية والخارجية التي هدفت الى ضربها ، أو الانحراف بها ، أو عرقلة سيرها ، أو اغراقها من محتواها . أو جعلها تراوح في مكانها ، وانما تمكنت أيضا من شسحذ وتطوير أدواتها القيادية هذه ، وتحويلها من حزب ديمقراطي ثوري الى حزب طليعي ، هو الحزب الاشتراكي اليمني ، الذي ضم الفصائل المتقدمة التي تمخضت بها الحركة الوطنية اليمنية على امتداد تاريخها ، مما سهل تحول الثورة ذاتها من ثورة تحرر وطني الى ثورة ديمقراطية ذات توجه اشتراكي *

وبفضل هذه الأداة القيادية الطليعية ، المدعومة من قبل حلفاء المسيرة الثورية العالمية ، وفي مقدمتهم منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، أمكن للثورة أيضا أن تتجاوز محنة المحن التى واجهتها عبر تاريخها النضالى كله ، محنة « الصراع الداخلى فى الحزب » حسبما جاء فى البلاغ الصحفى الذى أصدرته اللجنة المركزية فى ختام دورتها الاعتيادية الكاملة الحادية عشرة التى عقدت ما بين ٢٧ - ٢٩ ديسمبر ١٩٨٧ م - الذى بدلا من أن يصل وغرق المبادئ والأسس التنظيمية اللينينية التى تمثل نسغ وقوام الأحزاب الطليعية فى كل مكان ، حسم بطريقة تأمرية تذكر « بانقلابات القصور » ، حيث جرى « اللجوء الى استخدام أساليب العنف فى حل الخلافات الداخلية » - حسب صيغة البلاغ المشار اليه ، الأمر الذى هجر أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بكل ما ترتب عليها من حرب أهلية طاحنة ضررس كان يمكن أن تدمر التجربة الثورية الرائدة التى بشرت بها ثورة ١٤ أكتوبر وتأتى على النظام الديمقراطى الثورى الذى جسدها ، لولا أصالة هذه التجربة وعمق انتمائها الى الجماهير والمستقبل - رغم حالات الاغتراب التى ولدتها هذه الأحداث بين النظام وهذه الجماهير والتى لا محيص من تجاوزها - ولولا وجود الأداة الطليعية القائدة لها التى تمكنت ، رغم كل ما تعرضت له من أزمات من الحفاظ على مصير الثورة ، ومن رد غول قسوى التدخل الخارجية عنها ، مسنودة فى ذلك بالدعم غير المحدود الذى قدمه الحليف والصديق : الاتحاد السوفيتى ، وأخذت الآن تراجع ملف تجربتها بنظرة انتقادية وتنهباً لتنفيذ مشروع اصلاح اقتصادى ، وسياسى وثقافى شامل يشملها هى نفسها ، يساعد على حل أزمة العمل الوطنى الديمقراطى وحل معضلة التعددية السياسية .

أصالة التجربة الثورية وعمق انتمائها الى جماهير الشعب والى المستقبل والى كل قسوى التقدم والثورة فى العالم التى تمسك بزمام

المبادرة التاريخية بمقدرة وجسارة ومهارة - هذه الأصالة ، وهذا العمق تجسدا أيضا في الاستخلاصات التي خرجت بها اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني في دورتها الآتفة الذكر ، والتي لا مفر من اثبات بعض منها في هذا السياق :

« لقد وضعت اللجنة المركزية في دورتها الحادية عشرة الاعتيادية الكاملة نصب أعينها أن النجاحات في تعزيز الجبهة الداخلية على المستويات الحربية والاقتصادية والأيدولوجية وعلى صعيد نشاط أجهزة الدولة والحكومة والمنظمات الجماهيرية والابداعية هي الأساس المادى الذى يمكن أن ترتكز عليه بقبية النشاطات والنجاحات على المستوى الخارجى ++ وتأكيد أفضليات نظام التوجه الاشتراكي والنموذج الذى ينبغى أن تقدمه تجربتنا الثورية لخدمة أهداف الحركة الثورية العربية وعلى نطاق البلدان المتحررة ذات التوجه الاشتراكي التى تواجه تعقيدات جمة على صعيد البناء الداخلى التقدمى ، وتجاوز عوامل التخلف والاحباط الناجمة عن ضعف مستوى التطور الاقتصادى والاجتماعى والحضارى عموما ++ وقوة تأثير النزعات المختلفة ، ووجود أساس موضوعى يدعم الاتجاهات المنحرفة اليسارية واليمينية على حد سواء ، ويسوغ علاقات التبعية الاقتصادية والارتقاء السياسى للدوائر الرجعية والامبريالية +

ولقد أكدت اللجنة المركزية أن الأساس الصلب لتحقيق نجاحات ملموسة فى إبراز أفضليات نظام التوجه الاشتراكي وتكريس قدرته على تجاوز التخلف وتحقيق وتأثر عالية فى خطى التطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى انما تستقيم جميعا على توفر شروط وجود الطليعة الثورية المنظمة المتزمنة بوعى ونضج بالنظرية الثورية وبالمصالح التطبيقية للكادحين والمصلحة العليا للوطن والتي تجمع فى أن واحد فى نشاطاتها ونضالاتها المختلفة بين المبدئية الراسخة والمرونة السياسية + ولتحقيق ذلك أكدت اللجنة المركزية على أهمية أن تقوم كامل مهامنا ونضالاتنا على

— ٨ —

قاعدة الدور القيادي للحزب وتصلبيه وتعزيز دوره وتقوية نفوذه بين أوساط الجماهير ، وتحديد نشاطاته على أساس النموذج الرفيع والمقدرة الحسنة ، وتحسين أساليب وطرق عمله اليومي ، لان ذلك يشكل الأساس البراسخ لنجاحات الحزب في قيادة عملية البناء التقدمية الشاملة ، وضمان ورسوخ هذا النجاح على نحو مضطرد ، حيث ينبغي أن يعطى الحزبيون المثل الساطع على روحهم الكفاحية العالية ، وانضباطهم الحديدي ، وتفاينهم في انجاز المهام التي يوكلها الحزب اليهم ، وتجسيد روح الطليعة الواعية المجربة المكافحة والناضجة فكريا وسياسيا .

وأشارت الى أنه ليست مما يليق بحزب ثوري يؤدي رسالته في ظروف استثنائية وصعبة كظروفنا أن يتساهل أمام مظاهر التسبب وعدم الانضباط وأداء المسؤوليات الحزبية ، لأننا لا نستطيع أن نتصدى لكل ذلك الحشد الهائل من القضايا وتنفيذ مهامنا الجسيمة الا بتمتين تلاحم الحزب وخلق روابط رقيقة من التنظيم والانضباط الصارمين ، والوعى والكفاءة العاليين .

ووقفت اللجنة المركزية أمام عمل الهيئات القيادية في الحزب ومستوى تنفيذ المهمات المناطة بها . ورأت أنه من الضروري تعزيز عمل هذه الهيئات القيادية التي تمسك بيديها المفاصل الرئيسية للنشاط الحزبي والسياسي والاقتصادي في أجهزة الحزب وأجهزة الدولة ، (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٩٨٧/١٢/٣٠) ومن الضروري التنبؤ بهنا الى أن وقفة المراجعة والاصلاح والتصحيح لمسار التجربة ستدخل منعطفا جديدا باستنصاء رأى الحزب والشعب في مشروع الاصلاح الذي تقدمت به قيادة الحزب .

وتتوقفت المقالات أما قضية الوحدة اليمنية ، وكيفية معالجة الحركة الوطنية اليمنية لها ، وخاصة الجبهة القومية ، منذ أول مؤتمر لها حتى قيام الحزب الاشتراكي اليمني ، وحتى الكونغرس العام للحزب ، موضحة في نفس الوقت البعد الوطني والطبقي لقضية الوحدة

اليمنية ، ومؤكدة أن تحقيقها لا يمكن أن يتم الا ضمن المجرى التاريخي لحركة الثورة اليمنية ، وبما يتفق مع المصالح والمطامح الأساسية للقوى الاجتماعية الحية صانعة الثورة والوحدة معها ، والا في ظل أجواء واسعة من الحريات الديمقراطية لهذه القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في قيام يمن ديمقراطي موحد .

وقد أعطت اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني عناية خاصة لهذه القضية مبددة بذلك الرؤية الضبابية تجاهها التي يطرحها بعض المثقفين الاصلاحيين ، ومزكية النظرة الموضوعية والمبدئية والواقعية تجاهها .

ولا محيص من ايراد الفقرات الخاصة بها التي تضمنها البلاغ الآنف الذكر لدورتها الحادية عشرة :

« لقد أعطت اللجنة المركزية اهتماما كبيرا للقضية الوطنية اليمنية ، وفي مقدمتها اعادة تحقيق الوحدة اليمنية كهدف من أنبل وأعظم أهداف شعبنا وثورتنا .

وأكدت على صحة موقف الحزب الاشتراكي اليمني من هذه المسألة ، والتي تضمنتها وثائقه وأدبياته ، وخاصة البرنامج السياسي للحزب ... وأكدت أنه لا يصح النظر الى مضمون هذه المسألة من خارج وحدة أهداف ثورتى سبتمبر وأكتوبر المجيدتين ومضامين الاتفاقيات الوحدوية بين قيادتى شطرى الوطن اليمنى ، وخاصة اتفاقية القاهرة وبيانى طرابلس والكويت .

وترى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني أنه من الضروري العمل في ظل الظروف الراهنة على أكثر من صعيد وبكل الاتجاهات من أجل خلق أجواء آمنة ومستقرة بين الشطرين ، وتعزيز العلاقات السلمية وروح التفاهم الأخوى البناء كأساس سليم ومبدئى للتقدم نحو تحقيق خطوات وحدوية أخرى ، والتركيز على توسيع مجالات التنسيق والتعاون المشترك بين الشطرين ، واقامة المشاريع الاقتصادية

- ١٠ -

والاجتماعية المشتركة ، وتنسيق الجهود في مجال السياسة الخارجية ، بحيث تصير أساسا ماديا ثابتا لتحقيق الحلم العظيم للشعب اليمني في إعادة تحقيق وحدته على نحو من القوة والصلابة يستحيل معها تفكيك عرى هذه الوحدة ، وان الوحدة المطلوبة للشعب اليمني هي الوحدة التي تقوم على تكريس مصالحه وفتح آفاق تطوره اللاحق ، وتمكينه من الاضطلاع بدوره الحقيقي في دعم قضايا أمتنا العربية العادلة ، وكذا دعم البلدان المنحرة وحركات التحرر الوطني في العالم . ان هذه هي الوحدة التي ستبقى وسترسخ على الدوام رغم الصعوبات الداخلية والخارجية .

ونوهت اللجنة المركزية الى أن الحزب الاشتراكي اليمني قد انتهج سياسة وحدوية مبدئية صائبة ، وأن قيادة الشطر الجنوبي من الوطن كانت حريصة دائما على أن تكون الاتفاقيات الوحدوية بين الشطرين هي الأساس الذي ينبغي أن تتركز عليه الحوارات والاتفاقيات اللاحقة ، والعمل نحو تطويرها باستمرار ، لتهيئة وانضاج الشروط المادية والسياسية لقيام الكيان اليمني الموحد والديمقراطي ، وان هذا هو السبيل القويم الذي ينبغي مواصلة السير عليه بدأب لا يعرف الفتور أو الكلال .

وعلى هذا الطريق أكدت اللجنة المركزية أن الشروع في توحيد المنظمات الجماهيرية والابداعية في شطري الوطن هو من الاتجاهات البارزة للعمل الوحدوي والضمانة الأكيدة لأن تلعب الجماهير اليمنية دورها التاريخي في إعادة تحقيق الوحدة كقضية عظيمة ونبيلة لها وبها ترتبط المصالح الحقيقية لجماهير الشعب . ولا ينبغي اغفال القسط الذي حده التاريخ للجماهير في النضال من أجل إعادة تحقيق الوحدة اليمنية » . (المصدر السابق) .

من المهم الإشارة هنا الى أن تمتع هذه الجماهير عبر قواها السياسية من تشكيل أحزابها والتحالف الحر لهذه الأحزاب سيسهل أمر تحقيق الوحدة اليمنية .

القسم الأول
حول ثورة ٢٦ سبتمبر

معاهدة اول نوفمبر ١٩٢٨

كسرت الطوق الاستعماري
وأرست حجر الأساس لصرح
الصداقة اليمنية - السوفيتية

كان الهدف الرئيسي الذي وضعه الامام يحيى نصب عينه ،
بعد تسلمه السلطة في نهاية عام ١٩١٨ على انقراض الحكم التركي ،
هو توسيع مملكته التي أسماها المملكة المتوكلية اليمنية بحيث تشمل
اليمن كلها . هذا الهدف كان مبررا تاريخيا ومشروعا سياسيا فوق
أنه كان يتناغم مع الوجهة الموضوعية لحركة الشعب الفضالية المتطلعة
نحو اعادة اقامة دولة اليمن المركزية الموحدة المتحدة .

وكما كان يفعل دائما كبار الاقطاعيين الذين يأنسون في أنفسهم
القوة فانه سعى نحو التغلب على تجزؤ البلاد الى امارات ومشيخات
صغيرة والى اقامة حكمه المطلق فيها .

(١١) نشرت في « الثوري » عدد ١٢/١١/١٩٨٨ .

جاء هذا المسعى التوحيدي في وقت كان الاستعمار البريطاني قد بسط فيه حمايته على كل جنوب اليمن ، وكان السعوديون قد رفعوا فيه مطالبهم التوسعية الإقليمية على بعض الاقاليم الشمالية من الأراضي اليمنية * في ظل مثل هذه الظروف فإن النزوع نحو توحيد اليمن - حتى ولو كان على رأس حركة التوحيد هذه حاكم اقطاعي - قد اتخذ شكلا أوليا لحركة ذات معنى تحريري * حقا أن النظام الرجعي المتخلف الذي اقامه الامام يحيى ما كان له أن يوغر الشروط الداخلية لتحقيق مثل هذه المهمة الوطنية المشروعة والتقدمية * وعدا ذلك فإن الامام يحيى كان يفتقد الدعم العالمى المساند لعملية التوحيد هذه * وعدا الاتحاد السوفيتى ، الدولة الاشتراكية الوليدة والوحيدة في العالم ، والتي أعلنت تعاطفها مع مطالب الشعب اليمنى العادلة ومع كفاحه من أجل اقامة دولته المستقلة الموحدة ، فإن جميع الدول العظمى كانت تتابع أهدافها الاستعمارية الصريحة ليس الا *

ومن الموقع الاستعماري الذي ثبتت أقدمها فيه على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر كانت تتبع ايطاليا الفاشية بانتباه متزايد ذلك النزاع القائم بين الامام يحيى وانجلترا * وعن طريق تأييدها لمطالب الامام الخاصة بجنوب اليمن وبعبسار ارادت النفاذ الى مملكته ذاتها ، واكتساب موقع نفوذ متميز فيها *

هذا الطموح الاستعماري مثل امتدادا تاريخيا لمحاولة سابقة كانت الامبريالية الايطالية قد بذلتها في مطلع القرن العشرين من أجل الحصول على قاعدة بحرية في باب المندب عند مدخل البحر الأحمر وبالدات على الساحل اليمنى * ومع صعود الفاشية الى السلطة استؤنف من جديد هذا الخط التوسعي ، وفي بادىء الأمر أعلنت ايطاليا استعدادها لبناء مصنع ذخيرة في اليمن ، بل واقامت محطة اذاعة فيها ، كما أرسلت أطباء * كانت النتيجة لمثل هذه السياسة الايطالية المتلوية

هو عقد معاهدة يمنية - ايطالية في ٢ سبتمبر ١٩٢٦ ، اعترفت بمقتضاها ايطاليا - رياء - بالاستقلال الكامل للامام وملكته اليمنية وعلى أساسها التزمت الدولتان المتعاضدتان بتسهيل التبادل التجاري بينهما .

نظرت الامبريالية البريطانية ، التي كانت تعتبر البحر الأحمر بحيرة بريطانية ، حيث أنها كانت تقبض على مدخله الشمالى في قناة السويس ، وعلى عدن في الجنوب ، نظرت الى هذا التطور بانزعاج ظاهر ، فقد رأت في المعاهدة خطرا حقيقيا على قاعدتها البحرية في عدن ، وعلى مصالحها الاستراتيجية في السواحل اليمنية للبحر الأحمر ، وعلى السوق اليمنية عموما التي كانت تعد تابعة لها . وقد كان لندن رأت أن هناك خطرا أبعد يمكن أن ينشأ بعقد المعاهدة ، حيث ستتمكن ايطاليا في حالة اندلاع الحرب من حصار الطريق البحرى الى الهند . كانت مطامع ايطاليا التوسعية معروفة جيدا لدى العاصمة التي لا تريد أن تغيب عن امبراطوريتها الشمس بالحصول على موقع نفوذ متميز في باب المنسحب ، وبسط السيطرة الايطالية على السواحل اليمنية ، سيتيح للفاشية الايطالية تسديد ضربة حاسمة الى مراكز الهيمنة البريطانية في جنوب آسيا .

ساعت العلاقات أكثر بين الامام يحيى وايطاليا من جهة وبين بريطانيا من جهة أخرى من خلال تردد نبأ غير رسمى عن أنه عقد في الحديدة اتفاق سرى بين السيد محمد نجل الامام وبين غاسبارينى في ١ يونيو ١٩٢٧ اعترفت ايطاليا بمقتضاه بالامام يحيى حاكما على اليمن كلها بجميع حدودها الجغرافية - التاريخية ، وزكت حقه في توحيد كل الاراضى اليمنية بدعم من صاحب الجلالة ملك ايطاليا ، وائترمت بتسليم السلاح والذخيرة التي يحتاج اليها بأدنى الاسعار ومقابل ذلك أعلن الامام بأنه - خلال فترة سريان هذا المذخر المسمى

— سيعطى إيطاليا أفضلية على جميع البلدان الأخرى في إقامة مشاريع اقتصادية في الأراضي اليمنية ، على أن يحتفظ لنفسه بحق جباية الضريبة منها وفق الشريعة المسارية في بلاده • غير أن كلتا الحكومتين اليمنية والإيطالية كذبتا نبأ عقد مثل هذا الاتفاق السرى فور اشاعته •

وفي الامكان القول أن أبرام اتفاق سرى مكتوب ، وموقع عليه من قبل الحكومتين أمر غير محتمل • أن من أحد الأسباب لذلك أن الاتفاق قضى بأن يتعاون الامام يحيى مع إيطاليا في مكافحة تجارة العبيد • ومطلب كهذا ما كان للامام يحيى — الذى كان معروفا بتمسكه بفهمه الخاص لما تبيحه وما لا تبيحه الشريعة الاسلامية — أن يقبله ناهيك أن تجارة العبيد كانت موجودة في اليمن وظلت قائمة حتى وان كانت في حدود • غير أنه من المؤكد أن الايطاليين وعدوا الامام بتأييد مطالبه في اليمن كلها وبتقديم السلاح له •

ومقابل ذلك سمح لهم بتصدير سلعهم الى اليمن ، واعطاهم امتيازات اقتصادية • كما أن مفاوضات قد جرت بين الجانبين أمكن تسرب أخبارها في حينه ، قادت الى أن إيطاليا رفضت الاعتراف بابن سعود كحاكم لعسير التي كان يصر الامام على تبعية لليمن •

لقد كان هدف الامام يحيى من عقده معاهدة ١٩٢٦ مع إيطاليا هو بلوغ حلمه المرتجى في دحر البريطانيين من عدن والمحميات ولذلك فإنه تجاوب مع إيطاليا الفاشية ، ولا سيما عندما أظهرت استعدادها لتزويده بالسلاح • وقد توثقت العلاقات بين الجانبين أكثر عندما بعث الامام نجله محمد حاكم الحديدة في مطلع يونيو ١٩٧٢ الى روما في زيارة رسمية • وفي كلمته التي ألقاها الأمير امام موسوليني في حفل التكريم الذى اقيم على شرفه امتدح الدوتشى — سيد إيطاليا غير المنازع — على المساعدات الإيطالية ، وأعرب عن رغبة الامام في الحصول على المزيد منها حتى تتمكن اليمن من الحفاظ على استقلالها •

في ٢٠ فبراير ١٩٢٦ وضع حجر الأساس لمصنع السلاح الأول في اليمن ، وفي مطلع عام ١٩٢٨ بدأ انتاج أولى أمشاط الرصاص منه وفي نفس الوقت اقامت ايطاليا أول مدرسة للطيران في اليمن ، والى ايطاليا أرسل شباب يمني لتعلم الطيران المدني والعسكري .

ومقابل ذلك حصلت حكومة الدونشي الفاشية على امتياز احتكار تجارة البن لزمن معين ، ومنحت البضائع الايطالية أفضلية على غيرها ، واحتكرت ايطاليا بيع البترول لليمن لمدة خمس سنوات « والشركة العربية الايطالية » التي أسست على عجل صدرت في عام ١٩٢٧ وحده الى مملكة الامام ٩٥٠٠٠ صفيحة بترول ، وهو ما يساوي ٧٠٪ من وارداتها من البترول . وتأسست شركات أخرى مثل الشركة الايطالية الاستعمارية و ' S. A. N. E' .

وبفعل ذلك تأثرت التجارة البريطانية من عدن الى مملكة اليمن بقوة . وقد اعتبر الامام أمر التجارة وتحويلها في اتجاه آخر بمثابة مظاهرة ضد البريطانيين ، ولذلك فانه وجهه تجارة بلاده لصالح الايطاليين عن طريق ارسال صادراتها عبر ميناء الحديدة الى ميناء مصوع التابع للمستعمرة الايطالية أريتريا .

هذا الواقع يثبت أنه أمكن لايطاليا الفاشية ، لا أن تحقق شيئاً من النفوذ على الامام فقط ، بل أن تحصل على امتيازات اقتصادية .

غير أنه لا ينبغي أن يستنتج من ذلك أن ايطاليا حققت أهدافها التوسعية ، وتصور كهذا يناقض الحقيقة التاريخية . فلم تتمكن لا من الحصول على قاعدة في السواحل اليمنية ، ولا أن تشكل تهديدا حقيقيا لاستقبال البلاد . وما كتبته الصحافة البريطانية في مثل هذا الوقت عن أن، الامام قد تحول الى مجرد أداة في يد ايطاليا وأن بلاده

غدت جزءا من الامبريطالية الايطالية لا يعدو أن يكون تشاؤما مقصودا . وفى الواقع فانه اتيح للامام يحيى — نتيجة حذره الذى عرف به — أن يحتفظ بنفسه بعيدا عن عملية التطويق الخطيرة التى كانت تخطط لها ايطاليا الفاشية ، وأن يحافظ على حريته ، وعادة ذلك لانه عرف مع الوقت انها لا تملك لا القوة ولا الرغبة لمساعدته على أن يصبح حاكما لليمن كلها .

فى هذا الظرف الصعب الذى عذمت فيه كل من الفاشية الايطالية والامبريالية البريطانية على أن « تلتهم » مملكته ، خطب الامام صداقة الاتحاد السوفيتى . أول اتصالات أجريت بينه وبين الكرملين تمت عام ١٩٢٦ من خلال البعثة السوفيتية فى جده ، وبعدئذ وصلت بعثة تجارية سوفيتية صنعاء ، كما أحضرت السفن السوفيتية بترولاً وسلعاً أخرى الى اليمن ، قاد هذا التقارب ، وبناء على طلب الامام ، الى عقد معاهدة صداقة وتجارة بين البلدين فى ١ نوفمبر ١٩٢٨ لمدة عشر سنوات ، وقع عليها فى موسكو فى ٢٣ يناير ١٩٢٩ بينما وقع عليها الامام فى ٢٤ يونيو ١٩٢٩ ، وهو ذات اليوم الذى تم فيه تبادل الوثيقة المكتوبة باللغة العربية ، ومنذئذ غدا كريم حكيموف الذى كان أول سوفيتى يصل اليمن تمهيدا لوضع المعاهدة ممثلا للاتحاد السوفيتى فى كل من جده وصنعاء . تنص المادة الأولى من المعاهدة على أنه « تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بالاستقلال الكامل المطلق لحكومة اليمن . ويقدر امام اليمن وحكومته صورة الاحترام . الخالص والنيات الجميلة التى تنعم بها حكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية اليمن وشعبها وسائر الشعوب الشرقية » . كما نصت المادة الثانية على تسهيل التبادل التجارى بين الطرفين المتعاقدين وعلى حق الدخول والاقامة لرعايا الدولتين طبقا للأنظمة القائمة وتعاطى التجارة ، وحسب نص المادة الخامسة فقد أسميت المعاهدة بـ « المعاهدة الودية والصداقية والتجارية » .

ووفقا لهما أقيمت وكالة تجارية سوفيتية في صنعاء كان حكيموف نفسه
المستول الأول فيها * (يقرأ نص المعاهدة في كتاب عدنان الترسيبي :
اليمن وحضارة العرب * بيروت ص ٢٦١ - ٢٦٢) *

عززت المعاهدة اليمنية - السوفيتية موقف الامام يحيى ، وكانت
بمثابة انذار موجه الى عنوان الامبرياليين الطامعين في مملكة اليمن
بضرورة احترام سيادتها *

ولم تكن المعاهدة بدون تأثير في كل من لندن وروما * وعلى الفور
بدأ بين الدولتين الامبرياليتين نوع من تبادل الآراء حول تحديد
مصالحهما في البحر الأحمر ولحق ذلك فان الفاشية الايطالية أخذت
تدخل شيئا من التعديل على سياستها تجاه اليمن ، ومالت قدرا ما
عن الامام يحيى ، وشخصت نحو ابن سعود الذي عقدت معه في ١٠
فبراير ١٩٣٢ معاهدة صداقة وتجارة * وفي ١١ مايو ١٩٣٢ أعلن
وزير الخارجية الايطالي م. جراندي أمام مجلس الشيوخ اعتراف ايطاليا
بابن سعود كحاكم على كل المناطق الخاضعة له ، بما فيها عسير *

كان هذا التحول في الموقف الايطالي من نتائج المعاهدة اليمنية
- السوفيتية * فقد تلقت المطامع الاستعمارية الايطالية بذلك ضربة
موجعة ، وعدا ذلك فان المعاهدة مكنت مملكة اليمن من التحرر من
الضغط الاقتصادي لاطاليا * فقد قضى على احتكارها لتوريد البترول
وعلى احتكارها التجارة الداخلية والخارجية لمملكة الامام * فقد أقام
الاتحاد السوفيتي معارض منظمة للأدوات الزراعية والمنتجات الزراعية ،
وغيرها من السلع في أنحاء البلاد ، وخاصة في صنعاء والحديدة * وفي
عام ١٩٢٩ زود الاتحاد السوفيتي المملكة اليمنية بما يزن ٦٠٠٠ طن
من البنزين و ١٦٠٠ طن من السكر (٤٠٪ من واردات البلاد) و ٣٠٠٠
طن من الحبوب (٣٥٪ من الواردات) مقابل شروط دفع ميسرة *

وبذلك اتيح للاتحاد السوفيتي لا أن يكسر فقط احتكار واردات البترول الى المملكة اليمنية ، وانما تمكن أيضا من انتزاع الواردات الأساسية اليها خلال عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ من أيدي الدولتين الامبرياليين ايطاليا ، وبريطانيا ، كما تمكن من أن يغطي حاجة البلاد الأساسية •

حاولت الامبريالة اليابانية بدءا من عام ١٩٣٣ أن تخترق هذه المنافسة التي فاز فيها الاتحاد السوفيتي • ومن خلال بيع بضائعها بأسعار مخفضة ارادت أن يكون لها موطئ قدم راسخ في السوق اليمني • وقد أمكنها في هذا العام - ١٩٣٣ - أن تورد للمملكة ٨٥٪ من حاجتها الى النسيج • وبقيّة البضائع ١٥٪ توزعتها كل من ايطاليا وانجلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، (مجمل واردات البلاد بلغت ١٨٠٠٠ باله) •

كتب مؤلف ايطاليا في هذا الوقت أن المنافسة اليابانية الخطيرة التي اكتسحت بلاد العرب ، واغرقت أسواقها بالمنتجات لا قبل لأحد بمقاومتها ، وان الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يمارس في مملكة اليمن تجارة رابحة مجزية بفعل ذلك • ولكن لان الاتحاد السوفيتي لم يكن يبيع بضائعه بأسعار مخفضة فحسب ، وانما كخسر أيضا ، فانه أمكن له أن يدحر البضائع اليابانية ، كما كتب مؤلف ايطاليا آخر ، وهو ذات الرأي الذي دعم من قبل مؤلفين عرب • وعدا ذلك فان الوكالة التجارية السوفيتية في اليمن وجهت ضربات أخرى ضد الشركات الأجنبية التي كانت قد أقيمت فيها •

كان الوضع كما يلي : لم يكن لدى التجار اليمنيين سوى معرفة زهيدة بالأسواق العالمية وبالتجارة الخارجية ، ولم يكن رأسمالهم الوطني كافيا لتغطية تكاليف التصدير للبن اليمني الى البلدان الأخرى ، مما أفسح المجال أمام أصحاب الأعمال الأجانب وأمام الشركات للنفاذ

مباشرة آل مالكي مزارع البن • وكان هؤلاء الأجانب يحصلون على البن في الغالب عن طريق الغش لليمنيين الذين يجهلون مدى الطلب الخارجي على هذه السلعة وعلى أسعارها العالمية • ولكن ليس البن ، وإنما الجلود أيضا وغيرها من السلع اليمنية كانوا يحصلون عليها على هذا النحو • لقد كانوا هم الوسطاء الوحيدين بين مملكة اليمن وبين السوق الخارجي والذين عن طريقهم كان أصحاب مزارع البن والمنتجـون الآخرون يبيعون البن والمنتجات الأخرى ، غير أن الوكالة التجارية السوفيتية أخذت تجلى هؤلاء التجار الأجانب المحتالين من السوق اليمنى عن طريق تلك الصلة المباشرة التي أقامتها مع الريف اليمنى ومع التجار الصغار ، حيث أخذت تشتري البن والجلود مقابل السكر ، والرز ، والدقيق ، والخشب ، والنسيج ، والكبريت ، والغاز • وبذلك تمكنت من تثبيت الأسعار ، ومن توجيه ضربة إلى الشركات الأجنبية الامبريالية •

وبذلك تحسنت أوضاع السكان • ولم تغفل البعثـة التجارية السوفيتية عن واقع أن أصحاب السفن الغربية كانت سـفـنهم الصغيرة تتردد ما بين شواطئ البحر الأحمر ، وتكسب مبالغ خيالية من نقل بضائع التجار اليمنيين من عدن إلى الحديدة ، مما قاد إلى نهب هؤلاء التجار لمقط • من هنا كان الاتحاد السوفيتي أمسك بزمام المبادرة لوضع حد لعملية النهب هذه • سفنه التي كانت تعبر الخليج العربي وتلقى مراسيها أمام ميناء الحديدة شرعت في نقل بضائع التجار اليمنيين مقابل أجور شحن زهيدة وغير قابلة للمناخسة كما أخذت تنقل الحجاج اليمنيين إلى الحجاز •

بالمعاهدة اليمنية - السوفيتية مزق الحصار الاقتصادي والسياسي الذي ضربه الاستعماريون حول مملكة اليمن وبذلك عزز وضعها المالي اقتصاديا وسياسيا •

كانت معاهدة نوفمبر ١٩٢٨ أول معاهدة صداقة وتجارة
تعقد بين بلد الاشتراكية الأول وبين أول بلد عربي على الإطلاق ، فوق
أنها كانت إحدى المعاهدات القليلة التي عقدت بينه وبين بلدان
الشرق .

كان كل من الاتحاد السوفيتي واليمن الشمالي يعاني من الحصار
والعزلة اقتصاديا وسياسيا ، وكان إبرام المعاهدة اختراقا لعملية
الحصار هذه وذا فائدة مزدوجة لكل من البلدين اللذين نشأت بينهما
صداقة وعلاقة تعاون ظلت تنمو مع الزمن .

كان الامام يحيى معروفا بخوفه الذي يبلغ حد الرعب من
الاجنبى ، وكانت العزلة التي لاذ اليها إحدى الترجمات السياسية لهذه
النزعة الهروبية من العالم ، والانسحاب من ثم الى القرون الوسطى ،
غير أن الوجهه الواضح والصادق الذي أطلق به الاتحاد السوفيتي على
العالم ، وسياسته المؤيدة لحق الشعوب والأمم والأوطان في تقرير
مصائرهم وتحقيق وحدتها الإقليمية واقامة دولها المستقلة ، بعيدا عن
أى تدخل خارجي ، أو أى نزعة الى الهيمنة والتحكم ، اقنعت حاكم
اليمن الاقطاعي القروسطي أن العالم ليس مجرد غابة للوحوش
الاستعمارية ، وأنه يضم دولا عظمى لا تكن سوى الخير للبشرية كلها ،
ولا تريد لها سوى أن تعيش في سلام وحرية .

ومن هنا سعيه غير مرة الى مد اليد الى الاتحاد السوفيتي ،
ومطالبته بعقد معاهدة صداقة ومودة وتجارة معه يتساند بها في
مواجهة الضغط البريطاني عليه ، وبفلت بها من الحصار الايطالي الذي
كان قد شرع في تطويقه .

مثلت المعاهدة حجر الزاوية الذي قام عليه صرح علاقات الصداقة
والتعاون بين اليمن والاتحاد السوفيتي والذي ما برح يتساقط ويشمخ
الى ذرى أكثر علوا وارتفاعا .

في ديسمبر ١٩٣٨ «اللب الامام يحيى تجديد المعاهدة» ، ولم يتأخر الجواب بالموافقة ، حيث تسلمه في ٢٨ يناير ١٩٣٩ رغم اضطراب البعثة السوفيتية الى مغادرة اليمن في العام السابق بسبب نذر الحرب التي كانت تلوح في الافق . والتي ما لبثت أن اندلعت ، وكان موقف الامام يحيى خلالها آميل الى دول المحور بسبب علاقة العداء بينه وبين بريطانيا .

في عهد نجله الامام احمد جددت المعاهدة وبالأذات في ٣١ أكتوبر ١٩٥٥ . بموجب اتفاق قضى أيضا بتبادل التمثيل الدبلوماسي .

عدا المعاهدات الدبلوماسية والتجارية ، فان مملكة الامام الأثرية لم نطمئن لتزويد جيدها بالاح الحديث الا الى الاتحاد السوفيتي . وتشير «سأوهيا» . «ما ان بعثاتها التعليمية كانت تتجه نحوها ونحو البلدان الاستراتيجية الأخرى فقط . اذا ما استثنينا بعض البلدان العربية كالعراق . ولبنان . ومصر .

وأهم المشاريع التي قامت في البلاد لم تتحقق الا على يد الاتحاد السوفيتي والحدس . كمشروع بناء ميناء الحديثة ومشروع الطريق الموصل بين الحديثة وصنعاء .

حقا أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ورياح الثورة العربية التي أخذ يعلق شبحها أبواب الممالك الأثرية قد الجأ حاكم اليمن الكهنوتي الى المضي في طريق التعاون مع الاتحاد السوفيتي - بقدر ما كان ذلك متاحا له - غير أن سمعة الاتحاد السوفيتي كبلد لا مآرب له في بلدان الغير ولا مطمع له غير مساعدتها بقدر ما تطلب هي ذلك وبقدر ما يستطيع هو أيضا ، والتقاليد الطيبة التي أرستها معاهدة الصداقة والتجارة هي العامل الأول الذي اقنع الحاكم الأثري في اليمن

— ٢٤ —

بأنه ليس هناك بديل للاتحاد السوفيتي اذا ما رغب في ادخال شيء من
التحديث على مملكته القروسطية *

ولم يكن الاتحاد السوفيتي غائبا عند قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ،
لقد كان سلاحه في يد الثوار ، وكان مدبروه في زند كل منهم جنبا الى
جنب مع كل خبرة عسكرية وثورية اكتسبها هؤلاء الثوار على يد الثوار
والخبراء المصريين والعراقيين ، واكتسبوها من تفجر الثورة الامة في مصر
والثورة الساعد في العراق *

في ٢١ مارس ١٩٦٤ عقد رئيس الجمهورية العربية اليمنية المشير
عبد الله السلال أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة
وتعاون مع الاتحاد السوفيتي تعتبر تجديدا — ولكن بروح الثورة
السبتمبرية هذه المرة — لمعاهدة نوفمبر ١٩٢٨ *

ولم يكن ابرام معاهدة الصداقة والتعاون اليمنية — السوفيتية
التي أبرمها النظام الديمقراطي الثوري في جنوب الوطن مع الاتحاد
السوفيتي في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٩ والتي وقعها عنها الشهيد عبد الفتاح
اسماعيل بمعزل عن هذا التراث الغني من العلاقات الخصبة مع بلد
الاستراتيجية الأول ، وان تميزت بأنها قامت على أرضية جديدة تماما
هي أرضية التحالف الاممي بين قوى الثورة العربية والعالمية *

كما أن ابرام العقيد على عبد الله صالح رئيس النظام في الشطر
الشمالي من اليمن لمعاهدة الصداقة والتعاون معه في ٩ أكتوبر ١٩٨٤
أثناء زيارته لموسكو قد نصت ديباجتها صراحة بأنها امتداد لمعاهدة
نوفمبر ١٩٢٨ التي جددت في العهد الجمهوري *

يحق لليمن أن تعتز بأن تكون أول بلد عربي أدرك — حتى في عهود
التخلف والجهل والكنهوت — بأن صداقة الاتحاد السوفيتي هي إحدى
ركائز الحفاظ على الذات في عالم البغي الاستعماري * على أن للصداقة
مع الاتحاد السوفيتي أبعادا أعمق وأشمل من ذلك بكثير لا يدركها الا
الثوار ، الذين يقف الثوار اليمنيون في صفوفهم الامامية *

علاقة ثورة ٢٦ سبتمبر بشكل من حركة الأحرار التقليدية والتجربة الناصرية

يمكن القول بأنه بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م أمكن انتزاع اليمن من واحد من أكثر أقبية القرون الوسطى ظلالا ووحشية ووضعها دة واحدة في غمرة أضواء القرن العشرين .

كانت الثورة القذيفة الأولى التي لعلت في ليسل الجزيرة البهيم ، وايقظتها من سباتها الطويل .

كانت بركانا أطح بالقشرة العليا الجرانيتية الصلدة للمجتمع التي تكونت عبر ألف عام ، واستمدت قوتها ورسوخها وديمومتها لا من الوضع الطبقي الاقطاعي - القبلي الانتقالي الشائك المعقد فحسب ، وإنما أيضا من دعوى حقها الالهى الكهنوتى فى الحكم ، هذه القشرة التي تمثلت فى النظام الامامى البيوعراطى الاستبدادى الفردى .

(١) نشرت فى صحيفة « ١١ أكتوبر » عدد ١٦٨٢/٩/٢٢ .

- ٢٦ -

وكانت الثورة صحوة وطنية عامة غمرت الشعب اليمني من أقصى شماله الى أقصى جنوبه •

وكانت دعوة نضال لا ضد حكم القرون الوسطى المظلم المتعفن فقط ، وانما أيضا ضد الاحتلال الأجنبي للشطر الجنوبي من الوطن اليمني الذى كان يمارسه طغاة القرن العشرين •

وكانت صيحة مدوية للشروع فى تحرير الوطن ، كل الوطن ، والعمل على توحيده •

وكانت الثورة موجة عاتية فى خضم الثورة العربية الهادر والمتجه نحو تحرير وتوحيد أقطار الوطن العربى •

وكانت واحدا من المؤثرات على الانقلاب الثورى العام الذى أخذ يشهده العالم النامى بعد الحرب العالمية الثانية بفعل الانتصار على الفاشية وتضعف مواقع الامبريالية العالمية ، وقيام المنظم - ومة الاشتراكية ، وانتشار ألوية حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبروز دور الاتحاد السوفييتى على النطاق الدولى •

ذلك يعنى أن الثورة لم تكن مجرد امتداد تاريخى لحركة المعارضة التقليدية التى تعود جذورها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى رأت فى هزيمة الامام يحيى امام بريطانيا العظمى وابن سعود بتوقيعه معاهدتى ١٩٣٤ معهما دليل ضعف وعلم اغراء بمقاومة حكمه وادخال الاصلاحات عليه حتى بالتعاون مع هذين العدوين ، والتى لم تطمح الى أكثر من اجراء تحسينات دستورية على النظام الامامى - الملكى القائم ، من شأنها أن توسع فقط قمة السلطة بحيث تنتسج للأسر الاقطاعية المناهضة وشيوخ القبائل الذين قلبت سلطتهم الاوتوقراطية على قبايلهم ، ولفئات

الار: تقراولية الدينية الط- -امحة الى حظ اكبر فى السلطة ولعنصر
البرجوازية الناشئة التى كانت تبحث لها عن دور ، فى مملكة الائمة
المقد- -لة .

وحتى شعار الجمهورية الذى المرخته فى همس وحياء شديدين منذ
عام ١٩٥٦ . دون أن تتخلى عن نهجها التقليدى فى التعاق بأذيال هذا
الأمير أو ذاك . وهو هنا الأمير البدر ، الذى راهنت عليه وعلقت
الآمال عايه ضد عمه الحسن الساعى الى العرش ، حتى هذا الشعار
لم يكن يحمل فى فهمها له دلالة ديمقراطية . فالمرشح لرئاسة الجمهورية
فى الحركة القبلية - السايبية المجهضة التى قادها عام ١٩٥٩ حسين
بن ناصر الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد هو هذا الشيخ الاقداى
المتهرب نفسه . على أن ينوب عنه فى ادارتها أحد دقاين : أما القاضى
أحمد السباعى ، أو القاضى عبد الرحمن الاريانى .

ح- . ما كان لبعض العناصر التقليدية من حركة الأحرار اليمينين
القديمة ممن كانوا فى الداخل أمثال القاضى عبد السلام صبره ، والقاضى
عبد الرحمن الاريانى صلة ما بالخمائى الثورية الجديدة التى كانت
تعتمد وتستمد الاطاحة بعرش بيت حميد الدين : واقامة النظام الجمهورى
الثورى على انقاضه ، كما كان هناك لبعض أبناء المشايخ أمثال آل أبو
لحوم - الذين كان اخوانهم أو آبائهم كالثشيخ سنان أبو لحوم من
حركة المعارضة التقليدية - دور معين عند قيام الثورة .

غير أن حركة الثورة نهضت أساسا على أكتاف قوى جديدة لم
تدخل فى اطار حركة الأحرار : ولا وقفت عند هترها الامسلاى
المصدود .

لقد كانت هذه القوى تتمثل فى ممثلى فئات البرجوازية الصغيرة
والوسطى العسكرية والمدنية . وفى بعض عناصر البرجوازية الكبيرة
نسبيا .

- ٢٨ -

لم تكن الطبقة البرجوازية الوسطى وراء الثورة • فلم تكن تسمح ظروف اليمن المغرقة في التخلف والعزلة بظهور مثل هذه الطبقة •

كانت الفئات الوسطى الواقعة ما بين الطبقات والتي كانت ما تزال آخذة في الكوين هي أساس الثورة :

كان المثقفون العسكريون هي أساس الثورة •

وكانت فئة البرجوازية التجارية هي قاعدة هذا الرمح •

ووسط العسكريين كان هناك تنظيم الضباط الأحرار ، الذي نُسك في ديسمبر ١٩٦١ والذي مثل الحلقة الوسطى في سلسلة القوى التي أعدت للثورة ونفذتها •

وبين العسكريين هؤلاء كان هناك المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة ، والذي لم يكن عضوا أساسيا في تنظيم الضباط الأحرار لحساسيات بينه وبين العنصر القيادي فيه وهو الملازم على عبد الغنى •

وبين هؤلاء العسكريين كان هناك الزعيم عبد الله السلال رئيس الحرس الملكي •

ووسط البرجوازية التجارية يبرز اسم عبد الغنى مطهر باعتباره أظهر وجوهها •

وخارج الوطن يترك وجه الدكتور عبد الرحمن البيضاني الذي كان أميل الى التعبير عن البرجوازية الهجينة وعن موقف الأجهزة المصرية منه الى التعبير عن فئة اجتماعية محدودة داخل المجتمع اليمني ، والذي كان مع ذلك شأن الأبطال الأتفة الذكر ، التي لعبت هذا الدور أو ذاك عند قيام الثورة واحدا من الشخصيات التي ليس في الامكان اسقاط اسمها ، اي كان الدور التخريبي الذي مارسه تجاه الثورة •

لم تكن فصائل الحركة الوطنية المنظمة ، ممثلة في حركة القوميين العرب . ومنظمة البعث العربي الاشتراكي ، والاتحاد الشعبي الديمقراطي . أو الشخصيات الوطنية والتقدمية المستقلة بعيدة عن هذه القوى والفئات والعناصر العسكرية والمدنية التي نشطت من أجل إسقاط حكم بيت حميد الدين ، وإقامة النظام الجمهوري على أنقاضه .

غير أن تنظيم الضباط الأحرار والفئات والعناصر الأخرى التي تحملت معه عبء إطلاق شرارة الثورة لم تكن صلتهم بفصائل وعناصر الحركة الوطنية تتجاوز التأثير المتبادل ، حيث بقي تنظيم الضباط الأحرار محافظاً على دية تكوينه . كما احتفظت الأطراف والعناصر الأخرى العاملة معه على خصوصية حركتها وسرية اتصالاتها الخاصة ، دون أن تخفي عن بعضها بعضاً ما من شأنه أن يجمع بينها ، ويوحد خطاهما ، ويعزز عملها .

وكان مما يجمع بينها النظر إلى قضيتها الوطنية اليمنية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من القضية القومية العربية .

وكل المذكرات الشخصية أو الجماعية أو التعريجات الفردية لأي من هذه الأطراف والعناصر تجمع على هذه الحقائق المشار إليها .

يكفي أن نعود هنا إلى ما سجله كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) — الطبعة الثانية — الذي أعدته لجنة من تنظيم الضباط الأحرار ، حيث جاء فيه أن شهر ديسمبر ١٩٦١ كان شهر ميلاد تنظيم الضباط الأحرار ، وكان هذا الشهر — للحقيقة والتاريخ — بالنسبة للطلائع العسكرية الوطنية والثقفة هو شهر الوقفة والتأمل لمصادمات بالاساحة اليمنية والقومية (فشل محاولة اللقيطه وزميله ، ومؤامرة الانفصال للوحدة المصرية السورية) ، كذلك عدم وجود

الامكانية لدى القوة الحزبية والتجمعات الوطنية القيام بالتغيير المطلوب للبلاد ، لذلك كله ولحتمية سرعة التغيير انتقاء وأمنا وسلاما على اليمن والأمة العربية من الموجة التآمرية الرجعية الامبريالية ، خلقت قناعة جديدة لدى الجميع بضرورة سرعة بناء (تنظيم الضباط الأحرار) لاحباط المؤامرة الرجعية والامبريالية . هذا التنظيم في أهدافه ومبادئه لا ينفصم عن المنطق القومي الواحدى ، بل راغدا من روافد القومية والوحدة العربية ، لذلك فقد انصهر الجميع في بوتقته ، وتوقف كل من كان منهم قد انتمى حزبييا عن النشاطات الحزبية ، فنشأ هذا التنظيم نشأة وطنية بحتة ، وظل في نفس الوقت مفتحا على كل المنظمات الحزبية والوطنية . وقد تطور هذا الانفتاح قبيل قيام الثورة بأسابيع الى تكليفات مشتركة ، وتوزيع مهام التنفيذ للثورة حتى تحقق النصر صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ » (ص ٩٨) .

(الصحيح أن يقال صبيحة الـ ٢٧ من سبتمبر ، حيث أن الثورة بدأت ليلة الاربعاء الـ ٢٦ من سبتمبر ، قبل منتصف الليل ، وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية يوم ٢٧ سبتمبر — الباحث) .

ورغم تأثير الضباط الأحرار بالفكر الذى كانت تتبناه فصائل الحركة الوطنية اليمنية وتجاوزهم من ثم لفكر حركة الأحرار التقليدية ، إلا أن تأثيرهم بالنهج الناصرى ، والتجربة الناصرية وشخصية جمال عبد الناصر ، كان هبوا الأعماق والأجلى ، حتى بدا أن مهمتهم فى اليمن ليس فحسب تحرير اليمن من حكم بيت حميد الدين ، والتمكين للتحرر من الاستعمار البريطانى الرابض فى جنوب الوطن ، وإنما الاشتراك أيضا فى تقويم مسيرة الحركة القومية العربية التى اعوجت بفعل نكسة الوحدة المصرية — السورية .

يقول كتابهم الأنف الذكر في هذا المبدأ : « وكان الاتحاد اليمنى في هذه الأونة ، وحدة شخصية (الزبيرى والنعمان) أرادا أن يرمزا الى الوحدة الوطنية ، وأن يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية . بينما الواقع مع يجهل بأحداث جديدة ، والتجمعات الصغيرة تنشأ بين صفوف الضباط ، وتسرى بين الجيل الجديد . والمثقفين كحزب البعث ، والفنوميين العرب ، والشيعيين العرب ، وتحاول كل هذه الحقائق الجديدة أن تخلق طريقها الى حياة سياسية جديدة . وتطامح في تغيير المجتمع اليمنى . وكانت هذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال الى الجنوب . ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمنأى عن هذه التيارات . وإن كان تأثيرهم بالتجربة الفاصرية فى مصر أقرب من الى أفكارهم من تفهيلات الأيديولوجيات المتصارعة فى العالم العربى . وذلك فى فترة ثنائى بنى مروون فيها بعدد قدرة التيارات والاضراب عن عمل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية . بينما الحياة السياسية فى الوطن العربى تدخل فى مرحلة جديدة . بعد انفصال سوريا ، وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة ، بعد احتدام المعركة الاجتماعية داخل ج . ع . م . واتساع أهداف الثورة العربية الحديثة » . (ص ٣٨ - ٣٩)

لم يكن هناك تعارض بين القضية الوطنية اليمنية والقضية القومية العربية . وإنما تدخل وتشابك وتكامل . بل إن الضباط الأحرار - شأن الأطراف والعناصر الأخرى التى شاركت فى تفجير الثورة - كان لديهم الاقتناع الراسخ بأن العامل الوطنى وحده لا يتكفى لقيام الثورة ونجاحها ، وبأن العامل القومى العربى شرط أساسى ولا بديل له لتحقيق ذلك .

كان ما ترسب فى ذاكرتهم من الاحباطات والاختلالات المتواليه التى لحقت بالمحاولات الانقلابية السابقة التى قادتها حركة المعارضة التقليدية

منذ عام ١٩٤٨ الى ١٩٥٩ هو الأساس في تكون مثل هذا الاقتناع السياسي الراسخ بضرورة المساندة القومية الثورية لأي حدث ثوري حقيقي ونجاح في اليمن .

ولا تجمع مذكرات وتصريحات من أسهموا في قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ على شيء كما تجمع على هذه الحقيقة . وليسنا في معرض تتبع أقوالهم في هذا الصدد . فذلك يستحق بحثا مستقلا .

وتقتصر هنا على ايراد بعض ما جاء في كتاب الضباط الأحرار في هذا المجال — وهو ما يتفق مع اشارة المشير السلال عن « انقياد بثورة السادس والعشرين من سبتمبر التي كان الانفصال — أي انفصال سوريا عن مصر من جملة أسبابها » — كما ورد في اجاباته التي نشرتها صحيفة « الامل » في ٢٢-٩-١٩٨٥ — حيث يوضحون : « هنا تجدر الاشارة الى أنه مهما كانت الحوافز والأسباب والدوافع المحلية هي المحرك الفاعل للحماس الثوري والدفع نحو الخلاص والانعقاد ، فان تعاضم حركة الانبعاث القومي ونشاطها المتزايد في محور حركات التحرر الوطني العربية والعالمى ، ووضوح ملامح النضال على الساحة العربية والعالمية ، وتحديد أهدافه من قضايا سياسية مثل الحرية والاشتراكية والوحدة ، كما ظهر أثره في الأهداف الستة — لولا ذلك لكانت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حركة تمرد أو انقلاب ربما لا يكتب له أن يعيش غير أيام محدودة كغيره من التجارب والمحاولات السابقة » . (ص ٤٦ — ٤٧) .

لقد أثبتت الحرب الأهلية والاستعمارية الضروس التي فرضتها الرجعية الملكية والرجعية السعودية والعربية والعالمية والاستعمار القديم والجديد على الثورة ، والتي وقفت فيها مصر عبد الناصر

— ٣٣ —

الى جانبها بالمسال والرجال والعناد حتى بلغ تعداد جيشها ههيا حوالى ٨٠ ألفا — أثبتت ليس فقط صحة وحساب تقدير الثوار اليمنيين هذا ، وانما أيضا الأهمية والمكانة العاليتين للثتين احتلتهما ثورة سبتمبر فى إطار النضال الثورى العام لحركة التحرر الوطنى العربى والعالمية •

ومن هنا أيضا ذلك الدعم السخى الذى قدمه لها المعسكر الاشتراكى ، وخاصة الاتحاد السوفيتى ، والذى بلغ حدود النقد — دعم المجانى للأسلحة ووسائل النقل التى استخدمت فى حرب اليمن •

ملاحظات حول بحث

« حركتنا ١٩٤٨ و ١٩٥٥ »

في الشطر الشمالي من اليمن »

قرأت بتمعن وتقدير بحث « حركتنا (١٩٤٨ و ١٩٥٥) في الشطر الشمالي من الوطن اليمني » الذي نشره الأخ ناجي محمد سعيد علي في « الثوري » في ٢٨-٣-١٩٨٧ ، ونبه فيه الى أنه « خاص بالدعاة السياسيين للحلقة الابتدائية في شبكة التثقيف الحزبي لشهر أبريل ١٩٨٧ » .

وهو تميز البحث بخلوه مما تتسم به الكتابات غير المتخصصة حول هاتين الحركتين من عاطفية ورومانتيكية ، صلحان عند نظم الشعر ، غير أنه لا علاقة لهما بميدان البحث العلمي وقضايا التاريخ الذي اعتبره ماركس علم العلوم .

ومع ذلك ، بك من أجل ذلك : أرجو أن يسمح لي بالتصويبات

والتدقيقات الآتية التي ربما كانت سرعة اعداد البحث سببا في خلو البحث منها أحيانا :

١ — جاء في البحث : « فقد وقع الامام يحيى على اتفاقية خيانة في ٢٠ مايو ١٩٣٤ تنازل بموجبها عن ثلاث مناطق يمنية (٠٠٠) وفي فبراير ٢٩٣٤ وقع الامام يحيى على اتفاقية الحدود مع بريطانيا بهدف الحفاظ على الأوضاع الراهنة لمدة (٤٠ يوما) ، (المراد ٤٠ عاما بكل تأكيد) »

ولأن « معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا » — وهذه هي التسمية الرسمية لها — قد عقدت في ١١ فبراير ١٩٣٤ ، أى قبل « معاهدة الطائف بين المملكة المتوكلية اليمنية والمملكة العربية السعودية » — وهذه هي التسمية الرسمية أيضا — فقد كان من الضروري تقديم ذكر المعاهدة الأولى على الثانية من حيث الترتيب الزمني والتاريخي لأن لذلك مغزاه وآثاره على مجرى حركة الأحداث التاريخية ، حيث كان في ظن الامام يحيى بأنه بأقفال ملف النزاع مع بريطانيا على جنوب اليمن والاستسلام لها يمكن أن يتفرغ لفتح ملف النزاع الآخر الى نهايته ، بقطع النظر عما انتهت اليه الأمور فعلا في كلتا الحالتين .

كما أن « معاهدة الطائف » عقدت في ٦ صفر ١٣٥٣ هـ وهو ما يصادف ١٩ مايو ١٩٣٤ وليس ٢٠ مايو ١٩٣٤ .

٢ — جاء في البحث : « قام الأمير « أحمد بن يحيى » ولي العهد بزيارة لعدن لنفس الغرض ، وأكد لزعماء الجمعية بأنه على استعداد لاجراء اصلاحات في البلاد لتجاوز سياسة العزلة ٠٠٠ » .

وظاهر الصيغة يوحى بأنه قد حدث لقاء فعلى بين الأمير وبين

زعماء المعارضة ، وهو ما لم يحدث نتيجة تحسب هؤلاء الزعماء بأن
الأمير يضمهم لهم شرا ، وبالذات النعمان والزبيرى •

ولذلك كان ينبغي توضيح أن التفاوض — إذا صح استخدام هذه
العبارة — قد جرى بطرق غير مباشرة عبر الوسطاء وعبر نشر مطالب
الأحرار اليمنيين في الصحافة •

٣ — تكررت في البحث عبارات « المتنورة » و « المستتيرة » في وصف
« قيادة الحركة الاقطاعية » المعارضة لبيت حميد الدين من بيت الوزير
« التى تحمل أهدالها دستورية جديدة » ، التى تقف ضد الحكم
المطلق •

كما تكررت عبارات مناقضة للأوصاف الأولى في وصف هذه
القيادة ، نهي حيناً من طينة بيت حميد الدين الاقطاعى ، وتارة أخرى
أكثر تزمناً منهم ، حيث يقول الكاتب : « فقد كانت قيادة المعارضة
من نفس الطبقة الارستقراطية التى ينتمى اليها الامام يحيى » ويقول
أنه بعد تنصيب عبد الله الوزير اماماً بعد الفتك بالامام يحيى فخل
بعض « الأحرار » البقاء في عدن مؤقتاً « خشية من الامام الجديد » ،
لأنه صورة طبق الأصل للامام يحيى • وقد قال النعمان : « هما من
جيل واحد ، ومدرسة واحدة » ، هذا ان لم يكن أكثر تزمناً من
الأول في الناحية الدينية •

وبالعودة الى الوقائع المسادية يتأكد أن بيت الوزير الذين كانوا
القادة الفعليين لحركة المعارضة داخل مملكة الأئمة هم البيت الثانى من
حيث المعتقد الارستقراطى ، ومن حيث الانتماء 'القطاعى' ، كما كانوا
أقربى بيت مناس لبيت حميد الدين على الامامة • وأن وصف
« الاستعارة » لا ينسحب عليهم •

أما تلك الشعارات ذات السمة الشورية والليبرالية فكانت تعبير
عن مطالب الفئة البرجوازية المعارضة الموجودة في عدن وفي المهجر وعن
نزوع فئة المثقفين الذين احتكوا بالخارج بشكل مباشر أو عن طريق
الكتب والمجلات التي كانت تتسرب الى البلاد .

وقد قبل بيت الوزير بهذه الشعارات لمجرد الحصول على
مبايعة زعماء هاتين الفئتين لهم بالامامة . وذلك ما اتضح جليا بعيد
تربيعهم للعرش . فلم يكتفوا بمنصب الامامة الذي كان من نصيب
عبد الله بن أحمد الوزير ومنصب رئيس مجلس الوزراء الذي كان من
نصيب علي بن عبد الله الوزير ، وإنما شرعوا في فرض تسلطهم الاسري
منذ اللحظات الأولى ، وهو ما كتب عنه الأحرار فيما بعد ، وخاصة
النعمان والزبيري ، مما لا يتسع المجال لسرده هنا .

٤ — ناقض الكاتب نفسه أيضا حين أصبح على حركة الأحرار صفة
« الشعبية » وحين نزعها عنها ، ففي الحالة الأولى « أدركت قيادة المعارضة
أنه لا بد من استنهاض الجماهير اليمينية » ووقفت الجماهير الشعبية
الكادحة الى جانب قيادة الأحرار « وعلى الرغم من عدم وجود
صلات تنظيمية مباشرة مع الكادحين ، إلا أنها حظيت بتأييد شعبي
واسع » وفي الحالة الثانية « بذل الامام الجديد جهودا كبيرة لكسب
تأييد الناس ، لأنه لم يلمس أى تعاطف إلا في الأوساط المصدودة من
الطبقة الوسطى . وتمكن أبناء الامام المعتقلون من خلال أنصارهم أن
يقودوا نشاطا فعالا ضد الامام الجديد ، حيث رغفت وحدات
من الجيش النظامي دعم « عبد الله الوزير » ، واحتفظت بحيادها ،
ولم تنحز للسلطة الجديدة » . ومن « الأسباب التي أدت الى فشل
الحركة » :

١ — لم تكن الحركة منظمة ، ولم تسع الى أحداث تغيير كامل
لجهاز الدولة القديم ، بل كانت حركة ارتجالية لم تضع تصورا مسبقا

عن شكل الدولة المقبلة ، وانما كان هدفها العاجل القضاء على الامام واستبداله بالوزير .

٢ — انزلت تنظيميا عن جماهير الشعب ، وذلك لعدم قيامها بتعبئة الجماهير لحثها على الدفاع عن الحكومة ولم يجر تنظيم الاتصالات بباقي مناطق اليمن » .

٣ — الخلافات العميقة داخل الحركة واكتشاف الكثيرين أن « عبد الله الوزير » لا يختلف عن « الامام يحيى » ، وان ثقته ضعيفة بالكثير من قيادات ورموز حركة الأحرار . . هذا الخلاف أدى الى اضعاف الحركة في مواجهة استعدادات وهجوم « أحمد ولي العهد » .

وكل الحقائق تؤكد أن هذا الطرح الأخير هو الصحيح ، وان حركة الأحرار لم تصل الى قاع المجتمع بسبب من طبيعة قياداتهم - الارستقراطية الاقطاعية في الداخل ، وأنها مثلت جناحا اقطاعيا معارضا للجناح الاقطاعي الحاكم ، وهدفت الى توسع قاعدة الحكم ، بحيث يتسع للجناحين معا ولجمل الطبقة الاقطاعية ، مع الاحتفاظ للبرجوازية الناشئة التي كانت أساسا في عدن وفي المهجر بهامش محدود في السلطة الى جانب بعض المثقفين الدينيين .

٥ — تكرر وصف حركة الأحرار بأنها « حركة وطنية » . وتبعاً لذلك اعتبر العلاقة التي قامت بينها وبين الاستعمار البريطاني علاقة غائبة متبادلة ومبررة ، حيث يقول تحت عنوان « موقف بريطانيا من الأحرار » : « ما زال هذا الموضوع محط اختلاف (في تصنيف العلاقة بين الجانبين) بين المؤرخين والكتّاب حتى الآن . فالبعض يؤيد رأى الدكتور محمد على الشهاري الذي يقول « أن حركة الأحرار كانت حركة عميلة لبريطانيا » معللا هذا الرأى بالاتصالات التي كانت تتم بين

— ٤٠ —

الأحرار وبريطانيا .. وهى الاتصالات التى فتحت المجال أمام الأحرار للقيام بنشاط واسع فى عدن » •

« ونحن نرى أن المنطق التاريخى يقول « ان الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية ، والعزلة والتهمين التى فرضها الامام يحيى حميد الدين على شعبنا اليمنى كانت ثقيلة » • •

« ولذا ظل الشعب اليمنى يبحث عن الاستقرار والازدهار والحياة الكريمة وأحداث نهضة ثورية ، وكسر طوق العزلة ، والاتصال بالخارج • وعندما بدأت حركته الوطنية تعمل من أجل تحقيق طموحاته ، استخدم الامام أشنع الطرق للقضاء على قيادة الحركة • بريطانيا أرادت الاستفادة من حركة الأحرار للضغط على الامام ، لأنه كان على خلاف معها بشأن قضية الجنوب ، وبسبب قيامه بتحريض القبائل ضدها • • فتحت بريطانيا عدن للحركة الوطنية لتعرقل مساعى الامام ، وتمنعه من تنفيذ مشاريعه • هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فقد رأت حركة الأحرار فى موقف بريطانيا هذا فرصة لتكثيف نشاطها السياسى والاعلامى ضد الامام ، والقضاء عليه ، وتطويع اليمن ، لهذا لجأت الى عدن كخطوة أولى للقضاء على حكم الامام ، وتسلم زمام الأمور فى الشمال • • وفى هذا أحد الشواهد التى تؤكد التواصل العضوى بين نضال ومصير الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب » •

« ولكن يجوز أن يكون بعض العملاء لبريطانيا لهم صلات بالأحرار مثل بعض الشخصيات البرجوازية التجارية التى كانت ترى فى عدن مركزا تجاريا حيويا، ونادت بالمعادلة والحكم الذاتى فى بعض الأمور المدنية ، وحرية الصحافة • وهذا يشكل حالة أرقى من الحكم المطلق للامام يحيى حميد الدين • ويبدو أن الدكتور الشهارى حاكم حركة ١٩٤٨ بمنطق زماننا هذا • ولو حاكمها بزمانها والظروف التى انطلقت

— ٤١ —

فيها ، لكان الحكم عليها واقعيا من حيث كون الحركة قد مثلت قفزة متقدمة في نضال الشعب اليمني . ولا يمكن اعتبار نص فقرة « الميثاق المقدس » التي اعتبرت « بريطانيا جارة » كافيها لو صم حركة الأحرار بالخيانة » .

ونوجز ملاحظتنا في التالي : يضم الكاتب بين قوسين كلاما منسوباً اليها نقول فيه : « ان حركة الأحرار كانت حركة عميلة لبريطانيا » وكان ينبغي أن يذكر المصدر الذي اقتبس منه هذا الكلام . ويضع الكاتب بين قوسين كلاما منسوباً الى « الميثاق المقدس » جاء فيه — حسب قوله — اعتبار الأحرار « بريطانيا جارة » وينسب اليها وصفا « حركة الأحرار بالخيانة » استنادا الى هذا النص .

وبمراجعة للميثاق المقدس لم نعثر على هذا النص ، كما أننا بمراجعة لما كتبناه حول حركة الأحرار لم نعثر على كلمتي « العمالة » و « الخيانة » في وصفنا لحركة الأحرار .

ما قلناه في كتاباتنا أنه كات هناك علاقة حقيقية بين الأحرار والبريطانيين وان البريطانيين راهنوا على الأحرار في مد نفوذهم الى ممكة الأئمة المقلدة ، ولا سيما بعد أن تأكد لهم أن الأمريكيين يسعون بدأب الى فتحها عن طريق المراهنة على أنجال الامام من سيوف الاسلام ، وعلى رأسهم السيف عبد الله الذي حذر الأحرار من خطره وخطر مخططة على مشروعهم ، وأنه كان هناك من ثم صراع محتدم بين الاستعمار القديم والاستعمار الجديد على عرش بلقيس استخدم كل منهما فيه القوى السياسية التي قدمت نفسها له طواعيه واختيارا : الأحرار . وسيوف الاسلام .

وفي المتحف البريطاني وثائق بالغة الأهمية في هذا الصدد يمكن لأي باحث أن يعود اليها اذا ما أراد معرفة مدى العلاقة التي

كانت قائمة بين الأحرار والبريطانيين وغير ذلك من التفاصيل الحساسة .

أما تقسيم « النعمان » كجش هـداء واتهامه بالعمالة للبريطانيين وتبرئة غيره من التعامل معهم — وهو ما بدا من حديث الكاتب ، شأن ما فعله الذين يكتبون في التاريخ حسب المزاج والهوى والحب والكره — فذلك ما كنا نؤثر ألا يقع فيه .

فالنعمان ، وإن كان صندوق أسرار قضية الأحرار ، إلا أن زعماء الأحرار الآخرين في عدن وصنعاء كانوا يعرفون المحتويات العامة لهذا الصندوق ، وكانوا مشاركين في رسم خط العلاقات مع البريطانيين . ويبدو أن النعمان قد كشف جميع هذه المحتويات في مذكراته التي يقال أنه أودعها الجامعة الأمريكية في بيروت ، على ألا تنشر إلا بعد وفاته .

وأما تصوير هذه العلاقة بين المستعمر البريطاني وبين حركة معارضة لنظام آخر، بأنها نوع من الاستفادة المتبادلة ، حيث أرادت بريطانيا « الاستفادة من حركة الأحرار للضغط على الامام » وحيث فتحت « بريطانيا عدن للحركة الوطنية » من جهة ، وحيث « رأت حركة الأحرار في موقف بريطانيا هذا فرصة » من جهة أخرى — أما مثل هذا التصوير للأمور فهو يقدم مبررا خطيرا للتعامل والتعاون بين أي مستعمر وبين أية قوة سياسية بحجة النفع المتبادل .

فلننظر هنا أمام حركة سياسية تريد الوصول الى السلطة وتجسد الدعم من قوة استعمارية تحتل جزءا من وطنها . فهل العلاقة بين الجانبين ، أي بين دولة عظمى وبين حركة وطنية — حسب وصف الكاتب لحركة الأحرار — هي مجرد علاقة نفع متبادل بالتكامل والتمام ، ومن ثم فهي علاقة صحيحة وسليمة ولا شائبة تشوبها قط ؟ !

وحتى الدول التابعة نقول نفس الشيء ، فهي ترغب أن توصف
بأنها تابعة لمتبوع ، وتعتبر نفسها دولا كاملة السيادة وأن العلاقة بينها
وبين الاستعمار مجرد علاقة نفع متبادل !

وعندما يتعلق الأمر بحركة سياسية ما نزال تصارع من موقع
المعارضة لبلوغ السلطة وتعثّر على دعم لها من دولة استعمارية تحتل
جزءا واسعا من أراضي وطنها ، فإن العلاقة بين الجانبين هي أكثر تعقيدا
بكثير من علاقة دولة تابعة بدولة متبوعة .

وما يدعوا للفرابة أكثر هو اعتبار وجود الأحرار في عدن
وعدم البريطانيين الحاكمين لهم هو « أحد الشواهد التي تؤكد
التواصل بين نضال ومصير الشعب اليمني في الشمال والجنوب » ذلك أن
الشعب في الجنوب والشمال ذلك مستبعدا من الحساب ، والذين تعاونوا
مع الأحرار في عدن كانوا عناصر محدودة من السياسيين أمثال
محمد علي لقمان وغيره من العناصر المصوبة على الإدارة البريطانية
والتي لا علاقة لها بالشعب لا في الجنوب ولا في الشمال .

في ضوء ذلك لا ندري ما إذا كان الكاتب لا يزال يعتبر حركة الأحرار
« حركة وطنية » .

أما نحن فنرى أن الوصف الصحيح لها هو أنها « حركة
اصلاحية » ارادت توسيع قاعدة الحكم وادخال بعض التحسينات
عليه ، بحيث يتسع لمثلئ الطبقة الاقطاعية عموما ، مع اعطاء هامش
صغير فيه لمثلئ البرجوازية الناشئة « المهاجرة » ولبعض المثقفين
الدينيين ، ذلك أن تعبير « حركة وطنية » يطلق على تلك الحركات المناهضة
للاستعمار وركائزه . وحركة الأحرار لم تكن من هذا الصنف من
الحركات .

— ٤٤ —

٦ — الذى قتل فى انقلاب ١٩٤٨ الى جانب الحسين ليس الحسن —
كما جاء فى بحث الكاتب — وانما « المحسن » — وربما حدث تصحيف
غير مقصود — كما أن الفضيل الورتلانى لم يكن زعيم الاخوان
المسلمين — كما ذكر الباحث — وانما كان عضواً فى مكتب الارشاد
للاخوان المسلمين ، ذلك أن زعيمهم — كما هو معروف — كان آنذاك
هو حسن البنا •

٧ — ذكر الباحث أنه فى « عام ١٩٥٣ جرى تنظيم انقلاب للاطاحة
بالامام ، وهو الانقلاب الذى لم يتعرض له أحد حتى الان بالدراسة
والتحليل • وقام الامام بحركة واسعة من الاعدادات بين صفوف
العناصر الوطنية العسكرية والمدنية ، كما لعب الأمير الحسن دوراً قمعياً
وحشياً ليثبت اخلاصه لأخيه أحمد » •

واعترف اننى وأحد من الناس الذين لم يسمعوا ويقرأوا شيئاً
عن حدوث انقلاب كهذا • لقد كنت عام ١٩٥٣ أشد ما أكون
قرباً من الأحرار ، سواء وأنا فى حجة ، أو عدن ، أو القاهرة ، وعلى
رأس هؤلاء جميعاً النعمان — أستاذى فى حجة — والزبيرى الذى كان
قبلتنا فى القاهرة آنئذ • غير أن أحداً من هؤلاء لم يحدثنا عن قيام
انقلاب فى هذا العام ، كما أنه لم يكتب أحد منهم عنه لا من قبل
ولا من بعد •

ولذلك ستكون مفاجأة غير متوقعة لو أمدنا الكاتب عن المرجح
الذى استقى منه حكاية هذا الانقلاب ، مع ذكر المبررين له ... الخ !

٨ — عند حسيثته عن انقلاب ١٩٥٥ الذى تزعمه السيف عبد الله
ابن يحيى حميد الدين سياسياً ، وتزعمه المقدم أحمد الثلايا عسكرياً
وردت الرواية الآتية : « وفى أبريل تحرك « محمد البدر » بقوات المتطوعين

نحو « تعز » وتمكن من السيطرة على المدينة ومن اخراج والده من الأسر ، حيث طلب الامام أحمد من الناس قتل المتمردين « » .

وواقع الأمر أن انقلاب ١٩٥٥ كان قد أحبط داخل تعز قبل أن تصل القوى الى حشدتها البدر من حجة لهذا الغرض . وإذا كانت هذه القوى القبلية أساسا وليس قسوات متطوعين — كما يذكر الكاتب — إذا كانت قد تحركت في أبريل نحو تعز ، فإنه في هذا الوقت كان قد انتهى كل شيء . بل أن شهر أبريل لم يهل الا وقد استعاد الامام أحمد زمام الموقف ، وشرع في ذبح خصومه .

وبعد : فإننا رغم التصويبات والتدقيقات الأنفة الذكر نحتفظ للباحث بالتقدير لسعيه الهادى المتزن نحو الحقيقة التاريخية . التى تظل بغية الطالبين لها ، المتسلحين من أجل الوصول اليهما بسلاحين اثنين لا بديل لهما : المادة التاريخية ذاتها ، واستخدام المنهج العلمى فى تقييمها ، هذا المنهج الذى يطال الماضى والحاضر والمستقبل ، والذى كما يرفض اسقاط الحاضر على الماضى يرفض الياس الماضى لبوس وشعارات الحاضر .

مذكرات تهجد النفس

باسم وعلى حساب

ثورة ٢٦ سبتمبر(*)

الثورات - كل الثورات - تقوم تعبيرا عن التناقضات الاجتماعية السياسية التي تكون قد بلغت حدا تصبح معه الثورة هي الحل الحاسم لمثل هذه التناقضات. وفي كل ثورة هناك طبقة كاملة التكوين أو ناقصة التكوين تكون وراءها ، وتطبع الحكم الجديد بطابعها ، والمنظمات السياسية والعسكرية أدوار هامة في قيادة هذه الثورات وفي إعادة تنظيم المجتمع من جديد .

والأفراد القياديون في هذه المنظمات لهم دور مؤكد فيها ، بقدر ما يتوهرخهم من مؤهلات وكفاءات قيادية سياسية وعسكرية وتنظيمية ، وبقدر ما يتمتعون به من جاذبية شخصية ومناقب ذاتية - محبة ، وشعبية واسعة . ولكن المنظمات والأفراد لا يستطيعون أن يصنعوا

(*) نشرت في « الثوري » ، عدد ١٩٨٤/١/٢٢ .

الثورات بعيداً عن الطبقة التي تكون الثورة أساساً في صالحها ، وبدون
الثقاف الجماهير الشعبية الواسعة حولهم وحولها •

وثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في شمال الوطن اليمنى هي واحدة من
هذه الثورات التي كانت وراءها الفئات الوسطى والعلوية والصغيرة
من البرجوازية الناشئة المدنية والعسكرية الراضية للحكم المطلق
الانقطاعى الكهنوتى ، والطامحة الى تفتيح مسام المجتمع ، واخراجه
من العزلة الطبقة التي فرضت عليه ، واطلاقه في طريق الحياة التي
يعيشها الناس في القرن العشرين •

والخمس سنوات الأولى من الحكم الثورى أفضحت بجلاء عن
الطابع العام الوطنى الديمقراطى التحديثى للثورة ، والذي تمثّل
في خوضها حرباً ضروساً مدعومة بمصر الناصرية ضد قوى الثورة
المضادة الملكية وقوى الرجعية العربية والاستعمار المساندة والموجهة
وفي دعمها لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ في جنوب الوطن اليمنى ضد
الاستعمار البريطانى ومن أجل تحقيق الوحدة اليمنية ، وفي ادخالها
بعض الاصلاحات الديمقراطية ، وفي خطها العام الوطنى التحررى •

واللحظات التاريخية السابقة واللاحقة لقيام الثورة ، لحظات
التحضير لها ، ولحظات قيامها والأيام والأسابيع والأشهر التالية
لقيامها — أى ما يمكن تسميته اجمالاً بزمان الثورة الساخن — هذه
اللحظات أو الزمن الثورى هو أخطر حلقة في تاريخ كل ثورة ، وأن
كانت هذه الحلقة لا تقرر مصير الثورة ، ذلك أن ما يحدد مصيرها
نهائياً هو قدرتها على تغيير بنية المجتمع القديمة اقتصادياً واجتماعياً
وسياسياً وثقافياً ، واستبدالها بأخرى متقدمة •

غير أن مدار الحديث هنا محصور في التطرق الى الحلقة الأولى
من قيام ثورة سبتمبر ، وهى الحلقة التي دارت حولها أساساً المذكرات

— ٤٩ —

التي أصدرتها حتى الآن بعض الشفيعيات التي ساهمت بهذا الدور أو ذاك عند وبعد قيام الثورة والشهادات التي سجلت حول ذات الفترة من قبل بعض المشاركين فيها .

ان ما يفتاج به المرء في هذه المذكرات هو أنها لا تتخذ من ثورة سبتمبر الحدث موضوعا لها . وإنما تتخذ من ذات الكاتب صاحب المذكرات عنوانا لها . . ومدارا لمجمل الأحداث التي تكون قد مرت بالثورة ، سواء خلال وجوده في السلطة أو بعد خروجه منها .

والهدف الذي يتوخاه أصحاب المذكرات هؤلاء هو أن يصور كل واحد منهم نفسه بأنه مارس الثورة المنوار ، وبطلها الحقيقي ، الذي بدونها ما كان لها أن تقوم قط .

وحتى يتحقق هذا الهدف يلجأ كل منهم الى النمط من دور رفاعة في الثورة ، والى الخط من شأن ما أسهموا به ، بل والى تسفيه أشخاصهم ، وطمعهم حتى في رجولتهم وثورتهم .

والغريب أن هذا النمط من الكتابات لا يقدم باعتبارها مذكرات شخصية ، حتى يهون الأمر ، ولو بعض الشيء ، ويتحمل القارئ عبء حديث الكاتب عن نفسه بالحق والباطل ، وإنما تقدم باعتبارها تاريخا للثورة ، بل والتاريخ السري والمجهول لها ، الذي لا يجده المرء في كتاب عادي حول تاريخ الثورة !

وكل صاحب مذكرات يريد أن يقنع القارئ بأن مذكراته هو هي التاريخ الصحيح والحقيقي للثورة ، وما عداها من مذكرات ادعاء في ادعاء ، وكذب في كذب ، وخداع وتضليل للرأي العام .

(م - ٤ - قضايا الثورة اليمنية)

وأكثر من ذلك فإن أصحاب المذكرات يتطرقون الى ذكر أحداث لم تقع ، أو تصويرها على نحو معكوس تماما ، مما يجعل القارىء المتابع لأحداث ثورة سبتمبر التى عاشها بنفسه يقف موقف المتشكك فى مدى صحة كل ما جاء فى هذه المذكرات ، باستثناء تلك الوقائع التى يتضح اجماعهم عليها وتؤيدها الأدلة المادية ، ويشهد عليها الرأى العام كله .

ولن يواجه المؤرخ المختص كبير عناء عند قراءته وتمحيصه لهذه المذكرات ، واكتشاف الطابع الذاتى المسرف لها ، وخلوها تماما من روح المعالجة الموضوعية ، وروح الانصاف .

فالحديث الطنان الرنان ، بل والزاعق والصارخ عن النفس ، والتمجيد المفرط لها والذى يبلغ حد العشق لها ، حد النرجسية ، وأسلوب الطعن والتجريح فى أدوار وأشخاص الآخرين ممن أسهموا بهذا القسط أو ذاك فى الثورة — كل ذلك يجعل القارىء العادى — ناهيك عن المتخصص — يتعامل مع هذه المذكرات منذ أول سطر الى آخر سطر بصدر شديد ، ويرفض بسهولة النظر اليها باعتبارها تحمل مادة أمينة تصلح للرجوع اليها ، والاستشهاد بها ، لمعرفة وقائع الثورة وأدوار كل من شاركوا فيها .

أول هذه المذكرات التى لم يتحرج صاحبها : اللواء عبد الله جزيلان ، من تسميتها (التاريخ السرى للثورة اليمنية) صدرت عام ١٩٧٧ ، وآخرها — حتى الآن — هو كتاب الدكتور عبد الرحمن البيضانى الذى حمل عنوانا خضفأضا (أزمة الأمة العربية وثورة اليمن) والذى صدر عام ١٩٨٤ .

ولربما انطوى كتاب (أسرار ووثائق الثورة اليمنية) الذى صدرت طبعنتان منه حتى الآن ، الأخيرة منهما موسعة بعض الشيء — على بعض

الوثائق الهامة التي تميط اللثام قبل الثورة وبعدها عن دور مصر فيها ، كما تنطوى على أسماء الضباط الأحرار الذين كانوا أهم جماعة منظمة بعض الشيء شاركت بدور رئيسى فى قيام الثورة ، ولربما كان إيراد هذه القائمة بأسماء الضباط الأحرار ردا مقصودا على اللواء جزيلان الذى أنكر تماما وجود شيء اسمه « تنظيم الضباط الأحرار » انطلاقا من تصوير نفسه كمدير للكلية الحربية بأنه كان الأمر الناهى لجميع الضباط الذين كانوا دونه فى الرتبة العسكرية ، وأنه كان المسير والموجه لهم عند قيام الثورة وللقيام بها !

وإذا كان كتاب الضباط الأحرار قد حاول جاهدا تجنب الوقوع فى منزلة الحديث عن الذات ، نظرا لأنه ينطق باسم جماعة ، فإنه لم يستطع أن يكون حذرا بذات القدر عند الحديث عن وجهة نظر الضباط الأحرار السياسية تجاه اليمن والوطن العربى والعالم ، حيث نلمس هنا بوضوح ظاهر نوعا من التضخم لطريقة تفكير الضباط الأحرار آنذاك .

ولأنه ليست هناك محاضر لاجتماعاتهم ، ولأن تقديمهم لوجهة نظرهم هذه لم يكن موثقا بالتالى ، فإن ما كتبوه فى هذا الصدد لا يخلو من التأثير بأدبيات الحركة الوطنية اليمنية وشعاراتها ، بقليل البطر عما إذا كان هذا التأثير النظرى قد لقي أو يلقي تجسيده العملى .

ومع ذلك فإن مذكرات الضباط الأحرار الجماعية هذه أفضل بما لا يقاس من المذكرات الفردية الطافحة بالحديث عن النفس ، وبالنيل من أدوار وأشخاص الآخرين .

وإذا كان الضباط الأحرار قد حددوا نوع الصلة التى أقاموها مع عبد الله السلال رئيس الحرس الملكى آنذاك ، ونوع الدور الذى

مهمض به صبيحة قيام الثورة ، ولم ينكروا من خلال بعض الوثائق الملحقة بكتابهم الخلاف الذى شجر بينهم وبين السلالة ، بعد أن تسلم رئاسة الجمهورية وقيادة الجيش ، فان جزيلا والبيضانى تعمدا تقديمه بصورة غير دقيقة ، يبدو معها كما لو كانت تسيره الأحداث ، وان الصدفة وحدها هى التى وضعت فى دست الحكم ، الضالعة إلى مسانيرته للارادة المصرية الحاكمة والمتحكمة .

وايا كانت المآخذ على عهد الثورة الأول ، فان دوره فى الثورة وتسلمه زمام أمرها طيلة سنيها الأولى التى انتهت بقيام انقلاب • نوفمبر ١٩٦٧ الرجعى قد جعل من فترة حكمه الوطنى المسنود بدعم مصر الناصرية — أيا كانت المآخذ أيضا على هذا الدور — فترة الثورة المجيدة .

والواقع أن المشير عبد الله السلالة لم يبادر حتى الآن الى كتابة مذكراته ، رغم كل ما تعرض له دوره وشخصه من طعن وتجريح ، وان كان يقال أنه ينوى بالاستعانة بابنه العقيد على عبد الله السلالة الذى كان أحد ضباط الثورة أيضا سد هذا الفراغ ، على الأقل دفاعا عن النفس ، وحتى لا تظل الكلمة فقط لمن كتبوا مذكراتهم حتى الآن ، بكل ما انطوت عليه من اشادة بالنفس ، وغمط للأدوار الآخرين ، وعلى رأسهم المشير السلالة •

وكما نال اللواء جزيلا من البيضانى ، فان الأخير نال منه • وللسنا فى حاجة الى أن نضع بين قوسين هجاء كل منهما فى الآخر ، وان كان يظل معروفا أن دور جزيلا فى الثورة مما لا يمكن إنكاره ، وان كان ليس الدور الذى يعطيه هو لنفسه • وليس فى الأمر ما يدعو للغرابة ، فكلمة الشخص عن نفسه شئ وكلمة التاريخ شئ آخر •

وكما لم يكن جزيلا فارس الثورة ، فلم يكن كذلك البيضانى

الذى صور نفسه فى كتابه أنه صانع الأحداث فى اليمن حتى أبان العهد الامامى ، وأنه هو الذى كان وراء اقناع هذا العهد ببناء ميناء الحديد واستقدم السلاح السوفيتى ، وشق طريق الحديد — صنعاء ، تمهيدا لقيام الثورة التى اقنع صديقه السادات بضرورة قيامها ، ليقنع هذا عبد الناصر بذلك ، لتقوم من ثم الثورة وفق تخطيطه وتصميمه ، وليتولى تصحيح كل خروج عن ذلك فور وصوله الى اليمن ثالث قيام الثورة ، ليعيد تشكيل مجلس قيادة الثورة والحكومة بما يكفل له أن يكون الرجل الثانى بعد السلال ، وبمما يؤدى الى « المساواة الطائفية » بين الزيود والشوافع ، باعتبار ذلك قمة ما تسعى اليه الثورة وما قامت من أجله ١١

أما اختلاق أو تزوير أو عكس الأحداث الكبيرة والصغيرة فى كتاب البيضاى فهو شهادة أخرى يقدمها لمن لم يعرفوه من الجيل الذى نشأ بعد الثورة ، والذى سيعرف حقائق تاريخ الثورة من مصادرها عند كتابة هذا التاريخ على يد المؤرخين العلميين . وحينئذ لابد أن يحظى البيضاى ببضعة أسطر فى هذا التاريخ ، رغم كل الأدوار التخريبية التى لعبها ضد الثورة اليمنية عموما ، والتى أشرت الى بعض منها فى كتابى (عبد الناصر وثورة اليمن) .

على أن من حقى هنا أن أنفى زعم البيضاى أننى عملت « مديرا لمكتب الأستاذ نعمان عندما تولى رئاسة الوزارة » ذلك أن العكس تماما هو ما حدث ، وهو ما يعرفه البيضاى جيدا ، حيث أننى لم أرغب حكومة نعمان بحسب ، وإنما قاومتها أيضا بالمشورات العديدة فى تعز ، بل وبالتحرك السياسى الذى بلغ حد التمرد عليها بالاشتراك مع عبد القوى حاميم وقاسم غالب وحركة القوميين العرب وآخرين من الشباب التقدمى وبلغ حد ضربنا بالأسلحة الثقيلة فى « الراهدة » مما اضطرها الى الفرار الى عدن ، ومنها الى القاهرة ، حيث

— ٥٤ —

استقبلتنا البيضانى نفسه فى المطار ، وحيث مكثنا فى القاهرة الى أن سقطت حكومة مؤتمر خمير ، حكومة النعمان ، حكومة الاقطاع والكبرادور .

بقى أن أقول أن كتاب (ثورة ٢٦ سبتمبر — دراسات وشهادات التاريخ) الصادر عام ١٩٨٢ لا تخلو بعض شهادات الضباط الأحرار الواردة فيه من الفائدة . والذى يدقق فيها بعين فاحصة يجد تصحيحا ليس فقط لرواية جزيلان والبيضانى عن بعض الوقائع التى أورداها ، ومنها ما ذكرناه آنفا ، وانما أيضا اجابات عن بعض الأسئلة الهامة ، مثل لماذا لم يتمكن تنظيم الضباط الأحرار من ترشيح رئيس لمجلس قيادة الثورة من بينهم ، ولجأوا الى الجائفى أولا ، فلما تلكأ لجأوا الى السلاك .

وقبل أن أنهى هذا العرض الموجز والمبشر عن المذكرات والشهادات المتعلقة بثورة سبتمبر تنبغى الإشارة الى أن القضية الوحيدة التى لا خلاف عليها بين أصحابها هى دور مصر غيب: الناصر تجاه الثورة ، سواء قبل قيامها أو أثناء الوجود المصرى فى اليمن ، والذى يجمع الجميع بأنه بدونها ما كان للثورة أن تقوم فى الوقت الذى قامت فيه ، وان تصمد فى مواجهة جبهة رجعية استعمارية عريضة شرسية .

ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢

التي أخرجت اليمن من

قبوها التاريخي المظلم

الى حياة العصر(*)

لا تتجلى الأهمية التاريخية الخارقة لذلك المشهد المضيء المبهج
الذى هاجأت به اليمن العالم كله صباح ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ وهى تعلن
قيام ثورتها وتزف اليه ميلاد جمهوريتها ، الا بالقاء نظرة ولو عابرة الى
الوراء على تلك الخلفية التاريخية المظلمة المطبقة التى ظلت تلهبها قرونا
وقرونا كادت تنسى الناس وجودها ، وتلغى حضورها الفعلى على
الأرض .

كانت اليمن واحدا من البلدان القليلة فى العالم التى طال ليدها
محنتها ، واستمرت لفترة ركودها التاريخي ، بل والانقطاع التاريخي
فى مجرى تطورها ، أمدا قياسيا من الزمن . لقد دخلت هذا النفق
التاريخي المعتم الطويل وظلت تتخبط فيه منذ أن انقسمت طبقة التبابعة
والأقبيال على نفسها وراحت تتحارب فيما بينها بين ، ممزقة كيان الدولة

(*) نشرت فى « الثورى » .

الحميرية العظيمة ، ومنذ طمع فيها الغزاة أكثر بفعل ذلك ، الأمر الذى أدى الى اهمال رعاية حدودها ، وعلى رأسها سد مارب الشهير ، والى فقدان سيطرتها على طرق التجارة العالمية البحرية والبرية الغربية والشرقية ، التى كانت تمسك بمفاصلها ما بين الهند والصين والبحر الأبيض المتوسط ، والى انهيار دولتها المركزية وحضارتها الزراعية - التجارية ، وهجرة أبنائها •

ذلك ما ألمح اليه انجلز فى رسالة له الى ماركس : « بهذا يصبح واضحاً الذى لا يفهم بغير ذلك ، وهو أن مناطق بكاملها كانت مزروعة بشكل رائع ، هى اليوم صحراء مهملة (تدمر ، والبطراء ، وخرائب اليمن ، وعدد من المناطق فى مصر وفارس والهند) • وبهذا يتضح أنه كانت تكفى حرب تدميرية واحدة ليُفرغ بلد من سكانه وتُحطم مدنيته لمئات السنين » •

هكذا منذ القرن السادس الميلادى - على الأقل - والى القرن التاسع عشر ظلت اليمن ترحف فى أعماق كهفها التاريخى • ولم يكن من شأن الاحتلال البريطانى لجنوبها ، والاحتلال العثمانى لشماليها ، سوى أن يزيدها من شقاءها التاريخى ، وأن يضاعفا من محنتها الاجتماعية ، وأن يكرسا - فوق ذلك - تجزئتها •

ولم تتمكن المملكة اليمنية التى قامت مع نهاية الحرب العالمية الأولى على انقاص الحكم التركى فى الشمال - بعد حروب تحرير أسطورية - من الخروج بهذا الجزء من اليمن من نفقه التاريخى المظلم الطويل ، وراحت تكبه فيه على وجهه ، وتزيد بذلك من حالة الركود التاريخى • وبسياسة العزلة التى انتهجتها لم تشدد فحسب حالة لانقطاع التاريخى عن مجرى التطور العام ، وإنما حرمت اليمن أيضا من أن يعيش ويتنفس هواء القرن العشرين •

وبذلك حول الأئمة الطغاة المعرقون في الرجعية والتخلف والبلادة استقلال شمال اليمن الى استقلال عقيم • وكما جاء في كتابنا « الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية في اليمن » : « وامعانا في سياسة الجمود التي طبقوها حيال الشعب فرض الأئمة عزلة سياسية خانقة ، قانطة على البلاد ، وحولوا الاستقلال — وراء جدرانها الصماء العازلة — الى مجرد شكل نموذجي معبر عن تزماتهم وانغلاقهم ، والى صورة نمطية لتخلفهم وتحجرهم ، والى رمز حي لارتعابهم واقتسعرارهم من حضارة العصر ، وقيمة ، وأفكاره ، ومنجزاته ، وتياراته التي رأوا فيها تهديدا مباشرا لقاعدة حكمهم الاقطاعية — الكهنوتية ، ونذيرا موجها ضد بنيته الأيديولوجية والسياسية الغيبية المضللة ، ولذلك فان علم الاستقلال تحول في ظل الجمود الخانق ، والعزلة القاتلة الى مجرد ثوب كفن سياسي ، طووا فيه حياة شعب بكامله ، وشيعوه بأيديهم بين لغائف تمائمهم ، وبخور دجلهم ، وساقوه — مكبا على وجهه — في رحلة جنائزية وطويلة ، رحلة الشقاء والمعذاب ، والدموع والدماء ، والموت البطيء التي دامت حوالى خمسين عاما ، تساقطت خلالها قوايل عديدة ومتتابعة من أبناء الشعب بفعل الجوع والمرض •

وهكذا بدلا من أن تصبح اليمن في ظل الاستقلال وبفضله أرض نهضة وخصب ونماء ، بقيت أرض تخلف وقحط وبلاء • وإذا كانت قد دخلت التاريخ في الماضي باعتبارها « مقبرة الغزاة الأتراك » فانها قد أخذت تتحول تحت حكم بيت حميد الدين الظالم الجاهل الى كهف موحش مظلم ، يطمس من العين نورها ، ويسكت من الحياة نبضها ، ويهكم على الشعب بالقعود والشلل ، وعلى حركة التاريخ بالتوقف والتجمد » (ص ١٣ — ١٤) •

وما كان في امكان حكم له كل هذه الملامح القروسطية الكالحة أن يوهن معنى الهد الأدنى من شروط النضال من أجل تحرير جنوب

اليمن من الاحتلال البريطاني ، وإعادة وحدة اليمن الطبيعية • وعلى
صخرته تحطمت الموجات الباسلة التي اندفعت جنوبا وشمالا من أجل
التحرر والتوحيد أكثر مما تحطمت بفعل قوة الخصم الخارجى ،
الامبريالى والطامع •

وما كان فى امكان حكم متخلف ثيوقراطى تعيس كهذا أن يولد
سوى حركة اصلاحية ذات لبوس دينية لا تطمح فى أكثر من توسيع
قمة الحكم « الملكى » بحيث يدخلها ممثلو الطبقة الاقطاعية « ككل » ،
ويتمكنون جميعا من ترميم النظام الأثرى المتهاك ، ومن الاستعانة حتى
بالأموال « الخارجية » للحفاظ على بقائه واصلاحه •

لحظ منذ منتصف الخمسينيات ، وفى ظل النهوض الثورى القومى
المتعاظم الذى تواتب مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، بدأت
المساحة اليمنية تشهد طلائع الحركة الوطنية اليمنية المناهضة للاستعمار
والاستبداد والداعية للوحدة اليمنية والتي كان الجيش فى الشمال
قد غدا أحد بؤرها ، وكان بذلك الراعقة التاريخية لليمن من
قبوها التاريخى المظلم الطويل •

هكذا يمكن القول بأنه بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أمكن انتزاع
اليمن من واحد من أكثر أقيبه القرون الوسطى ظلاما ووحشية ،
ووضعها دفعة واحدة فى غمرة أضواء القرن العشرين •

كانت الثورة القذيفة الأولى التى لطعت فى ليل الجزيرة الهميم ،
وأيقظتها من سباتها الطويل •

كانت بركاننا أطاح بالقشرة العليا الجرانيتية الصلدة للمجتمع التى
تكونت عبر ألف عام ، واستمدت قوتها ورسوخها وديمومتها لا من
الوضع الطبقي الاقطاعى — القبلى الانتقالى الشائك العقيد فحسب ،

— ٥٩ —

وانما أيضا من دعوى حقها الالهى الكهنوتى فى الحكم ، هذه المقشرة
التي تمثلت فى النظام الامامى القيقراطى الاستبدادى الفردى •

وكانت الثورة صحوي وطنية عامة غمرت الشعب النمنى من أقصى
شماله الى أقصى جنوبه •

وكانت دعوة نضال لا ضد حكم القرون الوسطى المظلم المتمنع
فقط ، وانما أيضا ضد الاحتلال الأجنبى للشطر الجنوبى من الوطن
اليمن الذى كان يمارسه طغاة القرن العشرين •

وكانت صيحة مدوية للمشروع فى تحرير الوطن ، كل الوطن ،
والعمل على توحيده •

وكانت الثورة موجة عارمة فى خضم الثورة العربية الهادر والمتجه
نحو تحرير وتوحيد أقطار الوطن العربى •

وكانت واحدا من المؤثرات على الانقلاب الثورى العام السدى
أخذ يشهده العالم النامى بعد الحرب العالمية الثانية بفعل الانتصار
على الفاشية وتضعف مواقع الامبريالية العالمية ، وقيام المنظومة
الاشتراكية ، وانتشار ألوية حركة التحرر الوطنى العالمية ، وبروز دور
الاتحاد السوفييتى على النطاق الدولى •

ذلك يعنى أن الثورة لم تكن مجرد امتداد تاريخى لحركة المعارضة
التقليدية التى تعود جذورها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى رأت
فى هزيمة الامام يحيى أمام بريطانيا العظمى وابن سعود بتوقيعه
معاهدتى ١٩٣٤ معهما دليل ضعف وعامل اغراء بمقاومة حكمه وادخال
الاصلاحات عليه حتى بالتعاون مع هذين العدوين ، والتى لم تطمح
الى أكثر من اجراء تحسينات دستورية على النظام الامامى — الملكى

القائم ، من شأنها أن توسع فقط قمة السلطة بحيث تنتسج للاسر
الاقطاعية المناهضة وشيوخ القبائل الذين قلصت سلطاتهم الأوتوقراطية
على قبائلهم ، والفئات الارستقراطية الدينية الطامحة الى حظ أكبر في
السلطة ، ولعناصر البرجوازية الناشئة التي كانت تبحث لها عن دور ما
في مملكة الأئمة المظفلة .

وحتى شعار الجمهورية الذي طرحته في همس وحياء شديدين
منذ عام ١٩٥٦ ، دون أن تتخلى عن نهجها التقليدي في التعلق بأذيال
هذا الأمير أو ذاك ، وهو هنا الأمير البدر الذي راهنت عليه وعلقت
الآمال عليه ضد عمه الحسن الساعي الى العرش ، حتى هذا الشعار
لم يكن يحمل في فهمها له دلالة ديمقراطية . فالمرشح لرئاسة الجمهورية
في الحركة القبليّة — السياسية المجهضة التي قادها عام ١٩٥٩ حسين بن
ناصر الأحمر شيخ مشايخ قبيلة حاشد هو هذا الشيخ الاقطاعي
المتزمت نفسه ، على أن ينوب عنه في ادارتها أحد قاضيين : اما القاضي
أحمد السياغي ، أو القاضي عبد الرحمن الأرياني .

حقا كان لبعض العناصر التقليدية من حركة الأحرار اليمنيين
القديمة ممن كانوا في الداخل أمثال القاضي عبد السلام صبره ،
والقاضي عبد الرحمن الأرياني صلة ما بالخمائر الثورية الجديدة التي
كانت تعد وتستعد للاطاحة بعرش بيت حميد الدين ، واقامة النظام
الجمهوري الثوري على انقاضه ، كما كان هناك لبعض أبناء المشايخ ،
أمثال آل أبو لحوم ، — الذين كان اخوانهم أو آبائهم كالشيخ سنان
أبو لحوم من حركة المعارضة التقليدية — دور معين عند قيام الثورة .

غير أن حركة الثورة نهضت أساسا على أكتاف قوى جديدة لم
تدخل في إطار حركة الأحرار ، ولا وقفت عند فكرها الاصلاحى المحدود .

- ٦٢ -

لقد كانت هذه القوى تتمثل في ممثلي فئات البرجوازية الصغيرة والوسطى العسكرية والمدنية ، وفي بعض عناصر البرجوازية الكبيرة نسبيا .

لم تكن الطبقة البرجوازية الوسطى وراء الثورة . فلم تكن تسمح ظروف اليمن المعرقة في 'التخلف' والعزلة بظهور مثل هذه الطبقة .

كانت الفئات الوسطى الواقعة ما بين الطبقات والتي كانت ما تزال آخذة في التكون هي أساس الثورة :

كان المثقفون العسكريون هم رأس رمح الثورة .

وكانت فئة البرجوازية التجارية هي قاعدة هذا الرمح .

ووسط العسكريين كان هناك « تنظيم الضباط الأحرار » الذي تشكل في ديسمبر ١٩٦١ والذي مثل الحلقة الوسطى في سلسلة القوى التي أعدت للثورة ونفذتها .

وبين العسكريين هؤلاء كان هناك المقدم عبد الله جزيلان مدير الكلية الحربية ، ومدرسة الأسلحة ، والذي لم يكن عضوا أساسيا في تنظيم الضباط الأحرار لحساسيات بينه وبين العنصر القيادي فيه وهو الملازم علي عبد الغنى .

وبين هؤلاء العسكريين كان هناك الزعيم عبد الله السلال رئيس الحرس الملكي .

ووسط البرجوازية التجارية يبرز اسم عبد الغنى مطهر باعتباره أظهر وجوها .

وخارج الوطن يطك وجه الدكتور عبد الرحمن البيضاني الذي كان أميل الى التعبير عن البرجوازية الهجينة وعن موقف الأجهزة المصرية منه الى التعبير عن فئة اجتماعية محددة داخل المجتمع اليمني ، والذي كان مع ذلك شأن الأطراف الألفة الذكر ، التي لعبت هذا الدور أو ذاك عند قيام الثورة — واحدا من الشخصيات التي ليس في الامكان اسقاط اسمها ، أيا كان الدور التخريبي الذي مارسه تجاه الثورة •

لم تكن فصائل الحركة الوطنية المنظمة ، ممثلة في حركة القوميين العرب ، ومنظمة البعث العربي الاشتراكي ، والاتحاد الشعبي الديمقراطي ، أو الشخصيات الوطنية والتقدمية المستقلة ، بعيدة عن هذه القوى والفئات والعناصر العسكرية والمدنية التي نشطت من أجل اسقاط حكم بيت حميد الدين ، واقامة النظام الجمهوري على انقاضه •

غير أن « تنظيم الضباط الأحرار » والفئات والعناصر الأخرى التي تحملت معه عبء اطلاق شرارة الثورة لم تكن صلتهم بفصائل وعناصر الحركة الوطنية تتجاوز التأثير والتأثير المتبادل ، حيث بقى « تنظيم الضباط الأحرار » محافظا على سرية تكوينه ، كما احتفظت الأطراف والعناصر الأخرى العاملة معه على خصوصية حركتها وسرية اتصالاتها الخاصة ، دون أن تخفى عن بعضها بعضا ما من شأنه أن يجمع بينها ، ويوحدها خطأ ، ويعزز عملها •

وكان مما يجمع بينها النظر الى قضيتها الوطنية اليمنية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من القضية القومية العربية •

وكل المذكرات الشخصية أو الجماعية أو التصريحات الفردية لأي من هذه الأطراف والعناصر تجمع على هذه الحقائق المشار اليها •

يكفى أن نعود هنا الى ما شمله كتاب « أسرار ووثائق الثورة اليمنية » - الطبعة الثانية - الذى أعدته لجنة من تنظيم الضباط الأحرار حيث جاء فيه أن شهر ديسمبر ١٩٦١ كان « شهر ميلاد تنظيم الضباط الأحرار وكان هذا الشهر - للحقيقة والتاريخ - بالنسبة للطلّاع العسكرية الوطنية والثقفة هو شهر الوكفة والتأمل لما يحدث بالساحة اليمنية والقومية (غشل محاولة اللقية وزميليه ، ومؤامرة الانفصال للوحدة المصرية السورية) ، كذلك عدم وجود الامكانية لدى القوة الحزبية والتجمعات الوطنية للقيام بالتغيير المطلوب للبلاد . لذلك كله ، ولحتمية سرعة التغيير اتقاء وأمنا وسلاما على اليمن والأمة العربية من الموجة التأميرية الرجعية الامبريالية ، خلقت فناة جديدة لدى الجميع بضرورة سرعة بناء (تنظيم الضباط الأحرار) لاحباط المؤامرة الرجعية والامبريالية . هذا التنظيم فى أهدافه ومبادئه لا ينفصم عن المنطلق القومى الواحدى ، بل رافدا من روافد القومية والوحدة العربية ، لذلك فقد انصهر الجميع فى بوتقته ، وتوقف كل من كان منهم قد انتمى حزبييا عن النشاطات الحزبية ، فنشأ هذا التنظيم نشأة وطنية بحتة ، وظل فى نفس الوقت مفتحا على كل المنظمات الحزبية والوطنية . وقد تطور هذا الانفتاح قبيل قيام الثورة بأسابيع الى تكليفات مشتركة ، وتوزيع مهام التنفيذ للثورة حتى تحقق النصر صبيحة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ » . (ص ٩٨) .

(الصحيح أن يقال صبيحة الـ ٢٧ من سبتمبر ، حيث أن الثورة بدأت ليلة الاربعاء الـ ٢٦ من سبتمبر ، قبل منتصف الليل ، وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية يوم ٢٧ سبتمبر - الباحث) .

ورغم تأثر الضباط الأحرار بالفكر الذى كان تتبناه فصائل الحركة الوطنية اليمنية ، وتجاوزهم من ثم لفكر حركة الأحرار التقليدية ، إلا أن

تأثرهم بالنهج الناصري ، والتجربة الناصرية ، وشخصية جمال عبد الناصر. كان هو الأعماق والأجلى ، حتى بدا أن مهمتهم في اليمن ليس بحسب تحرير اليمن من حكم بيت حميد الدين ، والتمكين للتحرر من الاستعمار البريطاني الرابض في جنوب الوطن ، وإنما الاشتراك أيضا في تقويم مسيرة الحركة القومية العربية التي أعوجت بفعل نكسة الوحدة المصرية - السورية .

يقول كتابهم الآن في الذكر في هذا الصدد : « وكان الاتحاد اليمنى في هذه الآونة ، وحدة شخصية (الزبيري والنعمان) أرادا أن يرمزا إلى الوحدة الوطنية ، وأن يجسدا استمرار حركة الأحرار التاريخية ، بينما الواقع يحبل بأحداث جديدة ، والتجمعات الصغيرة تنشأ بين صفوف الضباط ، وتسرى بين الجيل الجديد والثقفين كحركة البعث ، والقوميين العرب ، والشيعيين العرب ، وتحاول كل هذه الفصائل الجديدة أن تخلق طريقها إلى حياة سياسية جديدة ، وتطمح في تغيير المجتمع اليمني . وكانت هذه التيارات تعمل على امتداد اليمن كله من الشمال إلى الجنوب . ولم يكن ضباط الجيش أيضا بمنأى عن هذه التيارات ، وإن كان تأثرهم بالتجربة الناصرية في مصر أقرب إلى أفكارهم من تفصيلات الأيديولوجيات المتصارعة في العالم العربي . وذلك في فترة كانوا يشعرون فيها بعدم قدرة التيارات والأحزاب عن عمل مؤثر يغير مجرى الحياة السياسية بينما الحياة السياسية في الوطن العربي تدخل في مرحلة جديدة ، بعد انفصال سوريا ، وخروجها من الجمهورية العربية المتحدة ، بعد احتدام المعركة الاجتماعية داخل ج . ع . م . ، واتساع أفق الثورة العربية الحديثة » . (ص ٣٨ - ٣٩)

لم يكن هناك تعارض بين القضية الوطنية اليمنية والقضية القومية العربية ، وإنما تداخل وتشابك وتكامل . بل أن الضباط الأحرار

— شأن الأطراف والعناصر الأخرى التى شاركت فى تفجير الثورة — بأن لديهم الاقتناع الراسخ بأن العامل الوطنى وحده لا يكفى لقيام الثورة ونجاحها ، وأن العامل القومى العربى شرط أساسى ولا بديل له لتحقيق ذلك .

كان ما ترسب فى ذاكرتهم من الاحباطات والاختلالات المتوالية التى لحقت بالمحاولات الانقلابية السابقة التى قادتها حركة المعارضة التقليدية منذ عام ١٩٤٨ الى عام ٢٩٥٩ هو الأساس فى تكون مثل هذا الاقتناع السياسى الراسخ بضرورة المساندة القومية الثورية لأى حدث ثورى حقيقى ونجاح فى اليمن .

ولا تجمع مذكرات وتصريحات من أسهموا فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ كما تجمع على هذه الحقيقة . ولسنا فى معرض تتبع أقوالهم فى هذا الصدد . فذلك يستحق بحثاً مستقلاً . ونقتصر هنا على ما جاء فى كتاب الضباط الأحرار فى هذا المجال — وهو ما يتفق مع إشارة المشير السلال عن « القيام بثورة السادس والعشرين من سبتمبر التى كان الانفصال — أى انفصال سوريا — عن مصر من جملة أسبابها » — كما ورد فى اجاباته التى نشرتها صحيفة « الأمل » فى ٢٢-٩-١٩٨٥ — حيث يوضحون : « وهنا تجدر الإشارة الى أنه مهما كانت الجواغز والأسباب والدوافع المحلية هى المحرك الفاعل للحماس الثورى والدفع نحو الخلاص والانعقاد فإن تعاضد حركة الانبعاث القومى ونشاطها المتزايد فى محور حركات التحرر الوطنى العربية والعالمية ، ووضوح ملامح النضال على الساحة العربية والعالمية ، وتحديد أهدافه من قضايا سياسية مثل الحرية والاستراكية والوحدة كما ظهر أثره فى الأهداف الستة — لولا ذلك لكانت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر حركة تمرد أو انقلاب ربما لا يكتب له أن يعيش

غير أيام محدودة كغيره من التجارب والمحاولات السابقة «
(من ٤٦ - ٤٧) •

لقد أثبتت الحرب الأهلية والاستعمارية الضروس التي فرضتها
الرجعية الملكية والرجعية السعودية والعربية والعالمية والاستعمار
المقديم والجديد على الثورة والتي وقفت فيها مصر عبد الناصر الى
جانبا بالمالك والرجال والعتاد حتى بلغ تعداد جيشها فيها حوالي
٨٠ ألفا ، أثبتت ليس فقط صحة وصواب تقدير الثوار اليمنيين هذا ،
وانما أيضا الأهمية والمكانة العاليتين اللتين احتلتهما ثورة سبتمبر في
ومن هنا أيضا ذلك الدعم السخي الذي قدمه لهذا المعسكر
اطار النضال الثوري العام لحركة التحرر الوطني العربية والعالمية •
الاشتراكي وخاصة الاتحاد السوفيتي ، والذي بلغ حد التقديم
المجاني للأسلحة ووسائل النقل التي استخدمت في حرب اليمن •

واذا كانت ثورة ٢٦ سبتمبر قد مثلت نقطة تحول في مضمار
المواجهة بين قوى الثورة العربية بقيادة مصر الناصرية ، وبين قوى
الثورة المضادة العربية والعالمية ، فأنها كانت - بالأحرى - رأس الجسر
الذي تدفقت عبره طاقات النضال الوطني المخترنة والمحترسة ضد
الاستعمار البريطاني في جنوب الوطن ، هذا الجسر الذي مثلته عمليا
ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الجبهة القومية •

بقيام ثورة ١٤ أكتوبر غدت اليمن كلها ساحة المواجهة الأولى
والأساسية في الوطن العربي كله ، التي استقطبت كل قوى المرحلة
التاريخية في جبهة مواجهة قومية شاملة وغير مسبوقه •

بثورتي سبتمبر وأكتوبر خرجت اليمن نهائيا من حالة الركود
التاريخي ، والانقطاع التاريخي عن مجرى حركة التطور العالمية • وبها

أقفل نهائياً ملف التخلف المزرى الذى امتد منذ القرن السادس الميلادى
— على الأقل — الى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين •

وبهما بدأ من جديد انتماء اليمن الى نفسها وتاريخها ودورها
الناسيسى فى حضارة العرب الاسلامية الشامخة ، والى أمتها الآخذة فى
الانبعاث القومى ، والى عصرها الانسانى كله •

بهما بدأت — وعلى أسس جديدة — رحلة السعى نحو بناء
شخصية اليمن الوطنية الحديثة ، نحو اقامة كيانها الوطنى الديمقراطى
الموحد •

وبهما بدأت ثورتها الاجتماعية ضد كل قوى القهر الاجتماعى
والسياسى ، ومن أجل جعل الشعب مالك مصيره ، ومكيف مسيرته ،
وبانى حضارته الجديدة ••

وبهما دخلت اليمن — من الباب الأوسع — وعلى نحو جديد
هذه المرة — حياة أمتها العربية ، والتحمت بمسيرتها القومية التحررية
المهادفة نحو بناء الشخصية القومية العربية الجديدة ، وبناء الدولة
العربية الديمقراطية الموحدة •

وبهما غدت اليمن مرة أخرى — وعلى نحو مختلف أيضاً —
صاحبة صوت مسموع فى عالمها ، وذات كلمة يصغى اليها ، وحركة يسمع
دبيبها فى الخافقين •

وما تلك مجتمعة غير مؤشرات أولية لما ستغدو عليه اليمن غداً !
وما تلك سوى البوادر المبكرة للمشهد التاريخى المهيّب الذى
ستترسمه اليمن ، وللدور التاريخى المنتظر الذى ستلعبه على مسرح
التاريخ العربى المعاصر ، وعلى مسرح العصر !

— ٦٨ —

لقد اطلقت ثورة سبتمبر الشرارة التي ما لبثت أن تحولت
الى حريق بقيام ثورة ١٤ أكتوبر •

ولن يكون بعيدا — تاريخيا — ذلك اليوم الذي يتحول فيه وهج
النيران الى ضوء غامر بهيج بملا حياة اليمن كلها بالعزة السياسية ،
والوحدة الوطنية ، والعدالة الاجتماعية ، والنهضة الحضارية ا

من ملف

التآمر الأمريكي على اليمن(*)

زيارة جورج بوش نائب الرئيس الأمريكي لصنعاء وبعض دول الجزيرة العربية والخليج ، والتي بدأها في ١٩٨٦-١٩٨٧ م ، بهدف زيادة الحرب العراقية - الإيرانية اشتعالا ، وخلق بؤر التوتر ومواقف حرب جديدة ، وحبك المكائد والدسائس ، ونشر الفتن والقتل ، تمكينا للنفوذ والهيمنة الامبرالية الأمريكية من التوسع والتوطد - هذه الزيارة تحتم ملف التوسع الأمريكي تجاه اليمن منذ عشرينيات هذا القرن وحتى اليوم .

فمنذ قيام دولة الأئمة في القطر الشمالي من اليمن مع نهاية الحرب العالمية الأولى والاستعمار الأمريكي يتطلع الى الحصول على موقع قدم فيها يناهس ويواجه به النفوذ البريطاني الذي كان قسدا

(*) نشرت في صحيفة « صوت العمال » في ١٩٧١/١/٥ .

تملك جنوب اليمن منذ وقت مبكر ، ويعترض به خط التعاون الذي كان قد بدأ مع الاتحاد السوفييتي بعقد معاهدة نوفمبر ١٩٣٨ •

ولهذا الغرض قدمت بعثة أمريكا الى صنعاء في نهاية العشرينيات ، حامله عرضا بالتنقيب عن ثروات البلاد •

كان الضيوف على العرش أحسن العوامل التي حملت الإمام يحيى نفي رفض العرض ، رغم استمرار المحاولة معه حتى مطالع الثلاثينيات •

و ذات البعثة التي اخفقت مهمتها في بلاط الامامة نجحت مهمتها هذه في مكان آخر ، من حيث قامت شركة « أرامكو » •

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كررت الامبريالية الأمريكية المحاولة • غير أنها لم تفلح في أكثر من عقد اتفاقية تجارية — قنصلية في ٤ مايو ١٩٤٦ م •

منذئذ راهنت واشنطن على « سيوف الاسلام » من أنجال الامام ، وعلى رأسهم « سيف الاسلام » عبد الله الذي عين مندوبا لليمن في الأمم المتحدة ، والذي أعلن غير مرة أنه لا بديل عن التعاون مع أمريكا وعقد اتفاقية للتنقيب عن البترول معها ، بغية الخروج باليمن من طوق العزلة والتخلف ، والانتقال بها الى مصاف الدول « المتحضرة » !!

ومع مقتل الامام يحيى وتسلم نجله أحمد السلطة عادت الامبريالية الأمريكية الى قرع أبواب الامامة الأثرية المقفلة في اصرار عنيد على الا يفتحها سواها !!

كان أهم « انجاز » حققته في عهده دخول « النقطة الرابعة » التي كان منها معقودا على كسب حاشية الامام ، واستقطاب رجاله الذين يشغلون مواقع حساسة في الدولة •

وبعقد اتفاقية للتتقيب عن البترول ، حتى ولو لم تنفذ عمليا ،
بدا أن حظ واشنطن مع الامام الجديد أفضل من حظها مع سابقه !

ومع مطلع الستينيات بدا واضحا أن النفوذ الأمريكي قد تغلغل
في بلاط الأئمة ، وإن الأمر لا يتطلب أكثر من الدفع بأحد الأمراء
الطامحين الى سدة العرش ، لتبدأ « الحقبة الأمريكية » في اليمن ،
وليبدأ معها النفوذ البريطاني في جنوب اليمن في الكسوف ، مفسحا
المجال أمام النفوذ الأمريكي !

« ان الاستعمار البريطاني لا يزال هو العدو الأول في المنطقة .
ولكن هناك قوى خارجية أخرى استعمارية وطامعة أصبحت تشكل
اليوم تهديدا جديا مباشرا لشعبنا ، وفي مقدمتها الاستعمار الأمريكي ،
حصن الرجعية العالمية والسند الرئيسى لقوى الشر والعدوان
والاستغلال في العالم . غفى العامين الأخيرين حدث انعطاف واسع
في سياسة حكومة الشمال نحو الغرب ، ونحو أمريكا بصفة خاصة .
وقد حصل الاحتكاك بين الأمريكيين على مواقع اقتصادية هامة في
الشمال ، وهم يحاولون الآن بمساعدة العناصر الموالية لهم بين الزمرة
الحاكمة من المثلين والخدم المطيعين لقوى الاقطاع والرجعية
وبواسطة عمليات الضغط والرشوة كسب الوقت للتطويع بالاستقلال
وتحقيق السيطرة الأمريكية التامة . ولا شك أن وقوع اليمن المستقل
تحت خطر الاستعمار الأمريكي يعنى زيادة مأساة شعبنا في الشمال ،
واطالة ليله بانتظار الفجر ، ويعنى بالتالى تصفية القضية الوطنية في
الجنوب » — كما جاء في الميثاق الوطنى للاتحاد الشعبى الديمقراطى

ص ٧ — ٨ •

كان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م عملية اجهاض لهذا المشروع
الامريكى الذى كان قيد الاعداد ، وكان من ثم لحظة قاسية للبيت

الأبيض ، حاول الرد عليها بأسلوبين : مناصرة قوى الثورة المضادة التي أرادت إعادة الملكية ، والاعتراف بالجمهورية بغية التآمر على خطها الثوري من الداخل . وظلت هذه السياسة المزدوجة للاستعمار الأمريكي قائمة حتى تم قطع العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن بفعل مؤامرتها السافرة على الثورة والأمة العربية بدعمها للعدوان الصهيوني على مصر وسوريا الذي أدى الى نكسة ٥ نونيو ٢٩٦٧ م . على أن حلقة هامة من حلقات التآمر على ثورة سبتمبر سبقت نكسة يونيو هذه لا مفر من التوقف عندها .

كان واضحا لحكومة الثورة أن « النقطة الرابعة » الأمريكية التي كان مقرها في عاصمة البلاد الثافية « تعز » تحولت الى وكر خطر للتآمر على الثورة ، مستغلة الامتيازات الممنوحة لها ، والأسلحة والأجهزة التي كانت تدخلها سرا الى البلاد ، ومنذ سبتمبر ١٩٦٣ كان هناك تفكير في إلغاء الاتفاقية التي عقدت في ٨ نوفمبر ١٩٥٩ بين حكومة الامام ووكالة التنمية الأمريكية بعد أن تأكد قيام بعثتها بالتجسس وبالاتصال بالملكين ، وبعد أن قامت مظاهرة عارمة ضدها في تعز .

وفي مطلع ديسمبر ١٩٦٦ بادرت الحكومة اليمنية الى اعتقال عدد من موظفي النقطة الرابعة الأمريكية ، واتهمتها بالتآمر وجمع المعلومات ، وتجنييد الجواسيس ضد الحكومة الثورية ، وطلبت منها تسليم مشروعاتها الى المسئولين ، أو تغادر البلاد ، كما قطعت أجهزة الماسلكي التي كانت تمتلكها ، وتمكنها من الاتصال بأعوانها داخل وخارج البلاد .

وفي منتصف أبريل ١٩٦٧ قبضت سلطات الأمن في الراهدة على موظف أمريكي يعمل بالنقطة الرابعة كان قادما من عدن يدعى تشارلز بيجاليف ، حيث عثر في سيارته على ثلاث بنادق ، وبندقية خرطوشة للصيد ، و ١٤٤ طلقة ، وآلة تصوير .

وفي ٢٥ أبريل ١٩٦٧ م ألقت سلطات الأمن القبض على أمريكيين يعملان في النقطة الرابعة يدعيان ستيف ليايس وهارولد هارتمان كانا قد أطلقا في ذات اليوم أربع طلقات من مدفع بازوكا على مخبرين للذخيرة في تعز وعلى القيادة العربية ، والكلية الحربية بغية « نفس المدينة وسكانها » - كما قال بيان الحكومة اليمنية - غير انه لم يسفر عن أكثر من مقتل جندي يمني وآخر مصرى واصابه مصريين بجراح .

وفي الوقت الذي اكتسحت فيه تعز مظاهرة معادية للأمريكا هاجمت دار القنصلية الأمريكية والنقطة الرابعة اتخذت الحكومة الثورية التي كان يرأسها رئيس الجمهورية المشير عبد الله السلال اجراءات حازمة قررت بها محاكمة الأمريكيين المرتكبين للحادث وطرد العناصر الأمريكية الخطرة ، وألغت الاتفاقية الموقعة عام ١٩٥٩ م مع « الوكالة الأمريكية لمشروعات التنمية الدولية » التي كانت تتمتع بامتيازات كبيرة من ضمنها طائفة تابعة للنقطة الرابعة كانت تقوم بعمليات استكشاف وتجسس واتصالات بالعملاء .

جاء في بيان الحكومة : « لقد اتضح فيما مضى أن وكالة التنمية الدولية الأمريكية في اليمن كانت وراء معظم المخربين وبالرغم من توجيه نظر المسؤولين الأمريكيين الى خطورة ما يقوم به أفراد هذه الهيئة من أعمال تخريبية الا أنها استمرت في مخططاتها » .

ثم يشير البيان الى الحادث ويعلق عليه : « ولولا لطف الله لكانت كارثة مروعة تقضى على مدينة تعز بأهلها الآمنين » .

ويقول أن تفتيش « معسكر الهيئة أثبت وجود طلقات بازوكا من نفس النوع الذي استعمل ضد مخازن الذخيرة كما وجد في نفس المعسكر أجهزة لاسلكية غير مرخص بها وكذلك أسلحة أخرى محظورة استيرادها » .

ويضيف : « وقد قامت مظاهرة سلمية في تعز استنكارا لهذا الاعتداء خلال تشييع جنازة ضحايا » .
وأثناء مرور المظاهرات السلمية أمام مبنى الوكالة قام بعض أفراد المكتب بإطلاق الرصاص على المتظاهرين . ولولا يقظة رجال الأمن وحرصهم على المواطنين لكانت الكارثة » .

ويختتم البيان بمثل هذا الموقف الحازم .

« وأزاء هذه الأحداث ونظرا لما تكرر من هذه الهيئة من مخالفات صارخة تهدد سلامة وأمن البلاد فقد قررت حكومة ج . ع . ي . ما يلي :

أولا : إنهاء العمل بالاتفاقية المبرمة مع وكالة التنمية الأمريكية في ٨ نوفمبر ١٩٥٩ م ، وكذلك جميع الاتفاقيات والملاحق المتفرعة عنها .
ثانيا : سحب الترخيص لطائرة هذه الهيئة .

ثالثا : إبعاد العناصر المخربة من موظفي هذه الهيئة من الجمهورية العربية اليمنية فوراً ، استنادا الى حق الحكومة الصريح باتخاذ الاجراءات اللازمة بتوفير الأمن لأراضيها .

رابعا : تقديم المسؤولين عن هذا الاعتداء الى السلطة القضائية المختصة للجمهورية طبقا للقوانين المحلية النافذة بها » (غداة الجزيرة ٢٩-٤-١٩٦٧ و ٣٠-٤-١٩٦٧ م) .

لم تبعاً الحكومة اليمنية برد الفعل الأمريكي الذي تمثل في اعلان عن قطع المعونة الاقتصادية عن الجمهورية والتي كانت تبلغ ثلاثة مليون دولار في العام ، وفي التلويح بسحب اعتراف أمريكا بالجمهورية ان لم تطلق سراح الأمريكيين اللذين يتمتعان بالحصانة الدبلوماسية .

فقد انكرت الحكومة اليمنية أن يكونا متمتعين بمثل هذه الحصانة ورفضت الانذار الأمريكى المتعلق بسحب الاعتراف بالجمهورية •

وقال السلال : « لقد تأمروا ولما اتكشفوا اندروا • ونحن لا نقبل التآمر ولا نقبل الانذار » وأضاف : « يريدون تخليص المتآمرين ولا يهتمون بمصير ضحاياهم ، كأنما حرية الأمريكيين — حتى وان قتلوا — أهم من دماء الآخرين — حتى وان اهـدرت بالعدو والجريمة — » (غداة الجزيرة ٢-٥-١٩٦٧ م و ٧-٥-١٩٦٧ م) •

أزاء هذا الموقف الحاسم سحب الأمريكيون تهديدهم كما سحبوا أكثر من مائة أمريكى من اليمن ، فى الوقت الذى أطلقت فيه الحكومة الثورية سراح الموظفين الأمريكيين بطلب من الحليفة مصر ، حيث أن الهدف الأساسى تحقق وهو انكشاف تآمر الوكالة الدولية الأمريكية — كما كتبت « الأهرام » •

تلك مجرد صفحة من ملف التآمر الأمريكى على الثورة اليمنية بشقيها — ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م — أما فتح الملف بكامله فسيطلب وقفة مطولة ، ذلك أن التآمر الأمريكى عليها استمر بعد نكسة يونيو ٦٧ م — وربما تصاعد واشتد — ولا يزال مستمرا حتى اليوم •

جبهة وطنية ديمقراطية عريضة(*)

لم تكن الظروف الموضوعية والسياسية ناضجة وملحصة ، بل
وضاغطة ، من أجل قيام تحالف وطني ديمقراطي واسع ، كما هي
عليه اليوم .

فالهجمة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية الموجهة ضد شعوب
أمتنا العربية ، والشعوب النامية عموماً ، لم تبلغ هذا المستوى من
التصاعد والسعار الذي بلغته منذ مطلع الثمانينيات .

والاتجاه الرئيسى لهذه الهجمة مصوب الى حركة التحرير
الوطنى العربية ، بما فيها حركة التحرير الوطنى اليمينية ، هذه الهجمة
التي بلغت حد زرع القواعد العسكرية للامبريالية ، وعلى رأسها
الامبريالية الأمريكية ، فى السعودية ، وسلطنة عمان ، والصومال ، ومصر ،
وكينيا ، وحدد تحريك الأساطيل ، وقوى التدخل السريع الأمريكية الى

(*) نشرت فى صحيفة « صوت العمال » فى ٣/١١/١٩٨٧ .

المنطقة ، والعودة الى أساليب الاستعمار القديم في القهر والاملاء ،
والتي سياسة توتير الموقف العالمى عن طريق خلق بؤر توتر فى أكثر من
مكان وسياسة الحرب الباردة و « حافة الهاوية » التى انتهجها الاستعمار
الأمريكى فى فترات سابقة ، وعاد اليها بشكل محموم وغير مسبوق ،
مستثمرا فى ذلك الحرب العراقية - الإيرانية .

غير أن جبهة الامبريالية والصهيونية والرجعية ليست معطلة اليد
فى المنطقة ، خفى مواجهتها تقف حركة الشعوب المناضلة من أجل سيادتها
واستقلالها ، وحققا فى الحياة والعيش بكرامة ، والمضى على درب
الحضارة والتقدم .

وتنصب شعوب أمتنا العربية ، وفى مقدمتها حركاتها التحررية ،
فى قلب هذه المعركة الوطنية - الاجتماعية ضد الامبريالية
والصهيونية والرجعية ، مسنودة فى ذلك بقوى الثورة العالمية ، وفى طليعتها
الاتحاد السوفيتى .

ومنذ قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م التى أعلنت قيام الجمهورية
العربية اليمنية ، وغنحت النار من خلال قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م
- الامتداد الحى والمتفجر لها - على الوجود البريطانى فى جنوب
الوطن - منذئذ ، وشعبنا اليمنى وحركته التحررية ، يرابطان فى منطقة
الوسط من هذه الدائرة الوطنية الملتزمة .

حقا تمكنت قوى الثورة المضادة - رغم التغلب عليها فى معارك
الحرب الأهلية - الاستعمارية الضروس التى فرضت على شعبنا اليمنى
حوالى خمس سنوات - تمكنت - عن طريق الغزو السياسى الداخلى ،
والاحتواء الرجعى - الاستعمارى الخارجى - من الحاق نكسة خطيرة
بثورة ٢٦ سبتمبر الأم ، عندما تمكنت فى ظل النكسة القومية العامة فى

٥ يونيو ١٩٦٧ م ومن خلال انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م الاقطـاعى الرجعى ، من مد نفوذها الى عاصمة اليمن التلميذة صنعاء ومن تكريس وتوسيع هذا النفوذ بعد اتفاق التصالح المشئوم فى جـده مـع نهاية مارس ١٩٧٠ م الذى تم مع الملكيين — ما عدا بيت حميد الدين — والذى فتـح البلاد على مصاريـعها للزحف السعودى الأمريكى .

غير أن الوليد الثورى الحى ، ثورة ١٤ أكتوبر ، مدعوما بالحركة الوطنية اليمنية عموما ، لم يتغلب فقط على كل محاولات الاحتواء الخارجية ، والاجهاض الداخلية وإنما مضى أيضا بعدد تحقيق الاستقلال الوطنى لجنوب الوطن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م من نصر الى نصر ، حيث تمكن بخطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية من التغلب على التيار الانتهازى اليمنى الانفصالى ، وتمكن بحركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م التقديمية من الاجهاز على التيار الانتهازى اليسارى الانعزالى ، ومن ثم من اقامة نظام وطنى ديمقراطى وحدوى ، كما تمكن آخر الأمر من عبور محنة ١٣ يناير ١٩٨٦ م الدامية .

وكما أن النكسة الوطنية التى حلت بثورة سبتمبر لم تكن مفصولة عن النكسة القومية العامة التى حلت بالثورة العربية ، بما فيها قاعدتها مصر الناصرية التى وقفت الى جانب كل الثورات العربية ، وعلى رأسها الثورة اليمنية ، فإن أسباب هذه النكسة لا تعود الى قوى الثورة المضادة وحدها ، وإنما أيضا الى أسباب ذاتية تتعلق بقوى الثورة اليمنية نفسها .

فهذه القوى — بفعل التناقضات الذاتية بين التيارات القومية المتواجدة فى الساحة اليمنية — وبينها وبين القوى اليسارية ، وبفعل التناقض بين السبتمبريين أنفسهم ، وعدم الوضوح النظرى لدى قيادة الثورة ، وعدم وجود برنامج سياسى ، وعدم الاهتمام بايجاد

علاقات وصيفة تحالف وطنى ديمقراطى تجمع شتى القوى الثورية داخل السلطة وخارجها — بفعل ذلك كله * وبسبب السياسة السلبية ازاء القوى الوطنية التى انتهجتها القيادة المصرية فى اليمن ذات النهج اليمنى المتآمر على نهج عبد الناصر القومى التقدمى ، لأنه ما كان ممكنا لهذه القوى الوطنية أن تصنع وحدة نضالية تجمع أطراف الحركة الوطنية اليمنية ، وبالتالي ما كان فى امكانها — فى ظل تمزقها وتناحرها — أن تحول دون أن تندحر ثورة سبتمبر ، وأن يتمكن العدو الخارجى والأجنبى من اغراغ جمهوريتها من كل محتوى تحررى وطنى — ديمقراطى ، وأن يحول شمال الوطن الى رأس جسر للوثوب على النظام الديمقراطى فى جنوبه ، بعد أن أسهمت ثورة سبتمبر الأهم فى ولادته وعمدت من خلال الكفاح الوطنى المشترك مع ثواره وحدة الشعب الوطنية فى الدماء *.

لقد كان غياب الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة وبين قوى الجديد والتطوير عموما ، هو المعضلة التى راغقت سير الحركة الوطنية اليمنية منذ نشوئها فى منتصف الخمسينيات ، والتى ما تزال تمثل التحدى الحقيقى أمامها فى الوقت الراهن *.

حقا أمكن أن تتحدد بعض الفصائل فى هذا الشكل أو ذاك من أشكال الاتحاد سواء فى شكل تنظيم سياسى واجدد ، كما كان الحال بالنسبة للتنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية الذى أمكن أن يتطور الى حزب طليعى واحد ، هو الحزب الاشتراكى اليمنى الحاكم فى الشطر الجنوبى من الوطن ، أو فى شكل جبهة وطنية ديمقراطية مناضلة فى الشطر الشمالى منه *.

غير أن الوحدة الوطنية الكاملة والجامعة لشتى أطراف الحركة الوطنية والشعبية اليمنية والتى تمثل شرطا سياسيا حاسما لبلوغ الوحدة اليمنية ظلت بعيدة عن التحقيق *.

وإذا كان كل من شطري اليمن قد مضى - ابتداء من نوفمبر ١٩٦٧ م شهر الاستقلال الوطنى لجنوب الوطن ، وشهر الانقلاب الاقطاعى فى شماله - فى خط اجتماعى وسياسى متعارض مع الآخر ، حيث مضى جنوب الوطن وبالأذات بعد حركة ٢٢. يونيو التصحيحية فى طريق التطور الرأسمالى الكمبرادورى المشوه والتابع ، مما حتم فى طريق التطور اللارأسمالى ، طريق التقدم الاجتماعى ، ومضى شماله قيام تنظيم سياسى واحد فى جنوب الوطن ، كشكل خاص من أشكال الوحدة الوطنية والثوية فيه ، تتلاءم مع مستوى التطور الاجتماعى الذى بلغه ، وحتتم فى نفس الوقت قيام جبهة وطنية ديمقراطية فى شمال الوطن كقالب سياسى لا غنى عنه لحشد كل التنظيمات السياسية والجماهيرية ، وكل القوى والعناصر الوطنية المختلفة فيه ، فان هذا النمط من التوحيد الوطنى هنا وهناك لم يكن يعدو أن يكون خطوات على طريق الوحدة الوطنية والثورية الشاملة على مستوى الوطن التى تمثل أساسا راسخا من أساس تحقيق الوحدة اليمنية فى ظل نظام وطنى ديمقراطى تقدمى *

ان القضية العاجلة والملحة التى تطرح نفسها على قوى الثورة اليمنية هى توسيع اطار الجبهة الوطنية الديمقراطية القائمة ، بحيث تغدو تجسيدا حيا للقوى الفاعلة والحية فى المجتمع ، قوى العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين والجنود والضباط الوطنيين البرجوازية الصغيرة والوسطى الوطنية وكل عنصر وطنى معاد للقوى الرجعية والاستعمارية ، أيا كان انتماءه الطبقي ، بما فى ذلك المشايخ ورجالات الدين الذين يتخفون نفس الموقف *

وكما تتسع هذه الجبهة لكل هذه الطبقات والشرائح الاجتماعية المتضررة ، فانها تستوعب كل المنظمات السياسية الوطنية وكل التنظيمات

الجماهيرية والنقابية القائمة ، والتي يمكن ويجب أن تقوم في المستقبل ،
 بل وتتسع للمشائخ ورجالات الدين الوطنيين •

وذلك يعنى أن مثل هذه الجبهة تتسع لكل الرؤى الأيديولوجية
 والاتجاهات السياسية ، ذات الصبغة الوطنية التحررية ، والتوجه
 الاجتماعى التقدمى ، تمهيدا لقيام الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة
 على نطاق الساحة اليمنية كلها •

أن الاختلاف فى رأى بين الفصائل الوطنية والقوى الثورية
 لا يحولك دون وصولها الى هذا الشكل أو ذاك من أشكال التحالف
 الوطنى الذى يقوم على أساس القاسم المشترك بينها ، بك أنه سبب
 وجود وقيام الجبهات الوطنية ، فى كل وأى مكان ، بما فى ذلك ساحة
 الوطن ، الذى تبدو صيغة الجبهة الوطنية الديمقراطية العريضة أكثر
 الصيغ ملاءمة لظروفه الاجتماعية والسياسية ، نوطقة لقيام اليمن
 الديمقراطى الموحد •

ولا ينبغى أن تكون أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م سببا للتمزق ،
 وإنما داعيا الى المزيد من التماسك والتلاحم •

القسم الثانى

حول تجربة الثورة

فى اليمن الديمقراطية

أبعاد وآفاق الاستقلال

التي بشر بها

« الميثاق الوطني » للجبهة القومية(*)

كانت قوات ابراهيم باشا ، نجل محمد علي باشا حاكم مصر قد بلغت ميناء المضا ، تهيؤا للزحف نحو عدن ، ووضع اليمن كلها تحت ادارة والده الذي كانت طموحاته واصلاحياته التحديتية لمصر ، وتطلعاته نحو اقامة دولة عربية مستقلة تضم كل الناطقين بالضاد — حسب تعبير ابراهيم باشا — قد استحققت تقدير ماركس الذي وصفه « بالشخص الوحيد » الذي كان في وسعه أن يتوصل الى استبدال « العمامة المفتخرة » لتركيا القروسطية « برأس حقيقي » بالاستناد الى مصر التي وصفها « بالقسم الوحيد الذي كان ذا قوة حيوية آنذاك » في الامبراطورية العثمانية كلها ، (راجع : لوتسكي تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، موسكو ، ٧٤ — ٧٥) .

في هذا الوقت سارعت بريطانيا الى قطع الطريق على محمد علي باشا ، ووضع حد لطموحاته ، وبادرت الى احتلال عدن في ١٩ يناير

(*) نشرت في « الثوري » في ١٢/٣/١٩٨٨ .

١٨٣٩ ، واضطرته لا الى الخروج من اليمن والجزيرة العربية فحسب ،
وانما من الشام أيضا ، حيث حصرت داخل وادى النيل ، وحيث وقعت
مصر نفسها منذ عام ١٨٤١ في قبضة النفوذ البريطانى ، وبذلك « تبعت
مصر » — كما قال ماركس وانجلز — « للانكليز أكثر من أى جهة
أخرى » .

(المصدر السابق ، ص ١٤٥) — وغدا البحر الأحمر — عمليا
— بحيرة انجليزية .

وما كان للاحتفاضات المتلاحقة والمتفرقة التى اشتعلت ضد
بريطانيا — سيدة البحار — والتى طمحت الى تحرير عدن ، والتى
استمرت الى عام ١٨٥٨ — ما كان لها أن تغير من طبيعة الوضع ،
وبالتالى من طبيعة القرن الذى اتسم بالتوسع الأوروبى ، وبالتالى
التوسع البريطانى فى كل مكان من المعمورة .

وما كان للامبراطورية العثمانية ذاتها ، التى عادت فى موجتين —
عام ١٨٤٩ وعام ١٨٧٢ الى احتلال الجزء الشمالى من اليمن ، والتى
طالبت بمد سيادتها الى جنوب اليمن ، ما كان لها أن تغير من طبيعة
الوضع ، رغم اقبالها باب المندب خلال الحرب العالمية الأولى وتلغيمه
بواسطة بواخر ألمانية ، وتقدم جيشها ، بمساعدة بعض الفصائل
الشعبية اليمنية الى منطقة الشيخ عثمان ، حيث أمكن لنجدة بريطانيا
أحضرت من السويس عبور باب المندب ، واحتلال رأس الشيخ سعيد
بعد تحطيم الاستحكامات التركية فيه ، وايقاف الزحف التركى حتى
نهاية الحرب لصالح بريطانيا وحلفائها المنتصرين .

وما كان للدولة اليمنية الاقطاعية المتخلفة المتقدمة للاحساس
بايقاع العصر والتى قامت على انقاض الحكم التركى مع نهاية عام

١٩١٨ أن توفر الشروط التاريخية والاجتماعية والسياسية لتحرير جنوب اليمن وغيره من المناطق المغتصبة في شمال اليمن ، وتوحيدها من ثم بإرطن الأمم ، حيث اضطرت الى توقيع معاهدي صنعاء والطائف اللتين اعترفت بمقتضاهاما بالأمر الواقع . والانتفاضات المتقطعة زمانيا ، والمصدودة مكانيا ، والمنعزلة عن بعضها بعضا ، التي شهدتها جنوب اليمن حتى الخمسينيات سواء في الريف أو مدينة عدن ، كان لها معنى واحد ، هو أن الشعب متمسك بحقه في ممارسة حياته الحرة على أرضه وأنه يرفض استمرار الوجود الأجنبي فيها ، غير أن اللحظة التاريخية التي يستطيع فيها ان ينتزع حريته ، ويستعيد سيادته ، ويحقق استقلاله لم تكن قد دنت بعد .

لقد اثبتت الخبرة التاريخية أن قاعدة استعمارية عالمية كعدن تمكنت من خلالها بريطانيا من احكام قبضتها على الخليج العربي ومن ضرب أى تحرك ثوري عربي - وهو ما اتضح أيضا أبان العدوان الثلاثي على السويس عام ١٩٥٦ - ومن اخضاع شرق أفريقيا ومن ، تعزيز نفوذها شرق السويس عموما ، ليس بالامكان تحريرها الا بتوافر عوامل وطنية وقومية وعالمية متضافرة .

وبتصددع الجبهة الامبريالية العالمية خلال الحرب العالمية الثانية ، وتضع مكانة بريطانيا زعيمة الاستعمار القديم ، وظهور المعسكر الاشتراكي ، وسطوع دور الاتحاد السوفيتي ليس فحسب في انزال الهزيمة الساحقة بدول المحور الفاشية بل وفي بزوغ نجم الاشتراكية على أنحاء واسعة من أوروبا وآسيا بدءا من برلين وانتهاء ببكين ، وفي دعم حركات التحرر الوطني العالمية ، اضافة الى اشتداد ساعد الطبقة العاملة والحركات الديمقراطية في الغرب نفسه ، وتفجر الثورات العربية ، وخاصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر وبروز الحركة الوطنية اليمنية ، وتحول عدن ذاتها الى مركز رئيسي لها ، وتصدر الطبقة

العاملة اليمنية الوليدة طيلة الخمسينيات ، وخاصة منذ اضرابات مارس ١٩٥٦ ، وانتظامها في حركة نقابية منظمة ، واندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في شمال الوطن ، وانخراط جماهير الشعب اليمني من صعدة الى عدن في الدفاع عنها ، واندفاع مصر عبد الناصر بكل ثقلها السياسي والعسكري والقومي والعالي الى الساحة اليمنية انتصارا لها ، وفتحها للنار على قاعدات الوجود البريطاني في عدن ، وطموحا الى تحرير وتوحيد الوطن العربي تحت قيادة بطله القومي جمال عبد الناصر - بذلك كله تراكمت وتوافرت العوامل الوطنية والقومية والعالمية الملائمة لبدء نضال تحرري شامل وناصح ضد الاستعمار البريطاني ، واخراجة من النقطة التي دخل منها ، ومن ثم تحقيق استقلال جنوب الوطن .

كانت « الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل » هي الناتج الطبيعي والنضالي لجهل هذه العوامل الوطنية والقومية والعالمية ، والتي وعت اللحظة التاريخية المناسبة للشروع في الامساك بزمام المبادرة الوطنية ، واطلاق شرارة الثورة ضد برج الاستعمار البريطاني في عدن .

كانت الجبهة القومية التي كان غرع حركة القوميين العرب يمثل عمودها الفقري تتمتع بميزات أهلتها لان تكون هي المرشحة تاريخيا لاعطاء اشارة الثورة المسلحة وقيادتها حتى النهاية . فهي التنظيم الوحيد الذي كان له وجود في عموم الريف والمدن ، وبذلك كانت أقوى رابطا وطني يشد أطراف جنوب اليمن الذي كان المستعمر قد أسرف في تفكيكه وتمزيقه ، وعمق الولاءات القبلية والعشائرية فيه . وكانت هي التنظيم الجماهيري الذي شمل الطبقات والفئات العريضة والمضطهدة ، من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والوسطى ، وكانت بذلك اطارا ملائما لتحالف وطني شعبي ثوري كانت حركة الأحداث تتولى بلورته وصقله وتعميقه وتطويره .

ان تكون الشرارة الأولى قد انطلقت من ردفان ضد الاستعمار البريطاني بفعل محاولة جنوده نزع أسلحة المقاتلين الردفانيين الذين عادوا لقوهم من شمال الوطن بعد أن أدوا واجبهم هناك في الدفاع عن الثورة ، فذلك لا يعدو أن يكون سببا ظاهرا . أما السبب العميق فهو الرفض الوطنى لوجود المستعمر ، ناهيك أن تشكيل القبائل الذى أطلق الشرارة في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الشيخ راجح بن غالب لبوزة وقدم مع رفاقه حياته لهذا الاستهلاك المسلح والفدائى للثورة كان أحد الأطراف التى تشكلت منها الجبهة القومية .

وكما جاء في « الميثاق الوطنى » للجبهة القومية فان « الثورة المسلحة انطلقت في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بأول مجموعة ثورية من تشكيل القبائل في ردفان » .

« ان تكوين الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل كتظيم ثورى تحمل بجرأة وشجاعة تفجير الثورة الشعبية المسلحة ضد الاستعمار والحكم السلطانى الرجعى ، وحقق للشعب ارادته الثورية التى أطلقت شرارة الثورة في ١٤ أكتوبر .

واستطاعت الجبهة بما شملته من قطاعات شعبية واسعة وبما تميزت به من تنظيم ثورى شامل لكل المنطقة دون استثناء وتحطيمها للحوافز المصطنعة التى أوجدها الاستعمار ان توسع المعركة المسلحة لتشمل كل مناطق الجنوب تقريبا حتى قلب القاعدة البريطانية في عدن ، (ص ٦٥ - ٦٦) .

وتنظيم الجبهة القومية رغم أن مجال نشاطها العملى والمباشر هو التصدى للاستعمار البريطانى في جنوب الوطن الا أنه كان مرتبطا بفرع حركة القوميين العرب في اليمن عموما ، ومرتبطا بحركة القوميين

العرب بمركزها القومى فى بيروت ، ومتحالفا مع الحركة الناصرية التى كانت تقود الحركة القومية العربية كلها — بقطع النظر عما حدث بعد وضع « الميثاق الوطنى » فى يونيو ١٩٦٥ من توتر فى العلاقات مع مصر — •

هذا الظرف الوطنى السعيد ، ممثلا فى ثورة سبتمبر ، وهذا الظرف القومى الذهبى الذى تمثل فى تحالف حركة القوميين العرب — بما فيها الجبهة القومية — مع الحركة الناصرية ، وفى انتقال مصر الناصرية بكل ثقلها الى اليمن ، وفى تأييدها لقيام الجبهة القومية ولشنها الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى — كل ذلك عزز من الميزات الوطنية والقومية التى حالفت الجبهة القومية ، والتى تفردت بها بين التنظيمات الوطنية الأخرى •

ذلك ما أوضحه أيضا « الميثاق الوطنى » عند اشارته الى ان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر قد « أوجد للحركة الوطنية الثورية قاعدَةً للتحرك وحليفا طبيعيا ظلت تنشده خلال سنين (سنين) النضال الطويل • ان هذه الثورة فجرت فى أوساط الشعب فى الجنوب حماسا لا نظير له للنضال ، حيث هبت جماعات كبيرة وحملت السلاح للذود عن الثورة وحمائتها من تأمر الرجعية والاستعمار » •

« ان وصول القوات العربية لحماية الثورة والحفاظ على مكاسبها •• كل ذلك قلب الأوضاع السائدة فى المنطقة •• ووفر فى الوقت نفسه الشروط والموضوعية الأساسية لاندلاع الثورة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م » (ص ٦١ — ٦٢) •

وكان تنظيم الجبهة القومية يدرك أهمية وجود المنظومة الاشتراكية فى قيام ونجاح ثورات التحرر الوطنى الديمقراطى — بقطع النظر عن

وجود تيار فيه كان يقيّمها تقييما سلبيا ، حيث كان الرجحان - للجناح الديمقراطي الثوري حتى من قبل الاستقلال وهو ما أعرب عنه بوضوح « الميثاق الوطنى » الذى حمل بصمات هذا الجناح ، وهو ما تجلّى فى الصيغ المتعلقة بالبلدان الاشتراكية ، ومنها الصيغة التى جاء فيها : « ان انتصارات الثورة الاشتراكية فى بلدان كثيرة من العالم أدّى الى تقسيم العالم الى معسكرين رأسمالى رجعى ، واشتراكى تقدمى ، وفضلا عن التجارب المفيدة التى قدّمتها هذه الانتصارات للشعوب المستعمرة فقد أصبح انتصار أية ثورة وطنية ذات محتوى اشتراكى فى أى قطر من العالم يعنى بالضرورة انتصارا حتميا للمعسكر الاشتراكى التقدمى ، وتقليصا لوجود المعسكر الرأسمالى الاستعمارى » (ص ٥٥ - ٥٦) .

ان مجهول ما سبق يوضح ان العوامل الوطنية والقومية والعالمية كانت قد توافرت بالفعل لشن نضال ناجح من أجل تحقيق الاستقلال الوطنى لجنوب اليمن ، وان الجبهة القومية بالذات كانت التنظيم الوحيد الذى خدمته هذه العوامل أكثر من أى تنظيم آخر ، وانها بالتالى كانت الهيئة وحدها لان تكون صاحبة الكلمة الأولى والطلقة الأولى ، ومن ثم صانعة الفعل التاريخى الذى توج بجلاء المستعمر وتحقيق الاستقلال الوطنى . ولكن ماذا كان يعنى الاستقلال الوطنى من وجهة نظر الجبهة القومية ؟

أولا : كانت الجبهة القومية ترغض الاستقلال الشكلى الذى كان الاستعمار البريطانى يمد به الأحزاب التقليدية والاصلاحية المعادية للكفاح المسلح ، وقد تكفلت ثورة التحرير بـ « افشال كل مخططات الاستعمار ومشاريعه فى المنطقة » وقد تجسد ذلك فى الهزيمة التى ألحقها الثورة بمؤتمر مارس اللا دستورى عام ١٩٦٥ الذى دعى (دعا) الى عقده وزير المستعمرات البريطانى مع ممثلى ولاية عدن

والسلطين وأحزاب عدن السياسية الغير مشتركة (غير المشتركة)
في الثورة والمعادية لها » (ص ٦٨) *

ثانيا : كان الاستقلال السياسى الحقيقى يعنى في نظر الجبهة
القومية رفض اقامة دولة انفصالية رجعية عميلة في جنوب اليمن ، تكون
ركيزة للمستعمر بعد اخراج قسوائه ، وتكون حجر عثرة على طريق
الوحدة اليمنية والوحدة العربية ، وهو ما كان قد تمثل بالفعل
في دولة « اتحاد الجنوب العربى » التى كان قد شرع في اقامتها
وضم عدن اليها .

ومن هنا فان الجبهة القومية أعلنت وقفها ضد هذا المخطط
« الرامى الى ايجاد ما أسماه بدولة الجنوب العربى » الانفصالية
العميلة ، يدفع بها الى المجالات والمحافل الدولية للاعتراف بها والتلويح
باستقلال مزيف تكون على قمته الرجعية المحلية من المستورزين
والسلطين الاقطاعيين ، يعيق به (الاستقلال المزيف — الكاتب) تطمح
الجماهير وموجهها (وتوجيهها) الثورى ، ويحول دون تحقيق وحدة
الشعب العربى في اقليم اليمن ، ويحول دون اتجاهه الى الوحدة
العربية ، مستهدفا ابعاد المنطقة عن الركب العربى الثورى التحررى
(ص ٥٩) *

ثانيا : وكما ربطت الجبهة القومية التحرر السياسى من الاستعمار
بالتحرر الاقتصادى منه ، فانها ربطت التحرر الوطنى بالتحرر الاجتماعى ،
معتبرة أن الاستقلال الوطنى الكامل مرهون بالقضاء على الطبقات
والقوى الاجتماعية الاقطاعية والبرجوازية المشايعة للاستعمار وبأحداث
تحولات اقتصادية واجتماعية ديمقراطية تكون في صالح الجماهير الفقيرة
والمضطهدة والمستغلة .

وهى أطروحة عامة تبنتها الجبهة القومية لا بالنسبة لجنوب اليمن
فحسب ، وإنما بالنسبة للوطن العربى كله ، وقد صاغتها بشكل واضح
ومحدد على النحو التالى :

« ان نمو الطبقة البرجوازية والاقطاعية فى الوطن العربى ،
وارتباطاتها المسبقة بالمصالح الاستعمارية ، أدى الى ظهور قوى وتكتلات
سياسية ذات طابع رجعى استعمارى فى أقطار عربية معينة دفع هذه
القوى الى أن تحتفظ بالسلطة ، وتستحوذ على الحكم بعد الاستقلال
مباشرة ، وذلك فى غياب الطلائع الثورية الممثلة لجموع الشعب المحرومة .
ان عملية الصراع هذه بين قوى الرأسمالية المستغلة والاقطاع
وبين قوى الشعب الكادحة تستوجب الحرص الشديد لان تتم
بنضال ثورى يستهدف تحقيق أهداف الجماهير حتى يتجنب الشعب
بمجموعة الدخول فى عملية خضوع رهيب لسيطرتها » (ص ٥٧ — ٥٨) .

أما بالنسبة لجنوب اليمن فقد كانت صيغة الأطروحة كما يلى :

« لكن الاستعمار البريطانى فى جنوب اليمن قام بخلق قوى
اقطاعية رجعية متميزة وقوى برجوازية لها مصالحها المتداخلة
معه ، وشكلت هذه القوى الاجتماعية المستغلة ، ممثلة فى الأحزاب
السياسية ، منذ البداية خطأ معاديا للثورة المسلحة ، متخذة أسلوب
العمل السياسى السلمى وسيلة ضغط مباشر ، أملا منها لان يعطيها
الاستعمار بعض التنازلات ، ويسلمها السلطة والحكم مقابل أن تقبل
استمرار بعض مصالحه وتوقف مسيرة الثورة المهادفة الى القضاء على
كيانهما ووجودهما معا » (ص ٧٣) .

رابعا : كان الاستقلال السياسى — من وجهة نظر الجبهة القومية
— مدخلا الى اقامة دولة وطنية ديمقراطية متحررة متقدمة فى جنوب

الوطن ، لا يستكمل بها فقط استقلال اليمن الذي ظل منقوصا منذ وطئت
أقدام المستعمر البريطاني عدن ، وإنما يتحقق بها أيضا خلق نموذج
ثورى رائد فى اليمن يكون حافزا وملهما للحركة الوطنية اليمنية عموما
للسير على هدهاء فى نضالها من أجل بلوغ الوحدة اليمنية ، ومن
ثم قيام الدولة اليمنية الموحدة الوطنية الديمقراطية .

ولم يكن تحقيق الاستقلال مدخلا فحسب الى قيام دولة وطنية
ديمقراطية فى الجنوب ، وبالتالي دولة يمنية موحدة وطنية ديمقراطية
وأنما كان كذلك مدخلا لاقامة مجتمع الاشتراكية ، التى كانت تعنى فى
هذا الوقت « الاشتراكية الثورية » تميزا لها عن الاشتراكية العلمية
التي صعب تبنيها فى الميثاق ، رغم أن تحليله للوضوح الاجتماعى فى
جنوب اليمن وفى الوطن العربى وفى العالم كان ماثرا بوضوح بنهج
الاشتراكية العلمية . كثيرة هى الفقرات التى تؤكد ذلك كله ، وسوف
نختار من الميثاق بعضا منها : « ان الواقع الاجتماعى الذى ستحققه
الثورة لابد أن تتولى فيه تنظيماتها الشعبية الثورية عملية توجيهه وبناءه
فكريا واقتصاديا وعسكريا . ان هذا الواقع لن يتحقق الا متى تحمل كل
مواطن ومواطنة المسئولية كاملة فى العمل والانتاج ، وعلى هذا الأساس
يصبح من أهداف الثورة الأساسية أن توفر فرص العمل لكل المواطنين
بدون استثناء » .

« أن من أهم ظواهر المخططات الاقتصادية الاستعمارية هو
استحداث الموارق بين المدن والريف وان من واجبات الثورة الأساسية
من خلال مخططاتها للتنمية الاقتصادية والبناء الاجتماعى الثورى ان
تغير هذه الظاهرة التى سوف تتغير حتما بالتغير الجهاد للعلاقات
الاجتماعية السائدة القائمة على أسس اقتصادية استعمارية »
(ص ٩٢ - ٩٣) .

ولابد في هذا الصدد من « الاستفادة من تجربة العربية في ضرورة وحدة النضال الثوري لجماهير الشعب ذات المصلحة الحقيقية في الثورة » ، حيث أنه بذلك « لا يقضى على كل أشكال الوجود الاستعماري بكافة صورته فحسب » ، انما يمكن (أيضا) هذه الجماهير من أن تقوم بإعادة بناء مجتمع سليم تسوده الحرية والديمقراطية والاشتراكية » ، وذلك يحتم أن تظل الجبهة القومية هي « الاطار التنظيمي الذي تتفاعل فيه كل قطاعات الشعب العاملة لتتقود وتوجه وتعبّر بحرية من خلاله عن ارادتها وأهدافها واتجاهاتها أثناء مسيرة الثورة وفي مرحلة البناء الاجتماعي على طريق الاشتراكية » * (ص ٧٥ ، ٩٦)

خامسا : وفي الوقت الذي انفتحت فيه الجبهة القومية وتعاونت — بقدر ما سمحت بذلك التناقضات داخلها — مع القوى والمنظمات التقدمية من أجل تحقيق الاستقلال الوطني بكل الابعاد الوطنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المترتبة عليه ، فإنها أدركت جيدا الدور الذي ينبغي أن تحتله الشغيلة — وبالذات العمال والفلاحون وسط قوى التحالف الوطني الديمقراطي * .

كان « الاتحاد الشعبي الديمقراطي » بقيادة عبد الله باذيب ، الذي قيم عاليا الرسالة الثورية التي نهضت بها الجبهة القومية ، وجمد تنظيمه بغية الوصول الى شكل راق من التحالف ومن ثم الاتحاد معها ، وسخر جريدته « الامل » لصالحها وصالح العملية الثورية في اليمن عموما ، كان أبرز القوى السياسية المنظمة التي انفتحت عليها الجبهة القومية وتعاونت معها باخلاص لا يقل عن الاخلاص الذي تعاون به تنظيمه معها ، لاخلال فترة الكفاح المسلح فحسب ، وانما بعد الاستقلال أيضا * بل ان هذا التعاون تنامي وتطور ، وبالذات مع التيار الديمقراطي الثوري فيها الذي كان عبد الفتاح اسماعيل أبرز رموزه والذي كان ييسر حثيثا نحو الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع

الاشتراكية العلمية ، الأمر الذى عمق وعزز التقارب بين هذا التيار وتيار باذيب الماركسى •

ليست فائدة الصيغ التى تضمنها الميثاق ، والتى يتضح منها جليا ان الجبهة القومية اعتبرت العمال والفلاحين العمود الفقرى للتحالف الوطنى الديمقراطى لا من أجل نيل الاستقلال الوطنى فحسب ، وانما أيضا من أجل بناء الدولة النواة للشغيلة وعموم الكادحين فى جنوب اليمن ، والتى ينبغى أن تكون مشتلا ديمقراطيا ثوريا نموذجيا رائدا وملهما للحقل الديمقراطى الثورى لدولة اليمن الموحدة المتحررة •

« ان الطبقة العاملة التى تحملت مسؤولياتها النضالية خلال مسيرة الثورة لا شك أن دورها فى مرحلة البناء الثورى أعظم من ذلك » •

« ان تنظيم جماهير الفلاحين وتوجيههم للقيام بدورهم كاملا فى مرحلة البناء الثورى الاجتماعى لابد أن يتم من خلال توطيد التحالف بينهم وبين الطبقة العاملة ، وتحقيق هذا التحالف هو وحده الكفيل بتحقيق التقدم الاجتماعى المنشود ، وعلى الثورة أن توجه جهودها الى تنظيم هذه القطاعات الشعبية الثورية صاحبة المصلحة الأكيدة فى الثورة الاشتراكية بكافة السبل وبكل الوسائل » (ص ٩٣ ، ٩٤) •

سادسا : ان الجبهة القومية التى كانت تعتبر نفسها النقيض الوطنى الطبقي للاستعمار والاقطاع و « الرأسمال المستغل » — حسب تعبير « الميثاق الوطنى — والمعبر عن الحركة الجماهيرية ، والمجسد لمصالح العمال والفلاحين والقوى الاجتماعية الأخرى المنتجة ، كانت ترى أنه فى ظل دولة الاستقلال التى تطمح الى قيامها فى جنوب الوطن كركيزة للوحدة اليمنية التى يجب « أن تتم على أسس شعبية سليمة » ، فإنه لا مجال للتنمية الرأسمالية التقليدية ، وان المجال المتاح هو

التنمية الاقتصادية — الاجتماعية المستقلة المخططة عبر قطاع عام ، بحيث يكون ناتج التنمية لصالح جماهير الشعب الفقيرة ، غير أن ذلك لا يعنى عدم القبول بالرأسمال الأجنبى فى قطاعات معينة لا غنى لها عنه • « ان من أهم العوامل التى تخضع اقتصاديات البلاد المتخلفة للسيطرة الاقتصادية الأجنبية هى عدم توفر الرأسمال القادر على تحويل ثروات البلاد الى طاقات انتاجية تستطيع مواجهة الحاجات المتعددة لدى الشعب فى طريقه نحو التقدم •

لذلك كان وضع خطة شاملة لتوجيه الرأسمال الوطنى ، وتسجيع الشعب على الادخار ، والتوفير ، والحصول على المعونات والقروض الأجنبية غير المشروطة والسماح للاستثمارات الأجنبية فى بعض المجالات التى تتطلب خبرات عالية لا تتوفر فى البلاد ، ان ذلك من أهم الأسس لخلق اقتصاد وطنى سليم مستقل فى كافة المجالات يمكن الشعب من اقامة صناعات تواجه حاجاته المختلفة والأساسية » (ص ٧٩ ، ٨٦ — ٨٧) •

هذا الفكر الاجتماعى والسياسى المتقدم الذى جسده « الميثاق الوطنى » والذى حدد به أبعاد وآفاق دولة الاستقلال مثل البذرة الصالحة التى ما لبثت أن زكت وربت وافتحت واينعت بعد الاستقلال ، وتحولت الى شجرة فكرية اجتماعية — سياسية باسقة أصلها ثابت فى الأرض ، وفرعها شامخ فى السماء • ولذلك لانه صعب على كل الأنواء والعواصف الداخلية والمحلية والخارجية اقتلاعها أو هصرها •

وبعد لانه لم يكن بغير أساس وصف محمد على باشا عدن بأنها « عين اليمن » التى أخذها الانجليز عام ١٨٣٦ • وبلاستقلال الذى انزعته فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ استعادت اليمن عينها التى تبصر بها

— ٩٨ —

اليوم طريق مستقبلها ، مستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية
المستقلة ، مستقبل التحالف الوطنى الديمقراطى الواسع ، مستقبل التقدم
الاجتماعى ، والديمقراطية السياسية ، مستقبل التحرر الوطنى
والاجتماعى معا ، مستقبل اليمن الديمقراطى الموحد ، ذى التوجه
الاشتراكى ، والارتباط القومى التقدمى ، والعلاقات الانسانية
الاممية ♦

حصيلة أعمال الندوة العلمية

حول الثورة الوطنية الديمقراطية

وتجربة اليمن الديمقراطية(*)

انعقدت في عدن خلال الفترة ما بين ١١ - ١٤ فبراير ١٩٨٤ ندوة علمية دعت اليها اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، وشاركت فيها - اضافة الى ممثلى الجانب اليمنى - وفود علمية من مختلف الأحزاب الشيوعية العربية ، ومن البلدان الاشتراكية والرأسمالية والنامية ، عدا الشخصيات المختصة •

وقد توزع برنامج أعمال الندوة العلمية التى هملت عنوان « الثورة الوطنية الديمقراطية (تجربة اليمن الديمقراطية) » الى ستة محاور كالتالى : القوانين العامة للثورة الوطنية الديمقراطية ، الثورة الوطنية الديمقراطية ... القوى المحركة وقضايا التحالفات ، مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية وشروط تحقيقها (التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) ، طبيعة ودور السلطة السياسية فى انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، دور ومكانة حزب الطبقة العاملة فى قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ، دروس الخبرة الثورية لليمن الديمقراطية •

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١١/١/١٩٨٤ •

- ١٠٠ -

وقد افتتحت الندوة بكلمة ضاغية للأمين العام *

كان المشاركون في الندوة يعودون اليها ويستشهدون بما جاء فيها * وقد أديرت الندوة على نحو ديمقراطي ومسئول ، وشاركت في المداخلات والنقاشات العلمية التي جرت فيها مختلف الوفود والشخصيات *

وتم الاعراب في خاتمتهما عن الأهمية العلمية والسياسية الفائقة التي جسدتها *

ان أهم الاستخلاصات النظرية التي يمكن الخروج بها من مجمل أعمال الندوة تتمثل فيما يلي :

١ - أن الثورة الوطنية الديمقراطية في البلدان النامية الآسيوية والافريقية والأمريكية اللاتينية تختلف عن الثورة الديمقراطية البرجوازية الكلاسيكية التي شهدتها الغرب ، والتي تكونت خمائرها في قلب المجتمع الاقطاعي ، وقادتها الطبقة الوسطى الجديدة الممثلة أساسا في البرجوازية الفتية التي أطاحت بالمجتمع الرأسمالي ، وبلغت في تطورها أعلى مرتبة لها ، وهي الرأسمالية الاحتكارية ، والامبريالية ، ورأسمالية الدولة الاحتكارية *

٢ - أن الثورات الوطنية الديمقراطية تستهدف بادئ ذي بدء تثبيت عملية التحرر من قوى الاحتلال الامبريالي والهيمنة الاستعمارية المباشرة واحباط مخططات الاستعمار الجديد واقامة دول وطنية مستقلة ، والقضاء على التخلف وتحقيق الذات القومية ، وانجاز مهام ذات صبغة بورجوازية ديمقراطية في مرحلتها الأولى *

٣ - أن الثورات الوطنية الديمقراطية في عصرنا الراهن الذي دشنته انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بقيادة لينين العظيم ،

- ١٠١ -

وكرسه قيام النظام الاشتراكي العالمي على اتر اندحار انفاشية ، عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، تعتبر جزءا لا يتجزأ من العملية الثورية العالمية التي تمثل الطبقة العامة العالمية ، وخاصة نظامها الاشتراكي العالمي • قطب الرحى فيها •

٤ - أن هذه الثورات لا يمكن لها بلوغ كامل أهدافها الا بالتحالف مع قوى الثورة العالمية ، مجسدة في المعسكر الاشتراكي ، وفي طليعته الاتحاد السوفيتي ، وأحزاب الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة • وسائر حركات التحرر الوطني •

٥ - أنه في هذا العصر امتزج البعد الوطني لهذه الثورات مع البعد الديمقراطي لها امتزاجا تاما ، بحيث يستحيل تحقيق التحرر الوطني من قيود الاستعمار القديم والجديد دون التحرر الاجتماعي والسياسي من ركائزه الاقطاعية وشبه الاقطاعية والكمبرادورية والأقسام الموالية له من البرجوازية الوطنية •

٦ - أن التجربة التاريخية أثبتت أن الثورات الديمقراطية التي قادتها البرجوازية الوطنية ، وخاصة الصغيرة والوسطى منها ، لم تستطع أن تبلم كامل أهدافها الموضوعية أمامها ، رغم الانجازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي حققها ، ورغم الدور الدولي • الذي قامت به •

٧ - أن ثورات هذه البرجوازية الوطنية ، الصغيرة والوسطى ، رغم عمليات التحويل الاقتصادي والاجتماعي التي قامت بها في المدينة والريف ، ورغم عمليات التصنيع والتنمية الاقتصادية التي حققتها بالتعاون مع المعسكر الاشتراكي ، وخاصة الاتحاد السوفيتي ، ورغم قيام قطاعات عامة ، وتعاونية ومختلطة ، الا أنها حجبت الديمقراطية

— ١٠٢ —

السياسية عن الجماهير الشعبية ذات المصلحة العميقة في مثل هذه التحولات والانجازات ، والقادرة على حمايتها وتوجيهها أكثر فأكثر .
 وحالت دون حشد وتعبئة هذه الجماهير ، وخاصة العمال والفلاحين ، في جبهة وطنية عريضة لمعالجة . وفي تحالف ديمقراطي ثوري ممكن وحقيقي ، يقف سدا منيعا في وجه المؤامرات الداخلية والخارجية ، الرجعية والاستعمارية ، ويعمل على المضي بها قدما الى الامام في اتجاه انهاء التبعية السياسية والاقتصادية للاحتكارات والسوق والدول الامبريالية ، وتطوير الاقتصاد الوطني ، وتحويله الى اقتصاد منتج متعدد الأوجه ، واشاعة الحياة الديمقراطية في البلاد ، ومن ثم اقامة نظام وطني ديمقراطي ثوري حقيقي .

٨ — أن حجب الديمقراطية السياسية عن الجماهير الشعبية ، والحيولة دون قيام تحالف وطني ديمقراطي فعال وحقيقي فيما بينها ، وحرمان طليعتها الطبقة والسياسية ممثلة في احزاب الطبقة العاملة من حق التنظيم السياسي المستقل ، أو تحجيمها ، والحد من قدرتها على الحركة السياسية والجماهيرية التطبيقية ، وتربية وتعبئة وتنظيم وقيادة الجماهير ، وفرض نوع من الحكم القوي التسلطي ، ان ذلك كله قد أدى الى نتائج مدمرة أضرت بمسار ومصير الثورات الوطنية الديمقراطية ذاتها ، حيث مكن لنشوء برجوازية جديدة طفيلية ، وبيروقراطية ، مدنية وعسكرية ، والتي تكون أجنحة يمينية داخل النظام ذاته ، تمكنت في بعض الحالات بالتعاون مع القوى الرجعية القديمة والجديدة ومع الدوائر الاستعمارية من الاطاحة بالنظام الوطني الديمقراطي ، أو من احتوائه ، تمهيدا للاطاحة به أو افراغه من محتواه .

٩ — أن التجربة أثبتت أن هذا الطراز من الثورات البرجوازية الوطنية الديمقراطية التي تقودها البرجوازية الوطنية الصغيرة والوسطى . حتى وان رفعت رايات الاشتراكية القومية ، أو لوحت من بعد براية

الاشتراكية العلمية ، فانها غير قادرة على تحقيق ثورة وطنية ديمقراطية راسخة ومنسجمة •

١٠ — أن الشواهد التاريخية أكدت في مختلف القارات الثلاث أن انجاز كامل أهداف الثورات الوطنية الديمقراطية ، وإيجاد ثورات وطنية ديمقراطية منسجمة وحقيقية يتطلب شروطا أساسية وحاسمة أهمها :

(أ) إيجاد تحالف وطنى ديمقراطى عريض وفعال يمثل العمال والفلاحون العمود الفقرى فيه ، ويضم المثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة ، والأقسام الثورية من البرجوازية الوطنية •

(ب) توحيد الأقسام الطليعية من الديمقراطيين الثوريين الذين انتقلوا الى مواقع الاشتراكية العلمية ، مع الاشتراكيين العلميين ، فى هذا الشكل أو ذاك من أشكال التوحيد السياسى والتنظيمى ، تمهيدا لاقامة الحزب الطليعى •

(ج) ضرورة اقامة الحزب الطليعى الممثل للطبقة العاملة وضرورة قيادته للتحالف الوطنى الديمقراطى الثورى •

(د) ضرورة حسم مسألة السلطة السياسية عن طريق الاستيلاء أو أخذ هذا التحالف بقيادة الحزب الطليعى السلطة فى يده ، واستخدامها فى انجسائه تعزيز الاستقلال السياسى ، وتحقيق التحرر الاقتصادى ، والوقوف بحسم فى وجه المؤامرات والمكائد الداخلية والخارجية للقوى الرجعية والاستعمارية ، وفى اتجاه انجاز المهام ذات الصبغة البرجوازية الديمقراطية ، واجراء التحولات الاقتصادية

والاجتماعية والسياسية والثقافية وتخطيط جهاز الدولة القديم ، وايجاد جهاز جدد ادارى وتنفيذى وتشريعى وقضائى وبوليسى ونظامى ، بما فى ذلك وضع دساتير وقوانين وأنظمة تجسد منحى الثورة الوطنى الديمقراطى الجذرى ، والعمل على تصنيع البلاد ، ومكنتة الزراعه فيها وتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة والمستقلة ، ومن ثم ايجاد القاعدة المادية والتكنيكية لعملية التحول الاشتراكى .

(هـ) ضرورة اقامة تحالف وثيق مع الطبقة العاملة العالميه ، وعلى رأسها البلدان الاشتراكية التى انتصرت فيها رسالتها ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى ، حيث أنه يمثل هذا التحالف، وحده يمكن لسلطة الثورة الوطنية الديمقراطيه أن تحقق مجمل مهامها الآتية الذكر ، وأن تمثل مرحلة انتقالية الى الاشتراكية وان تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، وان تحول الثورة الديمقراطيه الى ثورة اشتراكية .

ان ذلك كله يعنى أنه فقط بقيادى الطبقة العاملة ومن خلال حزبها الطليعى وبمراعاة الشروط الأخرى المذكورة أعلاه يمكن للثورة الوطنية الديمقراطيه أن تحقق كامل أهدافها ، بما فى ذلك انجاز المهام ذات الصبغة البرجوازية الديمقراطيه ، وان تقترب شيئاً فشيئاً من مرحلتها العليا ، مرحلة الديمقراطيه الشعبيه ، مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، مرحلة التوجه الاشتراكى ، التى تنطوى على عناصر وجزيئات وشرائح وسمات من المرحلة السابقة الديمقراطيه الثوريه ، والمرحلة اللاحقه الاشتراكية الديمقراطيه .

وقد أشارت المداخلات والنقاشات بارتياح عظيم الى أن تجربه

— ١٠٥ —

الثورة في اليمن الديمقراطية قد توفرت لها وفيها معظم الشروط
الأنفسية الذكر ، مما مكنها من أن تصبح أحد الأمثلة الثورية النموذجية
والطليعية والرائدة للثورة الوطنية الديمقراطية الناجحة السائرة في
طريق التوجه الاشتراكي •

وهي بذلك أحد الاعلام الثورية الجديدة الخفاقة التي ارتفعت
في السماء الآسيوية الافريقية الأمريكية اللاتينية المكتوب عليها ، المضي
قدما الى الامام حتى اقامة الاشتراكية ، والتي ترغف من كمبوتشبا
ولاوس وأفغانستان في الشرق ، مروراً بأثيوبيا وموزمبيق وأنجولا
والكونغو الشعبية وبنين ، الى نيكاراغوا في الغرب •

ان خصوصيات الثورة في اليمن الديمقراطية هي من العمق والغنى
بحيث جسدت ما هو عام وضروري لكل ثورة وطنية ديمقراطية حقيقية
ومنسجمة وذات توجه اشتراكي •

وان نجاح هذه التجربة الثورية الطليعية الريادية في اليمن
الديمقراطية ليؤكد على نحو خاص أن في الامكان حدوثها في المنطقة
العربية التي تنتمي اليها ، اذا ما تحققت ذات الشروط العامة اللازمة
لنجاحها •

وأوضحت المداخلات والنقاشات أن صيانة مثل هذه التجربة
الثورية النموذجية ، والعمل على المضي بها قدما الى الامام ليس مهمة
الثوريين والاشتراكية اليمنيين فقط ، وانما هي كذلك مهمة كل الثوريين
والتقدميين والاشتراكيين في الوطن العربي ، وفي العالم •

خطاب اليمن الديمقراطية(*)

الثورة الاجتماعية العميقة الأصيلة لا تتقف عند حد في تطورها
وتقدمها وتجذرهما • فهي دائما وأبدا تكتسب أعماقا وأبعادا
جديدة • وتكتسب ملامح وسمات متجددة •

وهي — أيا كانت الانجازات والمكاسب التي حققتها ، والانتصارات
والأمجاد التي توجت بها هامتها — لا تقنع بها ، ولا تنام على أكاليل
غارها ، وإنما هي ترى في ذلك مجرد محطات على الطريق الطويل الممتد
بلا نهاية ، وطوابق في صرح الثورة الذي لا يعرف لعلوه وشموخه
المتصاعد حدها •

ومع ذلك فإن المكاسب والانجازات والانتصارات والأمجاد التي
تكون قد حققتها الثورة تمثل مبعث اعتزاز واختيار بها — دونما
غرور — ومصدر ثقة والهام للثوريين لا غنى عنه •

(*) نشرت في « الثوري » في ٢٨/٤/١٩٨٤ •

وبتطبيق هذه القاعدة على ثورة ١٤ أكتوبر ترى ما هي المنجزات الأساسية التي حققتها ، والمحطات النضالية التي قطعتها ، والتي تمثل مصدر ثقة والهام لمواصلة النضال دون توقف ، بقدر ما تمثل مبعث اعتزاز بها — بدونما غرور — ♦

ثم ما هي العوامل والشروط التي ساعدت ثورة ١٤ أكتوبر على التقدم في هذا المنحنى النضالي المتساعد المتعالم الذى سقطت دون بلوغه أو المضى فيه بدون توقف كثير من الثورات العربية وغير العربية ؟

ان مما يلفت النظر انه فى الوقت الذى أصيبت فيه حركة الثورة والقومية العربية بزعامتها الناصرية بنكسة خطيرة فى ٥ يونيو ١٩٦٧ على يد العدو الصهيونى — الامبريالى كانت ثورة ١٤ أكتوبر تحقق احدى انتصاراتها العظيمة باحتياجها قلعة الاستعمار البريطانى : عدن ، واستيلائها عليها لمدة أسبوعين تقريبا ♦

وما يسترعى الانتباه أنه فى الوقت الذى نكست فيه رايات العديد من الثورات العربية ، وطويت فيه أعلام الكثير من الأنظمة الوطنية فى المنطقة العربية وخارجها ، كانت راية ثورة ١٤ أكتوبر ترتفع الى ذرى أكثر علواً وشموخاً ، وكان نظامها الوطنى — الديمقراتى يزداد ترسخاً وتجدراً ♦

ولم يمر نظام وطنى — ديمقراتى عربى بذات المعاناة السياسية الداخلية العميقة التى عاناها النظام الوطنى — الديمقراتى فى اليمن الديمقراتية ، ولم يخض غمار تجارب كتلك التى خاضها • وخرج منها باستمرار منتصراً ♦

فعلى عكس الثورات العربية التى تمكنت الأجنحة اليمينية فيها من

— ١٠٩ —

العصف بها وبالأنظمة التي أقامتها هذه الثورات ، فان الثورة في اليمن الديمقراطية تمكنت من التطويع بالجنح اليميني فيها بسرعة عجيبة .
ونجاح منقطع النظير *

وكانت الثورة في اليمن الديمقراطية هي الوحيدة بين مجمـل الثورات العربية التي تمكن الجناح اليسارى الانتهازي من احتلال قمة السلطة فيها ، ومع ذلك تمكنت الثورة من الخلاص منه ، ومن كل تجاوزاته وانحرافاته التي جنحت به — رغم التطرف اليسارى — ذات اليمين *

وكانت اليمن الديمقراطية هي البلد العربي الأول والوحيد الذي مضى حثيثاً في طريق انجاز كامل أهداف الثورة الوطنية — الديمقراطية ، واقتحم بالفعل طريق التوجه الاشتراكي *

الام يعود هذا السبق الثوري ، وهذا الفتح التاريخي . الذي حققته اليمن الديمقراطية ؟

أن أول وأهم عامل ثوري كان وجود تنظيم سياسي أخذ يتطور باستمرار ، ويكتسب سمات شعبية ، وابعادا أيديولوجية أعمق لها عمق ، وقدرة هذا التنظيم على نسج أوسع تحالف جماهيري من حوله . واقامة علاقات نضالية أوثق فأوثق مع قوى الثورة العالمية *

لقد كان هذا التنظيم — الجبهة القومية — المسنود بالفصائل الديمقراطية والتقدمية الأخرى ، وبالمنظمات الجماهيرية ، هو الذي أنهى الحكم الفردي اليميني الذي ارادت الزمرة الانتهازية اليمينية إقامته على انقاض التنظيم ، وعلى حساب خطه الوطني — الديمقراطي الذي أوضحته وثائقه ، وخاصة « الميثاق الوطني » الذي وضع وأقر في يونيو ١٩٦٥ — أثناء فترة الكفاح المسلح ضد المستعمر البريطاني — *

- ١١٠ -

وكان هذا التنظيم - التنظيم السياسى الموحد - الجبهة القومية الذى أصبح يضم كل فصائل العمل الديمقراطى - هو الذى وضع نهاية للحكم الفردى التعسفى الذى حاولت طغمة الانتهازية اليسارية اقامته على جثة التنظيم ، وضد منحاه الاشتراكى العلمى .

وهذا التنظيم الذى حقق نقلة نوعية بتحويله الى حزب من طراز جديد ، حزب طليعى يمثل مصالح الطبقة العاملة وحلفائها من الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى ، حزب يبنى أيديولوجية الاشتراكية العلمية والاممية للبروليتارية . ويعتمد على أوسع تحالف جماهيرى من حوله - ممثلا فى المنظمات الجماهيرية والمهنية - ويقىم أقوى العلاقات الرفاقية مع أحزاب الاشتراكية العلمية ، والقوى الثورية والديمقراطية فى العالم ، وفى مقدمتها جميعا المعسكر الاشتراكى وفى طليعته الاتحاد السوفيتى - هذا الحزب : الحزب الاشتراكى اليمنى ، هو الذى يوجه مسار الثورة ، ويقود خطاها عليه ، ويكفل المضى بها قدما الى الامام فى طريق اكمال مهامها الوطنية الديمقراطية . وطريق التوجه الاشتراكى . وتحويلها من ثم من ثورة وطنية ديمقراطية الى ثورة اشتراكية .

وكما أن الحزب هو قائد مسيرة الثورة عبر شتى مراحلها الراهنة واللاحقة ، فهو صمام أمانها ، وصاحب الكلمة العليا والأولى والأخيرة فى كل شأن من شئونها .

ذلك ما يتميز به الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يمثل التتويج التنظيمى والفكرى والسياسى لجمل التجارب التنظيمية التقدمية التى عرغتها البلاد من قبل الثورة وبعدها .

فهو الحزب العربى الرسمى الوحيد الذى امتزجت وانصهرت فيه.

تنظيمات مختلفة المنشأة تقاربت من بعضها بعضا عبر تجربة الكفاح الثورى المشترك ضد العدو الطبقي والسياسى الداخلى والخارجى وخلال عملية بناء المجتمع الجديد ، حتى بلغت حد الاندماج والذوبان فى بوتقة تنظيمية واحدة ، وفى رؤية أيديولوجية اشتراكية علمية - واحدة ، وفى مسعى سياسى موحد *

وعدا ذلك فهو الحزب العربى الوحيد على الاطلاق - سواء على المستوى الرسمى أو المستوى الشعبى - الذى جسد مثل هذه التجربة الفريدة والمثيرة الداعية الى التعجب والاعجاب *

وهو بذلك ، وبالتجربة الثورية ، الديمقراطية الناجمة التى يقودها ، والتى شرعت تسير فى طريق التوجه الاشتراكى ، يمثل خطاب اليمن الديمقراطية - كتجسيد لمستقبل اليمن عموما - خطابها الخاص والتميز *

هو خطابها الذى يعبر عن خصائص ودقائق ومميزات تجربتها التنظيمية والثورية المعاصرة ، وخطابها « القومى » المتفرد حتى الآن والموجه الى الوطن العربى ، وخطابها الامى الموجه الى العالم كافة *

حقا أنه خطاب لا يخرج عن سياق حركة التطور التاريخى العامة التى عادت معها الثورة الوطنية الديمقراطية جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية العالمية الموجهة ضد الامبريالية والرأسمالية العالمية *

غير أن أصالة وعمق وغنى التجربة الثورية اليمنية يتمثل فى التجسيد الحى والخالق والخاص والتميز لهذا السياق التاريخى العام ، لهذا المنحى لحركة التطور العالمية التى دشنها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، وأكدها قيام النظام الاشتراكى العالمى ، وعمقها انضمام ، فصائل ديمقراطية ثورية متلاحقة وعلى نحو متساعد

ومتسارع في مختلف أنحاء المعمورة ، ولا سيما في تمارات آسيا وأفريقيا
وأفريكا اللاتينية الى مركز الجاذبية لهذا العصر : الاشتراكية العلمية
ومبادئها الانسانية العظيمة .

أحالة هذا الخطاب تتمثل في ان الثورة احوالت العديد من
السلطنات والامارات والمشايخات والقبائل المتناثرة المتنازعة التي زاد
المستعمر نيران الفرقة والخصام فيما بينها ضراما - احوالها مع عمل
عدن ومثقفها الثوريين الى كتلة شعبية منصهرة متوهجة ، الى قذيفة
ثورية قاطعة حارقة ، الى شعلة من اللهب المقدس اتت بها على البقية
المباقية من الامبراطورية التي لم تكن تغرب عنها الشمس ، وجعلت ثالثة
قواعدها العالمية المزروعة في عدن هتسما تذرؤه الرياح ، وصاغت
بها الشعب في اليمن الديمقراطية صياغة جديدة . صياغة وطنيه شعبية
متينة متماسكة متلاحمة لا تقبل التفتت ولا الاختراق لا من الداخل
ولا من الخارج ، واقامت بها دولته المركزية الحديثة ، الوطنية
الديمقراطية الشعبية التي ترمز وتبشر بدولة اليمن المركزية الموحدة
التقدمية القادمة ، وقامت بعملية اقتحام وكشف غير مسبوق ولا
مالوفة في المنطقة العربية كلها . اثبتت بها صلاحية التجربة العربية
لاحتضان وتنمية اسمى الأفكار والمبادئ الانسانية التي تفتتت عن
انحطام الأدمغة البشرية وأملها سير التطور التاريخي .

خطاب اليمن الديمقراطي البليغ هذا لا يجعل من هذا البلد
المقدام ، وحزبه الطليعى الشجاع ، مركز الثورة العربية ، وحادى
الركب لزحفها المنتظر نحو الغد ، ولكنه يجعل منه ، المشكل الثورى
الأول . في الحقل العربى كله ، المشكل الذى نمت وترعرعت فيه تجربة
ثورية وطنية ديمقراطية شعبية ذات توجه اشتراكى علمى ، وانتماء
بروليتارى أممى ، ومسلك نضالى حازم ومستقيم ضد الاستعمار
والامبريالية والحيثونية والرجعية ودل قوى التخلف والظلام ، ومن

أجل تحرير وتقدم وتوحيد الوطن العربي على أسس ديمقراطية صريحة ، وبوجهة اشتراكية واضحة " ومن أجل تحرير وتقدم ووحد و سلام وسعادة البشرية جمعاء .

بذلك يمتلك المؤرخون الحق في أن يكتبوا على راية الثورة الخفاقة التي ما برحت اليمن الديمقراطية تدفع بها الى آفاق تاريخية أبعد فأبعد انها كانت الـراية التي كان لها فضل اقتحام أرض مجهولة ، لم تطأها قدم نظام عربي من قبل ، أرض المستقبل العربي الوضاء ؛ وانها استحققت بذلك أن تحوز قصب السبق والريادة بين أمتها العربية قاطبة .

أن الدور القيادي البارز الذي تلعبه اليمن الديمقراطية من أجل توحيد فصائل الثورة الفلسطينية على أسس وطنية مناهضة لكل المشاريع والمخططات الاستسلامية ، ومن أجل رص صفوف قوى الثورة العربية عموما ، بغية استعادة زمام المبادرة الثورية والمبادرة التاريخية ، والانطلاق بطاقة نضالية أعظم في طريق التحرير والديمقراطية والتقدم والوحدة ، ان ذلك كله تعبير طبيعي عن المكنة الثورية المرموقة التي غدت تحتلها اليمن الديمقراطية بين مجمل فصائل الثورة العربية .

ان السمعة الثورية الرفيعة المستوى التي تحظى بها اليمن الديمقراطية بين مختلف كتائب الثورة العالمية هي شهادة أممية على أن خطابها الثوري لم يبلغ إسماع العالم فقط ، وانما غدا له أيضاً وقع عميق ورنين أخاذ .

لماذا تتساقط الأنظمة الوطنية

في العالم النامي(*)

حركة التاريخ لا تسير في خط دائري ، ولا تقبل التراجع الى الخلف ، وانما تسير في خط متصاعد متقدم أبدا ، رغم ما قد يحدث في التاريخ من حروب دولية وأهلية تسقط بها إمبراطوريات ودول ، وتنتكس حضارات ، وتمحى ثقافات .

هناك قوانين موضوعية عامة تتحكم في سير حركة التاريخ سواء وعاهها الناس ، أم لم يعوها ، وبمقتضاها فان التاريخ يتحرك دائما الى الامام .

وكما أن النهر لا يعود الى منبعه قط ، ولا يملك الا أن يمضي في حركة طبيعية متدفقة سلسلة أو هادرة نحو مصبه ، فكذلك التاريخ لا يعود الى الوراء قط ، رغم حالات التراجع الظاهرية ، ورغم حالات الركود التاريخية الطويلة ، ورغم التوقف النسبي ، ورغم الكوارث الطبيعية والحروب المدمرة .

فلم يحدث قط في التاريخ أن عادت تشكيلة اجتماعية —

(*) نشرت في « الثوري » في ٢١/٤/١٩٨٤ .

اقتصادية سابقة الى الحياء ، بعد أن تجاوزتها تشكيلة اجتماعية — اقتصادية أكثر تقدماً منها ، ولم يدلنا التاريخ على حالة واحدة تراجع فيها المجتمع من النظام الاقطاعي الى النظام العبودي ، أو عاد فيها من المرحلة الرأسمالية الى المرحلة الاقطاعية .

ونفس الشيء يمكن أن نقوله — بالأحرى — بالنسبة للتشكيلة الاجتماعية الاشتراكية ، إذ ليس في الامكان عودة أو إعادة أي بلد اشتراكي الى نظام الرأسمالية المقبور .

ان الردات التي حدثت ولا تزال تحدث للثورات تعود الى أن التشكيلة الاجتماعية — الاقتصادية التي بشرت بها الثورة أو طمحت الى اقامتها لا تكون قد توافرت لها كل عوامل قيامها الموضوعية والذاتية — شأن ما حدث بالنسبة لكومونة باريس التي جاءت والرأسمالية ما تزال في عنفوانها ، وما حدث كذلك للثورات المجهضة في ألمانيا والمجر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة والتي لم تتوافر لها الظروف المواتية التي توافرت لقيام ونجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى .

والنكسات التي منيت وما تزال تمنى بها الثورات الوطنية الديمقراطية في قارات آسيا وأفريقيا تعود الى أن هذه الثورات ، وان حققت انجازات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة — وبدرجات متفاوتة — الا أنها لم تغفل من شبك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأيدولوجية القديمة ، كما لم تتحرر تماماً من خيوط العنكبوت الاستعماري ، ولا سيما من نفوذه الاقتصادي .

لقد وقفت هذه الثورات في المنطقة الخطرة ، منطقة البين بين ، ولم تتمكن لا من الخلاص من المجتمع السابق للرأسمالية ، ولا من قطع

— ١١٧ —

أو تجنب أو تجاوز طريق التطور الرأسمالى ، حتى نتتمكن من المضى فى طريق التوجه الاشتراكى ، ومن ثم فى طريق بناء الاشتراكية .

حقا قامت بتحويلات اقتصادية واجتماعية هامة ، وانشأت قطاعا عاما للدولة ، وقطاعا مختلطا ، وقطاعا تعاونيا ، فى الوقت الذى ابقت فيه على الملكية الخاصة .

ولكن لان السلطة السياسية كانت بيد البرجوازية الصغيرة ، والى حد ما بيد البرجوازية المتوسطة ، ولان هذه بطبيعتها متذبذبة ، ولانها حجت الديمقراطية عن الجماهير العريضة والفقيرة ، وحرمتها من حق التنظيم السياسى المستقل ، أو حجت حركتها السياسية المستقلة ، ولانها لم تهتم باقامة حلف وطنى ديمقراطى عريض يجمعها مع هذه الجماهير ، ولا سيما مع العمال والفلاحين ، ولانها لم تقم تحالفا وثيقا ومثينا مع قوى الثورة خارج أوطانها ، وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى ، التى تمثل الحليف الطبيعى والمأمون لها — لذلك كله لانها لم توفر عوامل البقاء والنمو والتطور الأنظمتها الوطنية التى اقامتها .

وعدا ذلك لانه بسبب وجود الملكية الخاصة فى المدينة والريف ، ومضيها فى طريق النمو — بدونما حسيب أو رقيب — وبسبب نشوء بيروقراطية برجوازية مدنية وعسكرية ، وتصول قطاع من البرجوازية الصغيرة والوسطى الحاكمة الى جزء لا يتجزأ من هذه البرجوازية الطفيلية الجديدة ، من هذه الطبقة الجديدة الفاسدة والمفسدة ، وبفعل تعاون هذه الرجعية الجديدة مع الرجعية القديمة المتربسة ومع دوائر الاستعمار الجديد — لذلك كله أمكن للأجنحة اليمينية فى هذه الأنظمة أغراغها من محتواها الوطنى الديمقراطى ، وايقاف وضرب عملية التحول الاجتماعى ، ودفع البلاد من جديد فى طريق التطور الرأسمالى الطفيلى والمثسوه والتابع .

من ذلك يتضح جلياً أن أنظمة البرجوازية الصغيرة ، لم تقم
تشكيلاً اقتصادياً - اجتماعياً جديدة تضمن لها ولثورتها البقاء
والاستمرار ، وتحول من ثم دون ارتدادها ، ذلك أنه ليس هناك تشكيل
بين بين ، وعلى مقاس البرجوازية الصغيرة .

ولكن عقدة البرجوازية الصغيرة انها لا تعي هذه الحقيقة ،
أو لا تريد أن تعيها . فهي تطمح الى إقامة نظام لا هو « بالغربي »
ولا « بالشرقي » لا هو « بالرأسمالي » ولا « بالاشتراكي » .

هي تطمح الى تحقيق نمط خاص ومكيف من « الاشتراكية » ، نمط
آسيوي ، أو الهندي ، أو إسلامي ، أو عربي ، أو حتى نمط ثالث يتجاوز
كلا من الرأسمالية والاشتراكية ، ويكون صالحاً للعالم « الثالث »
كله ! .

وهو طرح ليس بالجديد ، فحتى روسيا نصف الآسيوية
ظهرت فيها اتجاهات من هذا القبيل ، كان « الشعبيون » أبرز رموزها ،
قبل أن يكتسبهم تيار الاشتراكية العلمية بقيادة حزب البلاشفة .

وهي اتجاهات تعبر - في آخر تطيل عن أيديولوجية وعقلية
وعزلة وهيق أفق الفلاح ، الفلاح المتأخر ، المرتبط بقطعة الأرض
الصغيرة ، المنكفي وراء محراثه وبقرته ليل نهار ، والذي لذلك لا يرى
أبعد منها ، وأبعد من أنفه .

ومنذ عهد مؤسسي الاشتراكية العلمية اهتمت الحركة الاشتراكية
العالمية إهتماماً خاصاً بوضع الفلاح ، وعملت على إخراجها من هذا
القبو الاقتصادي - الاجتماعي - السياسي - الروحي الذي وجد
نفسه فيه عبر التاريخ ، وذلك عن طريق إقامة جسر من التحالف بينه
وبين الطبقة الجديدة التي ظهرت لأول مرة على مسرح التاريخ ،

الطبقة ذات الغريزة الثورية بحكم وضعها في عملية الانتاج الاجتماعى الحديثة ، الطبقة البروليتارية ، شريطة أن تكون لها القيادة السياسية والأيدولوجية فى هذا التحالف ، وان يكون لها حزبها البروليتارى المستقل الحامل والمنفذ لمصالحها ورؤاها الاجتماعية والتاريخية ، والذي يمكن أن يتسع كذلك لكل القوى الكادحة الأخرى المؤمنة ببرنامجها واستراتيجيته الثورية .

وهذه القوى غير البروليتارية الأصل ، والتي تتبنى عن اقتناع وإيمان هذا النهج البروليتارى وتعمل باخلاص وصدق من أجل تحقيقه ، هى قوى شريفة واعية ، سمت بها همتها وأخلاقيتها ونضجها الى حد خيانة مصالح طبقتها الضيقة والانانية ، والى حد الارتفاع الى مستوى المهمة التاريخية الجلية والنبيلة التى رهن التاريخ أمر تحقيقها بالطبقة العاملة ، وحزبها الثورى الطليعى والتي بتحررها تحرر المجتمع كله ، وتلغى الطبقيّة من أساسها . معضلة البرجوازية الصغيرة انها لم تستطع أو لم ترد أن تعى هذه الحقيقة وتصورت أن لها مكانا خاصا فى التاريخ ، ورسالة تاريخية « خصوصية » .

ولم تع هذه البرجوازية - الا الأقسام الطليعية منها - أنه لا مكان خاصا بها فى التاريخ ، فهمي اما أن تكون احتياطيا للرأسمالية وتوابعها فى العالم النامى ، أو حليفا شريفا للطبقة العاملة وانه كما أنه ليس هناك تشكيكة لا رأسمالية ولا اشتراكية ، تشكيكة وسط لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فانه لا تشكيكة اجتماعية - اقتصادية: خاصة أو « خصوصية » وجدت أو يمكن أن توجد فى التاريخ مفصلة على حجم البرجوازية الصغيرة ، ومصنوعة وفق مزاجها وهواها .

لهي كبرجوازية صغيرة كانت موجودة دائما عبر التاريخ ، وفي ظل كل التشكيلات التى أقامتها الطبقات الرئيسية فى المجتمع . وكانت دائما

— ١٤٠ —

مضطهدة ومسحوقة ، ومع ذلك فانها لم تستطع أن تقيم نظاما اجتماعيا خاصا بها ، لانه ليس فى الامكان اقامته من الأساس •

ان أقصى ما قامت به هو مشاركتها فى الانتفاضات التى ثارت ضد الطبقات الحاكمة ، والتى كانت تقمع باستمرار •

ان بيئة البرجوازية الصغيرة صالحة لان ينبثق منها أى وكل شىء •
الا أن تقيم نظاما اشتراكيا •

انها بيئة معقدة يمكن أن تنطلق منها كل التيارات والاتجاهات اليمينية واليسارية ، الانتهازية اليمينية والانتهازية اليسارية والاشتراكية والرأسمالية ، والديمقراطية والديكتاتورية ، بل وحتى البسونايرتية والفاشية •

ان الفرصة التاريخية الوحيدة المتاحة أمام البرجوازية الصغيرة للعب دور لائق ومشرف فى حياة العصر هى الارتباط بحركة التاريخ الصاعدة وبقوى التقدم المسكة بزمام القيادة فيها ، ان ترتبط بالطبقة العاملة وحزبها الثورى ، بل أن تشارك مشاركة ايجابية وفعالة فى قيادة هذه المسيرة التاريخية •

ولكن ذلك يقتضى منها أن تودع والى الابد أحلامها البائسة فى أن فى امكانها صنع نموذج اجتماعى خاص بها ، وأن فى امكانها ان تدخل التاريخ كصانعة تجربة ثورية مستقلة نموذجية متفردة لا شرقية ولا غربية !

لقد ذهب رجال عظام ضحية هذا الوهم من أمثال نهرو ، وسوكارنو ، ونكروما ، وعبد الناصر ، وأخيرا سيكوتورى •

لقد انقلب عليهم أنظمتهم التى أقاموها ، انقلب عليهم فى حياتهم أو بعد مماتهم مباشرة •

— ١٢١ —

ان النكسات التى حلت بشعوبهم وبحركات التحرر فى بلدانهم وخارجها بفعل ذلك ، والتى ما تزال ترزح تحتها ، هى الدرس القاسى والبليغ لكل من يريد أن يعتبر بغير التاريخ ، ولكل من لا يزال يراوده الشك أو يخامره الامل أو الوهم فى ان بإمكانه — بعيدا عن الطبقة العاملة وحزبها الطليعى وبعيدا عن التحالف الوثيق مع العمال والفلاحين ، وبعيدا عن التآزر مع المعسكر الاشتراكى ، وفى طبيعته الاتحاد السوفيتى — اقامة مجتمع متحرر متقدم تقدمى جديد .

ردة الأنظمة الثورية التى أقامتها البرجوازية الصغيرة ليست ردة عن تشكيلة اجتماعية متقدمة — أقامتها بالفعل ، ذلك لأنه ليس فى إمكانها أن تقيم مثل هذه التشكيلة من الأساس ، وانما هى ردة عن « سياسة » تحررية وطنية ديمقراطية برجوازية صغيرة ، وعن تحولات ذات طابع ديمقراطى برجوازى صغير .

وامكانية أن تحدث مثل هذه الردة لكل نظام وطنى ديمقراطى تسيطر عليه البرجوازية الصغيرة واردة باستمرار وبدونما استثناء .

فقط تلك الأنظمة الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى والتى يقودها حزب طليعى اشتراكى علمى ، وتعتمد على أوسع تحالف عمالى — فلاحى — ثورى ، وتقيم امتن العلاقات النضالية مع قوى الثورة فى العالم كله ، وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى ، وفى طبيعته الاتحاد السوفيتى — هى وحدها القادرة على مواجهة كل المؤامرات الداخلية والخارجية على أنظمتها الثورية ، وعلى تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، ومن ثم على اقامة التشكيلة الاجتماعية — الاقتصادية الجديدة والمتقدمة التى لا تهزم ولا تغلب .

واليمين الديمقراطية هى مثل نموذجى وطلائعى لهذا النمط من الأنظمة الثورية ، السائز بوعى وإيمان ، وعزم وتصميم فى هذا الطريق .

من أجل ان يمضى حزب الطبقة العاملة

قدما الى الامام(*)

الثورات الوطنية الديمقراطية هي أكثر الثورات تعقيدا وحول
مفهومها وطبيعتها واتجاهها وقواها احترم نزاع فكرى وسياسى طويل
في حياة ماركس وانجلز . وفي عهد لينين ، وما بعد لينين . ولا يزال
محتدما حتى اليوم . وهو نزاع يدور بين قوى تنتمى الى الاشتراكية ،
فعلا ، وبعضها ينتمى اليها بالقول .

وبعض هؤلاء المنتمين الى الاشتراكية بالقول اتخذوا موقفا
من ثورات ١٨٤٨ و ١٨٤٩ الديمقراطية ، لم يؤد الا الى مساعدة قوى
البرجوازية التي اجهزت هذه الثورات وسدت آفاقها التاريخية ،
ووجهت ضربات قاصمة الى الحركة البروليتارية التي لعبت دورا رئيسيا
في اشعال هذه الثورات .

لقد أرادوا حصر هذه الثورات ضمن مفهومهم المحدود ،
ونظرتهم القاصرة ، وعقائهم الصغيرة التي لم تستطع لذلك أن ترى
الآفاق التاريخية الا بعد لهذه الثورات الديمقراطية .

(*) نشرت في " الثورى " في ١٩٨١/٥/٥ .

حقا لعبوا بموقفهم هذا دورا — ولو لم يكن بقصد مقصود —
 في الحاق الهزيمة بهذه الثورات الديمقراطية الواعدة ، غير أن
 الحركة البروليتارية لفظتهم ، ومضت في طريقها الحتمى طريق الثورة
 المستمرة التى لا تقنع بتحقيق الثورة الديمقراطية ، وانما تعمل على
 تحويلها الى ثورة اشتراكية .

عن هذا النمط من الاشتراكيين بالأقوال ، والذين لا يحسنون غير
 الثرثرة بالثورية دون استيعاب لابعادها وأطوارها التاريخية التى
 يتحتم عليها المرون بها ، كتب ماركس وانجلز بأن هؤلاء « يبدلون
 جهدهم أيضا لكى يحولوا دون أن يجرى أى شئ على العموم عدا
 الثرثرة . » انهم أولئك الذين أعاقوا الحركة لدى كل خطوة في سنة
 ١٨٤٨ ، وسنة ١٨٤٩ ، بخوفهم من أى فعل كان ، وساقوا الحركة
 في آخر الأمر الى هزيمة ، والذين لا يرون أبدا الرجعية ، ويتعجبون
 كثيرا لكونهم وقعوا في المأزق ، حيث لا تمكن المقاومة ولا يمكن
 الهرب . انهم أولئك الناس بالذات الذين يريدون حصر التاريخ في اطار
 أقفهم التائه والضيق ، ولكن الذين لا يحسب لهم التاريخ حسابا ابدا ،
 بل يواصل السير في طريقه « . (ماركس — انجلز ، انتخابات في ثلاث
 مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ،
 ص ١٠٤) .

حقا أن الحركة الاشتراكية قد شدت هؤلاء الى تيارها ، وانهم
 وجدوا أنفسهم يتحركون في اتجاه التيار ، غير أنهم في غمرة اندفاعه
 حاولوا بعثرته وتصريفه في اتجاهات وقنوات غير الاتجاه التاريخى
 المحدد له ، وغير القناة الثورية التى شقها وتحرك فيها بالفعل .

لقد كانوا متأثرين بالفكر البرجوازى والبرجوازى الصغير
 الذى طبعوا عليه وحملوه معهم الى الحركة الاشتراكية . وبدلا من

استيعاب العلم الجديد الذى وضعوا أنفسهم تحت لوائه • واوهموا
انهم يعملون على تطوير الواقع فى ضوءه ، فانهم راحوا يطوعون هذا
العلم لفاهيمهم السابقة ويخضعونه لتفسيراتهم الخاصة ، ويحولونه
من ثم الى علم ممسوخ لا يمت الى العلم الاشتراكى بصلة ، ولا الى
مجرى التطور الموضوعى بسبب •

ولانهم واثقون من أنفسهم كثيرا ، وليس لديهم أدنى شك
فى حسن فهمهم لمجريات الأحداث ، فانهم لم يجدوا أنفسهم محتاجين
الى اكتساب معرفة جديدة ، بل ربما جال فى خاطرهم بأنهم — بالسليقة
وبالثورية الفارسية التى لا تحتاج الى بلورة وصقل وتهديب وتشذيب
— أدركوا من سواهم بما ينفع الثورة وما يضرها •

وهم لذلك لا يرون ضرورة لمراجعة مسلماتهم ، وادخال مفردات
جديدة الى قاموسهم •

وحتى ، وان بدا أن الكثرة ليست معهم ، فان ذلك لا يعدو أن
يكون دليل تفردهم وتميزهم • وبأنهم نخبة ثورية ، وصفوة سياسية ،
لا غنى لأحد عنها ، ولا تستقيم حياة الحركة والجماعة بدونها •

وكأى نخبة وصفوة تشعر بالتميز والتفرد ازاء سواها ، وحتى
ازاء الحركة أو الجماعة التى تنتمى اليها ، فان أفرادها يشعر كل منهم
أنه أكثر تميزا وتفردا من الآخر •

وقد صور ماركس وانجلز حالة هؤلاء الميؤوس منها ، وعدم
حاجة الحركة الى أمثالهم ، كما يلى : « وعرضا عن أن يتعمق كل امرئ
بنفسه قبل كل شيء فى دراسة العلم الجديد ، حاول بنحو أو آخر
أن يكيّف هذا العلم لفاهيمه التى استحلها من الخارج ، وصاغ لنفسه
بعبارة علماء خامسا • وشرع يدعى فى الحال بتعليم الآخرين هذا العلم •

ولهذا كانت وجهات النظر عند هؤلاء السادة بعدد رؤوسهم تقريبا ، وعوضا عن اصفاء الوضوح على مسألة ما على الأقل ، خلقوا تشوشا لا يصدق ، ولكنه ، لحسن الحظ ، محصور كليا تقريبا في وسطهم بالذات . وبوسع الحزب أن يستغنى كليا عن أمثال هؤلاء المنورين الذين يتلخص مبدؤهم الأساسي في أن يعلموا الآخرين ما لم يتعلموه هم أنفسهم ، (المصدر السابق ، ص ١٠٥) .

وفي مطلع القرن العشرين حدث تجنبان داخل الحركة الاشتراكية الروسية — شأن ما حدث في أوروبا عموما ، وإن بدرجات متفاوتة — جناح يميني يرى أن ما يواجهه روسيا هو القيام بثورة ديمقراطية برجوازية شبيهة بتلك التي حدثت قبيل ذلك في الغرب ، وأن على الاشتراكيين الروس أن يدعموا هذه الثورة ، دون أن يشاركوا في السلطة في حالة نجاحها ، وأن يظلوا في المعارضة باستمرار حتى تنضج الظروف — في ظل حكم البرجوازية — للقيام بثورة اشتراكية .

أما الجناح اليساري فكان من رأييه القفز مباشرة لتحقيق الثورة الاشتراكية دون الحاجة الى المرور بمرحلة الثورة البرجوازية . وكان يقدّر أن في الامكان تحقيق ذلك بالعمال وحدهم ، ودون حاجة الى مشاركة الفلاحين في هذه الثورة ، ذلك أن حباتهم الرتيبة الخاملة الجاهلة المتخلفة لا تستطيع أن تصنع منهم ثوارا وحلفاء للطبقة العاملة في هذه الثورة الاشتراكية .

وقد تصدى لينين لكلا الجناحين ودمغ الأول بالانتهازية اليمينية ، كما دمج الثاني بالانتهازية اليسارية ، وأثبت أن ما يواجهه « روسيا الآسيوية » ليس ثورة اشتراكية ، وانمسا ثورة ديمقراطية برجوازية من طراز جسدديد ، أي أنها لا تشبه الثورة البرجوازية

الكلاسيكية التي شهدتها الغرب ، وقادتها البرجوازية الليبرالية ، وأدت الى قيام نظام رأسمالى ما لبث أن تطور الى مرحلة الامبريالية ، وان هذه الثورة الديمقراطية ذات محتوى شعبى أعمق ، وأن طابعها برجوازى فلاحى فى الأساس ، غير أن قيادتها ينبغى أن تكون فى يد حزب البروليتاريا المستقل الذى يمثل همزة الوصل بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، والذى فى امكانه أن يدفع الأولى حتى تنجز كامل مهامها ، ويحولها بالتالى الى ثورة اشتراكية .

ولان كلا الجناحين الانتهازيين لم يستطيعا استيعاب هذا الطرح النظرى المعبر عن الضرورة التاريخية ذاتها ، والمجسد لحركة الواقع الاجتماعى نفسها ، ولانهما لم يكونا يملكان غير الجمعية الكلامية ، والثرثرة اللفظية ، والنقد بالعبارات الطنانة الفخمة للنظرية لينين ، واتهامها بالتحجر الفكرى ، واتهام لينين بالجمود النظرى لذلك هان لينين كل مضطرا دائما لتعرية ميولهما الاصلاحية والفوضوية ، التناقسية والمغامرة ، وتبيان انهما يرفضان النظرية العلمية أساسا ، وغير مستعدين لفهمها وتشربها والتقييد بها فى الممارسة العملية ، ومن ثم الاسهام فى دفعها الى الامام « وهكذا نرى أن العبارات الطنانة عن تحجر الفكر ، وما الى ذلك ، تخفى وراءها عدم الاهتمام بتطوير الفكر النظرى ، والعجز عن تطويره . وما مثل الاشتراكيين - الديمقراطيين الروس الا بدليل جلى على ظاهرة أوروبية عامة (اشار اليها الماركسيون الألمان أيضا منذ أمد بعيد) وهى أن حرية النقد الدائعة ألصبت لا تعنى استبدال نظرية بأخرى بل تعنى التحرر من كل نظرية متكاملة ووليدة التفكير ، تعنى المذهب الاختيارى ، وانعدام الجادى » .

(لينين ، ما العمل ؟ دار التقدم موسكو ، ص ٢٥) .

ولم يكن هذا الضعف النظرى أو الرغبة فى عدم التقيد بالنظرية مستغربا ، ذلك أن هذا النمط من الاشتراكيين لم يتبين النظرية ، وانما

شعارها ، لم يأخذ بلبها وإنما بشكلها ، لم تستهوه أهميتها المبررة
بدراسة مجرى حركة التطور التاريخية ، وإنما بجاذبيتها •

وهكذا رافق اتساع الحركة الاشتراكية واقبال الناس عليها
زرافات ووحشانا هبوط في مستوى الوعي بالنظرية الاشتراكية • وهى
ظاهرة لم تقتصر على الحركة الاشتراكية الروسية ، وإنما عرفت العديد
من مثيلاتها في أوروبا وفي جميع القارات ، بما في ذلك الوطن العربى •

فليس هناك من يشك في التقدم المطرد للحركة الاشتراكية منذ
أيام لينين وإلى اليوم ، غير أن هذا التقدم « الحركة » لم يترافق
بتقدم في مدى استيعاب « النظرية » ، على الأقل في المراحل الأولى
لنشوء الحركات والأحزاب الاشتراكية العلمية •

ان ذلك كله يؤكد مصداقية موضوع لينين في هذا الصدد والتي
تشمل كل الحركات الاشتراكية الوليدة : « ولابد لكل مطلع على وضع
حركتنا الواقعى ، وان جزئيا ، من أن يلاحظ ان انتشار الماركسية
الواسع قد رافقه بعض الانحطاط في المستوى النظرى • بسبب
النجاحات العملية التى أحرزتها الحركة وبسبب أهميتها العملية انضم
اليها كثيرون ضعيفون جدا أو صفر من حيث الاعداد النظرى » •
(نفسه ، ص ٢٥) •

وليس هناك من يشك في ضخامات الانجازات التى حققتها لحركة
الاشتراكية في اليمن ، غير أن هذه الحركة وصلت في تطورها ونموها
مدى لابد معه لكى تواصل تقدمها باطراد من وقفة مسئولة أمام
النفس ، من مراجعة دقيقة لحصيلة التجربة ، ومن استشراف الافق
المفتوح بلا حدود . أمام التجربة الثورية بمجملها ، ومن تقييم
الخطورة الثورية الفائقة التى يمثلها وجود حزب اشتراكى علمى —

الأول مرة في تاريخ وواقع الوطن العربي — على رأس السلطة الثورية ،
وله امتن الصلات مع كل قوى الثورة العالمية •

ويقدر ما تعظم انجازات هذا الحزب أو أى حزب اشتراكي
علمي حاكم بقدر ما تكون الحاجة ماسة دائما الى التطلع والتعمق
في دراسة واستيعاب الفكر الاشتراكي العلمي ، للتمكن من المضي
باستقامة واطراد في طريق التقدم الاجتماعي ، ومن تجاوز كل منعطف
تواجهه حركة التقدم •

وبالدراسة المتأنية والدائبة والمستمرة للنظرية الثورية ، وبالتغيير
الحثيث والعميق والجذري للواقع الاجتماعي تتكامل الشروط والعوامل
الذاتية والموضوعية لانطلاق الثورة قديما الى الامام •

لقد قال لينين : « فاذا كان الرفاق « اليساريون » لا يتعلمون
الآن كيفية التغلب حتى على مثل هذه الصعوبة الصغيرة ، فان بالامكان
القول عن يقين أنهم اما سيعجزون عن تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا ،
ولن يستطيعوا في نطاق واسع أن يخضعوا ويصلحوا المثقفين البرجوازيين
والمؤسسات البرجوازية واما أنه سيتحتم عليهم أن يتمموا معارفهم في
استعجال ، وبهذا الاستعجال سيعودون بضرر جسيم على قضية
البروليتاريا ، وسيتركبون أخطاء تفوق المعتاد ، ويظهرون ضمنا وعجزا
يتجاوز الحد المتوسط ، وهلمجرا ، وقس على ذلك » • (نفسه
ص ١١) •

وليس هناك شك في أن الحزب الاشتراكي اليمني قد بلغ حدا
من التطور يتيح له معالجة كل جوانب وملامح مشكلات التخلف والتقدم ،
بما يتيح له الانطلاق قديما الى الامام في طريق التوجه الاشتراكي
الذي اقتحمه بالفعل وتحويل الثورة الى ثورة اشتراكية ، ودفع اليمن
كلها — خلال ذلك كله — على طريق الوحدة الديمقراطية التقدمية •

مسيرة ثورية ...

تاريخية متقدمة ...

أبدا (*)

العملية الثورية أكثر صعوبة وتعقيدا وخطورة من أية عملية جراحية • وأمهر طبيب في الجراحة لا يمكن مقارنته بالثوري الذي يقرر بطن المجتمع القديم ليستخلص منه الكائن الاجتماعى الجديد • وأية عضلات قد يصادفها الطبيب الماهر وهو يجرى عملية قيصرية ليست شيئا اذا ما قورنت بالمعضلات التى يواجهها الثورى — حتى وان كان ثوريا محترفا — أثناء قيادته للعملية الثورية •

والعملية الثورية لا تتحقق دفعة واحدة ، وانما هى تمر بعدد أطوار ومراحل ، وتعقيداتها النابعة من طبيعتها أو من مقاومة خارجية لا تنتهى الا بانتصارها الكامل وبقيام ورسوخ النظام الاجتماعى الذى عملت على توليده وتخليقه ورسم سماته •

ولان العملية الثورية ، حتى وان جرت فى أقصى أنحاء الأرض ، تواجه ليس فحسب بالمصاعب الداخلية الناتجة عن تركة الماضى

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩/٥/١٩٨٤ •

الثقيلة ، وعن نقص في خبرة ودربة الثوار أنفسهم ، وانما أيضا بمؤامرات العدو الخارجى الذى تمثله في عصرنا الراهن الامبريالية العالمية وحليفاتها الصهيونية ، وركيزتها الرجعية الدولية — لذلك فانه ينبغي اعداد الناس لصراع مرير وطويل متعدد الألوان والظلال .
منتسب الميول والاتجاهات •

ان ذلك كما ينطبق على العملية الثورية الاشتراكية ، فانه يسرى بالأحرى على العملية الثورية الديمقراطية ذات الوجهة الاشتراكية •

وحين تقود الطبقة العاملة العمليتين فانهما لن تصطدم بمقاومة عدوها الطبقي المكشوف ، البرجوازية المحلية والعالمية فقط ، وانما كذلك بضيق أفق بعض عناصر الطبقة العاملة ذاتها ، ناهيك عن تعثر ثورية عناصر من البرجوازية الصغيرة •

غير أنه عبر عملية التغيير الثورى تتوالد عناصر ، بل وأجيال جديدة لا تمت بصلة الى العناصر والأجيال الثورية السابقة الا بصفتها استمرارا ثوريا أكثر تطورا وأكثر قدرة على بناء دعائم العهد الجديد • وفوق ذلك فان تربة الواقع الاجتماعى التى حرثتها الثورة تكون أكثر خصوبة وقابلية لاحتضان النظام الجديد ، ومده بنسج الحياة ومقومات النمو والتطور والاستمرار •

يلخص ماركس مراحل هذه العملية الثورية بكل تعقيداتها بقوله أنه على الطبقة العاملة « ان تخوض نضالا طويلا ، وان تجتاز سلسلة كاملة من العمليات التاريخية التى تغير الظروف والناس تغييرا تاما • وما ينتظر الطبقة العاملة ليس بمثل عليا تحققها ، انما عليها أن تفسح فقط مجالا لعناصر المجتمع الجديد التى تطورت في احشاء المجتمع البرجوازى القديم بسبيل الانهيار » • (ماركس — انجلس ،منتخبات

في ثلاثة مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ،
١٩٨١ ص ٢٦٩) •

وأيا كانت التعقيدات التي تمر بها العملية الثورية ، والعقبات
التي تجتازها ، فإن لواء النصر معقود — كحتمية تاريخية وثورية —
للطبقة العاملة التي أوكل إليها مجرى التطور الاجتماعي ذاته تنفيذ حكم
التاريخ في نظام القهر والعبودية والاستغلال •

وفي هذا الصدد يورد ماركس مثل هذه المقارنة التاريخية
المبدئية والعميقة الدلالة : « وللانتقام من جرائم الطبقات الحاكمة كانت
توجد في ألمانيا في القرون الوسطى محكمة سرية تسمى « محكمة
غيما » • فإذا ما كان صليب أحمر مرسوماً على بيت ما ، فقد كان
الناس يعلمون أن صاحبه قد حكمت عليه (غيما — الكاتب) • أما
الآن فإن الصليب الأحمر الملغز مرسوم على جميع البيوت في أوروبا •
والتاريخ نفسه هو الآن القاضي ، أما منفذ حكمه فهو البروليتاريا •
(ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاثة مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ،
دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٢٤٩ — ٢٥٠) •

ولأن العصر الذي دشنته ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى غدا
عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ، عصر البروليتاريا العالمية ،
عصر تطور حركات التحرر الوطني وتحول الثورات الديمقراطية إلى
ثورات اشتراكية ، فإن حكم التاريخ لم يعد مقصوراً على أوروبا
البرجوازية ، وإنما غدا يشمل كل قارات الأرض ، المتطور والمتخلف
منها ، الذي عرف الرأسمالية والرأسمالية الاحتكارية ، والذي ما يزال
في مرحلة ما قبل الرأسمالية ، أو في مرحلة الرأسمالية الضعيفة أو
المتوسطة التطور •

ولقد نفذ حكم التاريخ بالفعل في أقطار عديدة من أوروبا

— ١٣٤ —

وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وهناك أقطار أخرى تشحذ ثوراتها
المسلح لتنفذه في أنظمتها الهرمة والمنخورة •

وحتى الثورات الوطنية التي أصيبت بالنكسة أو الردة بفعل
قيادة البرجوازية الصغيرة الضيقة الأفق لها فإنها قدمت الدرس
المفيد والبلغ الذي يتمن فيه الثوار الطويلو النفس جيدا ، ويقدمون
منغزاه لشعوبهم ، حتى يتسنى لها أن تعرف من واقع مرارة التجربة
التي عاشتها ، وخيبة الامل الثورية التي منيت بها ، ان سبيل خلاصها
وخلص أوطانها لن يتحقق على يد أى فئة من فئات البرجوازية ، حتى
الثورية منها ، ذلك أن ثورتها محكومة بمصلحتها الطبقيّة الانانية ، وانما
يتحقق على يدها هي ذاتها ، على يد جماهيرها الشعبية العريضة والفقيرة
من عمال وغلاحيين وكادحين ، على يد طلائعها التقدمية المدركة لمنحنى
المسيرة التاريخية وللقوى الثورية الحية الحركة فيها •

ان أحزاب الاشتراكية العلمية في الوطن العربي تحدد اليوم
بوضوح قاطع الشروط الموضوعية والذاتية ، الداخلية والخارجية اللازمة
للمضى بالثورات الوطنية الديمقراطية في طريق انجاز كامل المهام
الموضوعة أمامها ، وللانتقال من ثم الى مرحلة بناء الاشتراكية •

وبعثت من جديد مقولة لينين النظرية التي وضعها منذ مطلع
القرن العشرين والتي كادت تنسى حتى من قبل أمثال خروشوف ، والتي
جزم فيها بأنه فقط بقيادة الحزب البروليتارى المستقل وبانشاء أعرض
تحالف جماهيرى عمالى — غلاحي ، وبالتلاحم مع الحركة الاشتراكية
العالمية يمكن المضى بالثورات الديمقراطية الوطنية حتى أبعد غاياتها ،
وجعلها من ثم خطوة في اتجاه الاشتراكية ، وان الديمقراطية الثورى
الحقيقى والاصل هو الذى لا يشعر بالوجل من ذكر الاشتراكية ،
وهو الذى لا يتقاعس عن المضى بالثورة الديمقراطية البرجوازية الى

الامام حتى تحقيق الاشتراكية ، وانه ليس هناك موقف وسط قط ، اذ أن الوسط هو المستنفع ، هو الغرق في الوحل ، هو التوقف ، هو التراجع ، وهو ما أثبتته النكسات المهينة والردات المذلة التي حاقت بأنظمة وطنية ديمقراطية على رأسها النظام الهرمى الشامخ الذى أقامه عبد الناصر وانها بعد وفاته حتى القواعد •

منذ البداية نبه لينين الى أنه فقط الماركسيون الاردياء ، والاشتراكيون الشوفينيون « لا يدركون » (اذا بحثنا فى أسس رأيهم النظرية) ما هى الامبريالية ؟ ما هى الاحتكار الرأسمالية ؟ ما هى الدولة ؟ ما هى الديمقراطية الثورية ؟ لان من يفهم هذا ، لابد أن يعترف بأنه يستحيل السير الى أمام دون السير نحو الاشتراكية « ذلك أن أى انجاز اجتماعى فى ظل الديمقراطية الثورية ، ومن أجل جماهير العمال والفلاحين ، العمود الفقرى لهذه الثورة ، وفى « مصلحة الديمقراطية الثورية » يكون حينئذ « على وجه الضبط خطوة نحو الاشتراكية » • « أما أن يكون المرء ديمقراطيا ثوريا بالفعل • وأنذاك لا يكجوز الخوف من الخطوات نحو الاشتراكية • وأما أن يخالف الخطوات نحو الاشتراكية ، ويشجبها على طريقة بليخانوف ودان وتشيرنوف بذرائع مفادها أن ثورتنا برجوازية ، وانه لا يجوز « ادخال » الاشتراكية ، وهلمجرا ، وأنذاك ينزلق حتما نحو كيرنسى وميلوكوف وكورنيلوف ، أى يقمع بطريقة دواوينية رجعية المطامح « الديمقراطية الثورية » لدى جماهير العمال والفلاحين • ولا وسط ••• لا يمكن المراوحة فى التاريخ على العموم ، وأثناء الحرب على الخصوص • انما يجب السير أما الى الامام وأما الى الوراء » • (لينين ، المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ٧ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٠ ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ - ٢١٦) •

ان ما حذر منه لينين وما ارتكبته البرجوازية الصغيرة فى ظل الديمقراطية الثورية التى أقامتها بقمعها بطريقة دواوينية وبوليسية

— ١٣٦ —

للمطامح الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هو الذى سهل مهمة قوى الردة الداخلية والخارجية فى ضرب أنظمتها الديمقراطية الثورية التى قادتها •

لقد كانت هذه الانتكاسات برهانا قاطعا على صحة مقولة لينين النظرية بأنه ليس هناك موقف وسط ، متأرجح ، بين بين ، وان الديمقراطية الثورية اما أن تتقدم نحو الاشتراكية ، أن تصبح خطوة نحوها — وذلك لن يتأتى الا بقيادة الحزب الاشتراكى العلمى لها والا بتحالف وطيد يجمع العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، والا بتعاون وثيق مع الحركة الاشتراكية العالمية ، وخاصة فى البلدان التى تكون قد ظفرت بالسلطة فيها — وأما أن تمنى بالاخفاق الذريع •

ان التقدم المطرد الذى حققته الديمقراطيات الشعبية فى أوروبا وآسيا ، بقيادة أحزابها الاشتراكية العلمية ، التى تمكنت من القيام بأعمق الإصلاحات الديمقراطية الثورية قبل أن تنتقل الى المرحلة الاشتراكية ، وان المسير الظاهر للدول الوطنية الديمقراطية الحديثة التى تمسك بالقيادة فيها الأحزاب الطليعية ، التى أخذت تطور ثوراتها وتدفع بها فى طريق التوجه الاشتراكى — ان ذلك كله لهو البرهان التاريخى الذى لا يدحض على صحة المقولة اللينينية الأنفسه الذكر والمتعلقة بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، والتى تشكل جزءا لا يتجزأ من نظرية الاشتراكية العلمية •

ان اليمن الديمقراطية هى احدى الحقول الخصبة التى أثمر فيها هذا الفكر النظرى العلمى تجربة ثورية هى الأولى الواعدة والفريدة حتى الآن فى الوطن العربى كله •

ان هذه التجربة تثبت أن بلدا صغيرا ، ضعيف التطور ، شحيح الامكانيات ، قليل السكان ، بعيدا عن أن يكون أحد المراكز التاريخية

التقليدية للأمة التي ينتمى إليها ، يمكنه في عصرنا الراهن — عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية — أن يعوض كل عوامل الضعف والقصور الموضوعية ، اذا ما توافرت له عوامل النضوج الذاتية والمستوى الضرورى من الوعى والتنظيم — بالمفهوم الاشتراكى العلمى — واذا ما وضع يده فى يد القوى الثورية الحليفة فى العالم ، واذا ما تقيدت جميع كتائبه بالانضباط التنظيمى الصارم . والطاعة الحزبية الحديدية ، وسارت خلف قيادة أركانه الثورية تصنع البطولات ، وتجترح المعجزات .

والحزب الاشتراكى ايمنى القائد لهذه التجربة الريادية الشجاعة والمهمة يضع فى حسبانهم ويستلهم دائما خبرة حزب لينين المجرب فى هذا الصدد ، التى أوجزها لينين بقوله : « وتاريخ البلشفية وحده خلال كامل عهد وجودها بامكانه أن يشرح شرحا وافيا لماذا استطاعت أن تبنى وتصور فى أصعب الظروف نظام طاعة حديديا لا بد منه لانتصار البروليتاريا . وقبل كل شيء نجد هذا السؤال ، وهو : بم يدعم نظام الطاعة فى حزب البروليتاريا الثورى ؟ وبأى شىء يجرى تجربيه ؟ وبم يعزز ؟ أولا ، بوعى الطليعة البروليتارية ووفائها للثورة ، وبثباتها ، وبطولتها وروح التضحية عندها . وثانيا ، باستطاعتها الترابط والتقارب ، واذا شئتم الاندماج لحدها ، مع أوسع جماهير الكادحين ، وفى الدور الأول مع جماهير البروليتاريا ، وكذلك مع الجماهير الكادحة غير البروليتارية ، ثالثا بصحة القيادة السياسية التى تقوم بها هذه الطليعة ، وبصحة استراتيجيتها وتكتيكها السياسيين ، شرط أن تقتنع أوسع الجماهير الكادحة بهذه الصحة بتجربتها الخاصة ، وبدون هذه الشروط لا يمكن تحقيق نظام الطاعة فى حزب ثورى كفاء حقا ، ليكون حزب الطبقة المتقدمة المدعوة الى اسقاط البرجوازية ، وتحويل المجتمع كله » . (لينين ، مرض « اليسارية » الطفولية فى الشيوعية) دار التقدم ، موسكو ، ص (١٠) .

خطوة ١٢ يونيو التصحيحية وقيام الحزب الاشتراكي اليمنى حدد المصير التاريخى للثورة(*)

ثورة ١٤ أكتوبر هى الثورة العربية الوحيدة حتى الآن التى عرفت
كيف تخرج من عنق الزجاجة الضيق الذى اختنقت فيه كثير من الثورات
العربية وغير العربية *

فبعد الاستقلال مباشرة كان عليها أن تجيب على السؤال الطبيعى
والحتمى الذى تواجهه كل ثورة تحرر وطنى الا وهو : أى طريق
ينبغى على الثورة أن تمضى فيه ؟ الطريق الاصلاحى البرجوازى الليبرالى
الذى يدخل بعض التحسينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية
والثقافية والادارية على البنية الاجتماعية - الاقتصادية الموروثة ،
ويلتزم ما بين المصالح القطاعية وشبه القطاعية والقبلية - الابوية
وبين مصالح البرجوازية الأجنبية والمحلية بما يكفل ايجاد صيغة للحكم
وسطية ترضى كل القوى الاستعمارية والقطاعية والبرجوازية ، وتكفل

(*) نشرت فى « الثورى » فى ١٩٨٤/٦/٢٣ .

— ١٤٠ —

مضى المجتمع في طريق التطور التدريجي والبطيء ذى الصبغة الرأسمالية المشوهة والطفيلية والمتابعة ، أم طريق الثورة الوطنية الديمقراطية الجذرية التى تعتبر الاستقلال السياسى مجرد نقطة انطلاق نحو التخلص النهائى من تركة الماضى الاستعمارى — الإقطاعى — القبلى — الابوى — البرجوازى الكومبرادورى * ونحو تحقيق الاستقلال الاقتصادى الكامل ، الذى يتحول أى استقلال سياسى بدونه الى مجرد استقلال شكلى يخفى تبعية من نمط جديد للاستعمار الجديد ، ونحو اعادة صياغة البنية الاجتماعية صياغة جذرية ، وتمكين الطبقات والفئات والقوى الوطنية والشعبية التى حفرت مجرى التحرر الوطنى بأظافرها وسقته بدمائها واضاعته بوهج نضالها من أن تكون هى صاحبة السلطة والسيادة فى عهد الاستقلال ، وان تكون هى المتمتعة بثمراته *

ولقد انقسمت القوى السياسية فى البلاد انقساماً حاداً وفقاً لنوعية الاجابة التى قدمتها على السؤال المطروح * وكان الانقسام اقوى وأعمق وأوضح ما يكون داخل الجبهة القومية ذاتها التى قادت حركة التحرير فى الشطر الجنوبى من اليمن منذ اندلاع ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ * لقد تبنى الفريق المسك بأزمة السلطة المنحى الاصلاحى البرجوازى الليبرالى ، ومضى فيه باصرار وعناد ، بينما تبنى فريق الصف الثانى فى الجبهة القومية ومعه جماهير الجبهة والفصائل الديمقراطية والتقدمية خارجها المنحى الثورى الوطنى الديمقراطى الجذرى *

ورغم أن المؤتمر الرابع للجبهة الذى عقد فى مارس ١٩٦٨ قد انتصر لهذا المنحى واتخذ قرارات واضحة حاسمة فى صالحه ، فإن الفريق اليمى رفضها بقسوة واراد تصفية الحساب مع الفريق اليسارى بالقوة المجردة ، وأقدم لهذا الغرض على قيادة انقلاب

— ١٤١ —

في ذات الشهر بالاستناد الى احتياطي الاستعمار انبريطانى فى الجيش
وبدعم وتشجيع من المحق العسكرى الأمريكى فى عدن •

لقد كان ذلك مظهرا واضحا للصراع الطبقي — السياسى الذى
أخذ يحتدم ويتفاقم فى البلاد بين البرجوازية الاصلاحية اليمينية
المتخالفة مع قوى المجتمع القديم والمتواطئة مع دوائر الاستعمار
القديم والجديد وبين قوى الشعب الثورية من عمال وفلاحين
ومثقفين ثوريين — عسكريين ومدنيين — وبرجوازية صغيرة •

ولم يدم الصراع طويلا ، حيث تمكنت قوى الشعب الثورية فى
٢٢ يونيو ١٩٦٩ من القيام بخطوتها التصحيحية العظيمة التى أطاحت
بها بالفريق اليميني من السلطة والتنظيم السياسى — الجبهة القومية ،
ومن اجهاض مشروعه السياسى الذى كان من شأنه أن يضع البلاد فى
فلك الاستعمار الجديد ، وان يخضعها لحكم البرجوازية والاقطاع
والفلاحين الأغنياء والبيروقراطية العسكرية •

وبهذه الخطوة الثورية المباركة وضعت البلاد على طريق التحويلات
الجذرية والحاسمة التى نسفت بها البنية الاجتماعية — الاقتصادية
شبه الاقطاعية — شبه القبلية شبه البرجوازية ، ومزقت علاقات التبعية
مع السوق الاستعمارية ، وأمت مصالح الاحتكارات الأجنبية الى جانب
المصالح البرجوازية المحلية المرتبطة بها ، وضرب البناء الفوقى
السياسى — الادارى — العسكرى — البوليسى — الأيديولوجى ، وأقيم
بناء جديد على انقاضه قادر على قيادة عملية التحويل الثورية لبنية
المجتمع فى الاتجاه الوطنى الديمقراطى ، وعلى اعادة بناء الاقتصاد
الوطنى المستقل والمتطور وفق خطط مدروسة وبما يكفل الارتفاع
بالمستوى المادى والروحى لجماهير الشعب العريضة ذات المصلحة
فى الثورة وبما يمكن من اقامة الأساس المادى — التكنيكى وتطوير

— ١٤٢ —

القوى الاجتماعية — الطبقيّة الجذريّة الدافعة للمجتمع في طريق انجاز كامل أهداف الثورة الوطنيّة الديمقراطيّة ، وفي طريق إقامة النظام الديمقراطيّ الشعبيّ ، وفي طريق التوجه الاشتراكيّ •

وكان انجاز هذا المشروع السياسيّ الثوري الديمقراطيّ الطموح والواضح يقتضى إعادة تنظيم قوى الثورة ، وإعادة حشد الجماهير الشعبيّة • ومن أجل ذلك جرى حوار ديمقراطيّ مسئول بعد خطوات التصحيح مباشرة بين التنظيم السياسيّ — الجبهة القوميّة وبين الاتحاد الشعبي الديمقراطي وحزب الطليعة الشعبيّة انتهى بتوقيع اتفاقية ٥ فبراير ١٩٧٥ التي قضت بقيام تنظيم انتقاليّ اسمى التنظيم السياسيّ الموحد — الجبهة القوميّة ، يمهّد لقيام حزب طليعيّ من طراز جديد ، وهو التنظيم الذي تشكل بالفعل في أكتوبر من ذات العام •

ولقد ساعد قيام هذا التنظيم الانتقاليّ على حشد أوسع ' انجماهير الشعبيّة خلفه وخلف النظام الوطني الديمقراطيّ الجديد •

وكان واضحاً لهذا النظام الثوري ولأداته القياديّة أنّه ليس في الامكان النهوض بكافة مهام الثورة الوطنيّة الديمقراطيّة والبلوغ بها الى المرحلة اللاحقة ، بدون دعم شامل مادي وتكتيكي وعسكري وسياسي ومعنوي من كل قوى الثورة في العالم ، وخاصة من تلك التي تمكنت من إقامة النظام الاشتراكيّ ، وعلى رأسها وطن الاشتراكية الأول : الاتحاد السوفييتي •

وهكذا أقامت الثورة بعد حركة التصحيح مباشرة جسراً من العلاقات المتينة والمتنوعة مع الاتحاد السوفييتي ، والدول الاشتراكية الأخرى ، ومع فضائل الثورة العربيّة والعالميّة •

وبذلك كله خرجت ثورة ١٤ أكتوبر من عنق الزجاجة الضيق الذي

اختلفت فيه كثير من الثورات العربية وغير العربية ، وانطلقت بقوة متعاضمة في طريق التطور الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي ، والنمو الثقافي ، واحتلت في نفس الوقت مكانة مرموقة على صعيد النضال العربي والعالمي .

غير أن الثورة واجهت - على مستوى السلطة - خطرا محققا ، وذلك بحكم الخطوات المتقدمة التي قطعتها الثورة وتجاوزت بها - سواها من الأنظمة العربية الأخرى .

صحيح أن هذا الخطر لا يختلف من حيث جذوره الطبقيّة عن الأخطار التي واجهتها كثير من هذه الأنظمة العربية وغير العربية ، وقادت الى ترنحها ومن ثم الى سقوطها . لقد كان هذا الخطر يتمثل في ظهور نتوء برجوازي صغير مصاب بالتذبذب والتقلقل والتجنح في مبدأ الأمر يسارا والميل آخر الأمر يمينا . ان ما يتميز به هذا النمط من البرجوازية الصغيرة المتذبذبة هو جنوحه الشديد - في بداية الأمر - صوب اليسارية الى حد الانتهازية . وهذا النمط لم يعرفه أى نظام عربى وطنى قط .

وكأى تجنح يسارى ينطلق من أرضية تقليدية يمينية ، ومن أرضية قروية مصابة بالتشويش والفوضوية ، لانه كان لابد وان يتحول الى تجنح يمينى ، وان يميّط بذلك عن هويته الطبقيّة وحقيقته السياسية .

غير أن تيار الثورة الوطنى الديمقراطى الجارف ما لبث أن عصف بهذا النتوء اليسارى الانتهازى بعد أن انكشف زيف يساريته ، وظهر بوجهه اليميني السافر والفاضح ، وقام بمحاولة انقلابية ضد الثورة وتنظيمها السياسى في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ، هذه المحاولة التي أحبطت في اليوم التالى مباشرة ، وكرست قوى الثورة بالانتصار فيها ثاني أهم منجزاتها بعد خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ .

فبهذا المنجز الثورى العظيم ففتح الطريق لقيام الحزب الطليعى ، الحزب الاشتراكى اليمنى ، الذى قام فى أكتوبر ١٩٧٨ ، كما ففتح الطريق لاكمال مهام الثورة الوطنيه الديمقراطيه وللمضى فى طريق التوجه الاشتراكى •

ان الدروس التى قدمتھا وتقدماتھا تجربہ الثورة فى اليمن الديمقراطيه لھى من الأهمية والغنى والعمق بحيث لا تستدلىع أى حركة ثوريه عربيه وغير عربيه الا التوقف أمامھا لتأملھا واستلھامھا والافادة منها •

ان سر نجاح هذه التجربة يعود الى أنها استرشدت فى نضالھا بقوانين التحول الاجتماعى الديمقراطى التى نبهت اليھا الاشتراكية العلمية ، والتى أوضحت بجلاء أن التحقيق الكامل والمنسجم للثورة الوطنيه الديمقراطيه والذى يجعل منها من ثم خطوة على طريق الاشتراكية غير ممكن الا اذا قاد هذه الثورة حزب طليعى يتبنى ايديولوجية الاشتراكية العلمية . ويقيم أوسع تحالف جماهيرى لقوى العمال والفلاحين الكادحين والمثقفين الثوريين والفئات المناضلة الأخرى ، وينشئ امتن العلاقات مع قوى الثورة العالميه وخاصة مع البلدان التى تكون الطبقة العامله قد ظفرت بالسلطة فيها •

ولقد انعكس الوعى بهذه القوانين فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى الذى جاء فيه : « ان حزبنا يرى ان الثورة الوطنيه التحريره ، لحي تحقيق كامل أهدافھا . لا بد لھما من مواصلة السير بثبات ودون تردد فى عملية التحولات الاقتصادية والاجتماعيه والسياسيه الجذريه ، بالاستناد الى ايديولوجية علميه • ومن موقع طبقي واضح • ان ايديولوجية الطبقة العامله وتنظيمھا الثورى ، هما الوحيدان القادران على تحقيق مهام التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى بشكل ناجز ،

وهما الوحيدان القادران على لعب دور طبيعي في اطار التحالف الوطني الطبقي العريض الذي يعبر عن مصالح الفئات الشعبية الكادحة بسواعدها وادمعتها ذات المسلحة في الخلاص الكامل والنهائي من الاستغلال والاضطهاد والقمع الاجتماعي والقومي » • « وفي عصرنا ، عصر الانتمال من الرأسمالية الى الاشتراكية والذي تشكل فيه ثورات التحرر الوطني العالمية جزءا من الثورة الاشتراكية على الصعيد العالمي ، وفي ظروف موازين القوى الدولية الراهنة بشكل خاص ، يستحيل على أى جزء من حركة التحرر الوطني هذه في أى منطقة من مناطق العالم ، أن يتمكن من انجاز مهماته دون اتخاذ موقف حازم وثابت ومنسجم في العداء للامبريالية ، ودون التحالف مع الحركة الثورية انعمالية وقبوتها الأساسية المظلومة الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي » • (ص ٣ ، ٩)

على ان وجود حزب اشتراكي علمي على رأس العملية الثورية يجسد بحق نهج البروليتاريا وروحها • هو أهم عامل داخلي يكفل تحول الثورة الديمقراطية الوطنية الى ثورة اشتراكية •

واذا كانت خطوة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية قد مثلت نقطة الانعطاف التاريخي للانطلاق بثورة ١٤ أكتوبر في طريق انجاز واكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية فان قيام الحزب الاشتراكي اليمني قد مثل أهم شرط ذاتي للمضي بها الى النهاية ، ولتحويلها الى ثورة اشتراكية ، عبر النضال الدائب لتحقيق اليمن الديمقراطي الموحد المزمع •

بقيام الحزب الاشتراكي اليمني

اقتحمت ثورة ١٤ أكتوبر

آفاق التوجه الاشتراكي(*)

في عصرنا الراهن ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ،
غدا غير ممكن حل المهام الاستراتيجية لحركات التحرر الوطني في
العالم النامي الا عبر النضال الدائب والحازم والمستقيم ضد الامبريالية
وركائزها المحلية •

وأثبتت التجارب التاريخية العديدة في هذا العالم أن قيادة
هذا النضال الى نهايته الظافرة غير ممكن ما لم تتسلم مركز القيادة
فيه اكثر القوى جذرية وتقدمية في المجتمع •

فالبرجوازية الصغيرة — أيا كانت ثورتها — كما فشلت في الغرب
منذ قيام أول ثورة برجوازية ديمقراطية فيه تحت قيادتها عن المضي
بهذه الثورة حتى نهايتها الطبيعية التي حلمت بها هي ذاتها ، وتركت
مكانها فيها للبرجوازية الكبيرة وحلفائها من ملاكي الأرض ، فأن هذه
البرجوازية الصغيرة في الشرق التي قادت الثورات التحررية الوطنية
الديمقراطية فيه لم تستطع مواصلة المسيرة الثورية وتحقيق أهدافها

(*) نشرت في « الثوري » في ١٢/١٠/١٩٨٤ •

الاستراتيجية في التحرر الوطنى الكامل ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المستقلة ، والتقدم الاجتماعى الشامل ، والوحدة القومية أو الوطنية الديمقراطية ، والحرية السياسية الحقيقية .

وحتى تلك الخطوات التى أمكن انجازها فى هذا الاتجاه ما لبثت الامبريالية وركائزها الرجعية والاصلاحية المحلية أن التفت عليها واطاحت بها .

لقد كانت الثغرات وقصور النظر فى نظام البرجوازية الصغيرة الثورية هى المنافذ التى ولجت منها حركات الردة الرجعية هذه التى وضعت على رأس السلطة قوى البرجوازية الطفيلية والكومبرادورية ، والبيروقراطية العسكرية والمدنية المتبرجة التى أغفدت بلدانها حتى ذلك القدر من الاستقلال الوطنى الذى كانت قد حققتة ، واعادت ربطها بعجلة التبعية الاقتصادية والمالية والسياسية والعسكرية والثقافية للامبريالية الدامية .

ولن تغفل من ذات المصير أنظمة البرجوازية الصغيرة التى تعاني من ذات الخلل البنىوى ، والقصور الأيديولوجى ، وضيق الأفق السياسى ، وروح التسلط الفتوى ، والتى ترغض فهم طبيعة العصر وحقيقة أنه حتى تحقيق مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية غير ممكن بدون تكوين أوسع تحالف جماهيرى من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والمثقفين الثوريين تشارك فيه بحرية كاملة الأحزاب والتنظيمات الثورية الممثلة للمصالح العامة والخاصة لقوى هذا التحالف الواسع والعريض ، وبدون انبثاق نواة طليعية قيادية لهذا التحالف تدرك جيدا أن تحقيق كامل مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية مرتبط ارتباطا عضويا ومصيريا بالمضى قدما الى الامام ودون تلكؤ نحو الاشتراكية ، وبدون التعاون الشامل الذى يبلغ حد التحالف مع قوى

النورة العمالية وفي طليعتها المعسكر الاشتراكي ، وعلى راسه الاتحاد
السوفييتي ، حصن هذه الثورة وقاعدتها .

وفي الشرق ، كما في الغرب ، لعبت الاتجاهات والميول الاستراتيجية
الشوفينية والاصلاحية الوسطية ، والطفولية الموضوعية ، ادوارا في
تضليل وتعطيل وعرقلة سير هذه الثورات ، وفي الحيلولة دون تحقيق
كامل اهدافها الديمقراطية ، ودون تحويلها — بالطريق المبدئي الصحيح
والمستقيم — الى ثورات اشتراكية .

وبذلك وقعوا جميعا في الانتهازية السياسية والتكتيكية وعمى
الشوفينية الوطنية والقومية التي لم تفقد منها سوى البرجوازية
المحلية والامبريالية العالمية .

ولم يقع في هذا الشرك مثقفون صغار ، وانما مثقفون ضخام ،
كانوا ذات يوم من أساطين الفكر الماركسي أمثال برنشتاين وكاوتسكي
وبليخانوف وتروتسكي .

ومن قبل قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى كان لينين قد
اعتبر الاشتراكيين الشوفينيين ، الاشتراكيين قولا والشوفينيين فعلا .
بأنهم « هم خصومنا الطبيعيون » وقد انتقلوا الى جانب البرجوازية «
أما الوسط ، فهو اضاعة الى أنه لا يتقن غير الثروة الكلامية ،
والديماجوجية الدعائية ، لا يمثل فئة اجتماعية محددة ، وانما حالة
عابرة وبقيّة زائلة من حقبة سياسية تجاوزتها حركة التطور الاجتماعي
والثوري ، ذلك « ان « الوسط » انما هو مملكة التعابير البرجوازية
الصغيرة » وان ممثلية « اناس رثييون ، فرضتهم عفوية مهترئة ، واغسدهم
جـو البرلمانية ، ... الخ . موظفون اعتادوا المناصب الدائنة ،
والعمل « المريح » وهم تاريخيا واقتصاديا لا يمثلون فئة خاصة ، بل

يمثلون فقط الانتقال من مرحلة ولت من مراحل الحركة العمالية ... الى المرحلة الجديدة التى غدت موضوعا ضرورية منذ الحرب لامبريالية العالمية الأولى التى دشنت عهد الثورة الاجتماعية » • (لينين ، موضوعات نيسان ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٥٦ ، ٥٧) •

وكما شبه لينين الوسطية الاصلاحية بالمستنقع الذى لا تفوح منه سوى الروائح العطنة الكريهة المزكمة للأنوف ، فانه شبه اليساريين الطفولية بالجرب الخبيث : « الجرب مرض مؤلم • وعندما يتركك جرب الجملة الثورية الناس ، فان مجرد مشاهدة هذا المرض تتسبب بعذابات لا تطاق •

فان الحقائق البسيطة الواضحة ، المفهومة الجلية • التى تبدو ثابتة لامراء فيها بالنسبة لكل ممثل عن الجماهير الكادحة • انما يشوهها أولئك الذين أصيبوا بضرب من مرض الجرب المشار اليه آنفا • ولا يندر أن ينجم هذا التشويه عن خبرة الدوافع وأنباها وأسمائها ، عن « مجرد » عدم هضم بعض الحقائق النظرية ، أو عن ترديدها فى غير محلها بطريقة الأطفال الخرفاء ، بطريقة التلاميذة غير الواعية (فان هؤلاء القوم ، كما يقال ، « لا يعرفون كوعهم من بوعهم ») ، ولكن الجرب لا يكف من جراء ذلك عن أن يكون جربا خبيثا •

ونبه لينين الى أن مرض الجملة الثورية لم يقصد الى غيرها هلاك الثورة • (لينين ، بصدد الجملة الثورية ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٣٦ ، ٣٧) •

لقد أوضح مجرى العملية الثورية فى العالم أن ثورية البرجوازية الصغيرة تضعف وتتدننى كلما ارتقت هذه العملية درجة أعلى ، وكلما ظهرت فى ميدان النضال قوة اجتماعية أكثر ثورية ، وأعظم فاعلية ، ففى الثورات البرجوازية الكبرى التى عرفها الغرب ، وعلى رأسها

الثورة الفرنسية ، كانت البرجوازية الصغيرة ، ومثقفوها ، هي قلعة الزحف ، وصانعة التاريخ ، وان كانت لهم تستطع الاحتفاظ بالسلطان ، حيث سقطت — في آخر الأمر — في يد البرجوازية الكبيرة ، وحلفائها من ملاك الأرض المتبرجين . وعندما اقتحمت البروليتاريا معترك النضال بصبوة ثورية وهمة نضالية غير مسبقتين . خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر أصاب البرجوازية الصغيرة الفزع ، وتراجعت ثورتها الى الوراء ، وولت وجهها شطر البرجوازية الكبيرة ، ومنعندما أهدمت البروليتاريا الروسية بزمم المبادرة التاريخية وفجرت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، فان جميع ممثلي البرجوازية الصغيرة ، حتى أولئك الذين رفعوا رايات الماركسية منهم والذين ارتدوا عنها عمليا ، وناصبوا الثورة العداء ، أصبحوا مجرد أخصوان للبرجوازية .

وكما كتب لينين فان « البرجوازية هي فعلا قبضة لطيفة تسيطر حتما في النظام الرأسمالي سواء في بلد ملكي ، أم في أو في الجمهورية ديمقراطية ، وتتمتع حتما أيضا بمساندة البرجوازية العالمية ، وفي حين أن البرجوازية الصغيرة — أي ، جميع أبطال الاممية الثانية ، والاممية « الثانية والنصف » — لا يمكن لها أن تكون ، بطولكم ايجور ، القضية الاقتصادية ، الا تعبيراً عن العجز الطبقي . ومن هنا انزعجت البرجوازية الصغيرة ، وجعلها الطنائة الفارغة ، وهزها . في عام ١٨٧٨ كان لا يزال في مستطاع البرجوازيين الصغار أن يكونوا ثورين كجباله ، وفي عام ١٨٤٨ كانوا مدعاة للسخر والشفقة ، وفي ١٩١٧ — لا يزالوا عبيدا أعوانا للرجعية يثيرون الاشمزاز وخدماء ساغرين لها بحكم ادورهم . الحق يقال سواء كانوا يسمونهم تشيرنوف ، أو مارتوف ، أو كاوتسكي أو فاكينونجاء ، الخ ... الخ » (لينين ، المختارات في ثلاثة مجلدات ، المجلد الثالث ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، مسكو ، ص ٢١٨ — ٢١٩) .

وما حدث في الغرب حدث ما يشبهه في الشرق معال نعيم وتجهتود

الفارق ، فلقد لعبت البرجوازية الصغيرة أدوارا ثورية بارزي وقيادية في حركات التحرر الوطني وفي اقامة الأنظمة الوطنية المستقلة ، وفي تجديد المجتمع . غير أنه ما حدث تلوح أمامها راية قوى اجتماعية وسياسية أكثر ثورية ، وأبعد همة ، وأعظم طموحا — راية جماهير العمال والفلاحين الفقراء والمثقفين الاشتراعيين العلميين — حتى سارعت الى تمزيق هذه الراية او طيها أو حجبها عن الأنظار ، وحتى لا تبقى في المساح سوى رايتها التي على الجميع الانصواء تحتها .

والأن البرجوازية الصغيرة لا تستطيع أن تقيم تشكيلة اجتماعية « صغيرة » ولأن الانتاج الصغير لا بد له أن ينمو ويكبر ويتسع ، مهما اتخذ من اجراءات ضد الرأسمالية الكبيرة وحتى المتوسطة ، ولأنه لا بد للبرجوازية الصغيرة من حلفاء يسندونها في السلطة حتى تتوازن فيها ، ولأنها حجت عن القوى الاجتماعية والسياسية الأكثر ثورية وجذرية حق التنظيم الحزبي المستقل ، أو حرمتها من حرية الحركة السياسية النشيطة والفعالة ، ورفضت اقامة تحالف جماهيري منظم وديمقراطي وفعال معها ، يتيح لها المشاركة السياسية ليس فحسب في الدفاع عن النظام ، وانما أيضا المشاركة في السلطة واتخاذ القرار السياسي ، لذلك كله فإنه كان لا بد أن يسقط حكم البرجوازية الصغيرة وان يعتلى دست السلطة الحليف البرجوازي الأكبر الذي تكون ونما في ظلها ، والتمثل في البيروقراطية العسكرية والمدنية — أى في الطبقة الجديدة — وفي تلك الأوساط من البرجوازية القديمة التي قبعت في الظل بعض الوقت ، والتي أخذت تنسج الخيوط وتتآمر مع الطبقة الجديدة حتى أتيح لهما معا الانفضاض على السلطة واعادة عقارب الساعة الى الوراء .

ليس هناك موقف وسط ، وليس هناك خيار ثالث من أجل تحقيق استراتيجية الثورة الوطنية الديمقراطية في التحرر السياسي والاقتصادي

والعسكري والثقافي ، وفي التوحيد الوطني والقومي ، وفي التقدم الاجتماعي ، وفي الحرية السياسية ، اما ان تذهب البرجوازية الصغيرة مع البرجوازية الكبيرة والطفيلية والبيروقراطية وتذهب سلطاتها في آخر الأمر ، أو أن تذهب مع جماهير العمال والفلاحين الفقراء وممثليهم الطبقيين ، وتضمن لنفسها مكانة اجتماعية ودورا تاريخيا .

والقبول بالخيار الأخير يعني أن البرجوازية انصغرت قد وعيا جيدا أن الطريق أمامها وحدها مسدود ، وأن الطريق الوحيد المفتوح تاريخيا هو طريق السير بالثورة الوطنية الديمقراطية الى النهاية ، وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية .

لقد مضت بالفعل أقسام من هذه البرجوازية في هذا الطريق . وبالأذات تلك الأقسام الديمقراطية الثورية الطليعية التي تفتحت على الفكر الاشتراكي العلمي واسترشدت به .

واليمين الديمقراطية تستطيع أن تقدم نموذجا حيا وملهما في هذا الصدد . وفي طريق انجاز كامل أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، طريق التحرر الوطني والاجتماعي والديمقراطي والوحدة اليمنية التقدمية - في هذا الطريق يقودها اليوم حزب الاشتراكية العلمية ، والاممية البروليتارية ، الحزب الاشتراكي اليمني الذي بقيامه اقتحمت الثورة بالفعل آفاق التوجه الاشتراكي .

ولامكان للمنظمات الجماهيرية والمهنية والابداعية ولكل المثقفين والأدباء والكتاب والاصحفيين والفنانين والرسامين وكل مواطن شريف خارج هذه المسيرة التاريخية الثورية الزاحفة المنطلقة الظاهرة التي لا قبل لأحد بمقاومتها ، أو تضليلها ، أو حرقها عن مجراها ، أو التعقيم والتشويش عليها .

— ١٥٤ —

وكما جاء في افتتاحية مجلة (أدب ونقد) التى يصدرها (حزب
التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى) فى مصر ، فإن على المثقفين
الثوريين خاصة أن يكونوا رسل الثقافة الرفيعة « وأن يكون دورهم
ايجابيا ، فلا يشاركون فى تعمية ، ولا يتحولون الى أدوات للزيف ،
وشعارات للتمويه ، فمن العيب جدا أن يبقى كاتب شريف عضوا
فى اتحاد للكتاب لا يتبنى قضية جادة ، ولا يدعم موقف كاتب مناضل .
ولا يعرف له أحد نشاطا ؟ وان يبقوا على الحياد فى معركتنا السياسية
وأى اصلاح يبدأ منها ويجبىء تابعا لها . »

وان ادعاء الاستقلالية هنا لون من الانتهازية ، لا نرضاه لهم ،
ولا يرضونه الأتفسهم « (العدد ٦ أغسطس ١٩٨٤) »

الحلقة المفقودة والمركزية التي مسكت بها الثورة في اليمن الديمقراطية(*)

عند البحث والتنقيب عن السبب العميق — بين مجموعة من الأسباب — في فشل أو انهيار أو انتكاس العديد من الثورات الوطنية الديمقراطية التي شهدتها « العالم الثالث » الممتد من آسيا الى أفريقيا الى أمريكا اللاتينية سيتضح أن هناك « حلقة مفقودة » لم تعثر عليها أو عجزت عن الإمساك بها هذه الثورات ، مما أدى الى فقدانها السلسلة كلها .

فلقد أمكن لهذه الثورات أن تخرج جفافاً المستعمر من بلدانها ، وأن تنتزع استقلالها السياسي ، وتحقق سيادتها الوطنية . كما أمكنها أن توجه ضربات موجعة الى ركائزها المحلية ، الاقطاعية وشبه الاقطاعية والكمبرادورية ، وأن تحدث تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية عظيمة ، وأن تقيم دولا وطنية ديمقراطية متحررة ، وأن تنشئ علاقات متعددة الجوانب مع أقسام عديدة من قوى

(*) نشرت في « الثورى » في ١٣/٤/١٩٨٥ .

التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم ، وخاصة مع بلشان المنظومة الاشتراكية ، وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي * .

وانجبت هذه الثورات قيادات تاريخية ضخمة من أمثال نهرو ، سوكارنو ، جمال عبد الناصر ، نيكروما ، سيكوتوري .

ومع ذلك فإنه لم يقدر لهذه الثورات أن تفضي الى الامام ، بحيث تنجز كامل أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتضع أقدامها من ثم على عتبة التوجه الاشتراكي .

بل ان هذه الثورات لم تستطع حتى الحفاظ على ما حققته من منجزات وما أحدثته من تحولات .

فعبر المسيرة الثورية تكونت لبعض قوى الثورة مصالحي ، وتمكن منهم حب السلطة ، وتحولوا الى « طبقة جديدة » لا هي مع العودة الى الماضي ، ولا مع المضي نحو المستقبل ، طبقة هي أقرب الى أن تكون فئة مغلقة على نفسها ، محكومة بشروط حياتها الجديدة ، معزولة عن حياة ومصالح جماهير الشعب العريضة .

وبحكم تواجدها في مختلف مؤسسات الدولة ، وهيمنتها على مواقع حساسة فيها ، وتحكمها في مختلف المنظمات الجماهيرية ، ناهيك عن تحكمها في حزب النظام الذي غالبا ما يكون تجمعا هلاميا لا تجانس فيه ، ولا هوية محددة له — لذلك كله فإنه كان دائما من السهل على هذه الفئة لا أن تحتوى الثورة فحسب ، ولا أن تفرغها من محتواها فقط ، وانما أيضا أن تنقلب عليها وعلى قياداتها التاريخية العملاقة — سواء في حياتهم أو بعد وفاتهم — وان تدفع ببلدانها في طريق التطور الرأسمالي ، طريق التبعية الكاملة للرأسمالية الامبريالية . طريق القمع الطبقي ، والقهر الاستعماري .

غير أن الجناح الديمقراطي الثوري ليس بدون مسؤولية عما آلت إليه الثورة • فعدم امساكه بقضية الثورة بقلتها ايدين • وعدم انتباهه بها خدوات ابعده الى الامام • وعدم فرز قوى الثورة من قوى الثورة المضادة • وعدم تاتيل قوى الثورة في جبهة شعبية عريضة • وعدم بلورة طليعة حزبية قيادية من بين صفوفها • وعدم استرشاده • برؤية اجتماعية ثورية علمية متماسكة • وعدم تمتين تحالفه مع قوى التحرر والتقدم والاشتراكية في العالم • واولا وقبل كل شيء مع معقل الثورة البروليتارية السامق : المظلومة الاشتراكية • وفي مقدمتها حسانها الحبيب : الاتحاد السوفيتي • ل ذلك مثل السبب العميق والاخير في انتكاس هذه الثورات •

تلك هي الحلقة المفقودة التي عجزت عن العثور عليها وعن الامساك بها الثورات الموحلنية الديمقراطية في كثير من البلدان النامية • وهذه الحلقة المفقودة كانت هي ذاتها الحلقة المركزية في السلسلة التي يعنى الامساك بها الامساك بالسلسلة كلها — كما قال لينين — •

ان غياب الحلقة المفقودة • • فقدان الحلقة المركزية • • قد ادى الى العجز عن السيطرة على السلسلة كلها ، الى العجز عن الحفاظ على الثورة ذاتها • ناهيك عن التحكم في حركتها وفي مسارها الاجتماعي • ومنحما التاريخي •

وكان من شأن ذلك كله أن يؤدي الى حركة الارتداد الثوري التي اتخذت ابعادا وأشكالا متباينة ، وفقا لعلاقات القوى داخل كل بلد •

وتبرز الثورة في اليمن الديمقراطية كواحدة من الثورات الريادية التي عرفت كيف تمسك بهذه الحلقة المفقودة ، بهذه الحلقة المركزية في السلسلة •

ومن هنا كانت قدرتها على التغلب على العضلات والعقبانات
أتى اعترضت سبيلها •

على أن مما تفردت به الثورة في اليمن الديمقراطية هو تغلبها
على التجنحات اليمينية و « اليسارية » ، وهو أمر لا تخلو منه التجارب
الثورية ، وتتناضل ضده دون هوادة •

وبذلك برهنت هذه الثورة على مدى أصالتها وحيويتها وفراحتها
بين مجمل الثورات العربية التي لم تعان من غير داء واحد هو داء
اليمن ، ومع ذلك لم يتمكن معظمها حتى الآن من استئصاله أو معالجته •

لقيم تجلت الحلقة المفقودة في اليمن الديمقراطية ، وكيف أمكنت
السيطرة عليها ، وأمكن من ثم تأمين السيطرة على مجمل المسيرة الثورية ،
والخى بها قدما الى الامام ، وازاحة كل ما اعترض سبيلها من
عراقبيك ؟

كانت الجبهة القومية التي فجرت ثوري ١٤ أكتوبر وقادتها أقرب
ما تكون الى جبهة شعبية عريضة تضم مناضلين من المدينة والريف وثوارا
من مختلف الطبقات والفئات المقهورة ، بدءا من العمال ، مروراً بالفلاحين
وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة والوسطى ، هذه الطبقات والفئات المنى
وحديثها قضية تحرير الوطن من المستعمر الدخيل وركائزه من
السلالين والمستوزرين ومن مجمل الطبقة الاقطاعية والقوى
الكومبرادورية الدائرة في غلكه ، كما وحديثها قضية الدفاع عن ثورة
٢٦ سبتمبر في شمال الوطن ، وقضية توحيد التراب والشعب اليمني في
ظل جمهورية وطنية متحررة متقدمة •

وحول الجبهة القومية التقت خيرة أبناء الشعب والصفوة المجربة
من مثقفيه • وبفضل ذلك — وبفضل الدعم العربي والتقدمي — أمكن

للجبهة القومية أن تقدم نفسها كأصدق وأقوى ممثل لمصالح وملازم الشعب في التحرر والتقدم والوحدة .

وحتى عندما انتقل الدعم العربي الى صف « جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل » التي منعتها المخابرات الحربية ، بغية احتواء الثورة وتطويعها لخططها المريبة ، كانت الجبهة القومية قد غدت قطب الرضى في ساحة الصراع ، وكانت قد فازت بثقة جماهير الشعب المريضة مما جعل معه زحزحتها من الطريق .

وهكذا بفضل ثقلها الجماهيري المرجح ، ووقوف القوى الثورية الأخرى المنظمة وغير المنظمة الى جانبها ، أمكن للجبهة القومية أن تقود ثورة التحرير حتى الخلف بالاستقلال الوطني .

وعبر مرحلة التحرر الوطني كان الصف القيادي الثانى فى الجبهة القومية قد تعمق لديه الاحساس بمعاناة الشعب ، وتبلورت امامه أكثر مصالحه الجذرية . وأتيح له الاطلاع على بعض التجارب الثورية الرائدة فى العالم النامى ، وخاصة التجربة الثورية الكوبية .

ولذلك فان الصف القيادى الأول الذى أمسك بمقاليد السلسلة الأساسية فى الدولة الفتية . والذى أراد ادخال بعض الإصلاحات الليبرالية المحدودة ، ودفع البلاد فى طريق التوجه الرأسمالى بالاستعانة بالاحتياطى الاستعمارى فى الجيش والبوليس والادارة ، وربطها من ثم بعجلة الاستعمار الجديد . هذا الصف اليميني الحاكم من الجبهة القومية لم يستطع حرف المسيرة الثورية فى الاتجاه الذى يريد .

وكانت تحسيفته بحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التحريكية برهانا جليا على أن التيار الغالب فى الجبهة القومية هو التيار الديمقراطي الثورى

— ١٦٠ —

ذو التطلع الاشتراكي ، والمدعوم بقوة من كل الاشتراكيين المنظمين وغير المنظمين * .

وبإبرام اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ وقيام التنظيم السياسي الموحد — الجبهة القومية في أكتوبر من ذات العام على أساسه * — هذا التنظيم الذي ضم الى جانب الجبهة القومية الاتحاد الشعبى الديمقراطى وحزب الطليعة الشعبية ، بذلك لم تتسع فحسب الجبهة الشعبية المنظمة التى تعتمد عليها الثورة ، وانما تحققت خطوة انتقالية بالغة الأهمية فى اتجاه إقامة حزب طليعى فى البلاد يكفل السير بالثورة الوطنية الديمقراطية حتى النهاية ، وتحويلها من ثم الى ثورة اشتراكية * .

ولان التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية كان قد غدا حصنا منيعا لقوى الثورة — رغم الصعاب التى مر بها — فإنه لم يكن من السهل اختراقه أو حتى النيل منه * .

وبذلك فتح الطريق لإقامة الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة . حزب الشغيلة ، الحزب الاشتراكي اليمنى الذى أعلن عن قيامه فى أكتوبر من ذات العام * .

وبقيام مثل هذا الحزب أخذت تتوفر الشروط الذاتية والسياسية ليس فقط لإنجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانما أيضا للمسير فى طريق التوجه الاشتراكي ، ولانضاج العوامل الموضوعية اللازمة لبناء الاشتراكية * .

وبقيامه تبلور وتجنسد النزوع الوطنى الوحدوى المستند -- كما جاء فى برنامج الحزب — « على الموقف الأيديولوجى والطبقى الواضح » كما تجلى المنحى الوحدوى العربى القائم على التحالف مع « حركة الثورة العربية » وتجلّى كذلك انتماءؤه الوحدوى الاممى الذى يجعل

منه فحسباً في جحفل الثورة العالمية • « وهو في نفس الوقت وحدوى
على السعيد الاممى ، ويناضل مع شغيلة وكادحى شعوب العالم في
حركة الثورة العالمية ضد الامبريالية والصهيونية والفاشية والعنصرية .
ومن اجل التقدم والديمقراطية والاشتراكية والسلم في العالم » كما
ينص برنامج الحزب ايضاً • (ح ٣٣ • ٣٤) •

من ذلك كله يتضح أن قيام الحزب الاشتراكي اليمنى كان تحولا
كيفياً لتراكمات كمية سبقته برزت أكثر ما برزت بعد قيام ثورة ١٤
أكتوبر وبعد تكون الجبهة القومية ، وأنه كان الذروة العليا في التطور
الذاتى لقوى الثورة اليمنية ، وأنه كان أكمل وأنضج تعبير عن الحلقة
المفقودة والمركزية التى أمسكت بها الثورة ، وكان من ثم برهاناً قاطعاً
على مدى امسالتها وفراستها وقدرتها على أن تكون مثلاً ريادياً يقتدى
به •

القسم الثالث

حول أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦

واستمرار التجربة الثورية

في اليمن الديمقراطية

مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦

والعبرة المستخلصة منها(*)

معروفة المقولة الليبنينية القائلة بأنه في حزب الطبقة العاملة لا مجال لغير الوحدة الفكرية والتنظيمية الحارمة والحديدية .
وأنه وان وجدت ألوان وظلال ورؤى متنوعة حول هذه القضية او تلك ، فانها تظل محكومة بهذه الوحدة الأيديولوجية والتنظيمية الراسخة والصلدة .

ولعلنا في كل ما كتبناه كنا نتوخى هذه المقولة الليبنينية .

ذلك يعني أن أى خروج على وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية تحت أى ذريعة كانت ، والاحتكام الى السلاح في حمل القضايا الخلافية ، هو تخذل كامل عن نهج الطبقة العاملة ، وعودة الى نهج البرجوازية .

وكان الظن أن هذه المسألة المبدئية قد غدت من الأمور المسلم بها في حزب طليعى كالحزب الاشتراكي اليمنى . لا سيما وأن هناك

(*) نشرت في صحيفة « ١٤ أكتوبر » في ١٤/٢/١٩٨٦ .

— ١٦٦ —

قراراً صريحاً اتخذته المكتب السياسي للحزب يخون فيه أى عضو لهية
يلجأ الى السلاح في حل الخلاف الداخلى في الحزب .

وكما قال الرفيق سالم صالح محمد الأمين العام المساعد للحزب
الاشتراكي اليمني سكرتير اللجنة المركزية في المؤتمر الصحفي الذي
حضره مراسلو الصحف والمجلات الأجنبية :

« فلو راي على ناصر — على سبيل المثال — أن هناك خلافا في
المكتب السياسي ، كان بإمكانه طرح أسباب الخلاف على اللجنة المركزية
واشراكها في طرح التصورات لحل تلك الخلافات ، ولكنه فضل الأسلوب
الخياني والتآمرى باستعمال القوة واللجوء الى السلاح . رغم قرار
المكتب السياسي في يوليو ١٩٨٥ ، الذي ينص على أن من لجأ الى
السلاح أو يهدد به ، يعتبر خائناً للوطن وفي تعداد الثورة المضادة »
(صحيفة ١٤ أكتوبر ٤-٢-١٩٨٦) .

ولعلنى كنت واحداً من أبناء هذا الشعب الذين لم يتصوروا قط
أن يحدث في اليمن الديمقراطية — البلد المثال والنموذج من حييت
الأمن والاستقرار وطبيعته النظام والحزب الطبيعي القائد — ان يحدث
فيها ما حدث في ١٣ يناير ١٩٨٦ .

كان أمراً مذهلاً ، وفوق الاحتمال ، وأبعد من الخيال ما فوجئ
به الناس في هذا اليوم المشؤوم .

اذن فقد وقعت الواقعة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وقال الناس
مالها ؟ أعلى قمة مسئولة في الحزب والدولة تتصرف بدون مسئولية .
تصدر أحكاماً بالموت على المخالفين لها في الرأي في قمة الحزب
والدولة ، وتتسبب في زج البلاد في حرب أهلية طاحنة ضروس سقطت
خلالها آلاف القتلى والجرحى ، وهدمت فيها منشآت ومؤسسات ،

وعم الخراب والدمار حتى بيوت الناس الخاصة ، وكادت نيران خزانات البترول والدخيرة المحترقة أن تلتهم عدن بمن وبما فيها ، وشمل الرعب والهلع جميع الأهلىن ، وانفتحت شهوة قسوى الاستعمار والرجعية فى محاولة لابتلاع النظام الديمقراطى الثورى الذى بدا لهم أنه غدا الآن فريسة سهلة المهضم .

عندما سألنى بعض الرفاق المسئولين فى لحظات كنت أشعر ههنا بقدر لاحد له من المارة تكاد تخفق الحلق لهول ما حدث عن رأى فى يناير ١٣ يناير كان قصوى جوابى : ولكن ما حقيقة ما جرى ؟ ما الذى أشعل الحريق ؟ ومن أضرم نيران الحرب ؟ ان من فعل ذلك فهو مدان ، أيا كان .

لقد قلت ذلك ولم أكن — بفعل عملية تعبئة مركزة بأن شيئاً ما سيحدث ضد الأمين العام وضد الشرعية الحزبية والدستورية من أساسها — لم أكن قد تحررت تماماً من تأثير البيان الأول الذى كاد يخذع الكثير من أمثالى من ذوى النيات الحسنة ، بل وكاد يخذع دولا شقيقة وصديقة ، هذا البيان الذى صور بأن انقلاباً قد حدث بالفعل ضد الشرعية الحزبية والدستورية ، تعرض خلاله أمين عام اللجنة المركزية ورئيس هيئة الرئاسة على ناصر محمد لمحاولة اغتيال ، وان المكتب السياسى قد أصدر حكماً بالاعدام على مدبرى الانقلاب ومحاولة الاغتيال هذه ... الخ .

على أنه ما لبثت الخديعة الكبرى للرأى العام اليمنى والعربى والعالمى ان انكشفت ، وما لبثت الحقيقة الساطعة أن تجلت : ان ما حدث هو العكس تماماً . لقد كان الذى قاد الانقلاب ضد الشرعية الحزبية والدستورية ودبر عملية الاغتيال الأعضاء فى المكتب السياسى هو الرجل الأول فى الحزب والدولة !!

أن تجلى هذه الحقيقة لعب دورا أساسيا في قلب موازين القوى
وفي أرباك مديري هذا الانقلاب الدهوى ، وفي نزع المصداقية عنهم
أمام الرأي العام اليمني والعربي والعالمي ، وفي تحول حتى المتعاطفين
معهم داخليا وخارجيا — تحولهم ضدهم ، وفي ارتعاش الأيدي التي
حملت السلاح الى جانبهم ، وفي القائه آخر الأمر ، وفي الاعتراف بأنه
غرر بهم .

وقد نكتشف غدا أنه ليس كل من أحاط بعلى ناصر أو تعاطف
معه بصفته الحزبية والرسمية كان على علم بأنه سيصبح على رؤية
مشهد مروع من الدم ، وبأن كارثة وطنية ستحل بالبلاد .

وعدا الفئة التي غزلت خيوط المؤامرة ونفذت الانقلاب الدهوى
والقت البلاد في قعر فتنة عمياء ، وأغرقت الشعب والحزب والجيش
والأمن والمليشيا في بحر من الدم ، فإنه ليس هناك من لم يرفع عقيرته
بالأدانة الحازمة لهذا المعك الدهوى الشائن والفظيع ، بل أنه لا يمكن
تصور أن يكون هناك وطني حقيقي في هذا البلد لا يشجب بقوة
هذه الجريمة الوطنية التي ارتكبت في حق الشعب والحزب .

قليلة هي الأوطان التي تعرضت لمثل ما تعرضت له اليمن
الديمقراطية من محنة مطبقة الانحاء كان يمكن أن تعصف بنظامها
التقدمي ، وثورتها الديمقراطية ، وحزبها الطليعي ، وأن تدمر وحدتها
الوطنية ، وعلاقاتها القومية والاممية والعالمية وأن تحكم على دولتها
الفتية بالزوال .

غير أن اليمن الديمقراطية التي عركتها الخطوب ، وأنصبتها نيران
المعارك التي خاضتها منذ اندلاع ثورتها المقادمة ، ثورة ١٤ أكتوبر
والتي تعودت على اجتياز كل عقبة انتصبت في طريقها ، وتصحيح كل
اعوجاج طرأ على خطها النضالي ، وتمكنت من ثم من القيام بحركة ٢٢

يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ أقصت بها اليمين الانتهازي ، ومن التغلب على اليسار الانتهازي بهبتها الثورية في ٢٦ يونيو ١٩٧٨ — اليمن الديمقراطية هذه أمكن لها — بفضل هذا الرصيد النضالي الضخم وبفضل امتلاكها الحزب القائد لمسيرتها الكفاحية • الحزب الاشتراكي اليمني — أن تقهر مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الانقلابية الدموية التي حتى بصبغتها الدموية هذه اتخذت طابعا يمينيا واضحا •

ان أى حزب طليعى اشتراكي علمي — أيا كان رايه سابقا في على ناصر وزمرته التي تلوئت أيديها بالفعل بدماء الحزب والشعب والجيش وتسببت في الدمار الشامل الذي لحق بالمتلكات العامة والخاصة — لا يمكن له الا أن يستنكر بقوة هذه الفعلة النكراء ، وهذه الجريمة الشنعاء •

ومن هنا تتابع اعلان الدول الشقيقة والصديقة • وفي مقدمتها الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، لتضامنها مع الحزب الاشتراكي اليمني بقيادته الجماعية وتأكيدا للوقوف الى جانبه ضد أى تدخل خارجي رجعي — استعماري في شئوننا الداخلية أو محاولة المساس بسيادتها الوطنية واستقلالها السياسي وخيارها الثوري •

حقا كانت الخسارة فادحة وغير مسبقة • ولكنها ربما كانت ضريبة غالية كان على الثورة أن تدفعها حتى لا يفكر أحد بعد ذلك في أنه يمكن أن يفرض رايه على هيئات الحزب والدولة بقوة السلاح وحتى يتأكد بشكل مطلق بأنه في حزب طليعى اشتراكي علمي يقود بلاده في طريق التوجه الاشتراكي وفي طريق تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية لا بديل قط للمركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتي ، وأنه من ثم لا مجال لاية نزعة انفرادية استعلائية تحكمية •

— ١٧٠ —

أن أيديولوجية ومبادئ الحزب الطليعى ، حزب الطبقة العاملة ،
هى أعلى واكمل تجسيد للديمقراطية سواء الديمقراطية داخل الحزب
أو الديمقراطية للشعب • وبالتالي فانه غير جائز ولا مقبول على الاطلاق
اشهار او استخدام السلاح فى حزب كهذا لا ضد احد من افراده
وهيئاته — أيا كانت الخلافات فيه — ولا ضد الشعب •

ولكن يبدو ان هذه المقولة النظرية الصحيحة التى لم تعد موضع
جدل فى أحزاب الطبقة العاملة العريقة كانت تحتاج — فى بلد نام
كاليمن الديمقراطية — الى تعميدها بالدم ، والدم الغزير ، لتأكيد أن
الخروج عليها مكلف جدا وباهظ الثمن للغاية •

يمكن القول أن النظام الديمقراطى الثورى فى هذا الجزء من
الوطن اليمنى قد صمد صمودا منقطع النظير أمام امتحان خطير وغير
مشهود جويبه به كما لم يجلبه به أى نظام مماثل فى العالم النامى كله ،
عالم آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وأنه قد قدم بذلك درسا
تاريخيا بليغا لابد أن تفيد منه كل الأحزاب الطليعية فى هذا العالم •

وبعد هذا النصر المؤزر الذى حققه الحزب الاشتراكى اليمنى
فانه ورغم كلفته الفادحة والباهظة لا مجال للبكاء على الاطلاق وللأغراق
فى الحزن على الشهداء ، فما من بيت فى اليمن الديمقراطية الا وبكى
حتى النحيب ، وحزن حزن الدهر كله •

يكفى الجميع : الشهداء والأحياء ، أنهم قد قدموا لنظامهم التقدمى
المتفرد فى المنطقة تضحيات عالية ومتفردة فى مجمل منطقة التحرر
الوطنى •

ان المهمة الجوهرية الموضوعة أمام الحزب والشعب هى الانغمار
بذات المهمة والعزم فى مضمار العمل السلمى والبناء : فى الانتهاء بسرعة
من آثار هذه العاصفة الهوجاء ، وفى إعادة ترميم وتعمير ما دمرته ،

— ١٧١ —

وفي تعميق وتوطيد وحدة الحزب والشعب والجيش والمؤسسات الأمنية والشعبية والمنظمات الجماهيرية ، وفي مواصلة تجذير وتوسيع الديمقراطية الحزبية والشعبية ، وفي المضي قدما في طريق انجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية — بما في ذلك النضال الدائب من أجل تحقيق الوحدة اليمنية على أسس سلمية وديمقراطية — وأولا وقبل كل شيء تعزيز استقلال وسيادي البلاد والتصدى لكل محاولة للتطاول عليها •

ان شروط انجاز هذه المهمة التاريخية كاملة غير منقوصة والتقدم في ذات الوقت في طريق التوجه الاشتراكي كانت وما تزال متوافرة •
فهناك الحزب الطبيعي القائد لهذه المسيرة الذي لم تزل المحنة الاصلابة وقوة وقدرة على الاضطلاع بمسئوليته التاريخية هذه • وهناك الجماهير الشعبية — وعلى رأسها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون — المندمجة فيه والمتلفة من حوله • وهناك قوى الثورة العالمية وفي مقدمتها المنظومة الاشتراكية ، وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي •

ان تطبيع الأوضاع الداخلية ، وسيادة الأمن والاستقرار من جديد ، والحيولة دون أى مظهر من مظاهر الفوضى والتخريب والتجاوز ، وانعقاد دورة اللجنة المركزية الاعتيادية الثالثة في ١٩٨٦-٨٦ ، وانتخابها أمينا عاما وأميناً عاما مساعدا وأعضاء اضافيين للمكتب السياسي ، وسد الثغرات الشاغرة في بنيان الحزب والدولة — ان كل ذلك يمثل المدخل الطبيعي للنهوض بمهمة الحزب المركزية والجمهورية هذه •

فلتكن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ التي تورط فيها نصر محمد وزمرته آخر المؤامرات •

— ١٧٢ —

ولتكن درسا بليغا ، وعبرة تاريخية •

ولترتفع راية الحزب الاشتراكي اليمني الى ذرى أكثر علوا
وسموا •

وليظل النظام النظام الديمقراطي في جنوب الوطن نبراسا
وهاجا لكل حركات التحرر والتقدم في المنطقة •

تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية

نبض حي في جبل وريد

الثورة العالمية(*)

رغم كل الشواهد والشهادات التي تؤكد أن اليمن الديمقراطية
تمكنت - وبسرعة قياسية - من الخروج من دوامة مؤامرة ١٣ يناير
وأخذت تضمد جراحها ، وتراب الصدع الذي أصيب به بناؤها
الوطني . وتعيد تعمير ما دمرته المؤامرة ، وتعمل على تصفية الآثار
المادية والنفسية التي خلفتها ، وتعاود الوقوف على أقدامها ،
وتستأنف سيرها التقدمي ، وتثبت جسور التحالف مع قوى الثورة
العربية والعالمية ، وتؤكد استمرارها في التمسك بقضية الوحدة اليمنية
وبعلاقات حسن الجوار وسياسة التعايش السلمي مع الأنظمة
الاجتماعية الأخرى ، في نفس الوقت الذي تواصل فيه نهجها الثوري
المعادي للاستعمار والصهيونية والرجعية والعنصرية ، والمناصر لجميع
حركات التحرر والتقدم في المنطقة وفي العالم - رغم ذلك ما يزال
الوضع فيها غير مفهوم تماما من قبل بعض القوى المؤمنة بقضيتها
التقدم .

(*) نشرت في صحيفة « ١٤ أكتوبر » في ٨/٩/١٩٨٦ .

— ١٧٤ —

وما من شك أن ما تبقى عالقا في الأفق من سحب الزلزال المروع الذى ضرب اليمن الديمقراطية هو السبب في عدم تمكن مثل هذه القوى من رؤية الوضع الحقيقي فيها بعد أن أفاقت من الصدمة ، ونهضت من هول الكارثة •

وهذه الرؤية الضبابية أو الغائمة هي التي صورت لبعض الأقلام المعروفة بأن ما حدث في اليمن الديمقراطية هو وأحد من الانهيارات المساوية التي منيت بها الثورات العربية منذ نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وإن نيزك الثورة اليمنية قد هوى أخيرا ، وإن الوعد الذى بشرت به قد تحول الى برق خلب ، وأن تجربتها التي أريد لهما أن تكون طليعية ورائدة في المنطقة العربية كلها قد حال لونها وغرقت ، في رمال الصحراء •

ووفق هذه الرؤية الضبابية والغائمة فإن زمن الثورة في اليمن الديمقراطية قد ولى ، وحل فيها « الزمن الرديء » الذى ساد ويسود الوطن العربى ، وتشابه الوضع فيها مع الوضع العربى العام الذى تمسك بخناقه الازمة ، وتحلبق عليه المحنة ، ويلفه ليل النكسة •

هل لابد من ضرب الأمثال على مثل هذا النمط من الرؤى التي تضع اليمن الديمقراطية ضمن الدائرة السوداء المحيطة بالأقطار العربية ، المتحكمة في أقدار شعوبها ؟

لعلنا نكتفى بنموذجين اثنين :

فهاهى الكاتبة الصحفية المصرية المعروفة أمينة النقاش تكتب في عدد ٣٠ يوليو ١٩٨٦ من صحيفة الأهالى المصرية : « وتأتى زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلى للمغرب وسط مناخ عربى متدهور بشكل عام • غفى عددن اقتتل « الرفاق » وأغمد كل طرف من أطراف الصراع

خنجره في ظهر الآخر ، وانهارت تجربة الديمقراطية في الكويت وتونس .
 وازدادت القبضة الأمريكية على مقدرات السياسة المصرية في أعقاب
 الأحداث التي تراكمت وثلت خلف السفينة أديبي لاورو ، وزدادت
 السياسة المدعوانية الاسرائيلية والأمرينية في المنطقة بخرب مقرر
 منظمة التحرير في تونس وخرب ليبيا والعهدوان عليها ، وفشلت كل
 محاولات إيقاف الحرب الأهلية وإحلال الوفاق الوطني في لبنان ، وساد
 التوتر والخضام أجواء المغرب العربي .

وما هو الشاعر الفلاسديني الشهير محمود درويش يقول الشيء
 ذاته في رسالة موجهة الى الشاعر الفلاسديني الشهير أيضا سمير
 القاسم نشرتها مجلة « فلسدين الثورة » في عدد ٩-٨-١٩٨٦ ،
 ويتساءل : « أما لاخره ذا الال من آخر ؟ » ما عينا الا ان نستعد
 لا تقبال ليل أشد حائلة ، فان قاع هذه الهاوية ذات الشق المفتوح من
 النجاة الى عدن لا نهاية له . لا نهاية مرئية له ، ولئن لم الهاوية
 يا عزيزي ، لمن الهاوية ؟ » .

ويخفف محمود درويش ان تلك شيء في الوطن العربي من مراكس
 الى اليمن الديمقراطية غدا عدها في عدم . غدا خاويا من كل
 قيمة . فارغا من كل معنى ، فاقدا لكل وزن ، وأنه ليس هناك الا وهم
 وساد وعيب ولا معقول . بل ان اللا معقول ذاته تحول بفعل انعدام
 العقل الى معقول ، والى تنمية لا يملك الناس الا القبول بها . والرتوع
 أمامها : « لقد اجلسوا الوهم على قديمه . لاوروا الوهم الى درجة
 الانتحار الذاتي . وحولوه الى منم العبادة . هل بلاننا مرحلة اللا معقول ؟
 كلا . لقد تجاوزنا مرحلة اللا معقول بتحويله الى معقول الفناء
 وأدمناه . أنظر ، اذا كان في و . مك بعد أن تنظر ، الى فردوس الدمت
 المتمدن من النجاة الى عدن . واخسحون كالفضيحة ، متساوون كالرمال .
 كماء كالمبيد وبلا قناع في مسرح العبث المفتوح بلا قناع » .

ويشدد درويش في أكثر من فقرة من رسالته أنه لا ينتظر من صديقه الشاعر جوابا عليه ، اذ لا جواب عليه ، اذ لا جواب هناك لدى أحد ، ولا نجدة يمكن انتظارها من أحد لاستنقاذ الوضع العربى مما هو فيه من حال التردي وليس هناك أفق مفتوح ، وإنما صحراء قاحلة مجذبة لا خضرة فيها ولا ماء ، ولا طريق ، ولا أثر لأحد قط * « انى أطل على صحراء » !!

هذه اللوحة القائمة المعلقة للوضع العربى من مشرقه الى مغربه والتي لا ترى فيها حتى نقطة بيضاء واحدة ، والتي لا تترك لدى مطالعتها سوى الشعور بالتشاؤم والاحباط واليأس لا تعكس بالضرورة حقيقة الواقع العربى ، الذى يوجد فيه الأبيض الى جانب الأسود وما عداهما من ألوان الطيف ، وينتصب فيه الحق في مواجهة الباطل ، والخير في وجه الشر ، والجميل في موازاة القبيح *

ذلك ما يقوله أيضا الشاعر الكبير سميح القاسم في رائعته التى نشرتها له مجلة « أدب ونقد » القاهرية في عدد يوليو ١٩٨٦ ، وكأنه يرد على صديقه الشاعر :

« أجمل .. تتكاثر في قاع نومي الالغاعى ، أمد ذراعى الى كوكب في الفضاء البعيد ، تحز البروق شرايين صدرى ، وأصرخ ، لا ألما .. صرختى شارتنى أننى لا أزال على الأرض جسما وحزنا ، أمد ذراعى وأصرخ من لوعة .. »

يا حبيبة عمرى نموت .. ولا لن نموت ..

أجمل .. جسدى أمة .. ويدي دولة .. وفمى ثورة .. وأصاب كفى .. مزارع .. أوردتى منشآت .. جبينى مصانع .. أنفى جسور .. وساقى شوارع .. أذننى مدارس .. عينى بيوت ..

— ١٧٧ —

وانى أموت .. ولا .. لن أموت .. »
« دونوا يا رفاق :

أناذى بملتى فى تونس .. وفهمى فى العراق .. وفى الشام ساقى
الأخيرة .. وقابى يخفق حيا وغضا هنالك تحت رمال الجزيرة ..
وزندى عرف البراق .. »

« واعترف الآن :

قلبى ذبيحة ! وفى ملك .. وروحي نظيفة .. وحزنى قبيح
.. وسبرى جهيل ..

ويقتلنى الله .. ماذا أقول ؟

ويقتلنى الله .. ماذا أقول ؟

« عبيد وقد ملنوا ! »

ما أقول : لمصفورة أرمقتها العواصف .. والحصل فى العشب ..
والنار تخلق وجه الحقول ؟

« عبيد وقد ملنوا ! »

ما أقول : لافل يتيم .. ولذل تنيل ..

« عبيد وقد ملنوا ! »

ما أقول : لعمرى القديم .. وليلى الطويل ..

« حرام على السفود تباعا على باب أسئلتى ، وحرام على طعمى
ومائى اذا لم أرمم تذكاريس وجهى ولم استعد تسعة الكبرياء ..

حرام على ترابى .. حرام على سمائى .. »

(م ١٢ - فضايا الثورة اليمنية)

وإذا ما ابتعدنا عن لغة الشعر الى لغة النثر ، فأننا لن نبتعد
عن الحقيقة . والحقيقة التي عاشها ولا يزال يعيشها الوطن العربي
ان هناك ثورة تقابلها ثورة مضادة ، وان هناك قوى ثورية في حالة
اشتباك دائم ومتصل مع قوى رجعية — أيا كان شكل هذا الاشتباك
وحجمه ومداه — وأن هناك أنظمة وطنية وأنظمة تابعة .

واليمين الديمقراطية كانت ولا تزال ليس نظاما وطنيا فقط ، وإنما
أيضا نظاما تقديميا ، نظاما لا يخشى عواقب إيمانه الصريح والعلمي
بالفكر الاشتراكي العلمي الذي يرى فيه نبراسه الهادي الى المستقبل
السعيد والوضاء .

وهي ، تجسيدا لهذا الايمان ، قد انشأت الحزب الاشتراكي
اليمني الذي يتبنى هذا الفكر ، ويعمل على تطبيقه وفق خصوصية
الواقع اليمني .

وهي ، انجاما مع هذا الفكر ، قد رغضت لعبة الامساك
بالعصا من وسطها ، وادارت ظهرها لايديولوجية البرجوازية الصغيرة
بكل تلاوينها ، وأطاحت بكل ممثليها ، ناهيك عن ممثلي أيديولوجية
البرجوازية المتوسطة .

وهي ، بتبنيها لهذا الفكر الطبقي — الاممي ، لم تجسد فيه
ما يشي بالتناقض بين ما هو وطني وما هو أممي ، أو ما هو قومي
وما هو أممي . فالمضطهدون الكادحون من العمال وحلفائهم لا يمكن
أن يكونوا — رغم الانتماء الى شعوب وأمم مختلفة — الا اخوانا بحكم
المصلحة الاجتماعية — الطبقيّة التي توحدهم ، والظموح الروحي التي
الانعتاق من ربقة الظلم الاجتماعي والقومي الذلّين. الذي يجمع فيما
بينهم .

وفي الوقت الذي تعد فيه اليمن الديمقراطية بالسير على طريق التوجه الاشتراكي ، وتعمل على تحقيق وحدة وطنها اليمني على أسس ديمقراطية وتدعو فيه الى وحدة العرب القومية على أسس تقدمية ، فانها تتناصر كل قضايا التحرر والتقدم في كل مكان ، وتؤكد في الممارسة العملية صلتها الاممية الحميمة والوثيقة بالبلدان التي انتصرت فيها الطبقة العاملة ، وفي مقدمتها وطن الاشتراكية الأول : الاتحاد السوفيتي •

ذلك ما أعلنته ومارسته اليمن الديمقراطية ، وما خاضت من أجله معارك طبقية ووطنية وأيديولوجية حاسمة ، تمكنت بها من أحباط كل محاولات التناول على سيادتها الوطنية وخيارها التاريخي ، وتمكنت بها من التطويق باليمين الانتهازي واليساري الانتهازي •

هغلام يستند اذن القول بأن الوضع في اليمن الديمقراطية لم يعد يميزه شيء عن الأوضاع في البلدان التقليدية أو الأوضاع في البلدان التي ذهبت فيها الثورة ؟

أعلى ما حدث في ١٣ يناير ١٩٨٦ نتيجة لمؤامرة ١٣ يناير وما نجم عنه من أضرار مادية ومعنوية واجتماعية وسياسية ؟

ان ما حدث كان عملية خروج على منطق الشرعية الحزبية والدستورية ، حيث احتكم أحد أطراف الصراع في الحزب والدولة الى السلاح في حل خلافة السياسي مع الطرف الآخر ، وبذلك انفتح الباب واسعا أمام عملية صراع مسلح واسعة وهائلة كان يمكن أن تؤدي بالحزب والدولة والثورة ، وتفسح المجال لعملية تدخل خارجي تأتي على الأخضر واليابس ، وتسلم البلاد الى الاستعمار الجديد وركائزه المحلية •

— ١٨٠ —

أما لماذا لم يحدث ذلك — رغم التضحيات والخسائر والدمار والمآسى — فان ذلك يعود بالضبط الى أن نبض الثورة لم يتوقف — وما كان في الامكان أن يتوقف — والى أن جذور نظامها التقدمى كانت قد غاصت في باطن الأرض — وما كان من السهل اقتلاعها — والى أن مؤسسات الثورة الحزبية والرسمية والعسكرية والجماهيرية كانت قد ترسخت — وما كان يسيرا تحطيمها — •

وهذا الخروج على الشرعية الحزبية الدستورية بكل ما أدى اليه من أضرار بسمعة الحزب والنظام والتجربة الثورية ، وبكل ما عكسه من ظلال على أوضاع حركات التحرر والتقدم في المنطقة العربية ، وبكل ما أحدثه من انزعاج وقلق لدى الحلفاء والشرفاء في العالم كله ، وخاصة لدى المنظومة الاشتراكية ، وفي طليعتها الاتحاد السوفيتى — هذا الخروج قد لقى الشجب الصريح ، كما لقى التقويم الدقيق ، من قبل هؤلاء جميعا •

فوائد الأحزاب الشيوعية العربية الذى زار عدن ما بين ٩ — ١٥ يونيو ١٩٨٦ ، أكد في البيان المشترك مع الحزب الاشتراكي اليمني « ان الأحزاب الشيوعية والعملية في البلدان العربية ، وقد اطلعت على ما تعرض له الحزب الاشتراكي اليمني والنظام الوطنى التقدمى في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ ، تشجب الأسلوب الدموى باستخدام السلاح لحل الخلافات الحزبية ، والذى ذهب ضحيته كوكبة من قادة الحزب الاشتراكي اليمني ، وفي مقدمتهم الرهيق المناضل الشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، وتعتبر عن ألمها الشديد لما وقع ، اذ أنه لم يؤد فقط الى اضعاف الحزب الاشتراكي اليمني ودوره البارز في صفوف حركة التحرر الوطنى العربية فحسب ، بل واطعاف مواقع التقدم في المنطقة بكاملها » صحيفة ١٤ أكتوبر ١٦-٦-١٩٨٦ م •

- ١٨٦ -

وجريدة « الازغستيا » الناطقة باسم الحكومة السوفيتية تنشر في ٢٠-٧-١٩٨٦ مقبالاتا سياسيا هاما بمناسبة وصول وفد سوفيتي كبير في ذات اليوم الى عدن قالت فيه « وخلال الأعوام الأخيرة لم يتحقق في قيادة الحزب والدولة النضال المرجو بصدد تذليل الفزعات السلبية التي نضجت في الحزب الاشتراكي اليمني ، وزادت تفاقمًا نتيجة لتجاهل مبادئ الروح الجماعية والديمقراطية الحزبية الداخلية وغلبة الصلات الشخصية والقبلية » .

وفي يوم ١٣ كانون الثاني - يناير ١٩٨٦ تحولت الخلافات في القيادة الى محاولة للتخلص وفق الأساليب القسرية من قبل قدم من الشخصيات القيادية في الحزب والدولة . وبالنتيجة وقعت اليمن - الجنوبية في هوة الازمة السياسية ، ودارت في عدن ومدن أخرى اصطدامات مسلحة قتلت أثناءها شخصيات بارزة بعضها أعضاء في المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ، ولحق ضرر جسيم بمجال الانتاج المادي والجيش . وهاجر بضعة آلاف من اليمنيين المغرور بهم والمضللين من البلاد وبشكل رئيسي الى اليمن الشمالية . وغر من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أيضا على نصر محمد الذي كان على رأس الحزب والدولة » .

بل ان الصحيفة السوفيتية تذهب مدى أبعد ، فهي لا تشجب أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ فحسب وانما تدين أيضا الأوساط الاستعمارية والرجعية ، وعلى رأسها أوساط المخابرات الأمريكية ، التي تعمدت تشويه حقيقة ما جرى وطمس أسبابه ، والنيل من النظام الديمقراطي الثوري نفسه ، اعرابا عن حنقها الشديد لان هذه الأحداث لم تؤد الى واد التجربة الثورية ذاتها : « واستغلت قوى الامبريالية والرجعية هذه الأحداث بمثابة الاشارة الى العمل لغرض التشهير بتجربة البناء التقدمي في اليمن الديمقراطية وتقويض النظام القائم هناك » .

— ١٨٢ —

وشددت النبرة في الحملة المعادية لليمن الديمقراطية الخدمات الخاصة الأمريكية وشخصيا رئيس وكالة المخابرات المركزية كيسي الذي لم ينخر وسعا في تشويه الأسباب الحقيقية وطابع ما يجري في اليمن الديمقراطية . ولهذا ليس من الصدفة أن واشنطن لم يكن بوسعها ستر خيبة الامل عند تكوين قيادة جديدة للحزب والدولة وعدم اعلان التراجع عن نهج البلاد المستقل والمتقدم في السياسة الداخلية والخارجية وتمسكها بمبادئ عدم الانحياز والتضامن العربى » (نقلًا عن وكالة أنباء عدن ، ٢١-٧-١٩٨٦ م) .

ومثل هذه الاشارة بسياسة التضامن الاممى والتآزر القومى ، والتحالف الثورى ، والتعايش السلمى ، وحسن الجوار ، التى سار عليها الحزب بدأب واستمرار بعد الأحداث تضمنها أيضا بيان الأحزاب الشيوعية الآنف الذكر : « وتشيد أحزابنا بالنهج السياسى الخارجى للحزب الاشتراكى اليمنى وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية القائم على تعزيز أواصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية ومع الدول والنظم التقدمية العربية ، والمستند الى علاقات التعاون مع دول المنطقة على أساس حسن الجوار واحترام السيادة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية واحترام رغبة شعوب المنطقة فى اختيار تطورها والعمل على اخلاء المنطقة من كافة أشكال التواجد الامبريالى والنفوذ الاستعمارى ، ومن أجل سيطرة شعوبها على مقدراتها وثرواتها الطبيعية والحفاظ على الأمن والاستقرار اللازمين لتقدم وتطور بلدان وشعوب المنطقة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٦-٦-١٩٨٦ م) .

واذن غليست هناك لوحة حالكة السواد للوطن العربى ، ولا هاوية ذات شق مفتوح من طنجة الى عدن ، وانما هناك معركة مفتوحة بين قوى التقدم وبين قوى التأخر ، بين قوى التحرر العربية

- ١٨٣ -

المسنودة من قبل قوى الثورة العالمية ، وفي مقدمتها بلدان المنظومة
الاشتراكية ، وفي طبيعتها الاتحاد السوفيتي ، وبين قوى الرجعية
والردة المدعومة من قبل كافة القوى الامبريالية ، وفي مقدمتها
الامبريالية الأمريكية •

واليمن الديمقراطية ، وان كانت تشغل من الناحية الجغرافية موقعا
من مواقع الأطراف في بلاد العرب ، الا أنها من الناحية الثورية ،
تجاسرت على أن تكون الرائد المكتشف لطريق العرب الى المستقبل •

والمبارك واليمن التي واجهتها وستواجهها تعود بالضبط الى هذا
الدور الصعب الذي نذبت نفسها له • وكلفت نفسها حمل أعبائه •

ولكن هل لاقى الرواد والمكتشفون الجغرافيون والاجنماعيون
والثوريون عموما سوى المصاعب والمتاعب غير المسبوقة قبل أن يصلوا
الى بنيتهم ويحصلوا على لقب الاستحقاق كرواد ومكتشفين • ولكم
خيبت اليمن الديمقراطية من ظنوا بها الظنون ، وتصورا أنها جثمت
نفسها عبئا ثقيلا ينوء به كاهلها ، وأرادت اقتحام العقبة وما ادراك ما
العقبة ! عقبة التخلف التاريخي المهول ، وعقبة المؤامرات الداخلية
والخارجية المطبقة •

وعندما كانت اليمن الديمقراطية تقتحم في سيرها النضالي المتصاعد
والدائب منعطفها ثوريا جديدا كانوا يتوهمون أو يأملون أن يتحول
الى منزلق ، وعندما كانت تتفلز الى رأس حالق كانوا يعللون النفس
بأنها ستسقط منه لا محالة ، وعندما كان يسقط جناح في التنظيم
جناحا آخر كانوا يقولون : ها هي ثورتهم المراهقة تفقد أجنتها
جناحا بعد آخر ، وبعد حين لن تقوى على التحليق ، ولن تملك الا
الموقع على الأرض ، حيث تنتظرها السكين !

— ١٨٤ —

ولكن اليمن الديمقراطية كانت دائماً تسقط المراهنات وتلغو المراهنات ، وتفسد جميع الحسابات والتكهنات ، وتنطلق من منعطف الى منعطف ، وتقفز من حائق الى حائق ، وتكتسب عبر تحليقاتها في أفق الثورة ريشاً جديداً ، وقوادم جديدة .

نعم . . ربما مرت باليمن الديمقراطية كوارث « يشيب من هولها ابوادان » وتنكسر لها الظهور العصية ، كأحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وما تلاها من حرب أهلية بدأ لأنها لن تبقى ولا نذر . . لا الحزب . . ولا الثورة . . ولا الجيش . . ولا الشعب ، وان كل ما أنجزته الثورة وكل ما قدم من أجل الشعب سيبتد هباء ، ويغدو أثراً بعيد عهد .

أن تخرج اليمن الديمقراطية من هول الكارثة — رغم كل ما خلفته من جراح وآلام ودمار — دون أن تفقد نفسها ، وحزبها ، ونظامها وثورتها ، وجيشها ، وشعبها ، فان ذلك هو البرهان الذي لا يبرهان بعده بأنها ذات تجربة ثورية أصيلة عميقة غير قابلة للامحاء أو الزوال ، وأنها خيط متين في نسيج العصر ، ونبض حي في حبل وريد الثورة العالمية .

نظرة سريعة في بعض ما كتب حول مسار الثورة في اليمن الديمقراطية بعد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامي (*)

كما دخلت اليمن الديمقراطية تاريخ العرب المعاصر باعتبارها صاحبة أجراً تجريبية ثورية على الإطلاق ، لأنها دخلته باعتبارها صاحبة أعنف تجريبية ثورية •

ودور العنف في التاريخ معترف به • وهو كما قد يلعب دوراً تدميراً حتى لحضارة بكاملها ، إذا ما ساعدته على ذلك شروط معينة ، فإنه يمكن أن يساعد على خلق أو تثبيت بنية اجتماعية جديدة رغم كل ما قد يرتبط به من مأسى إنسانية •

وثورة ١٤ أكتوبر في جنوب اليمن واحدة من الثورات الوطنية التحريرية المعاصرة التي كتب عليها أن تولد وهي تنزف وألا يتوقف نزيفها حتى يستوى عودها ، ويكتمل بنيانها ، ويشمخ صرح نظامها التقدمي ، ويغدو محصناً منتعماً على كل القلاقل والزواجر الداخلية والخارجية •

(*) نشرت في صحيفة « صوت العمال » في مدة أعداد بعد الأحداث •

— ١٨٩ —

فبدون العنف الثوري المسلح ما كان ممكنا خروج المستعمر
البريطاني .

وبدون العنف الثوري المنظم ما كان ممكنا اسدال الستار على
اليمن الانتهازي والقيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ التي فتحت
الطريق لقلب بنية المجتمع التقليدية والمشوهة ، وللبشروع في صياغة
المجتمع التقدمي الحديث .

وبدون مواجهة العنف الديكتاتوري اليسار الانتهازي — اندي
كان قد تحول الى يمين انتهازي — بعنف ثوري مسلح ومنظم ما كان
في الامكان أن تواصل الثورة مسيرتها الديمقراطية ولا أن يقوم الحزب
الطليعي القائد لها : الحزب الاشتراكي اليمني .

وبالمثل يمكن القول أنه ما كان ممكنا أن تستقبل مؤامرة ١٣ يناير
١٩٨٦ الدموية بغير العنف الثوري المسلح والمنظم الذي ربما لاقى في
قسوته واتساعه ومدهاه كل عنف سبقه ، نظرا للتراكمات والتفاعلات
الحادة والمتنوعة التي ظلت تغلي وتحتدم ويتصاعد منها البخار ، دون
أن يبذل جهد كاف وشامل لاحتوائها والتحكم فيها وتفريغها من شحنتها
المنذرة بالتفجر والاشتغال .

هذه المباراة الدامية وغير المسبوقة في تاريخ الثورة ، والتي
نزف خلالها من الدماء ودمر من العمران في أسبوع من الزمن ما لم
يحدث مثله خلال تاريخ الثورة كله — هذه المباراة أوجت للبعض
بأن ذلك لم يكن مجرد صراع بين جناحين في الحزب حصول مسار الثورة
وانما عودة كاملة الى حروب القرون الوسطى بكل ملامحها القبلية
والهمجية ، وبكل تقاليدھا في الشجاعة والفروسية ، وأنه لا يميزها عن
هذه الحروب القديمة الا استخدامها للأسلحة الحرب الحديثة .

وهي مقارنة قد يغرى بها واقع أن المجتمع في اليمن الديمقراطي لم يمزق نهائياً شبكة العلاقات التقليدية الموروثة عن المجتمع الاقطاعي وما قبل الاقطاعي وأن النزعة الفتوية والمحلية والاقليمية المغلقة التي يخلفها عادة مثل هذا المجتمع التقليدي — ولا سيما في غياب دولة مركزية حتى ولو اقطاعية — لم يقض عليها نهائياً ، وأن عملية تحديث المجتمع وتعميق روح المواطنة وروح الوحدة الوطنية وترسيخ أعمدة الدولة المركزية الحديثة الوطنية الديمقراطية عملية تاريخية كاملة لم تستكمل بعد ، وأن « الميت يمسك بالحى ! » طيلة فترة الانتقال التاريخية هذه ، وأن الثورة — أى ثورة — لا تعانى من مشاكل النمو فحسب ، وإنما من مشاكل التخلف أيضاً ، وأن تحطيم عادات وقيود وأيديولوجيات الماضى لا يتم دفعة واحدة ، تماماً كما أن عقبات الحاضر لا يتسنى تذليلها بين عشية وضحاها .

ذلك ما نبه اليه ماركس أيضاً : « وغضلاً عن بلايا العهد الراهن ، نكابد جملة من البلايا الموروثة ، الناجمة عن كون أساليب الانتاج القديمة التى ولى زمنها ، ونفذ مفعولها ، والعلاقات الاجتماعية والسياسية الشائخة المطابقة لها لا تزال بالكد قائمة . فنحن لا نعانى من الأحياء وحسب ، بل من الموتى أيضاً .. » (الميت يمسك بالحى !) (انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٩٩) .

ولكن القول بذلك شئ ، وتصور أن اليمن الديمقراطية لم تخرج من رحم المجتمع اقديم شئ آخر .

ووفقاً لهذا التصور المغلوط الذى يستند الى أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وما قادت اليه فإن اليمن الديمقراطية لم تغادر عهد البداوة والجاهلية وعهد الملوك الصغار وشيوخ القرى الذين يدافع كل منهم عن

— ١٨٨ —

منطقة نفوذها وأوتوقراطيتها وانغلاقه ، وأن أحداث ١٣ يناير وما ترتب عليها هي ترجمة لهذا الوضع ، وتعبير عن هذا العهد ، وأن اليمن الديمقراطية كشفت بذلك عن واقع أنها ليست وارثة حضارة يمنية تليدها وأن أبناءها ليسوا من نسل أولئك اليمنيين القدماء العظماء الذين بنوا هذه الحضارة ، وأن مفاهيم الثورية واليسارية واليمينية لا تصح عليهم .

ذلك ما يقوله أيضا وأحد من شعراء اليمن المعروفين : محمد الشرقى ، في قصيدته : « عدن .. الكارثة .. والمسؤال الكبير » التي نشرتها مجلة « اليمن الجديدة » الصناعية في عدد يوليو ١٩٨٦ ، ص ١١٨ — ١٣٠) والتي نجتزئ منها الآيات التالية :

« ولسنا كما قيل من سبأ أو معين
وإن الذى جاء فى جبة الأنبياء
ومن جاء فى بزة المصلحين
ومن يدعى أنه فى اليسار
ومن يدعى أنه فى اليمين
ومن قال : نحن مع الكادحين
ومن قال : أنا مع الثائرين
تساووا جميعا .. على أنهم
دمى كالدُمى .. فى يد اللاعين »

هذه النظرة السوداوية المسرفة ليست مجرد حالة نسورية تملكها الشاعر تأثرا لمشهد الدماء الذى تفننت الاذاعات والصحف خارج اليمن — وبالأذات فى الغرب والبلدان السائرة فى فلكه — فى وصفه الى حد تصوير أن اليمن الديمقراطية تحولت الى بلسد للأشباح والنسور والوحوش وهرايم الأرض .

وهي ليست مجرد شـطحة من شـطحات الشعراء المرهفين
الحماسية الذين لا تتيج لهم حساسيتهم هذه تأمل الأمور من جـ. جديد
في رؤية وتؤدة ، ومحاكمتها محاكمة عقلية . واستبحار جانب الحـواب
من الخـلا فيها . ومعرفة دور كل من الظروف الموضوعية والذاتية في
حدوث ما حدث ، وتحديد مسئولية قوى التقدم والخير في
تقـويم وتصويب المسيرة الثورية ، وفي التنبيه إلى مكان ومقدار
العمل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأيدولوجية والتثلية
التي تسببت في الاضطراب المأساوي الذي منيت به البلاد .

وهي نظرية أيدولوجية — كأي قول مسين شـرا أو نثرا — يجـح
عابها الحـواب والخـلا .

والأيدولوجية — أية أيدولوجية — هي تعبـير عن مصالح وأفكار
يحيى أو هام هذه الطبقة الاجتماعية أو تلك ، أيا كان الثوب الذي
تظهر فيه ، حتى لو كان حلة قشبية من الفن .

والارتكاز إلى ما صاحب أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ من خشونة
وقسوة ، وغلظة وغلظاة لتجريد شعب بكامله من قيم الثورة
والثورية والخير والصالح والإصلاح والرغبة الصادقة في انتشال أبنائه
من براثن التخلف والظلام والتبعية ، واللامعة وطنه في طريق الحضارة
والحداثة والتقدم والديمقراطية والاشتراكية والرخاء والسعادة ،
ومن ثم انكار أن يكون هناك يسار ثوري يواجه يمينا رجعيًا ، أي انكار
أن يكون هناك تمايز اجتماعي بين الناس ، ينجم عنه صراع طبقي محتـم
بينهم . وتـسوير أن اليساري مجرد دمـية يلعب بها الشرق ، شأن اليميني
الذي يلاعب به الغرب — أقول أن الارتكاز إلى هذه الأحداث لرسم
مثل هذه الصورة البائسة الكالحة المؤيرة للنفور والتقزز والاحتقار
للنفس والشعب والوطن والحياة وكل القيم الرفيعة لا يمكن أن تكون
مادرة عن رؤية سليمة . ووجدان صحيح ، وضمير معافي .

ورؤية كهذه - أيا كانت الدوافع والنوايا - لا تفيد منها غير قوى التخلف والظلام التي مما يتفق مع مصالحها ورغبتها في أن تظل هي السائدة انكار أن تكون هناك قوى ثورية في مواجهتها تعمل على احلال العدل مكان الظلام ، والخير على أنقاص الشر ، وعلى اشاعة أنوار الحرية والديمقراطية في حياة الناس .

ويبدو أنه كان قد استنقر في يقين الشاعر الشرفي حتى من قبل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بعام كامل أن معادلة قاتل أو مقتول هي التي ستسود في اليمن الديمقراطية ، وأنه ليس هناك أو لم يعد هناك مكان لغيرها لكل ما أعلنته من مبادئ وشعارات ثورية يجرى الصراع عليها وبسببها .

فهو يقول في ص ١٣٠ من ذات المجلة أنه كان قد تنبأ منذ أوائل عام ١٩٨٥ في قصيدة له بحدوث ما حدث في ١٣ يناير ١٩٨٦ .

ومما يلفت الانتباه أن رئيس تحرير مجلة « الحكمة » في تعليقه على أحداث يناير هذه لم يكتف بالتذكير بنبؤة الشرفي هذه وبأيراد بعض الأبيات المتنبئة بأن منطق الحرب القبلية هو الذي سيسود منذ الآن في اليمن الديمقراطية مزيجا من أمامه كل منطق حضارى أو عصرى أو ثورى ، وإنما هو يسجل للتاريخ أن تلك لم تكن نبؤة الشرفي وحده ، بل انها ليست محض نبؤة ، وإنما هي فتاعة تولدت بعد نقاش ودراسة لجريبات الأحداث في اليمن .

يقول عمر الجاوى في تقديمه لأبيات الشرفي الآتفة الذكر والتي سنوردها حسبما أوردها :

« الحق يقال . . أننا كنا ، وحرب بيروت أو لبنان تضع أوزارها ، قد ناقشنا هكذا ، وبالنص ، أن بلادنا اليمن ، كل اليمن ، هي

و العرصة « المهياة لتخطيط حرب القبائل والطوائف .. ولكن ، والأمر
ناثم ،رددنا نفس العبارات عن الشعب « الحضارى بطبعه » ، وركنا
لى التاريخ ، باعتبار أننا لسنا « لبنان » ، ورغم ذلك كان للشعر وضع
آخر فى قصيدة الشرفى « الحكمة » العدد ١١٨ يناير ١٩٨٥ م .

(٢)

وأخشى بأن يصبح القتل كالخبز
فوق الموائد
وأن يتوزع كالعطر للسامرين
ومثل بخور المساجد
ونلقاه فوق كراريس أطفالنا
ونشهده فى زوايا البيوت
وخلف المراقد

(٤)

أخاف بأن يصبح الموت والقتل مثل الهواية ..
بين التآخى وبين الأخوة
وكالنار فى كف إبليس
يحترق الأهل فيها
ويحرق دفء الأمومة فيها
ونبض الأبوة .

فلا صلة فى ازدحام الجروح
سوى هوة النار هوه
أخاف على الأرض أن تستحيل

— ١٩٢ —

ركاما من الجهل والأسلحة
وهذا الوباء الجديد
هو الحاكم المتسلط .. والحكم ..
والصفقة المربحة » .

(الحكمة ، مايو ١٩٨٦ ، بعد الذى صار ، ص ٣ — ٦) .

ومن مقاله « الصحافيون اليمانيون .. الى أين » الذى نشرته
« الحكمة » فى عدد يونيو ١٩٨٦ يتضح أن الجاوى لا يرى أن هناك
مسيرة ثورية مرت بمنعرجات فى اليمن الديمقراطية ، وأن هذه المسيرة
لا تبرح فى تصاعد مستمر متجاوزة انحرافات اليمين واليسار الانتهازى ،
وكل المأسى التى تسببت فيها أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ، وإنما هناك
تسلط على كل المستويات ، بما فيها المستوى المهني ، ظل يمارس عبر
عهود اليمين الانتهازى ، واليسار الانتهازى ، والزمرة ، والزمرة
الجديدة .

وهى نظرة عدمية تعكس موقفا أيديولوجيا ثابتا تجاه الثورة
ذاتها .

وحسب صيغته فأنا قد « رأينا منذ إيقاف لبيب ١٣ يناير
المشتوم أن النار لم تخدم بعد ، وأن المد فى عدم ممارسة
الديمقراطية يقدم أيضا من الوجوه القابلة للتسلط وتنفيذ القرارات
الهوجاء دون التفات واحترام الشرعية مهما كانت » .

والديمقراطية لا تمارس — حتى فى المجال المهني — لا من قبل
ولا من بعد ، حيث يشكل كل شئ من أعلى ، كما حدث بالنسبة
للجنة التحضيرية للمؤتمر العام الرابع الاستثنائي لمنظمة الصحفيين
الديمقراطيين اليمنيين . « ان الشك يكمن فى الطرق التعسفية التى تم

— ١٩٣ —

بها التشكيل . مفترضين أن اليمين واليسار الانتهازى والزمرة قد كانوا يفرسون علينا من أعلى مثل هذه التشكيلات . . . فما بالنسبة لمارس شيئاً غير قانونى ولا شرعى . وحما لو أننا زمرة من الرأى الجديد » .

مما يثير العجب أن شاعرا مسنا وخلاسيجا وتقليديا في نخلته السياسية وفي منحاه الفنى مثل محمد سعيد جرادة لم يقابل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ولا مسيرة الثورة بمثل هذه النظرة العدمية ، رغم انفعاله الحاد بما خلفته أحداث ١٣ يناير الدامية من مأسى مفجعة ، ورغم تسميته هذه الأحداث بأنها كانت « مسبعة ١٣ يناير » ومضى التسمية التى عنوان به . . . قسيدته التى نشرتها « حيفة » ١٤ أكتوبر « في ١٤-٣-١٩٨٦ » .

فهو بعد تصويره الطابع الدرامى والوحشى لها يختتمها بالدعاء والابتهاال بأن يعود كل شئ الى ما كان عليه ، وتسير الحياة في البلاد سيرتها الطبيعية الهادئة ، ويعود الربيع ، وتعود البلبل الى الغناء ، والطيور الى أوكارها ، والمياه الى مجاريها ، وتعم الخضرة الأرض كلها :

« أتينا اليكم من المسبعة نمثل أدوارها المفجعة
قطعنا مسافاتها الحالكات على السن اللهب المشرعه
على جثث كومت في الطريق تلالا تبث الرؤى المفزعـه

بلادى احترقت بنار الخلاف سحقا وبعدا لمن وسعه
بلادى تألقت عشرين عاما وكنت جميلته المونعه
تصرم عقداً صفت الحياة بينهما صورة مبدعه
أفى ساعة ذك ذاك البناء ما كان أعلاه ما أرفعه

(م ١٣ - قصايا الثورة اليهنه)

مشيت على ظهر أرضي الخراب أذرف أدمعي الطيمه
ألوف بنيتها ثووا في القبور في ليل مأساتها الوجعه
جسومهم بعثرت في الطريق عصفاء تنثره زوبعه
وبعض لقوا حتفهم في البيوت موضع أمنهم والدمعه
فلست تفرق تحت الحرائق بين الهياكل والأمتعة
وكم حامل وضعت حملها وريعت بمولدها مرضعه
سأبكي بلادي وأدعو لها بعود ربيعاتها المرعه
وعود عصافيرها للفناء وعودة المياه الى المزرعه »

على أن ما ننتظره من شاعر حديث وكاتب تقدمي ليس مجرد حسن
تصوير المأساة هنيا ، ولا الدعاء والابتهال بأن يصلح الله الأحوال .
وانما النفاذ عبر سحب الظلام ، وعبر غبار المأساة الى الأفق البعيد
الذي يظل مضيئا دائما ، طالما كانت الأبصار شاخصة نحوه ،
والقوادم طائرة في اتجاهه .

وأيا كان هول الكارثة ، ومهما كانت غداحة وجسامة الآثار
الانسانية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي خلفتها ، فإنه ليس
بإمكانها أن تقتل مخيلة الشاعر الأصيل الذي يتمتع أكثر من غيره من
الناس العاديين برؤية ما هو أبعد من مشهد الدماء والجماجم والركام
والأنقاض .

قد تصاب مخيلة الشعراء — حتى ولو كانوا من الخلاقين المبدعين
— بشيء من الخلل أو التوقف في لحظة ما رهيبه ، غير أنهم لا يلبثون
أن يستعيدوا أنفسهم ، ويستعيدوا معها مخيلتهم الشعاعية النفاذة
المتطلعة دائما الى الغد ، المستشرقة ابدا لآفاق المستقبل ، الدافعة
باستمرار للامل والتفاؤل ، الملهمه للنضال وحب الحياة وكل قيم الخير
والحق والعدل والجمال .

من حق الشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين أن يصوروا أحداث
١٣ يناير وما نجم عنها ، وأن يؤلفوا في ذلك المساحم القراجيدية .
التسعيرية والنثرية وأن يدبجوا المقالات ، ويكتبوا البحوث ، ويخسوا
الكتب . وهم ان لم يفعلوا ذاك — أو لم يستطيعوا فعل ذلك اليوم —
فلسوف يفعلونه غدا ، عندما تكتمل أدواتهم . وتكتمل معها معرشة
حجم ما جرى على أرض الواقع .

ولكن في جميع الأحوال لابد أن يفرض الصدق الموضوعي
والتاريخي والفني نفسه على كل واحد منهم .

ورغم الطابع المساوي الجاد لهذه الأحداث فاتها ستقدم
الدرس والعبرة ، وستساعد في تربية أجيال بكاملها . وستفجر طاقات
جبارة للخلق والبناء .

وحتى يحدث ذلك فإننا لا نملك الا أن ننظر ما كتب حتى الآن
— على الأقل في مضمار الشعر — بأنه لا يعدو أن يكون حالة تأثر
لحظية تشبه أنفة أو حتى صرخة من أصابته طعنة مفاجئة لم يملك حيالها
سوي إطلاق حنجرته بالأنين والصراخ .

ولكن لغة الحناجر ، لغة الأنين والصراخ ، والولولة والنسب ،
والنفج والتمزق ، ستحل محلها — حتما — لغة المحاكمة العقلية الباردة
لها حدث ، لغة الدرس المستبصر المتمعن المستخلص للحكمة التاريخية
من قلب الفجعية ، لغة المناضل المتزود بذخيرة نادرة من صنع تاريخه ؛
لا تساعد على ترشيده خطاه وحده ، وإنما تساعد كل المناضلين الذين
يمرون بظروف تاريخية واجتماعية مشابهة أينما كانوا ، وأيا كان الوطن
الذين ينتمون إليه .

ولربما مثلت قصيدة الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردونى الذى نظمها فى شهر المأساة ، والتى حملت عنوان « غنقلة النار والغموض » والتى نشرتها صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى عدد ٢٢-٩-١٩٨٦ - حـالة وسطا بين لغة الحناجر ولغة العقل ، بين لغة التفجع لما حدث ولغة التأمل لما سيحدث ، بين لغة الوضوح ولغة الغموض •

وهى بهذه الصفة البيئية تشكل خطوة متقدمة بالنسبة للقصاصد الأنفة الذكر ، وتتطوى على شىء من الامل والتفاؤل المبطن فى أن ما حدث رغم هوله ورغم كل دواعى التشاؤم والاحباط واليأس التى استثارها معه فى الامكان تجاوزه ، اذا ما اتخذ عبرة ودرسا غير قابلين للنسيان أو الاهمال •

اتخذ البردونى أسلوبا مبتكرا فى محاولة استجلاء ما حدث والتكهن بما سيحدث • صب أسئلته المتفجعة الموجهة على المدن والمواقع التى دارت فيها المعارك ، وعلى الأماكن الأثرية والتاريخ اليمنى ، وانتظر منها جميعا الاجابة ، فى الوقت الذى تدخل فيه برأيه بحذر بالغ • وحرص شديد •

سائل « خورمكسر » و « المعلا » عن سر العدول عن لغة الحوار السياسى الى لغة الحوار بالرصاص ، سألهم ما مسالة نقدية متفجعة ، كما سأل « معاشق » بذات اللهجة وبذات الخوف من أن يكون للمسلسل الدامى بقايا وذيول ، ومشاهد وفصول ، بل وتلال أخرى من نجيب-سبع الدماء والجماجم •

جبال وسيول من الأسئلة أثقلت وابهظت كاهل البردونى رمى بعضها منها على « دار سعد » و « الشيخ عثمان » و « صيرة » و « كريتر » و « عدن » كلها ، بل وعلى « سبأ » ذاتها ، وعلى مجمل تاريخ اليمن •

— ١٩٧ —

عنه يعثر على جواب مفيد مقنع مطمئن تسكن اليه نفسه ، ويرتاح به
ضميره ، ويذهب عنه الروع على مصير البلاد •

ترك للأماكن والمدن والسيارات التي دارت فيها المعارك أو انطلقت
منها كائنات النجدة حق الانصاح عن روح الاستبسال والاستقلال
التي ردت بها على ضربة ١٣ يناير المفاجئة المذهلة •

فعندما يسألك :

« من شب يا « عدن » اللظى ؟ » •

تجيب عليه « عدن » :

قالوا : أموت ، فقلت كلا : كلا •

ولأننى بنت الصراع فليست أما للأذلاء
ما كان مقلوا من الفأزى من الأهلىن اقلى

صممت ألا نحلى اذا عكست البعد قبلا

جاؤوا الى وجئتهم نارية العزمات عجلي
جادوا بأرعاد المنون وجدت ارداد ويذلا «

بل ان البردوني يترك لمواقع وساحات الصدام وللكنائب المنتصرة
فى الحرب لا حق الدفاع عن روحها المستقلة المستبسة فحسب ، وانما
أيضا حق اعلان أن ذلك ليس مجرد نصر عسكرى ، وانما هو نصر

— ١٩٨ —

سياسى ، بل ونصرى ثورى ، ونقلة نارية ، لابد أن تتحول الى نور تورى
غامر يضيئ آفاق المستقبل •

هكذا يدور الحوار بينه وبين « دار سعد » :

« ماذا تلاحظه هناك ؟ تحولاً ما زال طفلاً
اتراه حسماً ؟ ربما بدء الربيع ينث بقلدا »

وهكذا يدور الحوار بينه وبين « الشيخ عثمان » :

« يا شيخ عثمان » استجب ماذا ترى ؟ أرجوك مهلاً
« صنعاء » مفعمة بما أججت ، كيف تكون أحلى !
وصداك قهوة « لاعة » قات « الحديدية » و « المصلى »

أنا لست مزياع الخليج أرقع البالى بأبلى
أغبى الكلام هو الذى يبدى أوان الجد هزلاً
من أين أخبر ، واللهيب أمد من نخل « المكلا »
من مهرجان النار تصعد ثورة أبهى وأحلى »

أما « صيرة » التى شهدت المعارك التاريخية فلم يعد يخيفها
شئ ، وهى لا ترى فى ما حدث مدعاة للهلج ، فهو لا يعد أن يكون
احدى المعارك المتوسطة الحجم ، وهى لن تكون خاتمة المعارك ، بل
لربما كانت بداية جديدة • وإذا كان ما رآه الشاعر مثار لزعزعة
فهو فى عينها حفل بهيج • والبحر من حول « صيرة » الذى شهد معها
معارك التاريخ يلقي بشهادتها الى جانبها :

— ١٩٩ —

« لم لا أسائل « صيرة » ؟ مستزيد من ، لكن ، والا
وترى الطفور توسطاً وترى النهاية مستهلا
وتقول : ما سميت روعاً : أنا أدعوه حفلاً

أتري طلاوة صوتها / يا بحر ؟ أم رؤياك أطلت ؟
عنها أعي سافراً بعينها ، بزديها ، محلى

وفي ذات الاتجاه تصب اجابات « جولد مور » الذى يسخر ممنا
رددته اذاعة لندن عن سير المعارك وعن أن عدن تحولت الى مدينة
أشباح وان كل شيء تحول الى هشيم تذروه الرياح • فذلك اقاويل
عدو كان يبسط يده ذات يوم على عدن • وبعد أن قـزمتـه حرب
التحرير التى شنت ضده حتى أخرجته خاسئاً مدحوراً ، لم يعد
يملك الا صناعة تشويه الثورات الوطنية التحررية المنتصرة :

« يا جولد مور » اجابة : ما زالت اللحظات حبلت
أسمعت « بى بى سى » وهل هذا سوى بوق تسلى ؟
هذا « البعوض » وثىء اليه وذلك « الزنبور » أدلى

أولئك الفازون ولوا والتآمر ما تولى
كانوا تماسيحاً هنا وهناك يرتحلون قملاً

— ٢٠٠ —

قل عن هنا : ماذا اعتراه ؟ وما الذى بالأهل حالا ؟
الساعة الخمسون — مثل الساعة العشرين — وجلى
ماذا ترى يبدو غدا ؟ بدء الصعود ٠٠ سقوط قتلى «

كل الساحات والمواقع تنطق بلسان واحد : ان ما حدث ثان
عراك ضاريا حتى ولو كان بين أبناء البلد الواحد ، وان الذى سبب
في ذلك هو الذى اشعل عود انتقاب ، وقدح حجر النار •

فحتى مدينة « كريتر » التى صقلتها حرب التحرير والننى لم
يصبها الا بعض شظايا الحرب الاهليه لـ ١٣ يناير ١٩٨٦ تتحدث
بنفس اللهجة القوية اثواقه المنتصرة والمفادرة على خوض المزيد من
المعارك اذا ما اقتضى مجرى الأحداث ذلك :

قولى « كريتر » ما هنا ؟ النصف ، أم عيناك أحلى ؟
تزهو بكفيك الخموش كشارب القمر المدلى

جاءوا القتلى : همد أعد لهم رياحيننا وفلا
هم بعض أهلى ٠٠ فليكن هيهات أرضى الفدر أهلا
تأبى حمام اليوم أن تلقى صقور النار عزلى

ماذا أسمى ما جرى ؟ جبنا ، ولكن صار فعلا
الفاثحو باب الردى لا يملكون الآن قفلا

- ٢٠١ -

أضعفت أم أن الأسى أقوى بنا ، وأحد نصلا ؟
انسيت صقلى يا عراك القحط ، أما انهكت صقلا ؟

أذن فهناك اجابة واحدة مجمع عليها ، وهو أنه رغم فداحة
ما جرى فأن هناك نقلة الى الامام تحققت بالنار .

غير أن الشاعر لا يبدو مطمئنا تماما الى مثل هذه الاجابة القاطعة
الواضحة . فهو — من حيث المبدأ — غير راض وغير سعيد باللجوء
الى استخدام السلاح بين رفاق درب واحد ، أيا كانت الخلاصات
القائمة بينهم .

فهو كما غزر عندما سمع « دق طبل الحرب » فزع لحجم المواجهة
الشاملة ولكمية الدماء التى سفكت نتيجة ذلك كله .

والشاعر ليس متأكدا من أن النقلة النارية قد أسفرت بالفعل
عن نقلة ثورية .

ليس هناك وضوح . فالأفق ما يزال ملبدا بالغيوم ، ودخان
المعارك ما يزال يغطي الطريق . والرؤية الجلية لرحاب المستقبل تبدو
صعبة فى مثل هذا الطقس المعتم المنذر بالمزيد من الرعد والبرق ،
الذى قد يخطف الأبصار والبصائر .

أذن فالموقف هو أدعى للغموض ، وأدعى للتأمل والانتظار ، حتى
نرى ما يأتى به الغد .

لقد قلبت عملية الاقتتال الأهلى الحسابات العادية ، ورغم ان
السلام الأهلى قد حل ، الا أنه ليس هناك ما يدعو الى الاطمئنان بأنه
سيكون سلاما وطيدا لا تعكر صفوه زواجر داخلية أو خارجية :

« لا القتل أفضل ، يا غموض ولا السلامة منه فضلى »

ولاستجلاء هذا الغموض ، ومن أجل محاولة الخروج بأجابة أدنى الى الوضوح ، فإن البردوني ينحى مشاعره الذاتية وانطباعه الشعارى الخاص عن الأحداث جانباً ، ويحاول استنطاق العلم الاجابة . غير أن العلم لا يحير جواباً :

« للعلم أسال ، والجواب .. يحول أسئلة وجهلا أرجو الوصول والتقى بسوى الذى أرجوه وصلا »

حينئذ يتجه بسؤاله الحائر الى التاريخ اليمنى ، وينسى أو يتناسى كل ما عرفه عن أحداثه وصراعاته ، بما فى ذلك صراعات ملوكه وأمرائه وأئمنته الرجعيين ضد أولئك النافرين عليهم من القرامطة . وهو اذ يفعل ذلك يصطنع الغباء اصطناعاً ، ويتقمص شخصية ذلك الامام الغبى الذى لفرط غبائه اسمى « على مقلى » مما استحق معه خلعه سريعاً من العرش .

غير أن مجمل هذه الصراعات التاريخية لم تقدم له غير اجابة هى ادعى الى التشاؤم والبأس ، ذلك أن المتطرفين ، شأن المعتدلين ، نم ير الشعب اليمنى على يدهم خيراً يذكر . وكما اختفى من مسرح التاريخ اليمنى جميع الملوك والأئمة ، والأمراء دون أن يتركوا فى ذاكرة الأجيال الحاضرة غير المرارة والمقت ، فإن القرامطة الذين لم يعمروا أكثر من عقدين من الزمن درست حتى آثارهم ، ومحي ذكرهم ، وان ذكروا لا يذكرون بغير لغة هى أقرب الى السنتيمة منها الى التقويم العلمى المنصف :

«الوز بالتاريخ ، أنسى ما روى عقلا ونقلا

— ٢٠٣ —

أبدوا « على مقلى » بدون إمامة وبدون مقلى
لا نالنى خير التطرف لا اعتدالى نال عدلا »

وإذا كان التاريخ ينبىء بأن تطرف المتطرفين واعتدال المعتدلين
لم ينجم عنهما لا خير ولا عدل ، وأن كليهما لم يقيما التقييم التاريخى
العادل فكيف الحال اذن مع ثوار اليمن اليوم ؟

يوجه البردونى هذه المرة السؤال الى اليمن كلها ، غير أنه
سؤال مضمخ بالدم ، ممتلىء بالحزن ، ممزوج بسؤال أليم آخر عما
إذا كان الاقتتال الأهلى هو السبيل الصحيح الى التقدم ، وعما اذا
كان الاكتواء بنار الحرب هو المدخل الى رحاب الغد ، وعما اذا كانت
السنة اللهب التى يصطلى بها الجميع هى النور الذى يدل على الطريق
نحو المستقبل ، وعما اذا كان لا سبيل الى ذلك بدون اهراق الدماء
أنهارا ؟

ومن « ردغان » تأتية الاجابة باسم « سبأ » كلها بأنه لا مناص
من الدخول فى حومة الوغى ، حفاظا على الثورة من الانحراف ، وأن
ما نزفته من الدماء لا يعدو أن يكون عملية حجارة ضرورية يصبح بها
جسمها أخف وزنا ، وأرشق حركة ، وأكثر حيوية ، وأشد فعالية ،
وإن ما بدا للشاعر كارثة حلت بالبلاد ليس الا نارا انفحت الثورة ، وازداد
بها معدنها الأصيل انصهارا ، وصلابة ، ولعانا ، واحمرارا ، بحيث
لا يقوى على لمسها أحد ، وبحيث لا يستطيع أحد اعتراض مسيرتها
وهى تنطلق الى مرحلة تاريخية أعلى ، وتكتسب مضمونا اجتماعيا
أعمق ، وشكلا نضاليا أرهف ، وهذه المرحلة التاريخية قد بدأ فصلها
الأول بالفعل بالانتصار فى معمة ١٣ يناير ١٩٨٦ . أما ما خلفته هذه
المعمة من غباو ودمار وأشلأ فستغدو وشما على جسمها ، ومعالم
جمال على معاصم بطلات الثورة . وسيكون ركام الجماجم ذرة أخرى

— ٢٠٤ —

من ذرى التضحية والفداء التى لم يتردد المناضلون عن صعودها
دائما • وما بدا قبرا للثورة لن يكون الا ذلك المرج الظليل الذى بلغته
فى نموها وتطورها :

« أقول يا « سبئية » لو كان ذاك الجود بخلا
لبيت موطنى الذى كتب اسمه وردا ونخلا
ومن المقاتل ، والمقاتل ؟ من رأى للنار عقلا ؟
« ردغان » نادى أن أذود وأن أحيل الصعب سهلا
فحملت رأسى فى يدى كى لا تصير الكف رجلا

واليوم أنزف كى أخف وكى أرف •• أمد ظللا
ما خلتهن كوارثى أنضجنى عركا وفتلا
ارتبى ما ترتبين غدا أخوض الشوط جدلا

هذا القبار على عيونى نورة حمراء كمللى
هدى الخرائب زينة بمصاصم البطالات أولسى
هذى الرفات سقسقيل ربي ، ويفدو القبر حقلا

تاتين أخرى غضة وأحد مضمونا وشكلا
أرخت من يومى غدى أنظر : أما أنهيت فصلا »

غير أن البردونى يسارع الى التقاط حبل الحوار من جديد : ذاك
حديث يتعلق بالمستقبل غير المعاش وغير المرئى بعد • وما هو مهم

الآن التيقن منه هو ما اذا كانت الفصول التي سبقت أحدا ١٣ يناير قد طوييت ودخلت ملف النسيان وكفت عن أن تكون أجراء من كتاب الثورة المفتوح ، وانه لم يعد فيها شيء يستحق الذكر أو الحياة ، والاستمرار ، وأننا من ثم أمام نقطة بداية جديدة :

« عما يكون تخبرين ؟ هل الذى كان اضمهلا ؟ »

ومثل هذه الخاطرة كانت مسيطرة على ذهن الشاعر منذ البداية ، وظلت تلح عليه الحاحا :

« ماذا كفجر اليوم لاح ؟ وما الذى كالأمس ولى ؟ »

ولا ينتظر البردونى اجابة على تساؤلاته التى تتطوى ضمنا على اجابتها • ماضى الثورة مستمر فى حاضرها ، ممتد الى مستقبلها • فليست هناك قطيعة أو قطع بين أى من فصولها • الثورة لها زمن واحد ، أيا كانت الأحداث التى تتخلله •

الأحداث الوحيدة التى يقابلها البردونى بالقشعريرة والفرع والى لا يستطيع احتمالها حتى باسم الثورة والثورية ، هى أحداث التقاتل الأهلى والاحتراب الدامى بين الناس بحجة حماية الثورة أو بهدف تطويرها • فتلك فى رأيه حماقة وجنون •

غير أن « ردفان » ترد عليه على الفور بأنه لا مفر من الجندون الثورى اذا لم يكف الآخرون عن ممارسة جنونهم ، وأنه لا بد للنصر من ثمن مهما غلا • والحرب تخلف الثكالى الى جانب الفرحين بالنصر •

« يا هذه خلى الجنون جنون غيرى ما نحلى »
أدمنت أكل بنيك ، يا حمقى : لأن النصر أعلى
من لا تحارب لا ترى فرحى ، ولا تبدو ككلى »

— ٢٠٦ —

وينهى البردوني قصيدته ببيت يتضح منه أن الحوار والسجال بين الطرفين لم يكلل بخاتمة حاسمة تسكن إليها نفسه • وتانس إليها روحه ، ويقنع بها فكره •

ليس هناك وضوح عما يأتي به الغد • هناك غموض •

غير أنه مجرد غموض لم يتجل بعد • وليس سحباً داكنة تطبق على آفاق المستقبل :

« قالت ، وقلت ، فلا اختفى سر ، ولا سر تجلى »

ما ينبغي التذكير به أن البردوني كتب هذه القصيدة الشعرية المثيرة في يناير ١٩٨٦ ، شهر الأحداث المهيولة ، والدماء كانت ما تزال تنزف ، والعمران يتحطم ، والناس في حالة دوار • وغبار المعارك ما يزال يملأ الأفق ، ويحول لا دون رؤية ما يأتي به الغد ، وإنما — بالدرجة الأولى — عن رؤية مواقع القدم •

ومن لم يملكه — في أتون الحرب المطبقة — شعور حقيقي ومبرر بالخوف من المجهول ، وبالقلق الحسـادق لا على مصير الثورة فحسب ، وإنما أيضاً على مصير الوطن والشعب ، حيث كان الأعداء يتربصون به الدوائر ويحاولون الانقضاض على الغريسة المثخنة بالجراح ؟

ومع ذلك فأنه رغم الألم الجارح الذي استبد بالبردوني تجاهه ما نزع من دماء ، وتحطم من عمران ، ورغم رغبته المطلق لحدوث ما حدث ، وشجبه القاطع لأسلوب الحوار بالرداس بين من يعلنون انتماءهم الى قضية الثورة ، ورغم السحب التي كانت ما تزال تظلل سماء المعارك وسماء الوطن ، فإن البردوني لم يحل الى الدرجة التي

— ٢٠٧ —

يفقد معها الثقة والرؤية ، كما حدث مع آخرين ممن عرضنا لهم وممن أم نعرض لهم •
فهو لم يعلن كفره بالثورة والثورية ، والتقدم والتقدمية • ولا تملكته نظرة عدمية الى تاريخ الثورة ، ونظرة تشاؤمية تجاه حاضرها ومهتهقبلها ، ولا صب جام غضبه على اليسار الى جانب اليمين ، ولا خلط الأوراق بين الفريقين •

أقصى ما وصلت اليه حساسية الشاعر أنه المح الى أنه رغم النقلة النارية فأن هناك غموضا عما اذا كانت هذه النقلة ستتحوّل الى شحنة ضوء تخترق مغاليق المستقبل •

وهو غموض كغموض الشعر • والغموض في الشعر قاعدة عامة ، والا لالتحق بالثر ، وغدا واضحا كل شيء فيه •
فليكن هناك غموض ما يتعلق بسيورة وصيورة الثورة •

ومهمة ثوار اليمن ، وطلّيعتهم النضالية : الحزب الاشتراكي اليمني ، الذي كان وظل ممسكا بقيادة الثورة ، هو العمل على جلاء هذا الغموض • وتوضيح كل خلفيات وملابسات أحداث ١٣ يناير ، وتقديم المعالجات النظرية والعملية التي تكفل لا الحيلولة دون حدوث شيء ما مما حدث فقط ، وانما أيضا الانطلاق بالثورة الى أهدافها القريبة والبعيدة المرحلية والاستراتيجية •

ولم يغفل أحد من الثوريين اليمنيين الحاجة الى عملية مراجعة نقدية لمسار التجربة الثورية في جنوب الوطن ، لاكتشاف مواطن . ويواطن الخلل التي سهلت تفجر الأحداث المسأوية في ١٣ يناير • ١٩٨٦

— ٢٠٨ —

لم يعد كافي القول بأن هناك مؤامرة قد حيكّت بليل • فلم
يعد لدى أحد شك في ذلك •

ما هو مطلوب الكشف عنه هو استجلاء العوامل الموضوعية
والذاتية التي تقف وراء ذلك كله ، ووراء ذلك الطابع الدرامي الذي
اتسمت به الأحداث لما يقرب أو يزيد عن عشرة أيام ، ولماذا كانت
ردود الفعل بذلك القدر من الحدة والاتساع والشدة •

هناك ثغرات تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية
وادارية وتنظيمية ونفسية تسلك وانطلقت منها هذه الكميات الهائلة من
البخار الحارق والقاتل •

وكان الحزب الاشتراكي اليمني ، ومع جميع المخلصين والمحبين
والحلفاء والشرفاء في الوطن العربي وفي العالم ، على رأس من دعوا
الى وقفة متمعة متفحصة ناقدة أمام هذه الثغرات •

وبعد الأحداث مباشرة أقرت لجنة الحزب المركزية ضرورة
وضع وثيقة تحليلية نقدية حول تجربة الحزب في قيادته للدولة
والمجتمع ، هدفها تحديد الايجابيات والسلبيات في عملية القيادة
هذه ، مع الكشف عن جميع الأمراض التي ظهرت — في الحزب والدولة
والمجتمع — طيلة الفترة الماضية ، وعلى أساس تقديم المعالجات
الصائبة التي تكفل تجنب السلبيات وتمنع تكرار المرض وتمكن للايجابيات
من النمو والتطور ، بما يؤدي — آخر الأمر — الى تمكين الثورة من
اكتمال مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، والسير في طريق التوجه
الاشتراكي ، والدخول في رحاب الاشتراكية •

وفي دورتها الأخيرة التي عقدت ما بين ١٥ — ١٨ سبتمبر ١٩٨٦
شهدت اللجنة المركزية للحزب على الأهمية البالغة لهذه الوثيقة

الانحليالية المنشودة . وحددت شهر يونيو من عام ١٩٨٧ موعداً للحؤنفرس الحزبى العام الذى سيناقشها ويغنيها ويقرها « والذى سيتمثل منعكفا تاريخيا هاما فى مسيرة حزبنا الكفاحية وتعزيز السير على طريق استكمال مهام الثورة الودانية الديمقراطية بأغافها الاشتراكية » .

بل ان اللجنة المركزية اتسارت بأصبح البنان الى بعض الأمراض والمعضلات التى جابهت وما تزال تجابه الثورة والتى يتعين العمل على الخلاص منها . حتى تتمكن من المضى فى مسارها التاريخى المرسوم . يقول البلاغ الصادر عن هذه الدورة ان من المهام التى انتدبت امام الثورة بعد خلوها ٢٢ يونيو التمهيدية اقامة « قدامع الدولة والاعمال التعاونى ناساس لانمسا الاقتصادى الانتقالى ذى التوجه الاشتراكى ، وترسيخ تحالف العمال والفلاحين وسائر الخادجين ، راحمال خدد تأثير الأيديولوجية البرجوازية والبرجوازية الديمقراطية ، وبتقنيا المفاهيم القبلية والعشائرية ، ونشر أفكار الاشتراكية العلمية ، ودية العلاقات مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وظلمتها الاتحاد الاشتراكي .

وفى الوقت ذاته واجهت وتواجه السلسلة . بالمقابلة . تعقيدات وصعوبات موضوعية وذاتية كبيرة ، أثرت بحسرة سلبية على نموها . وأحداث باتسكال متفاوتة سرعة تحولاتها وانتقالها الى طور نوعى جديد . ومن أبرز هذه الصعوبات والتعقيدات السلبية عدم التعامل الخلاق مع مبادئ المركزية الديمقراطية . والقيادة الجماعية فى مياق نشاط أجهزة الدولة ، وبروز النزعات المحلية الخيقة لقيادات بعض المحافظات والمديرىات . التى تتعامل مع القضايا المركزية والمحورية لتلور الثورة والمجتمع من زاوية المصالح الخيقة ، وظهور تريحة

برجوازية بيروقراطية متحالفة مع الشرائح الطفيلية في المجتمع ، وانتشار الفساد في بعض حلقات جهاز الدولة من جراء قيام بعض القيادات الادارية بأعمال السمسرة والكسب الشخصي مع الشركات الرأسمالية الأجنبية التي تنفذ عددا من مشاريع خطة التنمية ، ومع الشركات في البلدان الرأسمالية التي أخضعت العلامات التجارية معها تزداد اتساعا .

وزاد من خطورة تلك الظواهر ضعف العمل الأيديولوجي والسياسي بين صفوف أجهزة الدولة ، وعدم تطبيق سياسة طبقية ثورية في مجال التعامل مع الكادر ، واعتماد معايير التوازنات والعلاقات الشخصية بدلا عنها ، واثاحة فرصة السيطرة للعناصر التكنوقراطية على مراكز هامة في جهاز الدولة » .

ولواجهة هذه الظواهر السلبية وغيرها شددت اللجنة المركزية على « ضرورة الحد من استمرار هذه الظواهر في ظل الظروف الجديدة التي تمر بها العملية الثورية الجارية في بلادنا ، وأقرت جملة من الاجراءات وانتدابير الضرورية لتجاوز هذه الظواهر السلبية ، وتعميق طابع السلطة الطبقي ، ورفع فعالية الدولة كأداة رئيسية حاسمة لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الاغلق الاشتراكية .

وبهذا الصدد أكدت اللجنة المركزية على الأهمية التي تكتسبها مسألة « حماية وتعزيز الشرعية الديمقراطية » وعلى « ضرورة تطوير دور ومكانة مجلس الشعب الأعلى » وأكدت على جعل الدورة الانتخابية منطلقا لتعزيز الاتجاه الرامى الى تعميق الديمقراطية وإشراك الجماهير الكادحة في ادارة شئون الدولة والمجتمع » .

« وأهابت اللجنة المركزية بجميع المنظمات الحزبية وال جماهيرية والأجهزة الحكومية وشغيلة وكادحي البلاد الى المشاركة النشطة في النضال ضد البيروقراطية ومظاهر الفساد والرشوة والتعالى على الجماهير ، وترسيخ مبدأ المركزية الديمقراطية في نشاط أجهزة الدولة ، وتطبيق مبدأ القيادة الجماعية والمسئولية الشخصية . وشددت على ضرورة التصدي للنزعات المحلية ومحاربة المناطقية ، ومحاربة تأثير الشرائع والفئات الطفيلية على أجهزة الدولة ، وانتهاج وتطبيق سياسة مبدئية في مجال التعامل مع الكادر .

وأكدت اللجنة المركزية بهذا الصدد على الأهمية القصوى التي تكتسبها مسألة وضع نظام شامل للتأهيل النظري والعلمي والمهني لكوادر الحزب والدولة ، وتطبيق نظام الكادر الاحتياطي ، وتنفيذ قائمة المناصب الخاصة بالكادر الحكومي » .

واعتبرت اللجنة اركلزية دورتها هذه احدى المحطات « في مجرى اعادة بناء الحزب والمجتمع وتحسين أساليب وطرائق انقيادة الحزبية والسياسية للعملية الثورية ذات الآفاق الاشتراكية » .

وهي لذلك أكدت على أنه « يقع على عاتق كافة أجهزة الرقابة الحزبية والشعبية ووسائل الاعلام الجماهيرى واجب العمل على ممارسة دورها بشكل خلاق وصارم في مجال كشف وتعرية المظاهر السلبية » . (انظر نص البلاغ في صحيفة « ١٤ أكتوبر » عدد ١٩-١٩٨٦) .

ليس هناك اذن رغبة للتستر على ما اعتور التجربة الثورية في اليمن الديمقراطية من خلل ، وما أصابها من عاهات ، وما رافقها من سلبيات ، انعكست من التاريخ وبنية المجتمع التقليدية وعبر العمل على بنساء تشكيلة اجتماعية جديدة ، ومن البنيات التقليدية والطفيلية

— ٢١٢ —

والتابعة للمحيط المطبق عليها المؤثر فيها ، ومن الفضاء الامبريالى الأوسع
الذى عمل وما يزال يعمل على احتوائها وتذجينها ، تمهيدا لدفعها •

على العكس من ذلك هناك دعوة للاسهام فى كشف وتعرية ذلك
كله ، ومواجهته بالنقد الصارم والبناء •

ان أى جهد فكري جاد وصادق ومخلص فى هذا الصدد من
شأنه أن يساعد اللجنة المكلفة بوضع الوثيقة التحليلية النقدية •
ويساعد مسيرة الثورة على التغلب على العراقيل التى واجهتها وستواجهها ،
وعلى الدفع بها خطوات أبعد الى الامام •

ان ما كتبناه هنا لا يعدو أن يكون نظرة سريعة عابرة فى بعض
ما كتب حول مسار الثورة فى اليمن الديمقراطية بعد أحداث ١٣
يناير ١٩٨٦ الدامية التى كادت تزعزع اليقين حتى لدى بعض الناس
الطيبين فى امكانية استمرار الثورة •

ما من شك أن الجرح الذى أصيب به جسم الثورة كان جرحا بالغا
وعميqa وخطيرا ، ولكن ليس الى الحد الذى لا يمكن معالته التامه
والتعافى منه •

ويكفى أن الثورة قد نهضت على أقدامها من جديد • وبسرعة
غير عادية ، فى حين ظن الأعداء أنه لن تقوم لها قائمة بعد كل
ما حدث فى يناير الدامى ، وأنها بفعل هذا الجرح الدامى ستظل
تنزف حتى تسقط جثة هامة •

واذا ما دل ذلك على شىء ، فانما يدل على مدى اذالة وسلامة
الثورة ، وتعبيرها عن مصالح ومطامح شعبها فى المضي دائما الى الامام
من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية والاشتراكية والوحدة •

— ٢١٣ —

ومرة أخرى تثبت ثورة ١٤ أكتوبر أنها واحدة من الثورات
المعاصرة ذات الأصول الاجتماعية والانتماء الأيديولوجى السليم ، والنش
تستدابع بفضل ذلك كله ، وبفضل مساعدة حلفاء المسيرة الثورية الاممية .
مداواة جراحها بسرعة قياسية مهما بلغت ، واستعادة عافيتها ، ومعاودة
السير بهمة أكبر ، وثبات أعظم ، وخبرة أغزر ، فى اتجاه تحقيق آمانى
واحلام الشعب فى الحرية والوحدة والرخاء والسعادة والسلام .

عبد الفتاح اسماعيل ...

حياة جديدة وهـديـدة ... (*)

بعد عودته مباشرة من موسكو ، حيث قضى نصف عقد من الزمن بناء على رغبته بالذهاب الى بلاد لينين اثر ترك موقعه القيادي في الأمانة العامة للحزب وفي رئاسة الدولة ، حفاظا على النظام الديمقراطي والحزب الجليعي والتجربة التورية التي أسهم فيها كلها بنصيب نخالى واغر من اى اهتزاز — بعد عودته الى وطنه ونسلمه لمهمته الجديدة والمؤقتة بالدائرة العامة للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمنى التى قبل بها بروح رياضية عالية وبدأ بالاضطلاع بها على الفور حتى قبل أن يجف عرقه — بعدئذ مباشرة ذهبت اليه مرحبا ومحيا ومهنئا بسلامة العودة وباستئناف عمله فى قيادة المسيرة التورية ، ومتبادلا معه بضع كلمات هى أقرب الى تبادل الخواطر السريعة منها الى الحديث الهادف والمحدد النقاط الذى كان يستلزم لقاء مرتبا سلفا .

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٥/١/١٩٨٧ .

— ٢١٦ —

كان ممن شهد هذه اللحظات التي لا أدرى كيف أحسها رفد
محدود العدد كان أبرز من بقى منهم أثناءها الرفيق شغل عمر
الذى كان يشغل حينئذ ، وقع الرجل الثانى فى الدائرة العامة والذى يدل
اليوم موقع الرجل الأول فيها بصفته سكرتيرا للمجنة المركزية •

كان مما قلته له فى هذه اللحظات أنه لابد أن يكون مد
استثمر فترة غيابه الاضطرابى فى الاطلاع والتأمل والكتابة • وأنه لابد
أن يكون قد وصله أحد كتبي الذى أهديته له ، والذى يحتوى
على رسائل شخصية الى بعض رؤساء البلاد كان هو على رأسها •

كان جواب عبد الفتاح اسماعيل : انا لم أقرأ هذا الكتاب
فحسب ، وانما قرأت أيضا كتبك التى منعوها انزالها الى المكتبات العامة ،
ولا أدرى لم فعلوا ذلك ؟ !

كان يشير بذلك الى كتابى « حول الوحدة اليمينية والانتهازية
اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » و « مساجلات حول حركة الأحرار
اليمينيين » وهما الكتابان اللذان اغتبط البعض ممن يفترض فيهم الدفاع
عن حرية الكلمة المسئولة والبحث العلمى لعدم السماح لهما بالخروج
الى الأسواق — كما كتب هذا البعض •

ودعت عبد الفتاح اسماعيل ، مبتهجا بملاحظاته المعبرة عن عمق
ايمانه بحرية الكلمة المتزمنة والديمقراطية الحققة ، على أمل الالتقاء به
والجلوس معه فى خلوة فكرية كتلك التى اتاحت لنا غير مرة فى القاهرة
وعدن •

ليس الوقت ملائما ولا الظرف مناسباً للاستماع الى شريط
الذكريات مع عبد الفتاح اسماعيل • ينبغى أولا نشر ذلك الكم الهائل
من الرسائل التى وجهتها اليه شخصيا مع الرسائل التى أشركت فيها

الى جانبه زملاءه في قيادة الجبهة القومية ، وهى الرسائل المتعلقة بقضايا البلاد الوطنية ، وعلى رأسها قضية الوحدة اليمنية ، والجبهة الوطنية العريضة ، والأداة الطليعية الموحدة . هذه الرسائل التى استمر ارسالها اليه — من عدن والقاهرة وبراغ — سنين عديدة ، والتى كان مجرد ارسالها اليه دونما انقطاع حتى عودتى الى عدن بعد الخلاص من التيار الانتهازى اليسارى ، ناهيك عن محتوياتها ، يدل وحده على الدور التاريخى الخاص الذى كنت ارى أنه مهياً له ، سواء فى مضمار قيادة العملية الثورية على نطاق الساحة اليمنية . أو فى مضمار صنع الأدوات النضالية القادرة على المضى بها قدما الى الأمام .

تحتوى احدى الرسائل التى تضمنها الكتاب الآنف الذكر على الفقرة التالية : « لقد سبق أن كتبت للرفيق عبد الفتاح اسماعيل فى آخر رسالة اليه ، مؤكداً أنه واحد من هذه القيادة الوطنية اليمنية الجامعة اللامعة الناضجة الشريفة القادرة على دفع وطننا وشعبنا فى هذا الاتجاه الوطنى والديمقراطى والتقدمى » .

(ص ٥١ من كتاب « رسائل الى شهيد اليمن ابراهيم الحمدي ») .

لم يكن هذا الحسد بدون أساس ، وما لبثت حركة الأحداث أن برهنت على صحته .

وكما أسهم عبد الفتاح اسماعيل بدور بارز فى الاطاحة باليمن الانتهازى بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ م ، فإنه لعب ذات الدور فى التطويق باليسار الانتهازى بهبة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م .

وبذلك فتتح الطريق نهائيا لقيام الحزب الطليعى الذى كان فى

مركز الدائرة من همومه واهتماماته ، والذي بقاؤسيه في أكتوبر ١٩٧٨
غدا أميناً علماً له •

بقيام هذا الحزب ، الحزب الاشتراكي اليمني ، وجد صمام
أمان الثورة ، والضمانة التاريخية لاستمرارها وتعمقها ونموها ، ولتحقق
كامل أهدافها القريبة والبعيدة ، المرحلية والاستراتيجية •

كان يكفى عبد الفتاح اسماعيل أن تكون خاتمة نضاله هي قيام
مثل هذا الحزب الاشتراكي العلمى الذى نقشت على رأيتة غرة مجد
اليمن الجديد •

أن تكون الحياة قد امتدت به بعد ذلك ، فذلك كانت فضلة أو
اضافة من العمر لم يكن يملك الا استثمارها في توطيد دعائم هذا
الصرح الذى أثبتت الأحداث مدى مناعته ورسوخه •

أن يكون قد سقط صريحا في واحدة من أغرب المؤامرات التى
تمتحن بها الشعوب — الا وهى مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ — فذلك هو
الجانب التراجمى في حياته وملحمة نضاله •

ولكن هل تخلو حياة وتاريخ الزعماء الاسطوريين والحقيين
من المأسى ؟

المأساة تكاد تكون جزءا لا يتجزأ من حياة وتاريخ الزعماء
والأبطال والفرسان ، ونادرا ما أفلتوا منها • ولربما كان مصير الكثير
منهم دائما مأساويا ، كما لو كان قد هدر مقدورا ، ولربما داهمهم هذا
المصير ، وهم في مطلع أو قمة مجدهم •

ولكن هذا المصير المأساوى الذى يحتفظ التاريخ العربى بـصور
دامية منه حتى اليوم ، هو الذى يعمق باستمرار الاحساس والارتباط
بالقضايا التى سقط من أجلها وعلى ساحتها الشهداء •

— ٢١٩ —

ولربما لم يكن سجل عبد الفتاح الحياتي والنضالي الحافل في حاجة الى شيء قدّر حاجته لأن تكتب آخر صفحاته بنجيع دمه وذوب روحه ، تتويجا لهذا السجل ، وخاتمة مثيرة له •

ولكن هذه الخاتمة المثيرة والمأساوية هي ذاتها بداية حياة جديدة ، وتاريخ مديد •

والحزب الاشتراكي اليمني الذي أسهم عبد الفتاح اسماعيل بدور أساسي في قيامه هو حياته الجديدة •• وتاريخه المديد •

ألم يقل الحزب ذلك صراحة ؟ ألم يعترف بدوره الأساسي هذا ؟ ألم يطلق عليه ، وهو ينبغي ، لقب مؤسس الحزب ؟ !

وهل كان ينبغي عبد الفتاح اسماعيل أكثر من هذا •• أكثر من أن يكون مستمرا في حزبه وبحزبه ؟ !

أليس خاتمة حياته مما يغطيه عليها الاحياء بلا حياة ؟ !

أليس هذا الدخول في التاريخ من أوسع أبوابه مما يحسده عليه كل من سدت في وجهه كل الأبواب •• أبواب التاريخ ، وأبواب الخلود ؟ !

ليس مجرد نعي لعبد الفتاح اسماعيل ما تضمنه بيان المكتب السياسي للجنة المركزية الذي تلاه الأمين العام الرفيق على سالم البيض في ١٠ فبراير ١٩٨٦ •

انه تقييم مركز مكثف لتاريخ عبد الفتاح اسماعيل النضالي ، وتتمين عميق بليغ لهذا التاريخ الحافل ، وتحميد قاطع حاسم لدوره الشخصي في بناء الحزب الاشتراكي اليمني ، رائعة تاريخه ، وتاريخ اليمن الجديد كله •

واذن فان علينا أن نعيد قراءة هذا البيان قراءة تاريخية

« لقد حل بحزبنا وشعبنا مصاب غادح جلك بالاستشهاد ابراهيم
عبد الفتاح اسماعيل ، مؤسس حزبنا ، ومشعل الحرف الوضاء ، وانبل
وأوغى مناضلي الاشتراكية العلمية في بلادنا ، وابن حزبنا الهمام ،
حزب الطبقة العاملة المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين ومسائل
الكادحين ، والكادح الخالد ، والفارس الجسور لمبارك الحريه
والاستقلال والسيادة والوحدة ، فأى مشعل للفكر قد انطفأ ؟؟ رأى
قلب توقف عن الخفقان !

الا فليصم التاريخ بعمارته الأبدى سافكى دماء فرسان الثورة
الأمجاد .. عبد الفتاح اسماعيل ، وعلى أحمد ناصر عنتر ، ود...الح
مصلح قاسم ، وعلى شائع هادى ، وبقيّة الشهداء من أعضاء الساجدة
المركزية وكوادر الحزب .. ولانامت أعين الجبناء .

كان عبد الفتاح اسماعيل دائماً وأبداً على خط النار الأول ، سواء
في النضال التحررى ضد الاستعمار البريطانى وركائزه ، أو من أجل
التقدم الاجتماعى ، وفي النضال من أجل توحيد فصائل اليسار في
تنظيم طليعى ، وفي قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومن أجل نقاوته
والذود عن اختياراته السياسية والأيدولوجية ، أو في النضال الحازم
والثابت ضد النزعة الفردية ، وضد الاتجاهات اليمينية واليسارية
المغامرة داخل الحزب ، وفي النضال من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية ،
أو من أجل تحقيق حلم شعبنا وأمله في يمن ديمقراطى موحد . وفي
العمل السرى ، أو في أعلى مناصب الحزب والدولة ..

لقد شيد ورغاق دربه العظام ، وفي بطولة غائقة ، حزب الطبقة
العاملة عقل وشرف وضمير شعبنا .. الحزب الاشتراكى اليمنى ..

وكان في أحلك السنين ، والأرض تشتعل بلهب مؤامرات القوى المضادة للثورة وأسيادها ، ثوريا لا يخشى شيئا ، مناضلا واعيا مفعما بالتفاؤل وبالثقة بالمستقبل وبقدرة شعبه وحزبه على انتزاع الظفر بالذئب في جبهات البناء والعمل والدفاع عن الوطن والثورة .

وتحت قيادته ، ورفاقه التاريخيين ، للحزب الاشتراكي اليمني . تحققت انجازات تقدمية لشعبنا . . . وغدت اليمن الديمقراطية قلعة سامخة للحرية والتقدم الاجتماعي . ومنارة هادية للاشتراكية العلمية . سلاح الكادحين ، للقضاء على عالم القهر والعبودية والاستغلال ، وسلاحهم الأمضى والمجرب لبناء غدهم المزدهر على هذه الأرض . . . كما غدت اليمن الديمقراطية فعلا ، مكان احترام الاحمداء ، ومهابة الأعداء .

لقد كان عبد الفتاح اسماعيل . ابن شعبنا البار ، خضما عنودا للدوائر الامبريالية والرجعية ، وخضما عنودا للانتهازية اليمينية واليسارية ولكل مظاهر النزعة الفردية ، وخضما لاثنتين قناته لكل أعداء الشعب اليمني ، ومناضلا بارزا في حركة التحرر الوطني العربية وفي الحركة الثورية العالمية .

كان وهاؤه العظيم لحزبه وشعبه . ونباته المبدئي والفكري ، روعيه الرفيع وحراحيته ، ونبله الفائق ، وتواضعه الجم ، من أركان هيئته وشهرته الفائقه .

كانت مآثره عظيمة لدرجة يستحيل معها أن نوفيه حق التقدير ، وكانت قضيته رائعة . . . كما كانت كذلك حياته الباهرة . . . لسلام عليك . أيها الرفيق الغالي — يوم ولدت ، ويوم توحشت ذرات جسدك الداهر مع تراب هذا الوطن الذي كنت حموته . وكان حيويتك ، ويوم اشتعل اسمك نارا وثورا في سماء الخلود الأبدى » .

— ٢٢٢ —

« صحيفة » ١٤ أكتوبر ١١-٢-١٩٨٦ م *

تلك فقرات من البيان * * فهل لدى أحدهما إضافة ؟

ربما بقيت لى شخصيا إضافة * * ولكن لا فى مضممار تقييم دور عبد الفتاح اسماعيل التاريخى ، الذى لا تحتمله مقالة صحفية . هى أقرب الى الاغضاء بالمشاعر أكثر منها أى شىء آخر * * وانما هى إضافة تتعلق بآخر لقاء معه *

مع حلول رأس السنة الميلادية الجديدة ١٩٨٦ ذهبت والرفيق الشهيد على أسعد مثنى سكرتير اللجنة المركزية ورفاق آخرين لتقديم التحية والتهنئة للرفيق سالم صالح محمد سكرتير اللجنة المركزية من حيث توجهنا مباشرة الى الرفيق عبد الفتاح اسماعيل فى مكتبه أينما لذات الغرض *

كان ما أثار انتباهى ، وحفر عميقا فى وجدانى — أثناء تبادل العناقى والتهانى مع عبد الفتاح اسماعيل — هو تلك البشاشة والابتسامة الجميلة التى ملأت وجهه ، وتلك الضربة الحانية و « القوية » من يده اليسرى على كتفى الأيمن *

أكان بذلك يريد أن يرعش كل وجدانى ، ويطلق حبيس أحاسيسى ، ويفجر كل ما كان مكتوزا من المشاعر تجاهه فى أعماقى ؟ !

كان ذلك هو اللقاء الأول والأخير الذى أحسست معه أن عبد الفتاح اسماعيل قد ألغى كل مسافة بينه وبينى ، وتصرف معى بعفوية ساحرة ، ووجدانية آسرة !

(أول لقاء بيننا تم فى صنعاء بعد أحداث ٣ أكتوبر ١٩٦٧ ، من حيث سافرنا معا الى القاهرة) *

— ٢٢٣ —

وبعد : فهل هناك من بيننا من لا يدين لعبد الفتاح اسماعيل
بشيء ؟

على أن أغلى دين له في أعناقنا جميعا هو دوره الخاص وغير
المنازع في توحيد قوى التقدم في كل توري واحد .. في تسييد
حزب الثورة والثوار ، حزب العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وجميع
الكادحين ، حزب الاشتراكية العلمية والاممية البروليتارية ، الحزب
الحامل والمجسد للمستقبل كله ، مستقبل شعبه ، والحالم والعامل ،
جنبنا الى جنب مع فصائل الثورة العالمية ، من أجل حنح مستقبل
البشرية الوضاء ، الحزب الذي كسب به توار ائمن هويتهم الثورية
الاممية ، وانتماءهم الى الانسانية التقدمية !

واذا كانت مناعة ووحدة هذا الحزب الفكرية والسياسية
والتنظيمية قد تعرضت - بفعل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ المشؤومة -
لمحنة خطيرة ، كان هو من أوائل ضحاياها ، فإن المهمة الأولى والعاجلة
والملحة - لمعالجة آثار هذه المحنة ، ولماصلة المسيرة الثورية - تتمثل
في البحث الدقيق عن العوامل الذاتية والموضوعية التي ساعدت على
ذلك وبالأذات عن جوانب الخلل الأيديولوجي والسياسي والتنظيمي
المحتملة في الحزب ، وعن العوامل الاجتماعية والتاريخية المفترضة داخل
المجتمع بكل افرازاتها في مجمل البنية الفوقية له ، إذ أن معرفة ذلك
جيذا تمثل خطوة هامة في اتجاه تصحيح جوانب الخلل ، ومعالجة مكامن
الـ

أما الحل الكامل فيتمثل في راب الصمدع الذي أصيب به الحزب ،
وحسب وحدته الفكرية والسياسية والتنظيمية صبا ، وعمل كل ما يمكن
ويجب عمله من أجل ذلك .

— ٢٢٤ —

وعبر التحقيق الكامل لهذه الوحدة ، تتعزز — كما لم يحدث
في أى وقت مضى — الوحدة القائمة للوطن والشعب ، الوحدة الوطنية
والشعبية المتينة .

وفي أعماق هذا الحزب الطليعى الواحد الموحد سيعيش
عبد الفتاح اسماعيل عمره الجديد ، وحياته الجديدة .

ذكریات وخواطر

فی حرم متحف

عبد الفتاح اسماعیل

حقاً أن تاریخ الشعوب والمكانة التي يشغلها القادة فيه تكتبهما مراكز البحث الحزبی والجامعی والمؤرخون المختصون *

غير أن المتاحف الخاصة بحقبة تاريخية ما أو بشخصية تاريخية مامة بكل ما تحتفظ به من آثار أو أثر ، ومن أوراق أو ذكريات تغدو مرجعا لا غنى عنه عند كتابة تاریخ هذه الحقبة وسيرة هذه الشخصية *

واقامة متحف عبد الفتاح اسماعیل فی ما تبقى صامدا من أركان منزله الذي كادت ثلثتهم نيران مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامی - بعد أن عرفت به وزملائه من قادة الحزب والدولة ريحها الهوجاء - اقامته ، حمل معاني ودلالات جمة ، فهو شاهد على هول وبشاعة المؤامرة ، وهو نصب تذكاري لرجل من رجالات التاريخ الخالدين ، وهو رمز لتكريم الأحرار والشعوب لقادتها وأبطالها ، وهو تعبير عن استمرارية الرسالة الثورية التي سقط وهو يرغم لواءها ، وهو أخيرا مرجع لكل ما يتعلق بحياة وتاريخ وأبدية هذه الشخصية اليمينية السامقة الالامعة التي ستدخل التاريخ باعتبارها واحدا من أبرز المعالم

المباقية على ميلاد اليمن الجديد : اليمن الديمقراطي الاشتراكي
الموحد •

وأنا في حرم متحف عبد الفتاح اسماعيل المهيب لا أملك عدا
الشعور بالخشوع والاحلال الا أن أسجل واحدة من ذكرياتي العميقة
والعديدة مع عبد الفتاح اسماعيل : المواطن الحق ، والوطني
الأصيل ، والثوري المتأجج ، والسياسي البار ، والمثقف الكبير •

كان اللقاء الحميم والطويل والجميل والغنى والمبهج في منزله في
معاشق • كنت ضيفه الكريم في هذا اللقاء الذي أردته شخصياً أن يكون
رسمياً ومتسماً بالترمت الواجب عند لقاء الرؤساء وزعماء الأحزاب ،
ورجال الدولة •

وبطريقته المشهودة التي تميز بها دائماً والتي تجمع ما بين الخلق
العظيم ، والبساطة المحببة ، والشفافية الوجدانية ، والقدرة على
النفوذ الى شغاف القلب ، والتي تلغى — بفعل ذلك كله — كل مسافة
بينك وبينه ، وتبدد كل شعور لديك بالكلفة أو الحرج أو بأنك في
حضور الرجل الأول في بلدك — بذلك جعلني عبد الفتاح اسماعيل أشعر
بأننا في جلسة أخوية مفتوحة طلقة كهواء معاشق الطلق •

كان ذلك في نهاية سبتمبر أو مطلع أكتوبر من عام ١٩٧٨ ، حيث
قدمت الى عدن من براغ في زيارة خاصة تهيؤاً لعودتي اليها مع
عائلتي •

بعد قليل من تبادلنا أطراف الحديث عما هو عام وخاص
أصبحنا ثلاثة بانضمام الزميل راشد محمد ثابت الينا ، وكان يشغل
حينئذ موقع مدير مكتب الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني
عبد الفتاح اسماعيل •

كان ناصر ناجي الذي لازم عبد الفتاح اسماعيل هو الوحيد الذي كان يحل علينا بين حين وآخر ليظلمئن الى أن انغماسنا في الحديث الممتع لم ينسنا أن نتناول شيئاً من البيرة المثلجة وأن نطعم من اطاييب المائدة الشهية .

أول ما قلته لعبد الفتاح اسماعيل بعد لحظات عناق حارة : يبدو أنه حُببت على إلا ادخل عدن مرة أخرى إلا بعد أن يخرج منها سالم ربيع على !

علق عبد الفتاح مبتسماً : بالفعل عندهما وصلتنا رسالتك التي بعثتها من القاهرة عن طريق السفير راشد محمد ثابت ، والتي تطلب فيها حلاً بعد أن أنهى أنور السادات حقل في اللجوء السياسي في مصر ، وطلب مكتب اللاجئين السياسيين ضرورة مغادرتك مصر خلال أسبوع . فإن المكتب السياسي ارتأى قدومك الى عدن ، غير أن ربيع على رفض .

تلك كانت لحظة من اللحظات — البالغة الأهمية والحساسية بالنسبة لأي شخصياً — والتي تجلت فيها روح المواطنة والوطنية العميقة والأصيلة في عبد الفتاح اسماعيل تجاه مواطن لا ينزى له مصيراً بعد أن غدا بلا ملجأ أو ملاذ أو منفى ، كما برزت لديها سمة القروية المغلقة والبليدة التي ملبتت شخصية ربيع على ، دون أن يخفف منها وجوده على رأس دولة يمنية مسؤولة عن حياة ومصير كل مواطن يمنى بحكم دستورها الذي يحكم باسمه .

كان من الطبيعي أن يكون الحديث في جزء كبير منه حول الخدر الذي مثلته انتهازية ربيع على اليسارية الطفولية على قضية الثورة والوحيدة اليمنية بكل ما انتهت اليه هذه اليسارية المتطرغة من جنوح وحسب اليمين . شأن كل يسارية «تطرغة» في كل زمان ومكان ..

— ٢٢٨ —

ولقد حبيت بحرارة وقوة الدور الشخصى الذى لعبه
عبد الفتاح اسماعيل فى مقارعة هذا الخطر منذ لحظة بروزه بعد
انعقاد المؤتمر الخامس للجبهة القومية عام ١٩٧٢ م — وهو الخطر
الذى لمسته لمس اليد خلال فترة وجودى فى عدن ما بين نهاية
نوفمبر ١٩٧٢ — نهاية فبراير ١٩٧٣ — الى لحظة الاطاحة به فى ٢٦
يونيو ١٩٧٨ •

كما حييته بذات الحرارة والقوة على دوره الشخصى فى قيام
الحزب الاشتراكى اليمنى الذى بنائه تتحقق الراهقة التاريخية التى
تنقل اليمن من حالة الشتات والتمزق الى حالة التماسك والتوحيد ، ومن
القروية والانفصالية الى الوطنية والاممية ، ومن التسلط القروسطى
الى الديمقراطية الثورية والديمقراطية الاشتراكية •

تخل ذلك كله شرح عبد الفتاح اسماعيل المستفيض للتكتيك الماهر
الذى اتبعه من أجل العودة من بلغاريا الى عدن . بغية اعداد العدة
للخلاص من اليمن الانتهازى — وهو ما تحقق بقيام حركة ٢٢ يونيو
التصحيحية ١٩٦٩ م وللتكتيك الفطن الذى سار عليه حتى أمكن التصدى
والاجهاز على اليسار الانتهازى بهبة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ •

كما ذكرت من جانبى "عبد الفتاح اسماعيل" الحوارات التى دارت
بيننا أثناء فترة اقامتى فى عدن فى نهاية ١٩٧٢ ومطلع ١٩٧٣ وبرسائلى
اليه والى قيادة الجبهة القومية التى كنت أرسلها من القاهرة وبراغ منذ
هذا الوقت وحتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، اضافة الى المقالات
التي كنت أنشرها فى المجلات المصرية والعربية ، والتي كانت تدور حول
مخاطر خطر القروية والعزلة والتطرف الذى كان يتبعه ربيع على ،
وحول ضرورة قيام النواة الطليعية الحزبية القائدة • والجبهة الوطنية
العريضة ، ضمانا لدفع الثورة فى طريق استكمال مهام الثورة الوطنية

الديمقراطية ، وطريق التوجه الاشتراكي ، عبر تحقيق الوحدة اليمنية على أسس ديمقراطية تقدمية ، ومن أجل ان تلعب اليمن دورها تجاه نضال أمتها العربية المتجه صوب تحقيق الديمقراطية ، والوحدة العربية التقدمية ، والاشتراكية ، وتجاه نضال حركة الثورة العالمية الهادفة الى الخلاص من الامبريالية والحسبونية والرجعية . وتحقيق الديمقراطية والاشتراكية والسلام .

كان راشد محمد ثابت الذي نشأت بينه وبينى علاقة صداقة منذ كنت في عدن مع نهاية ١٩٧٢ ومطلع ١٩٧٣ اردادت وثوقا خلال فترة بقائه في القاهرة سفيرا حتى ترحيلها منها في نهاية ابريل ١٩٧٧ . كان طرفا في الحوار الخصب والمتعدد الجوانب ، والذي كان عبد الفتاح اسماعيل واسطة العقد فيه .

اطلعنا عبد الفتاح اسماعيل على بعض ما دار بينه وبين زعماء جبهة الحمود والنمساى العربية من مناقشات نظرية حول سلامة الخيار الاشتراكي العامى الذى اخذت به اليمن الديمقراطية .

وكان نقاشه النظرى مع قائد ثورة الفاتح من سبتمبر الليبية العقيد معمر القذافى حول « الاشتراكية العلمية » التى يتبناها عبد الفتاح اسماعيل وحول « النظرية الثالثة » التى يدعوا لها العقيد القذافى هو أمتع ما سمعناه على مائدة الطعام . وما زاد من شهيتنا المادية والروحية !

وعندما عدت من براغ مع زوجتى وأولادى الى عدن في نوفمبر ١٩٧٨ أبت روح المواطنة والوطنية العميقة والاحيلة في عبد الفتاح اسماعيل — أبت عليه الا أن يقاسمنى وعائلتى البيت الخاص به

— ٢٣٠ —

وعائلته • حينذاك أحسست بأن عبد الفتاح اسماعيل لا يقطع لى جزءا من بيته آوى اليه وأفراد عائلتي بعد حياة اللجؤ السياسى والمنافى فى القاهرة وروما وبراغ وانما يقطع لى جزءا من ذاته أسكن فيه ويسكن فى •

ولذلك كله فان فزعى كان عظيما — شأن غيرى من المواطنين الذين كانوا يعرفون دوره وفصله — عندما بدأت المشاكل تحيط به وبموقعه القيادى •

وكما أتيج لى أن أعرب عن هذا الفرع لعلى ناصر محمد الذى كان يشغل منصب رئيس الوزراء فى هذا الوقت ، فانه أتيج لى والزميل مجاهد القهالى أن نعبر — فى لقاء مطول مع كل من محمد سعيد عبد الله « محسن » ، الذى كان وزيرا للأمن الدولة حينئذ ، اضافة الى عضويته فى المكتب السياسى ، وعضو المكتب السياسى وزير الدفاع على أحمد ناصر عنتر — عن قلقنا لجريات الأمور •

عندما أزيح عبد الفتاح اسماعيل من الأمانة العامة للحزب ورئاسة الدولة فى ٢١ أبريل ١٩٨٠ — وسط قلق حزبى وشعبى من مغبة غيابه فى وقت تحتاج فيه الثورة والبلاد الى مثل قيادته المجربة — كان كتابى « حول الوحدة اليمنية والانتهازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » الذى حوى الكثير من الاقتباسات والاستشهادات بعبد الفتاح اسماعيل ، يطبع فى « دار الفارابى » فى بيروت •

تحت تأثير ما حدث فى قيادة الحزب فى عدن ، وبهدف أن أدخل تعديلا فى الكتاب أشطب منه الاقتباسات والاستشهادات الآتفة الذكر — أعيد الى الكتاب بواسطة الدائرة الاعلامية فى رئاسة الوزراء •

لم أشطب أقوال عبد الفتاح اسماعيل وانما أحطلت لقب « رئيس الحزب » — وهو اللقب الشكلى الذى منح له تغطية لازاحته — محل لقب الأمين العام ورئيس الدولة « وكتبت مقدمة نوهت فيها باسم على ناصر محمد الذى أصبح يتبوا هذين المنصبين اضافة الى رئاسته الوزراء •

لم يكن هذا التنبويه كاهيا لى يمر الكتاب بعد طبعه • فعندما وصل عدن أودع فى مخزن الدائرة الأيديولوجية للجنة المركزية ابان شغل د • عبد الله الخامرى لها • ولم يفرج عنه ليدوع فى مخزنى الخاص مع نسخ كتاب آخر ظلت محتجزة أيضا ، وهو « مساجلات حول حركة الأحرار اليمنيين » الا بعد تسلم سالم صالح محمد سكرتارية الدائرة الأيديولوجية •

بعد عودة عبد الفتاح اسماعيل من موسكو فى ٧ مارس ١٩٨٥ كان الأمل يراود الكثير — ومنهم كاتب هذه الذكريات — أن تكون تلك بداية تضيم الجراح ، ورأب الصدع ، وانهاء حالة التشرذم والتكتل ، واعادة الوحدة للحزب •

ألا يتحقق هذا الأمل ، وأن تحدث — بدلا من ذلك — كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ التى ذهب ضحية لها عبد الفتاح اسماعيل وعلى أحمد ناصر عنتر ، وصالح مصلح قاسم وعلى شايح هادى ، وغيرهم من الكوادر الحزبية والشعبية والعسكرية ، من الجانبين لأن المسؤولية عن ذلك تقع بالكامل على مدبرى هذا الجرم فى حق الحزب والشعب والمؤسسات الشعبية والرسمية ، وعلى رأسهم جميعا على ناصر محمد ، الذى أجاز استخدام السلاح لحل خلافات حزبية ، رغم قرار الحزب بادانة من يلجأ الى ذلك •

كان يمكن لعلى ناصر أن يستجيب للداء السوفيتي الذي وجهه اليه - كما اتضح أخيرا - قبل وقوع الكارثة بقتيل ، والذي طلب اليه فيه أن يقبل بفكرة التوجه الى موسكو مع عبد الفتاح اسماعيل وعلى أحمد ناصر عنتر ، بهدف البحث عن حل مقبول يرضى الجميع ويجنب البلاد مخاطر محققه .

كان رفض على ناصر لهذه المناشدة وهذا المسعى الاممي النزيه والذي لم يكن له بديل ، والذي كان من الممكن أن يكلل بالنجاح - كان هذا الرفض دليلا قاطعا على أن على ناصر قد تنكب طريق الرشد والصواب والحزب .

وكان لجوّه في ١٣ يناير ١٩٨٦ الى طريق المغامرة والمؤامرة والقتل هو دليل الافلاس السياسى ، والانتحار الشخصى ، والموت حيا .

أما عبد الفتاح فقد رحل على رأس كوكبة من المناضلين ، بينما بقيت قضيتة ، قضية الثورة اليمنية ، والوحدة الوطنية الديمقراطية ، والاشتراكية ، بقيت في يد كوكبة أخرى من المناضلين ، وفي يد الحزب والشعب وكل قوى التقدم اليمنية .

لقد غاب جسد عبد الفتاح ، وتوقف دماغه عن التفكير ، وكف قلبه عن النبض .

غير أن جسم الحزب الذي أسهم بدور أساسى في بثائه ، حتى استحق أن يطلق عليه هذا الحزب لقب المؤسس له ، ما برح يضج بالحياة ، ودماغ هذا الحزب الجماعى ما هتئى يزخر بالعطاء الفكرى الذى لا ينضب ، وقلبه الذى يحس دبيب حركة الأرض في وطنه وفي أمته وفي العالم من حوله لا يكف قط عن الخفقان .

وفي ذلك كله حياة دائمة وأزلية لعبد الفتاح اسماعيل . وذلك ما يقوله أيضا متحفه .

نظرة برجوازية صغيرة ونظرة ثورية علمية أزاء تجربة الثورة في اليمن الديمقراطي (*)

يبدو أن ذلك القدر من الصراحة الذي تحدثت به « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ - ١٩٨٦ م » عن السلبات التي رافقت مسيرة الحزب الاشتراكي اليمني خلال هذه الفترة من وجوده ، وراغقت من ثم معه تجربة الثورة ذاتها قد حاول البعض من دعاة الخصوصية الشرقية - بكل ما يتفرع عنها من خصوصيات لكل أمة وشعب وقطر - أن يوظفوها لتبرير دعوتهم أو دعواهم بأن اليمن الديمقراطية قد حادث منذ البداية عن النهج القسوييم عندما صرفها بريق الشعارات والأيديولوجيات والنظريات التي أفرزتها بيئة حضارية واجتماعية غربية ذات خصوصية تاريخية متميزة عن معرفة واقعها التاريخي والاجتماعي الخاص وكانت النتيجة من ثم هذا الحصاد المرير من التآزمت والهزات والكوارث التي عاشتها منذ عشية الاستقلال حتى اليوم .

فالاحتتال الأهلى بين الجبهة القومية وجبهة التحرير وصراعات اليمنى في أكتوبر ١٩٧٨ م ودخول الحزب في صراع هاد مع نفسه

(م) نشرت في « صوت العمال » في ١٩٨٧/٦/٢٥ .

١٩٦٨ ضد يمين الجبهة القومية الحاكم وحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م والنزاع الطويل بين تيار ربيع على اليسار الطفولى واليسار النورى والذى انتهى بنصفية اليسار الطفولى فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م ودمج الاتحاد الشعبى الديمقراطى وحرب الطليعة اشعبية ضمن المنظم السياسى الموحد الجبهة القومية الذى انبثق عنه الحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م ودخول الحزب فى صراع حاد مع نفسه منذئذ بكل ما أدى اليه من أحداث دامية فى ١٣ يناير ١٩٨٦ وما تلاه - كل ذلك وغيره من الاختتمارات التى ما تزال تعتمل وتتفاعل يؤكد دة وجهة نظر دعاة الخصوصية هؤلاء ودعواهم بأن اليمن الديمقراطية قد ضلت سبيلها منذ البداية حين اشاحت النظر عن متطلبات ومستلزمات الواقع الموضوعى وراحت تفسخ ما ألفه غيرها وتحاول تطبيقه بحذائيره على واقعها الخاص والمعقد والمتفرد .

ووفق وجهة نظرهم هذه فإن مجمل التجربة الميرة التى عاشتها اليمن الديمقراطية منذ الاستقلال والى اليوم قد أثبت - وحتى بشهادة بعض ما اعترفت الوثيقة التحليلية بحدوثه من الأخطاء والانحرافات والفساد ومن نمو برجوازى طفيلى وببروقراطى داخل المجتمع والدولة ومن اصابة الحزب ذاته بكثير من هذه الأمراض وغيرها بما فيها مرض النزوع الاستهلاكى - قد أثبت أنه ليس هناك - من وجهة نظرهم - ما يمكن تسميته « تجربة ثوريه » متميزة فى اليمن الديمقراطية عن غيرها من التجارب التى عرفتها بلدان عربية وغير عربية أخرى ، هذه التجارب التى اما انتهت الى المسقوط أو راوحت فى مكانها تمهيدا للحاق بمثيلاتها وهو نفس المآل الذى ينتظر تجربة اليمن الديمقراطية .

والزعم بأن اليمن الديمقراطية قد تفردت بامتلاك برنامج حزبى مبنى على نظرية الاشتراكية العلمية يحدد طبيعة المرحلة التاريخية

— ٢٣٥ —

التي تواجهها ويؤكد التزامه بالمضي الى الامام حتى تحقيق الاشتراكية عبر النضال من أجل اقامة اليمن الديمقراطي الموحد — هذا الزعم — من وجهة نظرهم — ليس له ما يبرره ، فلا البرنامج يمثل صيغة واقعية وعلمية ومقبولة ولا امكانية تحقيق ما يسمى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية متيسرة في اليمن الديمقراطية ، اما الطموح الى الانتقال الى المرحلة الاشتراكية فهو الوهم بعينه ، ناهيك ان مجمل الممارسات السياسية في اليمن الديمقراطية لا تقود الى غير اقامة المزيد من الحواجز والأسوار أمام تحقيق الوحدة اليمنية .

والزعم بأن اليمن الديمقراطية قد تفردت بامتلاكها حزبا طليعيا يجسد نظريا وعلميا الفكر الاشتراكي العلمي ويتقدم مسيرة نضال الشعب اليمني نحو التحرر الوطني الكامل ، والوحدة اليمنية الديمقراطية ، والتقدم الاجتماعي ، والاشتراكية — هذا الزعم حسب تصورهم قد فقد حتى الكثير ممن رددوه وعملوا من أجل تحويله الى حقيقة ايمانهم بمصداقيته واقتناعهم بمدى سلامته وجاءت أحداث ١٣ يناير وما قادت اليه وما قد تؤول اليه لتضع غاصلا هائلا بين الأحلام والوقائع ، بين الأمنى والحقائق .

فلم تفشل تجربة توحيد الفصائل الديمقراطية في حزب طليعي واحد فقط ، وانما أصيب الحزب نفسه بجميع الفصائل والأفراد التي تألف منها أو انضمت اليه بعد تأليفه بضربة ماحقة لا شفاء منها . ولا سبيل الى التغلب على مضاعفاتها وتداعياتها القادمة في الطريق .

أما البديل لذلك كله فهو : العودة الى الواقع الموضوعي الموروث من التاريخ البعيد والقريب ، والانصات الى ما يملبه ، واتخاذة أساسا للعمل السياسي المنشود . والواقع الموضوعي يقول أنه لا يستطيع أي من شطرى اليمن أن يقيم حتى دولة وطنية بمعزل عن الشطر الآخر ،

— ٢٣٦ —

ناهيك عن اقامة ما يسمى دولة وطنية ديمقراطية ، وان سر التعثر الذى منيت به اليمن الديمقراطية ، وستمنى به أكثر ، يكمن فى جهلها أو نجاها لها لهذه الحقيقة ، وفى تصورنا أنه بمجرد اقامة ما يدعى بالحزب الوطنى ستنجز اليمن الديمقراطية ، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . وستعبرها الى المرحلة الاشتراكية ، وستحقق خلال ذلك اليمن الديمقراطى الموحد .

وحيث أن هذا التصور الميثاقى — كما يرون — قد فكملت الأحداث — وستكفل أكثر — بوضع حد له ، فإنه لا محيص من المراجعة الشجاعة والامينة لحصاد التجربة المبررة ، واستخلاص المعبر والدروس المفيدة منها ، والتي بدونها لن تجد اليمن الديمقراطية الهاوية التى تنتظرها حتى قبل بلوغ نهاية ما يسمى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، ان لم تنتظرها فى أمد غير بعيد من الزمن .

وللخروج من هذا المأزق التاريخى الذى يواجهها غانه لا مفر من اعادة النظر فى كل شىء .

والمدخل الى ذلك هو الكف عن سياسة قفز المراحل التاريخية والكف عن التشدد بامتلاك نظرية علمية ، والكف عن التمسك بصيغة الحزب الوطنى ، والكف عن تصور أنه كان هناك أو ما يزال هناك حزب وطنى ، والكف عن تصور أنه يمتلك برنامجا سليما وصالحا لترشيد حركة النضال .

بعدئذ . . وبعدئذ فقط يمكن العثور على الحل . . والمخرج . وطريق النجاة من الكارثة التى توشك أن تطبق على اليمن كلها .

ذلك يعنى أنه لابد من اجراء عملية مراجعة شاملة ، ولابد من التراجع الى نقطة الانطلاق السليمة ، التى تساوى هنا شيئا واحدا

ووحيدا ، الا وهو أن اليمن بشطريها تمر بمرحلة واحدة . هي المرحلة الوطنية ، وانها لم تبلغ بعد ما يدعى عادة بمرحلة الثورة الاجتماعية في مجتمع طبقى حقيقى .

ومرحلة الثورة الوطنية تستدعى حشد كافة القوى السياسية — ايا كانت مواقعها الاجتماعية ومشاربها السياسية — بكل ما يعنيه ذلك من اطلاق حرية تكوين الأحزاب لمثل هذه القوى السياسية ، وضرورة دخولها في حوار ديمقراطى هدفه العثور على صيغة جبهوية توحيدها . ووضع ميثاق وطنى يمثل القاسم المشترك لجمل تصوراتها السياسية الخاصة بهذه المرحلة .

أما الهدف الاستراتيجى الجامع والشامل لها مجتمعة فهو : تحقيق وحدة اليمن الوطنية . واحداث النهضة الحضارية فيها ، وتمكينها من أن تصبح عضوا حيا وفعالا بين جماع أمتها العربية الساعية الى التحرر والتقدم والوحدة وبين دول العالم النامى المناضلة من أجل صنع مستقبلها .

ولا يهم من أجل تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى القيام بأى تىء . بما في ذلك تححيح الأخطاء ، والعودة عن بعض الاجراءات التى اتخذت في اليمن الديمقراطية قبل أن يحين أوانها ، وقبل أن تنتزع الظروف الموضوعية والذاتية لها .

وفي ظل اليمن الموحد يمكن — بعد عملية تنميتها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وبعد تبلور معالم تمايز اجتماعى وتقاطب طبقى فيها — يمكن أن يتسع المجال لتلقائيا لنوع من الصراع الطبقي والاجتماعى ، بغية تحسين أوضاع الطبقات المحرومة من نخبها الاجتماعية في الثروة ، وبغية مشاركتها في السلطة ، وبغية تطوير المجتمع ككل .

واضح الخطأ المنهجى الذى يقع فيه دعاة الخصوصية الشرقية

— ومن ثم الخصوصية اليمينية — هؤلاء •

فهم باسم هذه الخصوصية يفصلون فصلا ميكانيكيا وتعسفا بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية ، ويرجحون مفهوما الحرية الليبرالية باطلاق على مفهوم الديمقراطية الثورية الذى يعنى شيئا من التضييق على حرية بعض القوى الاجتماعية التى كفت عن أن تكون احدى قوى التقدم ، وهم من ثم يقدسون مبدأ الحرية الحزبية وحدى كل طبقة فى أن يكون لها أكثر من حزب يمثل مصالحها ، ويبلور أيديولوجيتها — بقطع النظر عما اذا كان يسهل عملية الحراك الاجتماعى أو يثقل خطاها — وهم يفترضون عدم امكانية أن يحقق جزء من اليمين ما اصطلح على تسميته بالثورة الوطنية الديمقراطية ، وان قانون تفاوت التطور واحتمال أن يسبق شطر شطرا آخر من ذات الوطن فى مضمار التقدم الاجتماعى لطروفا داخلية وخارجية مواتية غير وارد على الاطلاق ، كما يستبعدون النظرية اللينينية القائلة بإمكانية تجنب مرحلة الرأسمالية — أيا كانت محدودية الشكل الذى تظهر فيه — وبإمكانية الانتقال مباشرة من المرحلة الاقطاعية — التثنية الى المرحلة الاشتراكية عبر المرور بمرحلة وسيطة ، هى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، طالما تواهت لذلك الشروط الموضوعية والذاتية الداخلية التى يأتى على رأسها وجود حزب طليعى يقود تحالفا طبقيا يمثل العمال والفلاحون عموده الفقرى وشروط خارجية يأتى فى مقدمتها دعم دول المعسكر الاشتراكى وفي طبيعته الاتحاد السوفيتى •

نحن اذن أمام وجهة نظر هى أدنى الى وجهة نظر البرجوازية

الصغيرة منها الى وجهة نظر الديمقراطية الثورية •

وهى وجهة نظر من مصلحتها أن تصور مجرى الأحداث فى اليمين

الديمقراطية منذ عشية الاستقلال حتى اليوم بتلك الصورة القائمة التى

— ٢٣٩ —

رايناها ومن ثم غانه ليس في امكانها البحث عن العوامل الحقيقية لحالات التآزم التي مرت بها الثورة •

وهي لا ترى الخط الحاسد لحركة الثورة — رغم كل التعرجات والهزات ورغم كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ — •

وهي لا ترى الحقيقة الناصعة المتمثلة في أنه ام يحدث قط — أيا كان حجم عملية المجابهة بين أجنحة التنظيم السياسى الحاكم — أن تراجعت الثورة خطوة واحدة الى الوراء ، وانها كانت دائما تتجذر وتخطو خطوات أبعد الى الامام ، وعلى جميع المستويات •

وهي لا تحاكم الاحداث الا من زاوية واحدة فقط • زاوية ما فقدته البلاد من الامكانيات والقدرات والكوادر والرجال خلال مراحل الصراع السياسى العنيف •

حقا تلك خسارات ، وخسارات فادحة ، وكان ينبغي تجنب حدوثها • ولكن — بعد حدوثها ورغم حدوثها — يظل السؤال السياسى الجوهرى هو : هل عادت عقارب الساعة الى الوراء ، هل حدث تراجع ما هنا أو هناك • أم أنه بعد كل عملية تعثر آتية يحدث النهوض ، وبعد كل كبوة تتحقق انطلاقة ؟

ذلك لا يعنى عدم السعى الى اكتساب واستعادة كل من يمكن ويجب اكتسابه واستعادته الى حظيرة الثورة والحركة الاجتماعية التقدمية •

وذلك لا يعنى عدم التسامح الثورى مع الثوريين ، فالثوريون بمنزلة أن يخلئوا ، بل ويمكن أن يخلأوا •

وغير صحيح القول بأن برنامج الحزب الاشتراكي اليمني لا يستجيب لطبيعة المرحلة ، وأنه أقرب الى أن يكون صيغة مستوردة منه الى صيغة تجسد خصوصية الواقع اليمني • فهو برنامج يتسم بقدر رفيع من النضج العلمي ، ويدل على قدرة عالية على حسن استخدام المنهج المادى الديالكتيكي في التحليل وفي فهم الأوضاع في اليمن الديمقراطية ، وهو وثيقة تعنى العودة عنها أو إعادة النظر فيها في الظروف الراهن افساح المجال لحدوث المزيد من الارتبـاكات والاختلافات والتمزقات ، وهو عاصم فكري لا بديل له ، حتى تجد ظروف وأوضاع تستلزم تطويره وتعميقه •

والحزب الاشتراكي اليمني يظل رغم كل ما حدث فيه وحدث له الاطار التنظيمي الملائم الذى أمكن للحركة الثورية اليمنية بلوغه منذ نشوئها في منتصف الخمسينيات •

وفي اطاره يمكن أن تتنوى خيرة العقول اليمنية التقدمية ، وأفضل أبناء العمال ، وطلائع الفلاحين وكل القوى الشريفة المتطلعة نحو المستقبل •

وفي اطاره يمكن أن تتنوى خيرة العقول اليمنية التقدمية ، السياسية والتنظيمية •

ووجود الحزب الاشتراكي اليمني لا يتعارض مع ضرورة وجود جبهة وطنية عريضة تتسع لجميع الأحزاب والقوى الموجودة في الوطن ، ولغيرها من الأحزاب والقوى الوطنية التى تفرزها حركة الصراع الوطنى الاجتماعى • ونواة هذه الجبهة موجودة بالفعل •

واستمرار بقاء النظام الديمقراطى الثورى في جنوب الوطن يحقق مصلحة الحركة الوطنية والاجتماعية اليمنية بمجملها ، وتراجعها عن أى

— ٢٤١ —

من المنجزات التي حققها — حتى ولو كان بعضها قد أنجز في غير أوانه —
— يؤثر سلبيا على هذه الحركة ، ويزر الثقة في مصداقية توجهه •

ومشاكل هذا النظام ومعضلاته لا تقاس بالمشاكل والمعضلات
التي واجهها ويواجهها نظام ديمقراطي مماثل يقوم في أفغانستان •

ولا حاجة للحديث المتقنين في هذا الشأن ، لتبين أن النظام
التقدمي في اليمن الديمقراطية امتلك ويمتلك امكانيات وقدرات
ذاتية للتغلب على مشاكله الداخلية والخارجية كان بها في وضع أفضل
من وضع النظام التقدمي في أفغانستان •

حقا أن التبدلات على مستوى قيادة الحزب في أفغانستان قد
اتسمت في المرحلة الأخيرة بالهدوء • ولكن ذلك لم يحدث الا بعد
أن تجرع الحزب قدرا من الكأس المرة ، والا بعد أن انفسح المجال
أمام الحليف السوفييتي ليأعب دوره الاممي في هذا الصدد •

وقد شرب الحزب الاشتراكي اليمني القدر المر حتى الثمالة في
أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ بعد أن تجرع التنظيم السياسي السابق له
من هذه الكأس غير مرة •

ركمما أن رأى الحليف السوفييتي موضع ترحيب الحزب في
أفغانستان غافه كذلك الان موضع ترحيب الحزب الاشتراكي اليمني الذي
يسعى ويطالب بمثل هذه المساعدة الفكرية والسياسية الاممية الى
جانب مساعداته المادية الأخرى •

ومعضلة النازحين لابد من حل لها وليس هناك طريق مقفل ،
ولا أفق مسدود • والذين لحق بهم حيف — من قبل ومن بعد — لابد

(م ١٦ - قضايا النورة اليمنية)

أن يعاد لهم اعتبارهم التاريخي والوطني ولا يظلم التاريخ أحدا .
حتى ولو ظلم لبعض حين لا اعتبارات سياسية طارئة .

والتاريخ لا يكتب مرة واحدة . وصانعو اية قضية لا يستطيعون
أن يكونوا هم مؤرخيها . غاية ما يستطيعون فعله هو تقديم تقييمهم
الذي يتسع ويتعمق كلما ابتعد عن لحظة حدوث الحدث ، وكلما
تبلورت نتائجه أكثر فأكثر .

والوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية
١٩٧٨ — ١٩٨٦ تتقدم مثل هذا التقييم لا باعتباره الكلمة الأخيرة ،
وانما باعتباره الكلمة الأولى ، الواضحة والصريحة في عملية ممارسة
النقد لتجربة الحزب النضالية .

ولقد أقر الكونغرس العام الذي عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو
١٩٨٧ هذه الوثيقة التي سيبلورها ويعمقها الحزب في ديباق نضاله .

وأهمية التقييم والكونغرس معا تكمن في شيء واحد : القاء
نظرة سريعة على ما جرى منذ قيام الحزب حتى ١٣ يناير ١٩٨٦ ، والقاء
نظرة على آفاق المستقبل عبر التقرير السياسي الذي تقدم به الى
الكونغرس العام الأمين العام للحزب الرفيق على سالم البيض .

والهدف من ذلك كله حشد خطى الحزب والجماهير معه على
طريق الثورة الوطنية الديمقراطية والانطلاق بهمة أكبر ، وثقة أعظم
نحو انجاز مهامها التاريخية في التقدم الاجتماعي والتنمية الاقتصادية
المستقلة ، وفي تفجير الثورة الثقافية ، وفي النضال من أجل شق طريق
الوحدة اليمينية واقامتها على أسس ديمقراطية وفي وضع الأسس
المادية والتكنيكية التي بارتباطها مع انجاز مهام الثورة الوطنية
الديمقراطية ينفتح الطريق واسعا نحو صعود ذرى الاشتراكية .

تجربة الثورة
فى
اليمن الديمقراطية
نموذج طليعى
الثورات الديمقراطية(*)

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عدد أغسطس ١٩٨٦ .

بتحويل الرأسمال الى رأسمال مالى ، الى احتكار ، الى امبريالية ، دخل العالم كله شبكة التبعية الاستعمارية ، سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر ، وعمت بذلك سيادة الرأسمال الاحتكارى المكرة الأرضية كلها ، وتحول المكون كله الى مجرد سوق عالمية لدول المنزوبول ، ولم تعد عبودية العمل المأجور مقصورة على البلدان الامبريالية ، وانما شملت البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة •

وباتسام الرأسمال بهذه السمة العامة ، هذه السمة العالمية ، فأنه خلق نقيضا اجتماعيا ذا سمة عامة ، ذا سمة عالمية • وغدا ليس فى مواجهة ثورة اجتماعية تقودها بروليتاريا البلدان الاستعمارية فحسب ، انما أيضا فى مواجهة ثورات تحرر وطنى تشنها البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة ، وتشترك فيها مختلف طبقات وفئات وقوى الشعب الوطنية ، ثورات لا بد لها عند نقطة معينة من تطورها من التحول الى ثورات اجتماعية ضد الرأسمالية ذاتها وضد نهج التطور الرأسمالى عينه •

ان الانتكاسات التى حاقت وتحقيق بالعديد من ثورات التحرر الوطنى حتى الآن لا تنفى هذه الفرضية النظرية التى نبهت اليها اللينينية وأثبتت صحتها التجربة التاريخية ، وانما هى برهان آخر على ان مثل هذه الثورات المحبطة أو المجهضة لم نتمكن من الوصول الى النقطة المشار اليها فى تطورها ، نقطة التحول ضد الرأسمالية ذاتها وضد نهج التطور الرأسمالى من أساسه •

ان اية تحويلات اقتصادية واجتماعية وسياسية ونقافية لا تتجاوز
الافق الديمقراطية الثوري ولا تعتبر الحد البرجوازي الصغير ، ولا
تبلغ حد اقتحام طريق التوجه - الاشتراكي ولا تعتمد على تحالف
ديمقراطي واسع ، ولا يقودها حزب ديمقراطي بروايتاري ولا نقيم اوثق
واوسع العلاقات مع البروليتاريا المنتهزة في البلدان الاشتراكية ، وعلى
رأسها الاتحاد السوفيتي - ان مثل هذه التحويلات - ايا كان مداها -
محيرها الانتكاس ، والبقاء في شعبة التبعية الاستعمارية .

وايس في الامكان تمزيق شعبة التبعية الامبريالية هذه والخروج
من دائرة التخلف الا بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة ذات توجه
اشتراكي .

غير ان حدوث مثل هذه الانعكاسة الحاسمة غير ممكن دالما
ذات الثورة الديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة .

فالبرجوازية الصغيرة لا تلبث ان توالد برجوازية بيروقراطية
عسكرية ومدنية ذات ميول يمينية ولا تلبث ان تنمو في ظلها مختلف
فئات البرجوازية في المدينة والريف معا ولا تملك الا أن تبقى الجسور
مفتوحة مع السوق الامبريالي ، مما يؤدي الى السير في طريق التطور
الراسمالي والى نسج علاقات متعددة مع الرأسمال الامبريالي والى
البقاء آخر الأمر داخل فلك التبعية الاستعمارية .

ان مآل التجربة الناصرية والبعثية - وبالذات في العراق - وما
تعاينيه التجربة الجزائرية وما تواجهه التجارب الثورية الأخرى في
سوريا وليبيا من مخاطر داخلية وخارجية ومن داخل التجربة ذاتها ،
وان ما انتهت اليه التجارب الثورية الأخرى في العالم التي قادتها
البرجوازية الوسطى والعسكرية ابتداء من اندونيسيا وسوكرنو مورو باغانا

— ٢٤٦ —

نيكروما ، وانتهاء بنشيللى اللندى — ان ذلك كله يقدم براهين قاطعة على العجز التاريخى للبرجوازية الصغيرة والوسطى عن اخراج بادانها من شبكة التبعية الاقتصادية والأيدولوجية للبلدان الرأسمالية المتروبولية *

ان المؤامرات الامبرالية ليست وحدها المسئولة عن النكسات التى حلت بالتجارب الثورية الديمقراطية فى هذا البلد النامى أو ذاك .

هالمؤامرة لا تفرخ الا فى أرض صالحة ، ولا تنجح الا اذا وجدت ظروفها داخلية تساعد على ذلك *

وطالما ظلت السلطة فى يد البرجوازية البيروقراطية العسكرية والمدنية التى بصفتها هذه فقدت ثورتها التى كانت لها عندما كانت برجوازية صغيرة ثورية طامحة ، فإن احتمال فشل الأنظمة الوطنية التى تكون قد أقامتها يظل وأرادا باستمرار واحتمال ارتباطها بخيوط جديدة من التبعية المتعددة الأوجه بالبلدان الامبريالية يظل قائما دائما *

فقط تلك البلدان التى سارت فى طريق التوجه الاشتراكى بفضل قيام حزب طليعى فيها يعتمد على قاعدة شعبية عريضة مؤطرة وعلى منظمات جماهيرية مرتبطة عبر أعضائه وعبر اقتناعها بسلامة نهجه السياسى وبفضل التعاون الذى يبلغ حد التحالف مع البلدان الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، فقط مثل هذه البلدان يمكنها لا أن تقاتل من شبكة التبعية الاستعمارية محسوب ، وانما أيضا من قبضة البرجوازية الصغيرة الداخلية ، ويمكنها من ثم أن تحول ثورتها الديمقراطية البرجوازية الى ثورة اشتراكية ، من خلال المرور بدرجات انتقالية وسيطة ، واقامة قاعدة مادية تكتيكية *

والثورة في اليمن الديمقراطية هي أقرب مثل نموذجي لهذا النمط من الثورات الديمقراطية التي أمكنها ليوم بلوغ مرحلة التوجه الاشتراكي تهيئدا لانتقالها الى أفق الاشتراكية .

وهي بذلك تعطى مؤشرا بالغ الدلالة على الطريق الذي لا بديل له ، الذي لا محيد من المضي فيه ليس بالنسبة للبلدان العربية فقط ، وإنما أيضا بالنسبة للبلدان النامية التي تلمح الى الاغلات من شبك التبعية الاستعمارية ، وإلى السير في درب التقدم الاجتماعي .

وايس في الأمر ما يدعو للعجب أن تلقى التجربة الثورية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية كل هذا الاهتمام العالمي والسياسي من قبل الأمم المتحدة المتقدمة في وطننا العربي وفي العالم كله ، وأن تتقاطر الى دول ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية هذه النخبة الممتازة من رجالات البحث العلمي ، ومن هؤلاء الأحزاب الاشتراكية ، ومن مراكز الأبحاث المتخصصة في الشؤون الشرق .

وليسيت هذه هي الندوة العلمية العالمية الأولى التي تعقد في اليمن الديمقراطية والتي تشهد مثل هذا الجمع الرفيع المستوى من المهنيين العرب ، والمستشرقين ، والمتابعين لتجربة الثورة في هذا الجزء المأهول من الوطن اليمني .

فقد سبقتها ندوة أيديولوجية عالمية أقيمت هنا في أبريل عام ١٩٧٩ . ولم تنقُض الا بضعة أشهر منذ أقامت جامعة كارل ماركس — لايبزيغ بجمهورية ألمانيا الديمقراطية في سبتمبر ١٩٨٣ ندوة شاركت فيها وفد من اليمن الديمقراطية حملت عنوان (التاريخ والتطور الاجتماعي الراهن في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) .

وتأتي ندوتنا العلمية العالمية المنعقدة هنا اليوم لا لتكون فقط

تتويجا للندوات العلمية السابقة لها التي عقدت في اليمن الديمقراطية وفي الخارج وانما لتكون أيضا وقفة فكرية وسياسية جديدة نرجو أن تكون أرسخ وأعمق وأشمل ، وأن تكون حصيلتها غير مقصورة على تقييم السمات الخاصة لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية ، بحيث تتوصل الى استخلاص السمات العامة التي تنطوي عليها ، والتي يغتنى بها كنز الثورة العالمية ، وتفيد منها حركات التحرر الوطنى العربىـة والعالمية •

ان الفترة التاريخية التي اجتازتها الثورة في اليمن الديمقراطية منذ نشوب ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ وإلى اليوم تعتبر فترة قصيرة جدا من الناحية الزمنية ، غير أنها من حيث لمسارك الوطنية والاجتماعية التي خاضتها ، والتناقضات الداخلية والخارجية التي واجهتها وتمكنت من حلها ، والتجناحات اليمينية واليسارية التي اصطدمت بها على مستوى السلطة واتيح لها التغلب عليها ، والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي أنجزتها والسير الملمرد والمتسارع في طريق التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، والتعاون المتنامى والمتعاظم مع كل قوى الثورة في العالم ، وعلى رأسها المنظومة الاشتراكية ، وفي طليعتها الاتحاد السوفييتى فأنها — بذلك كله — تقدم خبرة ثورية بالغة الغنى والعمق ، وخبرة تتجاوز أهميتها وقيمتها اليمن الديمقراطية لتكتسب دلالة تاريخية أعم ، ومغزى عالميا أشمل •

لم تكن ثورة ١٤ أكتوبر أسددم وأغرق الثورات العربية ، فقد سبقتها الكثير من الثورات العربية التي تعود جذور بعضها الى الربع الثانى من القرن التاسع عشر كالثورة المصرية التي بدأت بثورة عرابى عام ١٨٨١ •

بل ان ثورة ١٤ أكتوبر ما كان لها ان نقسوم في الوقت الذي قامت فيه ، لولا عوامل وطنية وقومية مساعدة • تمثلت في اندلاع ثورة

٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في شمال الوطن اليمنى ، في الدعم الناحرى لها
عبر شمال اليمن نفسه الذى لقيت الثورة فيه ذات الدعم .

غير أن ما يدعو الى الانتباه -- ان أمية ، العجب -- هو أن ثورة
١٤ أكتوبر قد تجاوزت -- في مسارها التاريخى -- الثورة اليمنية
« الأم » ثورة ٢٦ سبتمبر ، التى ازدهرت خلال السنوات الخمس من
اشتغالها ، قبل أن يطفئها انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى عام ١٩٦٧ ، كما
تجاوزت الثورة القومية « الأم » ثورة ٢٣ يوليو المصرية ، التى ونفت
الى جانبها فى مبدأ الأمر ، قبل أن ينشأ التناقض بينهما منذ النصف
الثانى لعام ١٩٦٥ بفعل محاولة الأجهزة البيروقراطية واليمينية المصرية
فى اليمن فرض وصايتها على ثورة ١٤ أكتوبر ، وحرفها على خطها --
التحررى الجذرى الذى اندسح عنه « الميثاق الودائى » الذى صدر
فى يونيو ١٩٦٥ ، والدابع السبب لثورة الذى اخذ - ذيتجلى أكثر فأكثر .

والسؤال هو : بم وماذا تجاوزت ثورة ١٤ أكتوبر ثورة ٢٦
سبتمبر التى بدت لأول وهلة كأمتداد لها ليس الا ، وثورة ٢٣ يوليو
الرائدة التى شمل دعمها كل الثورات العربية ، وان بدرجات متفاوتة ؟
ثم كيف أمكن لها أن تتخاض كل الثورات العربية بلا استثناء ، وأن
تحتل هذا الموقع الأمامى المتقدم بينها مجتمعة ، بل وأن تحتل مكانة
بارزة -- ومرموقة بين الدول الديمقراطية الثورية الجديدة السائرة فى
طريق التوجه الاشتراكى ؟

وليس فى الأمر صدفة ، أو ما يتسببه الصدفة . وليس فيه ما يدعو
للاستغراب أو التعجب .

لقد سالت اليم من الديمة رادلية الطريق الطبيعى الذى سلكته
وتسلكه تلك ثورة اميلية ، تلك ثورة شعبية ، تلك ثورة وطنية ديمقراطية ،

تدرك جيدا أن مهمتها لا تنتهى عند اخراج قوى الاحتلال الالهبريالية من أراضي وطنها ، وانما تمتد الى آفاق المستقبل ، وانها لن يكتب لها النجاح والانتصار الا باتخاذ موقف وطني حاسم حازم ضد الاستعمار القديم والجديد ، وضد الرجعية الداخلية والخارجية ، والا باقامة دولة وطنية مستقلة سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، والا بنسف تركبة الماضي القروسطية ، وضرب العلاقات الاقطاعية والقبلية والبطيريركية ، والعلاقات البرجوازية الكمبرادورية ، وتقليم أطافر البرجوازية الوسطى التى تميل الى التعاون مع الأوساط الاحتكارية الامبريالية ، وقطع طريق التطور الرأسمالى ، والمضى فى طريق التنمية الاقتصادية المتناسقة والمتكاملة ، وفق خطط منهجية علمية : بهدف ايجاد اقتصاد وطني انتاجى صناعى وزراعى ، ورفع مستوى معيشة الشعب ، وتلبية حاجاته المادية والروحية ، والتعاون فى هذا الصدد مع الدول الاشتراكية ، والاغادة من خبرتها النظرية والعملية فى جميع هذه المجالات .

قد يقف قائل ليقول فى لهجة لا تخلو من الاستنكار : أو لم تمض كل الثورات العربية ، وعلى رأسها الثورة المصرية ، فى هذا الطريق الذى تسميه طبيعيا ؟ أو لم تصل فى تطورها الى حد اقتحام طريق التطور اللارأسمالى ، أو طريق التوجه الاشتراكى ، كما حدث فى مصر الناصرية ؟ وكما هو حادث اليوم فى الجزائر ، وسوريا وايبيا ، بقطع النظر عن التراجع أو الانتكاس عن هذا الطريق ، كما حدث فى مصر ما بعد عبد الناصر ، والسودان ، والصومال وغيرها من البلدان .

ونحن لا نشك أن فى الأمر اشكالا نظريا ، أو اشكالية نظرية ، أن أوان حلها . ولعل هذه الندوة تسهم فى تقديم مثل هذا الحل .

هقا أنه ساد خلال الفترة الناصرية تدور روجئته حتى بعض مراكز البحث العلمى ، وبعض الدارسين الاشتراكيين فى المعسكر الاشتراكى ،

- ٢٥١ -

مفاده ان مصر الناصرية تسيير في طريق التطور اللارأسمالى ، وطريق التوجه الاشتراكى . وان الديمقراطيين الثوريين هم الذين يقودون هذه المسيرة : نظرا لضعف الطبقة العاملة المصرية كما وكيفا ، وضعف وتمزق الشيوعيين المصريين ، وان الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يحتشد فيه ممثلو كل الطبقات والفئات الوطنية والشعبية يمكن أن يكون هو الأداة القيادية للتورة خلال عملية الانتقال الى المرحلة الاشتراكية

ان مثل هذا التصور لم يخلف بعد نهائيا حتى اليوم ، حيث يميل البعض من الباحثين حتى فى الدول الاشتراكية - وذلك ما تدل عليه العديد من الكتابات المنشورة - الى أن هناك طريقين أو شكلين للتوجه الاشتراكى ، الشكل القديم الذى مضت فيه بعض الدول الوطنية منذ نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات ، ولا يزال البعض منها سائرا فيه مثل الجزائر ، وسوريا ، وقبلهما مصر ، ومثل بورما ، وتنزانيا ، وغانا ، ومالى ، وأندونيسيا ... الخ والأداة القيادية لمثل هذا التوجه تتمثل فى الديمقراطيين الثوريين الذين تجمع أيديولوجيتهم ما بين مفاهيم البرجوازية الصغيرة ورؤيتها الخاصة والضبابية للاشتراكية وما بين عناصر من أيديولوجية الاشتراكية العلمية .

أما الشكل الجديد للتوجه الاشتراكى فهو الذى تمثله بلدان مثل أفغانستان ، وأثيوبيا ، وموزامبيق ، وأنجولا ، وبنين ، والكونغو - النسيبة ، واليمن الديمقراطية ، والذى تقود الخطى فيه أحزاب ديمقراطية ثورية تبنت أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، أو تبنتها واندمجت مع الأحزاب أو الجماعات الاشتراكية العلمية القائمة بالفعل .

ان موضوع الخلاف هو ما يسمى الطريق القديم أو الشكل القديم للتوجه الاشتراكى وعما ان كان قد وجد من الأصل ، ناهيك عن ان يكون ما يزال قائما ، وعما اذا كان صحيحا من الوجهة

النظرية القول. بطريقتين أو شكلين للتوجه الاشتراكي يقود أحدهما الديمقراطيون الثوريون الذين يأخذون بهذا العنصر أو ذاك من عناصر الاشتراكية العلمية ، ويقود الثاني منهما الديمقراطيون الثوريون الذين تبنوا الفكر الاشتراكي العلمى ، وكونوا مع الجماعات الاشتراكية العلمية أحزابها طليعية لهذا الغرض ؟

حقا هناك ما أسماه لينين « المذاهب الاشتراكية المتأخرة » التى تفرزها الأوضاع الاجتماعية المتخلفة ، وهى — كما قال — « نظريات اختيارية مختلطة ، انتقالية ، تقع بين الاشتراكية البرجوازية الصغيرة ، والاشتراكية البروليتارية » (١) . غير أن هذه النظريات التوفيقية أو التليفية كانت قد اتخذت الماركسية اللينينية موقفها فكريا وسياسيا واضحا منها واعتبرتها ممثلة لمصالح وأيديولوجية الفلاحين ذوى الملكية الصغيرة والذين يحاذرون من تبني أيديولوجية الاشتراكية العلمية التى تعبر عن مصالح البروليتاريا ، والتى تعنى تعميم وسائل الانتاج وتملكها بشكل جماعى .

غير أنه ليس هناك فى أدبيات الفكر الماركسى — اللينينى ما يشير الى أن الديمقراطيين الثوريين حاملى أيديولوجية البرجوازية الصغيرة والآخرين بهذا العنصر أو ذاك من عناصر الفكر الاشتراكي العلمى يمكن أن يمتصوا ببلادهم فى طريق التوجه الاشتراكي الذى يعنى بوضوح القطيعة العملية مع اشتراكية البرجوازية الصغيرة والقطع النذرى والمفلى مع طريق التطور الرأسمالى .

ان هناك — بالعكس — تعاليم واضحة تبين أنه ليس فى الامكان حتى انجاز الثورة الديمقراطية بكامل أسسها ، دون قيادة البروليتاريا لها ، ودون حزب ديمقراطى علمى يمسك بزمام هذه القيادة ، ودون تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، ودون استقطاب من يمكن.

ان تقادربه من عناصر البرجوازية الديمقراطية الى جانب الثورة ، ذلك ان
انجاز كامل أهداف الثورة الديمقراطية بدون مشاركة البروليتاريا مباشرة
في طريق الاشتراكية ، طريق تصحيح الثورة الديمقراطية الى ثورة
اشتراكية .

فمنذ قيام الثورة والجمهورية الديمقراطية عام ١٩١٨ التي اشد بها
لينين ايما اشادة وقيم دور الفلاحين . . . هذه الثورة البرجوازية
الديمقراطية — ودور زعيمها حين يات من تقييمها رغبها . . . منذ هذا
الوقت أعرب عن قلقه وخوفه على دور هذه الثورة الديمقراطية هذا
اغياب حزب بروليتاري يكون قادرا على حمايتها من دسائس البرجوازية
الليبرالية وعلى تأمين مسيرتها الاجتماعية . . . حيث كتب في ١٩١٧
في صحيفة « البرافدا » : « لقد انتشرت الحزبية الديمقراطية عن طريق
تحالف الديمقراطية الفلاحية والبرجوازية الليبرالية في حال يتدلىح
الفلاحون . دون قيادة من حزب البروليتاريا ، الاتحاد بينهم
الديمقراطي ضد الليبراليين الذين لا ينفصلون غير الفردية الملائمة
للانتقال الى جهة اليمين » (٢) .

لقد حدث ما خشي منه لينين ، حيث خانت البرجوازية الليبرالية
الثورة ، وأجهزتها في غياب حزب بروليتاري يقيدها . ويضمن المضي
بها الى نهاية الشوط .

ومنذ البداية اشترط لينين لنجاح وانتصار اية ثورة ديمقراطية ،
ومن ثم تحولها الى ثورة اشتراكية ، ضرورة تزعيم البروليتاريا لها من
خلال حزبها المستقل ، وضرورة تحالفها مع جماهير الفلاحين وكل العناصر
البرجوازية الصغيرة التي يمكن اجتذابها الى مجرى الثورة العام
والواسع ، وضرورة تقديم الدعم اياها من الابد الذي تكون البروليتاريا
قد انتصرت فيه .

ولم يجعل هذه الشروط مقصورة على البلدان الأوزبكية التي وجدت فيها بالفعل بروليتاريا وأحزاب بروليتارية - شأن ما كان قائما في روسيا التي حدثت فيها مثل هذه الثورة الديمقراطية التي تحولت فوراً إلى ثورة اشتراكية - وإنما عممها على البلدان المتخلفة - بما فيها آسيا الوسطى التي كانت ما تزال تعيش مرحلة ما قبل الرأسمالية ، والتي بفضل الدور القيادي للحزب البلشفي الذي أوجد له منظمات محلية في كل إقليم وقومية وبفضل تحالف الفلاحين مع ممثلي الطبقة العاملة في طول الاتحاد السوفيتي وعرضه ، ومع بذور الطبقة العاملة التي نبتت فيها مع حركة التصنيع السريعة التي قامت فيها - أمكن لها - لآسيا الوسطى ، ومعها سيبيريا ، وكل المناطق الأخرى المتخلفة أن تحقق الثورة الديمقراطية ، وأن تخولها إلى ثورة اشتراكية ، متجاوزة بذلك مرحلة الرأسمالية .

وفي هذا الصدد قال لينين : « ان نشاط الشيوعيين الروس العملي في المستعمرات القيصريّة السابقة ، في بلدان متأخرة كتركستان وغيرها ، قد وضع أمامنا المسألة التالية : كيف نطبق الخطة الشيوعية والسياسة الشيوعية في ظروف ما قبل الرأسمالية ، لان السمة المميزة لها في هذه البلدان هي كون السيطرة فيها لعلاقات ما قبل الرأسمالية ، ولذلك لا مجال فيها لحركة بروليتارية صرف . تكاد البروليتاريا الصناعية تكون معدومة في هذه البلدان . وبالرغم من ذلك اضطلعنا فيها أيضا بدور القادة ، وينبغي لنا أن نضطلع بهذا الدور . وقد اتضح لنا في عملنا أنه ينبغي لنا في هذه البلدان تذليل صعوبات جسيمة ، غير أن النتائج العملية التي أسفر عنها قد بينت أيضا أنه بالرغم من هذه الصعوبات يمكن أن نوقظ في الجماهير النزوع إلى التفكير السياسي المستقل ، وإلى النشاط السياسي المستقل ، حتى في البلدان التي تكاد البروليتاريا تكون فيها معدومة » (٢) .

حقا أن وجود الشرق السوفييتي المتخلف في إطار دولة واحدة ، هي الاتحاد السوفييتي ، وتحت قيادة حزب بروتاري هو الحزب الباث في سد سهل تحقيق الثورة الديمقراطية فيه ، وتحولها الى ثورة استراجية ، دون المرور بالمرحلة الرأسمالية •

غير أن هناك تجربة ثورية أخرى بالغة الدلالة ، وتكتسب خبرتها أيضا أهمية عامة بالنسبة لأجل الدول المتخلفة التي لم تبلغ مرحلة الرأسمالية ، الا وهي التجربة المنغولية •

التي قامت في منغوليا عام ١٩٢١ ثورة ديمقراطية ضد الامبريالية والالاع والفئات العليا والوسطى من رجالات الدين البوذيين الرجعيين . وقد قاد هذه الثورة الحزب الثوري الشعبي المنغولي الذي كان يتكون في الأساس من الفلاحين ، حيث لم يكن للبروليتاريا أثر يذكر ، كما لم يكن هناك وجود للبرجوازية الوطنية •

وتعويضاً عن عدم وجود البروليتاريا في منغوليا اقامت الثورة علاقة تحالف متينة مع الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ، في نفس الوقت الذي عملت فيه على استنباتها في البلاد عبر مشاريع التصنيع التي قامت بمساعدة الاتحاد السوفييتي ، وشرعت فيه تطور الحزب من حزب ديمقراطي ثوري الى حزب ماركسي - لينيني •

وفي لقاء قادة الحزب بلينين في نوفمبر ٢٩٢١ أوضح لهم لينين بحال أن تحول حزبهم الديمقراطي الثوري الى حزب شيوعي مرتبط بتغير البنية الاجتماعية في البلاد ، ونشؤ بنية جديدة فيها ، ومن ثم تشكل البروليتاريا ، وانخراطها في هذا الحزب واكسابه - اضافة الى تنبيه أيديولوجية الاشتراكية العلمية - السمة البروليتارية ، حيث أكد أنه « سوف يتعين على الثوريين بذل جهود كبيرة في بناء الدولة

والاقتصاد والثقافة الى أن تولد عناصر الرعب ساحة جماهير بروايتارية
تساعد فيما بعد على « تحويل » الحزب الثوري الشيوعي الى حزب
شيوعي^(٤) •

وبالفعل فإنه فقط بنشوء البروليتاريا المنغولية وتم ول الحزب
الثوري الشعبي المنغولي الى حزب شيوعي ، ودعم الاتحاد السوفيتي
المادى والتكنولوجى والسياسى ، أمكن أن تتحول الثورة الفلاحية
الديمقراطية المنغولية الى ثورة اشتراكية ، هذا التحول الذى لم يبدأ
الا بعد حوالي ٢٠ عاما ، أى مع مدلول الأربعينيات •

ويمكن كذلك القول بأن تزعم الأحزاب الشيوعية في البلدان
الاسيوية الأخرى لحركة التحرر الوطنى الديمقراطية في بلادها ،
ونسجها لعلاقات تحالف طبقى وسياسى بين الفلاحين والسابئة العاملة
الاخذة في النشوء واقامة الأوثق علاقات التعاضد مع الاتحاد السوفيتي ،
هو الذى مكنها من تحقيق التحرر الوطنى ، وانجاز الثورة الديمقراطية
وتحويلها مباشرة الى ثورة اشتراكية •

ان ذلك يصحح على هيتنام الاشتراكية ، وكوريا الديمقراطية
الشعبية ، بل وعلى الصين الشعبية ، بقطع النظر عن الانحراف المساوى
الذى طرأ فيما بعد ، والذى سنتمك حركة الثورة الصينية وحركة
الثورة البروليتارية العالمية من تصحيحه بكل تأكيد •

ولم تستطع الثورة الكوبية أن تتم عملية التحويل الديمقراطى
الثورى للمجتمع ، وان تنتقل من ثم الى مرحلة التحول الاشتراكى الابدئى
كاسترو ورفاقه — الى جانب الشيوعيين الآخرين — مبادئ الماركسية
اللينينية ، وقيام الحزب الشيوعى الكوبى ، الذى حشد جماهير الطبقة
العاملة والفلاحين خلفه ، ومد جسرا من التعاون الأسمى مع المعسكر

الاشتراكي. وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، الغنى به المساهمة الهائلة القائمة ما بين كوبا في الغرب والمنظومة الاشتراكية في الشرق ، وحفز به حركة الثورة في مجمل أمريكا اللاتينية التي تعتبر اليوم أكثر مواقع حركة التحرر الوطني اشتعالا .

في ضوء هذا القانون التاريخي العام ، وهذه الخبرة الثورة العالمية اللذين يبينان شروط انتصار حركة التحرر الوطني الديمقراطية . ونجاحها في إقامة أنظمة ديمقراطية ثورية ، تتحول تدريجيا الى ثورات اشتراكية . في هذا الضوء علينا أن ندرس ونقيم الأنظمة الوطنية العربية منذ نظام عبد الناصر الى اليوم ، ما انتكس منها ، وما زال يراوح في مكانه .

ولسوف يتضح لنا أن جميع هذه الأنظمة — باستثناء النظام الديمقراطي الثوري ، الذي أقامته ثورة ١٤ أكتوبر اليمنية — قد وصلت الى طريق مسدود ، والى مازق تاريخي لا مخرج منه ، مما أدى الى سقوط بعضها ، والى اختناق ما تبقى عند النقطة التي وصل اليها ، دون أمل في الخلاص الا بتغير البنية السياسية الحاكمة والمتحكمة . التي تهيمن فيها البيروقراطية البرجوازية العسكرية والمدنية .

ان ذلك لا ينفي أنه قامت في المنطقة العربية منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو في مصر أنظمة ذات صبغة وطنية ديمقراطية ، أحدثت تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية هائلة ألحقت منها مختلف الطبقات والفئات الوطنية والشعبية وأن عملية تصنيع وتنمية وتطور متعددة الجوانب قد قامت في ظلها ، وأن ذلك قد تم بهذا القدر من التعاون أو ذاك الذي أمكن إقامته مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الأخرى التي لم تتراجع عن تقديم أي عون طلبته هذه الأنظمة . بما في ذلك ارسال الجنود السوفييت للدفاع عن وجود هذه الأنظمة نفسها .

الا أن القول بذلك شيء ، والقول بأن هذه الأنظمة قد سارت في طريق التطور اللارأسمالي ، أو في طريق التوجه الاشتراكي ، شيء آخر .

ان حركة الردة والتراجع والمراوحة والاختناق التي واجهتها هذه الأنظمة قد جعلت الكثير يعودون عن مثل هذه المبالغة الكلامية ، ولم يبق الا القليل الذين لن يستمر اصرارهم عليها طويلا .

ماذا يعنى ذلك كله ؟ انه يعنى بالضبط أن هناك ثورات وطنية ديمقراطية تقودها البرجوازية الصغيرة وفئات من البرجوازية الوسطى لا تتمكن من انجاز كامل مهامها الثورية الديمقراطية ، وتضطر الى التوقف عند هذه النقطة أو تلك ، مما يعرضها للمؤامرات الداخلية والخارجية ، ويؤدى الى الاطاحة بالنظام الذى تكون قد اقامته ، أو تجميدها ، مؤقتا ، تهيؤا للاطاحة بها أو افراغها من محتواها الوطنى الديمقراطى .

وذلك يعنى أيضا — وذلك هو بيت القصيد — أن هذه الأنظمة لم تسر فعلا في طريق التطور اللارأسمالي ، أو طريق التوجه الاشتراكي ، حتى وان أقامت قطاعا عاما في الصناعة والتجارة ، وقطاعا تعاونيا في الزراعة ، حيث أن ذلك وحده لا يعنى بالضرورة أو لا يساوى تماما طريق التوجه الاشتراكي .

ومن جهة أخرى هناك ثورات وطنية ديمقراطية يقودها تحالف ديمقراطى ثورى يمثل مصالح الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة والمتقنين الثوريين ، لا يلبث أن يتطور عبر عملية التحويل الديمقراطى المتواضعة للمجتمع الى حزب طليعى يسترشده بمبادئ الاشتراكية العلمية ، يضم في ذات الوقت الأحزاب أو الجماعات أو العناصر الشيوعية السابقة .

ان مثل هذه الثورات الوطنية الديمقراطية ، وبواسطة السلطة السياسية التي تكون قد أقامتها ، هي وحدها التي تستطيع أن تكمل مهام الثوري الديمقراطية ، وأن تسير في طريق التوجه الاشتراكي ، وأن تخلق المقدمات المادية والتكنيكية للانتقال الى المرحلة الاشتراكية .

ان اليمين الديمقراطية تمثل — رغم كل النواقص القابلة للإصلاح — نجمة مؤتلفة ضمن هذه المجرة الثورية الجديدة التي تتنظم العديد من البلدان في القارات الثلاث ، هذه البلدان التي تتمثل اليوم في أفغانستان ، أثيوبيا ، موزامبيق ، أنجولا ، الكونغو الشعبية ، بينين ، ونيكاراجوا ، وغيرها .

بل انه في الامكان ادراج كمبودشيا ، ولاوس ضمن هذه البلدان السائرة في طريق التوجه الاشتراكي ، وان تميز هذان البلدان بوجود تنظيم شيوعي في كل منهما تعود جذوره الى مطلع الثلاثينيات ، عندما تكون الحزب الشيوعي في الهند الصينية ، ركان الشيوعيون الفيتناميون هم الأساس فيه ، وكان « هو شىء منه » هو المؤسس له .

بعد هذه المقدمة التاريخية العامة والضرورية التي يتبين منها بوضوح لا لبس فيه ، ومن واقع التجارب الثورة الحية والمعاشة في مختلف أنحاء المعمورة ، ما هي القوانين والشروط الموضوعية والذاتية لمضى الثورات الديمقراطية الى أقصى غاياتها ، ولمضيها من ثم في طريق التوجه الاشتراكي . وبالتالي في طريق بناء المجتمع الاشتراكي ، ترى ما هي المحطات السياسية التي قطعتها ثورة ١٤ أكتوبر اليمينية . وما هو المدى التاريخي الذي بلغته ، وما هي الافاق المفتوحة أمامها ؟

ان الاجابة على مثل هذه الأسئلة ستتطوى ضمنيا على ما هو خاص وما هو عام فيها ، أي في هذه التجربة الثورية .

— ٢٦٠ —

رغم أن اليمن الديمقراطية كانت عند نشوب ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ تنتمي الى أكثر أجزاء العالم تخلفا ، وكانت مع شمال اليمن تتجه في مؤخرة الوطن العربى كله ، الا أنها لم تكن أكثر تخلفا من منغوليا عند قيام الثورة فيها عام ١٩٢١ •

لقد كانت تسود في الجزء الجنوبى من اليمن مختلف الأنماط الاقتصادية : النمط الرأسمالى الامبريالى • النمط الاقطاعى وشبه الاقطاعى ، النمط البرجوازى الكومبرادورى • النمط البرجوازى الوطنى • النمط البضاعى الصغير للفلاحين المتوسطين والفقراء • النمط الرعوى للبدو الرحل • والنمط المشاعى القبلى •

وعدا مستعمرة عدن حيث كانت الهيمنة للنمط الرأسمالى الامبريالى • وبالذات البريطانى ، والنمط الكومبرادورى المرتبط بالسوق الاستعمارية • وخاصة الاحتكارات البريطانية ، فان السيادة فى الريف اليمنى الجنوبى الذى كان يسمى محميات عدن البريطانىة كانت للتشكيلة الاقطاعية وشبه الاقطاعية ، رغم نشوء البذور الأولى الرأسمالية الريفية •

واذا أهملنا ذكر الأحزاب السياسية الرجعية والعميلة أو الاصلاحية المشبوهة التى عرفتها البلاد منذ نهاية الأربعينيات ، وكان همها مقصورا على مستعمرة عدن ، أو على عدن والمحميات ، والتى لم تكن تطمح الى أكثر من استقلال شكلى لها ، أو التى ناورت بشكل ديماجوجى وانتهازى ليس الا بشعار الوحدة اليمنية ، فإنه يمكن القول أن منتصف الخمسينيات هو اللحظة التاريخية التى ظهرت فيها الحركة الوطنية اليمنية •

ان مما يسترعى النظر ان ظهورها تزامن مع بروز الحركة العمالية فى شكل نقابى منظم ، هذه الحركة التى أحدثت بالأساليب النضالية

— ٢٦١ —

الجديدة التى اتبعتها * أساليب الاضرابات * والمظاهرات ، والمسيرات الجماهيرية ، التى كثيرا ما أدت الى الاصطدام المباشر بأدوات القمع الاستعمارية — احدثت تحولا هاما فى حياة البلاد السياسية *

وليس صدفة أن تسابقت الأحزاب الوطنية ذات النفس القومى العربى ، شأن العناصر الماركسية ، من أجل استقطاب من يمكن استقطابه من صفوف الطبقة العاملة الى صفوفها *

لقد انطوى نضال الطبقة العاملة الفنية المنحدرة من تبنى انحاء اليمن ليس فقط على البعد الوطنى الموجه ضد المستعمر الدخيل ، وانما أيضا على بذرة وعى اجتماعى ضد القهر الرأسمالى *

وبذلك وجدت فى مستعمرة عدن ركيزة ثورية ثابتة ومتنامية تتشكل من أحدث طبقات المجتمع اليمنى وأكثرها ثورية ، وأكثرها استعدادا ليس للنضال من أجل التحرر الوطنى فحسب ، وانما أيضا للنضال من أجل التحرر الاجتماعى ، ومن أجل تجديد بنية المجتمع تجديدا ثوريا *

وبقيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ فى شمال الوطن اليمنى التى أعلنت قيام جمهورية وطنية تبنت القضية اليمنية بمجملها * وباتخاذ هذه الجمهورية نقطة احتشاد وانطلاق ووثوب ضد وجود المستعمر فى جنوب الوطن ، وبتشكيل الجبهة القومية التى تألفت أساسا من فرع حركة القوميين العرب فى اليمن ، وفى جنوب اليمن على نحو خاص ، وبإعلان هذه الجبهة النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى ، وباقتحامها للريف اليمنى ، وتعبئتها لجماهير الفلاحين وقيادتهم فى الحرب الشعبية الثورية التى انطلقت أولى شراراتها فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ ، وما لبث أن غطى لهبها الريف كله ، حتى بلغ برج الاستعمار البريطانى

في عدن ، بذلك كله وجدت ركيزة ثورية أخرى بالغة الأهمية ، شديدة الخطورة تتمثل في طبقة المفلحين العريضة التي عانت العسف والقهر من الاقطاع والاستعمار معا ، والتي أخذت تطمح الآن للخلاص منهما في وقت واحد ، ومن هنا انخرطها في كتائب جيش التحرير الشعبي .

ورغم الدور القيادي الذي لعبه المثقفون الذين كانوا يمثلون مصالح البرجوازية الصغيرة والوسطى ، والذين كانت قيادة الجبهة القومية الأمامية والخلفية في أيديهم ، فإنهم لم يكونوا بدون تناقضات .

غير أن هذه التناقضات الطبيعية النابعة من منحدرهم الطبقي ، وتبايناتهم السياسية ، لم تتفجر إلا بعد نيل الاستقلال الوطني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، حينئذ وضعت أمام الدولة الجديدة مهمة اختيار هذا الطريق أو ذاك لإعادة تنظيم حياة المجتمع . الطريق الاصلاحى البرجوازي ، أو الطريق الثوري الديمقراطي ، الطريق الذى يؤدي السير فيه الى الابقاء على البنية الاجتماعية الموروثة مع ادخال بعض التحسينات الليبرالية عليها ، أو الطريق الذى بالمضى فيه تقلب فيه هذه البنية رأسا على عقب ، الطريق الذى يبقى على المصالح الاحتكارية الأجنبية ، وعلى الارتباطات القائمة مع السوق الاستعمارية ، وإلى احلال الاستعمار الجديد محل الاستعمار القديم ، أو طريق الاستقلال السياسى الكامل ، والتحرر الاقتصادى التام ، والتصفية لكل المصالح الأجنبية المتحكمة في اقتصاد البلاد ، وفك علاقات التبعية بالسوق الاستعمارية ، وتوجيه علاقات البلاد الاقتصادية والتجارية نحو التعاون مع الدول الاشتراكية ومن أجل بناء اقتصاد وطنى انتاجى ناهض ومتطور .

والواقع أن « الميثاق الوطنى » الذى أقرته الجبهة القومية في مؤتمرها الأول الذى عقد في « نعر » بشمال الوطن اليمنى ما بين ٢٢ —

٢٥ يونيو ١٩٦٥ كان قد حدد الخطوط العامة التي بمقتضاها ينبغي أن يعاد تنظيم حياة المجتمع على أسس وطنية ديمقراطية ، وبما يحقق مصالح كل القوى الاجتماعية والسياسية المناهضة للمستعمر ، بدءاً من الطبقة العاملة ، مروراً بالفلاحين ، وانتهاءً بالبرجوازية الصغيرة والوسطى الوطنية •

وقد جاء في « الميثاق الوطنى » بهذا الصدد قوله « ان الجبهة القومية التي تقود الثورة الشعبية المسلحة المعبرة عن مطالب الشعب واحتياجاته اليومية سوف يكون لزاماً عليها لتغيير هذا الواقع أن تستبدله بواقع اجتماعى تقدمى ، ونظام يقوم على أسس ثورية سليمة ، وتسير في هذه المرحلة لتحقيق المبادئ التالية :

(أ) التحرر الاقتصادى الكامل من سيطرة الرأسمال الأجنبى المستغل والشركات الاستعمارية الاحتكارية •

(ب) اعادة بناء الاقتصاد الوطنى على أسس جديدة وسليمة تتمشى مع مبادئ العدالة الاجتماعية ، وتحقيق من خلالها سيطرة الشعب على مصادر الثروة ووسائل الانتاج •

(ج) اعداد وتوجيه كافة الامكانيات المادية والبشرية والعلمية في هذا السبيل وفق خطة عامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية •

(د) ان للقطاع الخاص دوراً هاماً يؤديه في تنمية البلاد ، شرط أن يبتعد عن الاستغلال والاحتكار ، ويقتصر عمله على المجالات وضمن الحدود التي يسمح له بالعمل فيها قانوناً ، اما منفرداً أو بالمشاركة ، أو بالتنسيق مع القطاع العام ، بمقتضى خطة التنمية ، ومخطط التنظيم الاقتصادى • « ولأجل ذلك لابد من تحطيم العلاقة القائمة بين الرأسمال

الوطني وبين الرأسمال الاستعماري من جهة ، ووضع خطة اقتصادية وطنية تغاير تماما الخطة الاقتصادية السائدة التي أوجدها الاستعمار من جهة أخرى » • « وذلك كله لا يمكن ان يتحقق الا اذا مارست السلطة الثورية دورها كاملا في التخطيط والتنمية من خلال قطاع عام يقود الحياة الاقتصادية ويوجهها • ومن أبرز الخطوات الهادفة • • • قيام جهاز مصرفي يملكه الشعب ، كى يتولى عملية تمويل المشاريع المصناعية • • » وعدا ذلك فان « مساحات شاسعة من الأرض المزروعة استولى عليها السلاطين بالقوة من الشعب وبعضها قاموا بحرمانها من الماء ، مما اضطر أصحابها الى بيعها للسلاطين بأثمان بخسة أو اهمالها ، لتصبح أرضا بورا • وان هذه الأراضي يجب اعادة توزيعها للشعب » (٥) •

ان مما يلفت الانتباه هنا أن الميثاق الذى حمل محتوى وطنيا ديمقراطيا عاما فى الوقت الذى أعطى فيه « القطاع الخاص » أو « للرأسمال الوطنى » « دورا هاما يؤديه فى تنمية البلاد » طلب اليه « ان يبتعد عن الاستغلال والاحتكار » وجزم أنه « لا يمكن أن تعطى للرأسمال الوطنى صبغة الوطنية الحقيقية الا بأبعاده عن الاستغلال الا باعطائه طابعا اجتماعيا يخدم حاجات الشعب ومتطلباته » (٦) •

ان هذه الصيغة التى تذكر بصيغة « الميثاق الوطنى » لعبد الناصر التى تحدثت عما أسمته « الرأسمالية غير المستغلة » — كما لو كان فى الامكان أن توجد رأسمالية لا تطمح الى الربح ، ومن ثم الى الاستغلال — تنطوى على طموح نحو الحد من استغلال الرأسمال الوطنى للمواطنين فى نفس الوقت الذى تعترف فيه للرأسمال الوطنى بحقوق الوجود فى حدود معينة •

لم ينتقيد - على أى حال - الجناح اليميني فى الجهة القومية الذى هبمن على المقاليد الأساسية فى السلطة - معتمدا فى ذلك أساسا على الأجهزة التى خلفها الاستعمار والمتمثلة فى قيادات الجيش ، والأمن ، والادارة - لم ينتقيد قط بالميثاق الوطنى •

وعدا اصلاح زراعى جزئى وسطحى وهزيل قصص به التعمية والتضليل وامتنصاص النعمة الشعبية - ولكن دون جدوى - لأن تركة الماضى الاستعمارى - الاقطاعى - القبلى - الكمبرادورى بقيت كما هى • بل ان الفئة اليمينية الحاكمة أخذت تنسخ العلاقات مع دوائر الاستعمار الجديد ، وبالذات الامبريالية الأمريكية ، وهو ما أوضحه بجلاء « انقلاب مارس ١٩٦٨ » الذى تم بترتيب مع الملحق العسكرى الأمريكى فى عدن ، والذى ألقى فيه القبض على بعض العناصر القيادية فى الجناح التقدمى للجهة القومية ، وعلى عناصر تقدمية وديمقراطية خارجها •

نقد بدا واضحا أن هذا الجناح اليميني الممثل لمصالح البرجوازية أخذ يسعى جاهدا الى التحالف مع قوى المجتمع القديم ، ومع الاستعمار الجديد ، بغية اقامة وترسيخ نظام يسير فى طريق التطور الرأسمالى ، بكل ما يعنيه ذلك من تشديد تبعية البلاد اقتصاديا وسياسيا وثقافيا للامبريالية العالمية •

وبذلك أخذت تتكون فى البلاد عملية استقطاب وتوزيع للقوى جديدة • ففى جانب تقف البرجوازية الوطنية الحاكمة التى تغير موقفها وكلفت عن الالتزام بالخط الوطنى المناهض للاستعمار وركائزه الداخلية الاقطاعية والكمبرادورية • وآثرت مد الجسور مع هذه القوى الظلامية الامبريالية والرجعية ، وفى جانب آخر تقف كل الطبقات والشرائح والقوى الوطنية والديمقراطية والشعبية ، بدءا من الطبقة

العاملة • مروراً بالفلاحين • وانتهاء بالبرجوازية الصغيرة • فضلاً عن الأحزاب الديمقراطية والتقدمية ، وبالذات الاتحاد الشعبى الديمقراطى ذو النهج الماركسى الذى كان فى جانب الخط النضالى للجبهة القومية أثناء فترة الكفاح المسلح وأقام علاقة مع رموز الجناح التقدمى فيها منذ هذا الوقت ، ومنظمة البعث التى كانت قد شرعت تتميز عن مركزها القومى ، قبل أن تنفصل عنه نهائياً فيما بعد ، وتشكل تنظيمها ذا توجه ماركسى حمل اسم « حزب الطليعة الشعبى » •

ان هذا التقاطع والتجاوب الذى حدث بعد الاستقلال بين البرجوازية الوطنية الحاكمة وحلفائها الموضوعيين والفلسطين ، والذى هتدت معه نزعتها الوطنية السابقة وبين مجمل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية والشعبية ليعيد الى الذاكرة صحة وأهمية التحليل العلمى الذى تضمنته وثائق «مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية» الذى عقد فى موسكو عام ١٩٦٩ ، والذى جاء فيه : « ويتطور تباين اجتماعى فى الدول المتحررة • وتشتد حدة النزاع بين الطبقة العاملة والفلاحين والقوى الديمقراطية الأخرى بما فيها فئات البرجوازية الصغيرة ذات الآراء الوطنية من جهة ، والامبريالية وقوى الرجعية الداخلية • وخاصة عناصر البرجوازية الوطنية التى يشتد تواطؤها مع الامبريالية أكثر فأكثر ، من جهة أخرى » (٧) •

لم تكن البرجوازية الوطنية والوسطى التى عبر عنها الجناح اليميني الحاكم فى الجبهة القومية طبقة اجتماعية ، وانما كانت شريحة اجتماعية رقيقة قابلة للكسر ، ولا سيما بعد أن وقفت ضدها جبهة عريضة من الطبقات والفئات والقوى الثورية • ولم يجد هذه البرجوازية المحدودة التكوين والتأثير اعتمادهما على أجهزة القمع الموروثة عن الاستعمار ، ولا نسجها للعلاقات مع القوى القديمة الرجعية ، ومع قوى الاستعمار الجديد •

ومن هنا سر ذلك النجاح الخارق الذى حققته حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م التصحيحية التى لم يسقط بها الجناح اليميني البرجوازي الحاكم فى الجبهة القومية فقط ، وانما فُتح أيضا الطريق أمام تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية •

لقد كرس قانون ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ ، وقانون ٨ نوفمبر ١٩٧٠ الخاصين بالتأميم والاصلاح الزراعى على التوالى عملية تحويل البنية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد تحويلا جذريا ، وعملية تحرير الاقتصاد الوطنى من الاحتكارات الأجنبية ، وخاصة البريطانية ، تحريرا تاما ، وأوجدا الأساس الأول لتنمية اقتصاد البلاد ، وتوجيهه وجهة انتاجية متعددة الجوانب ، ولوضع خطط اقتصادية عملية ، وللتعاون فى جميع هذه الميادين مع المعسكر الاشتراكى ، وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى •

وكما أمكن فى ظل حركة التصحيح المضى قدما فى اقامة البناء التحتى الاقتصادى الآخذ فى التنامى باطراد ، واقامة القطاع العام الذى اعتبر النمط الأساسى والموجه لجمال الحياة الاقتصادية ، والقطاع التعاونى ، والقطاع المختلط ، مع ترك مجال للقطاع الخاص ، شرط مراقبة حركته ، فإنه جرى العمل على تغيير البناء الفوقى بكل مؤسساته وأجهزته السياسية والادارية والقانونية والدستورية والأمنية ، والعسكرية والتربوية والتوجيهية ، بحيث غدا هو العامل الأساسى الموجه للبناء التحتى ذاته ، والمعجل بحركة نموه وتطوره •

وبذلك تمام فى البلاد نظام وطنى ديمقراطى يختلف عن الأنظمة الوطنية الديمقراطية التى اقامتها البرجوازية الصغيرة والوسطى العربية ، التى ما لبثت أقسام منها أن تحولت الى برجوازية بيروقراطية

عسكرية ومدنية متهمة متفسخة قادت هذه الأنظمة اما الى طريق الهلاك او مضت بها في طريق مسدود *

لقد قام في البلاد نظام وطني ديمقراطي من طراز جديد ، نظام ذو آفاق اشتراكية بالفعل *

غير أن ذلك كان ممكناً لأن التنظيم السياسي الحاكم — الجبهة القومية قد أخذ يتحول بسرعة من تنظيم ديمقراطي ثوري الى تنظيم ذي توجه ماركسي *

لقد برز هذا التوجه منذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية الذي عقد في زنجبار في مارس ١٩٦٨ ، والذي أسفر عن قرارات أفزعت الجناح اليميني الحاكم وقتها ، وألجأته الى القيام بحركته الانقلابية الأنفة الذكر *

ولقد تجلى هذا التوجه على نحو خاص في المؤتمر الخامس الذي عقد ما بين ٢ — ٦ مارس ١٩٧٢ ، والذي أقر برنامجاً جديداً « لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية » ظل هو الوجه الأساسي لمسار الثورة حتى قيام الحزب الاشتراكي اليمني في أكتوبر ١٩٧٨ م *

وللأهمية الخاصة لهذا البرنامج فإنه لا محيص من التوقف عنده بعض الشيء * ينبه البرنامج الى أن النظام الوطني الديمقراطي المراد إقامته في البلاد لن يكون من نمط تلك الأنظمة الوطنية الديمقراطية التي أقامتها البرجوازية الصغيرة ، وأوصلتها الى مآزق تاريخي لا خروج منه ، ذلك كما يقول البرنامج — « ان تجارب البلدان النامية التي قامت فيها تحالفات وطنية ديمقراطية تحت قيادة البرجوازية الصغيرة في ظل برامجها الاقتصادية والسياسية تثبت باللموس أن هذه البرجوازية

الصغيرة قد قادت ثورتها الوطنية الى طريق مسدود ، والى عجز واضح عن تقديم المعالجات الجذرية والصائبة للقضايا والمهام الثورية الوطنية الديمقراطية منتهجة بدلا من ذلك طريق التردد والتذبذب حيناً ، والمزايدة اللفظية والعفوية حيناً آخر ، ذلك ، فضلا عن أساليب العسف والاضطهاد ضد الطبقة العاملة وحلفائها» (٨) .

ولذلك فإن البرنامج يعلن بوضوح وحسم أن التحالف الوطني الديمقراطي في البلاد لن يكون قط تحت قيادة البرجوازية الصغيرة التي ستبقى طرفاً في هذا التحالف المحكوم بمصلحة قطبية الأساسيين : العمال والفلاحون ، حيث جاء فيه : « لقد كان من طبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلادنا وجود شريحة عريضة من البرجوازية الصغيرة . لكن هذه البرجوازية الصغيرة — كما تؤكد لنا التجارب — لا تستطيع أن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية والوصول بها الى نهاية حاسمة ، ومن هنا لابد أن توظف البرجوازية الصغيرة لمصلحة الطبقة العاملة وحلفائها ، لأن حل مغضلات الثورة الوطنية اديمقراطية في تحقيق التحرر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، لا يمكن أن يتم الا عن طريق سلطة جماهير العمال والفلاحين ، لأن الجماهير الكادحة هي وحدها التي تريح كل شيء ، ولن تخسر الا قيودها في نضالها الثوري» (٩) .

واذا كان البرنامج يرفض اعطاء القيادة في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية للبرجوازية الصغيرة ، فإنه يعلن بدون مواربة ان القيادة ينبغي أن تكون للطبقة العاملة وطليعتها المنظمة .

ان مثل هذا الطرح الذي يؤكد به البرنامج حتمية تحالف العمال والفلاحين ، ومعهم الجنود والمثقفون الثوريون ، والبرجوازية الصغيرة ، وضرورة ان تنزع الطبقة العاملة وتنظيمها الطليعي هذا التحالف ليوضح بجلاء مدى استرشاء الجبهة القومية بالنظرية اللينينية في هذا

الصدد ، حيث أكدت أنه ليس في امكان الثورة الديمقراطية ان تحقق
تأمل غاياتها ما لم يقيم تحالف بين العمال والفلاحين أولا وقبل كل شئ .
وما لم تقود الطبقة العاملة عبر حزبها المستقل هذ ' التحالف .

أما الصيغة التي وردت في البرنامج حول ذلك فقد كانت كما يلي :
« وفي بلادنا يجب أن تقام التحالفات الوطنية الديمقراطية تحت قيادة
الطبقة العاملة وطيعتها ، والتي ستمكن من تنفيذ برامجها الاقتصادية
والسياسية والعسكرية ، لتتمكن بذلك من الصمود في وجه الاستعمار
والاستعمار الجديد ، وتصفية القوى الطبقية المرتبطة به ، كما تستطيع
بفعالية من أن تقود بلادنا ، بما يضمن حل كلفة معضلات الثورة
الوطنية الديمقراطية ، وتبذيرها لصالح هذه التحالفات الطبقية » .
« ان المرحلة الراهنة في بلادنا تستوجب تعزيز التحالفات الوطنية ،
الديمقراطية . الا أن هذا يجب أن يتم في ظل تحالف القوى الأساسية
للعمال والفلاحين الفقراء مع صعود وتنامي دور الطبقة العاملة وطيعتها ،
لتتمكن من التقدم نحو تحقيق التغيرات الضرورية في بنى المجتمع
التحتية والفوقية ، والتي لا يمكن أن تحقق بالممارسة المعقوية والتجريبية
أو بمجرد الاخلاص الذي لا يدرك حقائق العالم الموضوعي ، ودرجة
نمو الشروط الذاتية والمفصل عن الالمام بالمهام اليومية والتاريخية
للثورة » (١٠) .

ان هذا التركيز على أهمية دور الطبقة العاملة القيادي في الثورة
الوطنية الديمقراطية كما يعود الى الاسترشاد بمقولات الاشتراكية
العلمية في هذا الصدد ، فإنه يستند كذلك الى واقع ان الطبقة العاملة
اليمنية الفنية ، وخاصة عمال مصافي البترول كانت قد أثبتت وجودها
السياسي ، وفعاليتها النضالية منذ الخمسينيات ، وعلى امتداد الستينيات ،
من خلال المعارك الوطنية والطبقية التي خاضتها ضد المستعمر

البريطاني داخل عدن ذاتها — مركز ثقيله العسكري والسياسي والاداري — ومن خلال اسقاط القيادات الانتهازية الاصلاحية في « المؤتمر العمالي » التي راهن عليها الاستعمار البريطاني ومن خلال اشتراكها المباشر في الثورة الوطنية عبر مختلف الأشكال النضالية الفدائية والسياسية وال جماهيرية ، ومن وقوفها ضد الجناح اليمنى في الجبهة القومية ، الذى أمسك بالسلطة بعد الاستقلال ، ومعاضدتها لحركة التصحيح التى أطاحت به ووضعت البلاد من جديد على طريق الثورة الوطنى الديمقراطى .

غير أن القضية التى استحققت وقفة خاصة من الجبهة القومية ، هى قضية التنظيم الطليعى للطبقة العاملة ، الذى فى امكانه وحده ان يقود تحالف العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة بغية انجاز مهام الثورة الديمقراطية ، والانتقال من ثم الى المرحلة اللاحقة ، المرحلة الاشتراكية .

ولأن مثل هذا الحزب الطليعى وال جماهيرى لم يكن موجودا بعد ، فإن البرنامج دعا الى ضرورة ايجاده .

وحول ذلك جاء فى البرنامج : « لقد أكدت كل التجارب الثورية بحسب الأهمية التاريخية لدور الحزب الطليعى فى قيادة الثورة ومدى المخاطر التى يمكن أن تتعرض لها أى ثورة فى ظل غياب الحزب الطليعى .

وان الثورة فى بلادنا تؤمن أكثر من أى وقت مضى بأن الحزب الطليعى هو الضمان الوحيد لتحقيق قدرتها على قيادة الثورة ، وانجاز المهام المرحلة والتاريخية لها « (١١) .

بل ان البرنامج طمح الى الا يقتصر وجود هذا الحزب على اليمن الديمقراطية ، ونادى بأن يكون على مستوى اليمن كلها ، حتى يصبح ممكنا تحقيق كامل أهداف الثورة اليمنية ، الوطنية والاجتماعية . الديمقراطية والاشتراكية ، بما فيها اقامة اليمن الديمقراطي الموحد .

ومن هنا تأكيد البرنامج على أن « العمل من أجل قيام الحزب الطليعى من داخل اطار التنظيم السياسى — الجبهة القومية — وفى سبيل قيام الحزب الطليعى اليمنى الموحد ، قضية استراتيحية ضرورية . انه القيادة المسلحة بأيدىولوجية الاشتراكية العلمية ، القيادة المنظمة والواعية والقادرة على تحقيق المهام المرحلة المرتبطة بالمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية » (١٢) .

تلك كانت هى الحلقة المفقودة ، بل والحلقة الوسطى ، التى انصب جهد مجمل فصائل العمل الوطنى من أجل تحقيقها والامساك بها ، بغية الامساك بقوة وثبات بمجمل السلسلة الثورية ، وضمان ليس فقط اكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، وانما أيضا السير فى طريق التوجه الاشتراكى ، وطريق اقامة الاشتراكية .

ومن أجل ذلك دخلت فصائل العمل الوطنى الديمقراطى فى حوار مكثف ومسئول فى الوقت الذى شاركت فيه جميعها فى السلطة ، وفى المنظمات الجماهيرية .

لقد انتهى هذا الحوار بينها الى ابرام اتفاقية ٥ فبراير عام ١٩٧٥ التى قضت باتحادها فى تنظيم انتقالى هو التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية ، تمهيدا لاقامة الحزب الطليعى المنشود .

لقد أقرت بترحاب عظيم مؤتمرات الفصائل الثلاث هذه الاتفاقية البالغة الأهمية والخطورة ، حيث أقرها المؤتمر العام السادس للتنظيم

— ٢٧٣ —

السياسى — الجبهة القومية فى مارس ١٩٧٥ ، والمؤتمر العام الثانى للاتحاد الشعبى الديمقراطى فى يوليو ١٩٧٥ ، والمؤتمر العام الثالث لحزب الطليعة الشعبية فى أغسطس ١٩٧٥ •

وما بين ١١ — ١٣ أكتوبر من ذات العام انعقد المؤتمر التوحيدي الذى انبثق عنه التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية الذى جعل من برنامج الجبهة القومية الأنف الذكر برنامجا له •

وأصدر المؤتمر بيانا ختاميا ، وقرارات وتوصيات شدد فيها على العمل الحثيث من أجل بناء الحزب الطليعى ، بغية ترسيخ وتعميق مجرى الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخلق المقدمات الموضوعية للانتقال الى المرحلة الاشتراكية •

كما نبهت القرارات الى أن المناضل الثورى فى البلاد يجب أن يتميز بصفات وممارسات ثورية ، منها :

« (أ) أن يعمل ويقتنع بأن الثورة فى اليمن الديمقراطية هى جزء لا يتجزأ من حملة الهجوم العالمى للاشتراكية ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية والرجعية ويعمل دائما من أجل تقوية الاشتراكية على النطاق العالمى ، ويؤمن بأنه كلما تقوت القوى الديمقراطية والاشتراكية ، كلما استطاعت ثورتنا أن تتقدم بنجاح أكبر •

(ب) أن يعمل دائما من أجل وحدة صفوف حركة الثورة العالمية بقواها الثلاث ، النظام الاشتراكى العالمى ، والطبقة العاملة وأحزابها الطليعية فى البلدان الرأسمالية ، وحركات التحرر الوطنى العالمية ، ومحاربة كل المحاولات النظرية والعملية التى تعمل ضد وحدة حركة الثورة العالمية » (١٣) •

(م ١٨ - تضاميا الثورة اليمنية)

— ٢٧٤ —

لقد رسخ قيام التنظيم السياسى الموحد - الجبهة القومية
القاعدة الاجتماعية التى تستند اليها الثورة ، وعزز لحمة التحالف
الحلقى بين العمال والفلاحين ، وبلور أكثر الطابع الديمقراطي للثورة ،
وركر سلطتها الوطنية الديمقراطية ، وأتاح لها المضى قدما الى
الأمام فى مجال تعميق وتجذير التحولات الاجتماعية ، وتمتين
وتطوير العلاقات مع أطراف حركة الثورة العالمية ، وخاصة المنظومة
الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى .

ولحق ذلك كله بأن قيام التنظيم السياسى الموحد - الجبهة
القومية عزز أكثر فأكثر مواقع الاشتراكيين الصادقين فيه ، وعمق
وحدتهم الفكرية والسياسية ، ومن ثم قرب من يوم إقامة التنظيم
الطليعى .

ان مجمل هذه التطورات التى حدثت بعد قيام التنظيم السياسى
الموحد الجبهة القومية قد أدت الى عزل ومحاصرة التيار الانتهازى
اليسارى الطفولى فيه الذل كان قد شرع فى الظهور منذ مطلع
السبعينيات ، وارثكب بعض التجاوزات التى لم تكن تحتملها مرحلة
الثورة الوطنية الديمقراطية ، والذى لتبرير جهالة بالقوانين الاجتماعية
التي تحكم هذه المرحلة اتهم الاشتراكيين الحقيقيين بأنهم برجوازيون
صغار ، وبأن ثقافتهم هى ثقافة البرجوازية الصغيرة .

لقد كان هذا التيار الذى كان سالما ربيع على رئيس مجلس
الرئاسة أبرز رموزه بمثل فى المواقع أيديولوجية ومصالح البرجوازية
الصغيرة الريفية الضيقة الأفق ، والمجهود التفكير التى لم تستطع أن
تستوعب حتى مفاهيم الثورة الديمقراطية ، ناهيك عن أن يتسع فهمها
لاستيعاب نظرية الاشتراكية العلمية .

— ٢٧٥ —

من هنا ذلك الضيق الذى بلغ حد التوتر والنشج بذلك التقارب وذلك الالتحام الذى أخذ ينشأ بين الاشتراكيين داخل التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية — وبذلك التعاون المتنامى الذى قائم بين اليمين الديمقراطية والاتحاد السوفيتى •

لقد بلغ ضيق زمرة ربيع على الانتهازية حد ان ألفصحت انه لم يثن الأوان لقيام الحزب الطليعى المتبنى صراحة لمبادئ الماركسية — اللينينية ، ذلك أنه لم توجد بعد الطبقة العاملة التى يعبر عنها مثل هذا الحزب ، ولأن قيامه سيثير قوى الرجعية المحيطة باليمن الديمقراطية ، وأنه من ثم لا امكانية لغير وجود حزب ديمقراطى ثورى •

بذلك كشف هذا التيار عن البعد الطبقي والسياسى اليميني فى تكوينه ، وعن واقع ان يساريته الانتهازية لم تكن سوى غلالة رقيقة تغطى انتهازيته التى تجلت أكثر فى تلك الصلات الخفية التى نسجها حتى مع الرجعية السعودية •

لقد بلغ النزق والطيش والرعونة بهذا التيار حد الأقدام فى ٢٥ — ٢٦ يونيو ١٩٧٨ على القيام بمحاولة انقلابية ضد التنظيم السياسى ، وضد الشرعية الدستورية • وضد خط الثورة هذه المحاولة التى لم تؤد الا الى القضاء عليه ، وانتهاء ممثلى البرجوازية الصغيرة القروية من السلطة •

بازاحة رموز هذا التيار من قمة السلطة تأمنت أكثر من أى وقت مضى مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية، وتجلت أكثر ألقاها الاشتراكية، وتوهرت العوامل الذاتية اللازمة للمشروع فى اقامة الحزب الطليعى المنشود •

وما بين ١١ — ٢٣ أكتوبر ١٩٧٨ انعقد المؤتمر التأسيسى والأول

الذى أعلن فيه قيام الحزب الذى حمل اسم « الحزب الاشتراكى اليمنى » ♦

وبقيامه تم الامساك بالحلقة المفقودة ، والحلقة الوسطى . فى سلسلة الثورة ، وتوفرت الأداة القيادية الآمنة والكفيلة باستكمال مهامها الوطنية الديمقراطية ، وتحويلها الى ثورة اشتراكية ♦

وبقيامه ترسخت السلطة الديمقراطية الثورية التى أخذت تكتسب منذئذ ملامح سلطة الديمقراطية الشعبية ♦

وبقيامه توطد تحالف العمال والفلاحين والمثقفين الثورة والفئات الكادحة الأخرى ♦

وبقيامه تحقق الشرط السيلالى الحاسم للسير بوتيرة متساعدة فى طريق التوجه الاشتراكى ♦

وبقيامه انطلقت عملية تحضير واعداد المقدمات والأسس الموضوعية والذاتية ، المادية والتكنيكية ، الاجتماعية والثقافية ، للانتقال الى رحاب الاشتراكية ♦

وبقيامه تلاحمت أكثر فأكثر العلاقات الرفاقية والأمنية مع مختلف فصائل حركة الثورة العالمية ، وعلى رأسها النظام الاشتراكى العالمى ، وفى مقدمته الاتحاد السوفيتى ♦

عن طبيعة الحزب الطبقي ورسالته التاريخية ، جاء فى « برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى » : « الحزب الاشتراكى اليمنى هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة الأخرى ♦ وهو التعبير الحى عن وعى هذه الطبقة

لمصالحها الحقيقية ، ول مستقبلها ، ودورها التاريخي ... وهدف الحزب
تحويل المجتمع تحويلا ثوريا ، لاستكمال مهمات الثورة الوطنية
الديمقراطية ، والانتقال نحو بقاء الاشتراكية مسترسدا في سبيل تحقيق
هذا الهدف النبيل بنظرية الاشتراكية العلمية » .

. وفي وضوح قاطع يحدد الحزب الموقع الذي تشغله اليمن
الديمقراطية في اطار الثورات الديمقراطية الطليعية التي تحولت الى
ثورات اشتراكية ، شأن ما حدث في فيتنام وكوبا ، والتي تسير في
طريق التوجه الاشتراكي ، حيث يقول : « ان توطد مواقع النهج
الثوري في كوبا ، والانتصار التاريخي لشعب فيتنام ، وانتصارات
شعوب أنغولا والموزامبيق وغينيا بيساو واثيوبيا وأفغانستان وغيرها من
بلدان آسيا وأفريقيا تشكل نموذجا متقدما وطنيعيا من نماذج حركة
التحرر الوطني ، ومنعطف حاسما في مسار هذه الحركة » .

وفي هذا السياق بالذات يأتي الانتصار التاريخي الذي تحقق في
بلادنا ، ليشكل رافدا أساسيا من روافد المرحلة المتقدمة من مراحل
حركة التحرر الوطني » .

وبرؤية ثورية أممية صافية يحدد برنامج الحزب طبيعة العصر ،
الذي دشنته انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، والذي تمسك
زمام المبادرة التاريخية فيه الطبقة العاملة العالمية ، ونظامها الاشتراكي
العالمي ، وحركة التحرر الوطني التي غدت جزءا لا يتجزأ من العملية
الثورية العالمية الهادفة الى الاطاحة بنير الامبريالية ، وفتح الطريق
أمام تحرر وتقديم جميع شعوب الأرض » .

ويمصوغ برنامج الحزب رؤيته الاشتراكية العلمية هذه كما يلي :
« ان السمة الرئيسية التي تميز العصر الراهن هي الانتقال من الرأسمالية

الى الاشتراكية على نطاق العالم • ان عصرنا هو عصر الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين المتناقضين ، عصر الثورات الاشتراكية وانتصار حركة التحرر الوطنى ، وانهيار الامبريالية ، وتصفية نظام الديكتاتور الكولونيالى ، عصر انتهاج شعوب جديدة باستمرار طريق التوجه الاشتراكى ، عصر انتصار الاشتراكية على الصعيد العالمى •

ويتأكد فى عصرنا بأن الرأسمالية كنظام وعلاقات انتاج ، قد أنهت مهمتها التاريخية ، ونشأت ظروف موضوعية لانتقال البشرية الى النظام الاشتراكى •

ويحتاج عالمنا اليوم تيار التجديد الثورى الاشتراكى بقيادة الطبقة العاملة وحلفائها •

لقد دشن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بداية هذا العصر ، وشكل انعطافا حاسما فى تاريخ البشرية ، مسجلا بداية انهيار الامبريالية ، وانبثاق النظام الاجتماعى الاشتراكى الجديد ، الذى يعبر عن المصالح الجذرية للجماهير الكادحة •

ان مما يكتسب أهمية خاصة أيضا ذلك التحليل الموضوعى الرصين ، والتعليل العلمى الدقيق للأسباب التى أدت الى انتكاس أو ترنح أو مراوحة الثورات الوطنية الديمقراطية التى قادتها البرجوازية الصغيرة ، والتى ينفى البرنامج ضمنا الزعم بأنها مضت فى طريق التوجه الاشتراكى ، رغم الانجازات الاقتصادية والاجتماعية التى حققتها •

يقول البرنامج : « واتجه عدد من الثورات الوطنية التحررية لشعوب هذه البلدان الى اجراء جملة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الديمقراطى العميق الموجهة ضد مواقع

الرأسمال الأجنبي ، والاقطاع ، والكمبرادور • وانتهجت على صعيد السياسة الخارجية خطاً معادياً للاستعمار والامبريالية ، وخطت خطوات كبيرة على طريق تعزيز تحالفها مع بلدان المنظومة الاشتراكية •

لقد تحققت هذه التحولات والأجراءات في الأساس بقيادة عناصر وطنية وثورية من البرجوازية الصغيرة ••• الا أنه بسبب الطبيعة الطبقيّة لهذه العناصر • وما تميزت به من خوف وحذر من الجماهير ، وميلها المتزايد ونسب متفاوتة الى الانفراد بالسلطة ••• لم تستطع حشد وتجنيد الطاقات الاقتصادية والبشرية والعسكرية الضرورية لمواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة ، ومتابعة مهام التحرر الوطني ، ونهج التحولات الاقتصادية والاجتماعية الديمقراطية والتقدمية ، فسقط بعضها ، وانحنى البعض الآخر ، وازداد الميل نحو المساومة مع الامبريالية ، ومع الاحتكارات والرجعية الخارجية والداخلية ، وعززت الأجنحة اليمينية مواقعها في السلطة ، وصولاً الى استيلائها الكامل على السلطة في بعض هذه البلدان ، وارتدادها الكامل عن نهج التحولات التقدمية في المجال الاقتصادي والاجتماعي ، وانغماسها أكثر فأكثر في سياسة العدا للديمقراطية وقمع الجماهير ، وانتقالها الى الدوران في فلك المخططات الامبريالية ، والعداء للاتحاد السوفيتي ، والمنظومة الاشتراكية ، متخليّة بذلك عن المطامع والمصالح المشروعة الأوسع فئات الشعب في التحرر الوطني ، والتقدم الاجتماعي ، بما في ذلك مصالح أوسع فئات البرجوازية الصغيرة نفسها» (١٤) •

لقد مثل قيام الحزب الاشتراكي اليمني مرحلة جديدة ليس في تاريخ ثورة ١٤ أكتوبر الوطنية الديمقراطية التقدمية فحسب ، بل وفي تاريخ الثورة والحركة الوطنية اليمنية على الاطلاق ، ووغر لها القيادة الصائبة من أجل تحقيق كامل أهدافها في التحرر والتقدم والوحدة والديمقراطية •

— ٢٨٠ —

والحزب الاشتراكي اليمني يمثل اليوم الفصيلة الطليعية الوحيدة التي تمسك بالسلطة السياسية بين مجمل الفصائل الطليعية في الوطن العربي ، وهو من ثم يمثل ويقود تجربة واعدده وملهمه بالنسبة لها جميعا .

والحزب الاشتراكي اليمني يحتل اليوم موقعا هاما بين كوكبة الأحزاب الطليعية الجديدة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، التي تقود بلدانها في طريق التوجه الاشتراكي .

والحزب الاشتراكي اليمني هو واحد من أحدث الكنائس الأممية التي انضمت الى جيش الثورة العالمية ، وتخوض ضمنه النضال من أجل التحرر والتقدم والديمقراطية والاشتراكية .

وكحزب للطبقة العاملة ، ومجسد في ذات الوقت لمصالح حلفائها من الفلاحين وغيرهم من الكادحين ، فإن نجاحه في أداء رسالته التاريخية هذه بكل أبعادها الوطنية والاجتماعية ، وكل مستوياتها الاقليمية والقومية والأممية ، وأولا وقبل كل شيء تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، مرتبط ارتباطا صميميا بانخراط حشود الطبقة العاملة أكثر فأكثر الى صفوف الحزب ، وتمكينهم من استيعاب نظريتهم الاشتراكية العلمية استيعابا أعمق ، وتمكينهم باستمرار من التقدم نحو الامساك بالمواقع القيادية في الحزب والدولة والتغلب من ثم على أية بقايا أو رواسب ذات مسحة برجوازية صغيرة يحتمل وجودها فيهما .

وليس هناك ما يدعو الى الشك في أن الحزب عازم على المضى في هذا الدرب الى النهاية .

وبعد : فإن سر النجاح الذي حققته وتحققه تجربة الثورة في

— ٢٨١ —

اليمن الديمقراطية يعود الى أنها استرشدت في مسيرتها النضالية — وعلى نحو متصل باسمرار — بالقوانين العامة لعملية التطور الاجتماعي التي اكتشفتها نظرية الاشتراكية العلمية ، وبالخبرة الثورية الغنية التي قدمتها البلدان الضعيفة التطور التي تمكنت من تجاوز مرحلة الرأسمالية ، والسير في طويق بناء الاشتراكية ، والى أنها طبقت هذه القوانين والخبرة ، على نحو خلاق وفق ظروفها الخاصة •

وأخيرا بقى أن نسأل : هل من حق الثوريين اليمنيين أن يشعروا بالغبطة والاعتزاز أنهم استطاعوا أن يقدموا أول تجربة ثورية نموذجية وطليعية في عموم وطنهم العربى وأحد الأمثلة الثورية الريادية في مجمل منطقة التحرر الوطنى ؟

يجب للثوريين كل ذلك شريطة أن يوفروا لهذه التجربة كامل المقومات اللازمة لذلك والتي يأتى على رأسها قيام تحالف ديمقراطى عريض للطبقات والفئات والقوى ذات المصلحة في الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، تحالف يتسع للأحزاب والشخصيات الوطنية والقومية والاشتراكية ، ويوفر قاعدة اجتماعية واسعة ومنبثقة للتجربة التي يقودها الحزب الاشتراكي اليمنى •

ثورات ١٤ أكتوبر

و

ثلاثة منعطفات تاريخية(*)

من الصعب — تاريخيا وسياسيا — الحديث أو الكتابة عن حركة
٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية دون الحديث أو الكتابة عن حركة ٢٦
يونيو ١٩٧٨ التقدمية •

كلتاهما قادهما التنظيم السياسى ضد التسلط الفردى الذى كان
يعمل على فرض وجوده على اتقاض وجود التنظيم •

وكلتاهما عززتا سلطة وهيبة التنظيم ، وأكدت دور القيادى فى
الدولة والمجتمع ، وحسمتا معضلة العضلات فى العالم النامى أو المتخلف
على وجه خاص ، ألا وهى لمن السلطة ؟ الأول من يركب دبابة اليها ،

(*) نشرت فى مجلة « قضايا العصر » عدد مارس ١٩٨٧ •

أم لجماءهير الشعب التى كافحت وضحت من أجل وضع حد لكل تسلط وطنيان واذلال لها ، سواء كان خارجيا أو داخليا ؟ ألن آنس فى نفسه القوة والقدرة على امتطاء ظهر الشعب ، ولوى عنقه ، وامتهان كرامته . أم للشعب نفسه يحكم نفسه بنفسه عبر ممثليه المنتخبين ، وعبر قياداته الطليعية المنسوجة من عروقه ، الصاعدة من قاع معاناته ، المصنوعة من ذوب دمه ؟

كلتا الحركتين أجابتا إجابة واحدة : لاقامة تطول على قامة الشعب ، ولا صوت يعلو فوق صوت طليعته الثورية .

وكلتاهما قالتا : لا ، للنزوع الفردى ، والديكتاتورى ، والفوضى ، وقالتا : نعم ، للقيادة الجماعية ، للديمقراطية الشعبية ، للانضباط التنظيمى .

كلتا الحركتين وجهان لعملة واحدة ، حيث يستحيل الفصل بينهما ، وحيث لا توجد الثانية بدون الأولى ، وحيث لا بقاء للأولى بدون الثانية .

كانت الأولى تصحيحية ، وكانت الثانية تقويمية .

وضعت الأولى الثورة على طريق التغيير الديمقراطى لبنية المجتمع ، بعد أن تنكبه يمين التنظيم الحاكم ، ورسخت الثانية خطى الثورة على هذا الطريق ، بعد أن حاول « اليسار الطفولى » الابتعاد عنه .

أسقطت حركة التصحيح الفئة البرجوازية الوسطية التى أرادت التصالح مع البرجوازية الكبرادورية ومع أصحاب العقارات فى المدينة والريف ، ودفع المجتمع فى طريق التطور الرأسمالى الطفيلى والتابع والمشوه ، وأسقطت حركة التقويم الفئة البرجوازية الصغيرة ، التى رغم مزايداتھا اليسارية — بل بفعل مزايداتھا اليسارية — كانت تقف

حجر عثرة أمام ترسيخ وتطوير وتعميق أسس النظرية الديمقراطية الثورية ، وتشجيع الاضطراب والفوضى والفتنة والنزاع بين قسوة الشمولية والثورية •

كلتاها ازاحتا لعمين من طريق الثورة ، كان من شأن بقائهما فيه أن ينفجرا فيها ، وأن يلقي بها خارجه أشلاء وحطاما •

أقمت حركة التصحيح شيئا هراما يدلف الى القبر ، ويحصر على أن تدفن الثورة الى جواره ، بينما أقمت حركة التقويم شيئا طائشا كان قد أنشأ مخالفة في الثورة •

قالت حركة التصحيح لليمين الانتهازي : اذهبوا الى المستنقع وحدكم ، « لا للوقوف في المستنقع المجاور الذي لامنا سكانه منذ البدء ، لأننا اتحدنا في جماعة على حدة ، وفضلنا طريق النضال على طريق المهادنة » على حد تعبير لينين في كتابه (ما العمل ؟) •

وقالت حركة التقويم لليسار الانتهازي الذي كان قد غامر بالقيام بانقلاب على خط التنظيم في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ : اذهب أنت وطيشك وجموحك الى الجحيم ، ورددت مع انجلز : « ان الحزب الذي يسهل عليه أن يتحمل في عقر داره وعن عمد كل مجنون أكثر من أن ينبذه بحزم وعظما ، ان مثل هذا الحزب حزب لا مستقبل له » • — كما جاء في رسالة له الى ماركس في ٢-١-١٨٧٩ •

حركة التصحيح أعادت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م الى حضن القضية الوطنية اليمينية ، قضية توحيد الوطن على أسس ديمقراطية ، بعد أن جنح اليمين الانتهازي بعيدا عنها ، وانكفأ في انفعاليته •

ووضعت حركة التقويم هذه القضية في مرضع القلب من اهتماماتها ، وخصص لها برنامج الحزب الاشتراكي اليمني فصلا كاملا منه ، هو الفصل الأول ، بعد أن كانت قد تحولت على يد اليسار الانتهازي الذي كان غارقا في الانعزالية حتى الأذقان الى مجرد أداة للمناورة والمعاينة .

حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عادت بالثورة مرة أخرى الى قلب المعترك العربي ، والى ساحة الصراع العالمي مع الاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية والعنصرية والرجعية ، بعد أن أخرجها اليمين نهائيا منها ، وذهب يفتش له عن حلفاء وأصدقاء داخل هذه الجبهة الظلامية .

وحركة ٢٦ يونيو التقويمية دفعت بالثورة لاحتلال موقع متميز في قلب هذا المعترك العربي ، وفي لب ساحة الصراع العالمي .

حركة ٢٢ يونيو أقامت جسور الصداقة والتحالف المتينة بين اليمن الديمقراطية والمسكر الاشتراكي ، وفي الصدارة منه الاتحاد السوفيتي ، وأنهت بذلك نظرة الريبة والنفعية والبراجماتية التي كان يثبناها ازاء اليمين المسقط .

وحركة ٢٦ يونيو زادت هذه الجسور متانة وقوة ، ووضعت تحتها دعائم تجعلها قادرة على الصمود في وجه كل الزلازل الرجعية والاستعمارية المحتملة ، ووضعت بذلك حدا لكل محاولات اليسار الانتهازي التي كانت تهدف الى خلخلتها وإضعافها .

حركة التصحيح قربت بين قوى الثورة في الداخل ، وجمعتها في تنظيم انتقالي مبتكر ، هو التنظيم السياسي الموحد — الجبهة القومية .

وحركة التقويم ارتفعت بهذه الوحدى التنظيمية الانتقالية الى مستوى نوعى جديد ، الى مستوى اقامة حزب واحد موحد ، حزب طليعى من طراز جديد ، حزب يتبنى أيديولوجية الطبقة العاملة ورسالتها ، أيديولوجية الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية ، الا وهو الحزب الاشتراكى اليمنى •

بخطوة ٢٢ يونيو التصحيحية قدمت ثورة ٢٤ أكتوبر ١٩٦٣ البرهان على أنه ليس فى امكان الثورة — أى ثورة — أن تحقق نهجها الوطنى الديمقراطى بدون ازاحة ممثلى البرجوازية الوسطى من قيادتها •

وبحركة ٢٦ يونيو التقييمية قدمت ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ البرهان أيضا على أنه ليس فى امكان الثورة — أى ثورة — أن تفضى بالثورة الديمقراطية الى النهاية بدون اقضاء العناصر المثقلة لأيديولوجية البرجوازية الصغيرة من موقع القيادة فيها ، أيا كان الوجه الذى تظهر به ، واللون الذى تموه نفسها به •

ذلك هو الخاص الغنى والعميق الذى طرحتة تجربة ثورة ١٤ أكتوبر ، وهو لغناه وعمقه ينطوى على ما هو عام ، على ما يصلح لكل ثورة وطنية ديمقراطية أصيلة •

وذلك أيضا هو التعميم النظرى الذى توصل اليه الحزب الاشتراكى اليمنى حيث جاء فى برنامجـه : « ورغم الموقف الوطنى للبرجوازية الصغيرة ضد السيطرة الاستعمارية ، ونضالها ضد الاستغلال الواقع عليها من الاقطاع والكمبرادور ، تقع فئات واسعة منها فى التشوش والاضطراب والتردد ، عندما تواجه المهام الأساسية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وذلك بحكم تكوينها وتطلعاتها •

وتؤكد التجربة الثورية في بلادنا ، كما تؤكد تجارب البلدان النامية التي لعبت فيها البرجوازية دورا قياديا ، عجز البرجوازية المتوسعة والصغيرة عن تقديم المعالجات الجذرية والصائبة لمهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، منتهجة بدلا من ذلك طريق التجريبية والمزايدة اللفظية والتأرجح بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ، انسجاما مع مصالحها وطموحاتها الطبقية ، وانحيازها الى طريق التطور الرأسمالي بأشكاله التقليدية والحديثة ، وشبكة علاقاته الاقليمية والدولية البرجوازية الرجعية ، مما يفتح المجال لاجهاض الثورة ، ولسيطرة الاستعمار الجديد » . (ص ٥٩ — ٦٠) هكذا يمكن الجزم بأن حركة ٢٦ يونيو ١٩٧٨ جاءت — بكل مقياس من المقاييس — تنمة طبيعية لحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ . وبدونها كان يمكن أن يصبح كل ما أنجزته حركة التصحيح هباء منثورا .

فهي اذن خطوة تقويمية مكتملة ومدعمة لحركة التصحيح . وهما معا وجهان لعملة واحدة ، بعدان لعملية ثورية واحدة .

على أن الحديث عن حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وحركة ٢٦ يونيو التقويمية لا يكتمل دون التطرق الى ما أسميته في مقال لي نشرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » في عدد ١٤-٢-١٩٨٦ منها « مؤامرة ٢٣ يناير ١٩٨٦ والعبرة المستخلصة منها » قلت فيه — استنادا الى الأسس والمبادئ التنظيمية الليبية التي لا وجود ولا حياة لأى حزب اشتراكي علمي بدونها وبدون التقيد الصارم بها ، والانضباط الكامل لها : « ذلك يعنى أن أى خروج على وحددة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية تحت أى ذريعة كانت ، والاحتكام الى السلاح في حمل القضايا الخلافية ، هو تخل كامل عن نهج الطبقة العاملة ، وعودة الى نهج البرجوازية » .

« وكان الظن أن هذه المسألة البدئية قد غدت من الأمور

المسام بها في حزب طليعي كالحزب الاشتراكي اليمني « لا سيما وأن هناك قراراً صريحاً اتخذته المكتب السياسي للحزب يخون فيه أى عضو فيه يلجأ إلى السلاح في حال الخلاف الداخلى في الحزب » .

« ان أيديولوجية ومبادئ الحزب الطليعي ، حزب الطبقة العاملة ، هي أعلى وأكمل تجسيد للديمقراطية ، سواء الديمقراطية داخل الحزب أو الديمقراطية للشعب ، وبالتالي فإنه غير جائز ولا مقبول على الإطلاق اثتهار أو استخدام السلاح في حزب كهذا لا ضد أحد من أفراد ههئاته - أيا كانت الخلافات فيه - ولا ضد الشعب » .

وقلت في هذا المقال : « قليلة هي الأوطان التي تعرضت لمثل ما تعرضت له اليمن الديمقراطية من محنة مطبقة الانحاء كان يمكن أن تعصف بنظامها التقدمي ، وثورتها الديمقراطية ، وحزبها الطليعي ، وأن تدمر وحدتها الوطنية ، وعلاقاتها القومية والأممية والعالمية ، وأن تحكم على دواتها بالزوال » .

غير أن اليمن الديمقراطية التي عركتها الخطب ، وانضجتها نيران المعارك التي خاضتها منذ اندلاع ثورتها المقدمة ، ثورة ١٤ أكتوبر ، والتي تعودت على اجتياز كل عقبة انتصبت في طريقها ، وتصحيح كل أعوجاج طرأ على خدائها النضالي وتمكنت من ثم من القيام بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ أقدمت بها اليمن الانتهازي ، ومن التغلب على اليسار الانتهازي بهتها الثورية في ٢٦ يونيو ١٩٧٨ - اليمن الديمقراطية هذه أمكن لها - بفضل هذا الرصيد النضالي الضخم وبفضل امتلاكها الحزب القائد لمسيرتها الكفاحية ، الحزب الاشتراكي اليمني - أن تقهر مؤامرة ١٣ يناير ٢٩٨٦ الانقلابية الدموية التي حتى بحسبقتها الدموية هذه اتخذت طابعاً يمينياً واضحاً » .

كما قلت في هذا المقال : « ان أى حزب طليعي اشتراكي علمي .. »

لا يمكن له الا أن يستنكر بقوة هذه الفعلة النكراء ، وهذه الجريمة
الشنعاء » •

هذا الكلام الذى كتب فى مطلع فبراير ١٩٨٦ ونشر فى منتصفه
لم يكن مجرد تكهن بما يمكن أن يكون عليه موقف الأحزاب الشيوعية
من أحداث ١٣ يناير المؤسفة والمحنة هذه ، ولا حتى عملية استقراء
لموقفها الطبيعى المفهوم سلفا تجاهها ، وانما كان ببساطة تأكيدا على
موقف مبدئى نظرى وتنظيمى من مبادئ الماركسية - اللينينية لا
يختلف عليه اثنان ينتميان اليها •

وكما أعربت الأحزاب الشيوعية فى المنظومة الاشتراكية وعلى
رأسها حزب لينين العظيم عن أسائها وفجيعتها لوقت - وع مثل هذه
الأحداث الدامية « وألقت بكل ثقلها الى جانب الحزب الاشتراكى
اليمنى لرأب الصدع ، وتضميد الجراح وتعمير ما دمر ، وللإسهام فى
مواصلة بناء التجربة الثورية الفريدة والرائدة فى المنطقة لأن الأحزاب
الشيوعية العربية بادرت بتشكيل وفد مشترك برئاسة السكرتير الأول
للجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى الرفيق عزيز محمد للأعراب
عن ذات الحزن والأسى لحدوث ما حدث ، ولاستنكار اللجوء الى
السلاح فى حل الخلافات داخل حزب يرفع راية الاشتراكية العلمية
والأممية البروليتارية ، ولتأكيد موقفها التضامنى الراسخ الى جانب
الحزب الاشتراكى اليمنى ، وللأعراب عن ثقتها فى قدرة الحزب على
تجاوز المسألة والمضى الى الأمام فى طريق التوجه الاشتراكى ، وطريق
الأممية البروليتارية •

فلقد جاء فى البيان المشترك عن « زيارة وفد الأحزاب الشيوعية
والعمالية فى البلدان العربية لليمن الديمقراطية التى تمت خلال الفترة
ما بين ٩ - ١٥ يونيو ١٩٨٦ : « ان الأحزاب الشيوعية والعمالية فى

البلدان العربية ، وقد اطلعت على ما تعرض له الحزب الاشتراكي اليمني والنظام الوطني التقدمي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ تشجب الأسلوب الدموي باستخدام السلاح لحل الخلافات الحزبية ، والذي ذهب ضحيته كوكبة من قادة الحزب الاشتراكي اليمني . وفي مقدمتهم الرهيق المناضل الشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، وتعبّر عن ألمها الشديد لما وقع ، إذ أنه لم يؤد فقدل الى اضعاف الحزب الاشتراكي اليمني ودوره البارز في صفوف جبهة التحرر الوطني العربية فحسب ، بل واضعاف مواقع التقدم في المذلة بكاملها ، وتحثي أحزابنا قدرة الحزب الاشتراكي اليمني في الحفاظ على وحدته وعلى نهج التوجه الاشتراكي من خلال الاجراءات التي اتخذتها قيادة الحزب الجماعية لمعالجة آثار ونتائج أحداث يناير . واعادة بناء ما خربته . ومواصلة الجهود لتوطيد دعائم النظام الوطني الدائمة اذى ذى التوجه الاشتراكي ، ولتعزيز ارتباطه بال جماهير ، وتحقيق أوسع التوافق شعبى حوله لمواصلة دوره في جبهة النضال المعادى للإمبريالية والصهيونية . وتعرب أحزابنا عن وقوفها المطلق الى جانب الحزب الاشتراكي اليمني والنظام التقدمي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، من أجل مواجهة كافة أشكال العدوان والتآمر والتخريب » . كما يعبر وفود الأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية « عن سعادته للروح الكفاحية التي يواصل بها هذا الحزب الشقيق قيادته للعملية الثورية الجارية في البلاد وتعميق دوره القبادى في حياة المجتمع » .

« وتشيد أحزابنا بالنهج السياسى الخارجى للحزب الاشتراكي اليمنى وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية القائم على تعزيز أواصر الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وبلدان المنظومة الاشتراكية ومع الدول والنظم التقدمية العربية ، والمستند الى علاقات التعاون مع دول المذلة على أساس حسن الجوار واحترام السيادة وعدم التدخل

في الشئون الداخلية ، واحترام رغبة شعوب المنطقة في اختيار تطورها والعمل على اخلاء المنطقة من كافة أشكال التواجد الامبريالى والنفوذ الاستعماري ، ومن أجل سيطرة شعوبها على مقدراتها وثرواتها الطبيعية والحفاظ على الأمن والاستقرار اللازمين لتقدم وتطور بلدان وشعوب المنطقة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ، ١٦-٦-١٩٨٦ م) •

كانت زيارة التضامن هذه بما تخللها من مباحثات مفتوحة مع قادة الحزب الاشتراكي اليمني وبالبيان المشترك الذي اجتزأنا منه الفقرات الآتية الذكر ، حدثا سياسيا بالغ الأهمية تؤكد به من جديد الموقع الهام الذي يحتله حزب الاشتراكيين اليمنيين بين الأحزاب التقدمية العربية ، وبعزت به المكانة الطبيعية التي تحتلها التجربة الثورية في اليمن الديمقراطية بين تجارب الثورة العربية ، وترسخ به يقين الثوريين اليمنيين والعرب مرة أخرى بأن هذه التجربة غير قابلة للانتكاس أو الارتداد أو التعثر أو السقوط — رغم المحنة القاسية والأليمة التي تعرضت لهما بأحداث ١٣ يناير الدامية ، ورغم اشتداد المؤامرات الرجعية والاستعمارية ضدها — وأنها تجاوزت هذه المحنة ، وشرعت، مهمة وعزم في معالجة آثارها على المستوى الحزبي والشعبي والوطني ، فأنها قادرة على التقدم في طريق انجاز كامل مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، التي تشكل الوحدة اليمنية بعدا من أبعادها ، وطريق التوجه الاشتراكي ، وطريق توثيق الروابط النضالية مع قوى التقدم والاشتراكية في الوطن العربي وفي العالم ، ومع المنظومة الاشتراكية وفي طليعتها اتحاد السوفييتي لا •

٢٢ يونيو ، ٢٦ يونيو ، ١٣ يناير •• ثلاث محطات مرت بها ثورة ١٤ أكتوبر في زحفها التاريخي العظيم •• ثلاثة برازخ عبرتها في انطلاقها نحو شاطئ السعادة الجميل •

ديالكتيك الثورة والدولة(*)

الاستيلاء على حصن العدو ، وتهديمه حجرا حجرا ، يختلف عن عملية إعادة بنائه من جديد وفق نمط معمارى جديد أكثر تقدما ورفقا . ففي الحالة الأولى قد يكفى هذا القدر أو ذلك من الخبرة التكتيكية الى جانب قدر عظيم من الحماس والهمة والعزم . أما في الحالة الثانية فالأمر يتطلب قدرا أقل من العواطف الملتهبة ومقدارا أعظم من التفكير الخلاق ، ومن الالمام بفنون علم هندسة البناء .

ان ذلك ينطبق — بالأحرى — على المجتمع ، أى مجتمع ، فبعد الاستيلاء على السلطة السياسية تتبادر الحركة الثورية المنتصرة والمهيمنة الى اتخاذ جملة من القرارات الاجتماعية الراديكالية الهادفة الى قلب النظام الاجتماعى السابق رأسا على عقب ، غير أن وضع هذه القرارات

(*) نشرت في مجلة « قضايا العصر » عدد يناير ١٩٨٧ .

في التطبيق ، واقامة صرح النظام الاجتماعي الجديد عن أساسها ، وتجذير وتطوير هذا النظام على نحو دائم ومستمر ، لم يعد يحتاج الى الحماس الثوري وحده ، والى أى قدر كان من الخبرة ، وانما يتطلب الى جانب الوعي الاجتماعي العميق بقوانين التطور الموضوعية ، وبطبيعة المرحلة التاريخية ، وبالشروط المادية والذاتية للانتقال منها الى مرحلة تاريخية أكثر تقدما ، وبالعوامل الخارجية المساعدة على ذلك أو المعوقة له ، يتطلب التزود بحصيلة المعارف المفيدة السابقة التي صنعها تطور الفكر البشرى وتقدم الثقافة الانسانية .

ولذلك فإن صناع المجتمع الجديد يجدون أنفسهم مطالبين بتعميق وتوسيع معارفهم لا النظرية والسياسية فحسب ، واياها أيضا العلمية والتكنيكية والتخصصية .

والبروليتاريا وحزبها الطليعى مطالبان بذلك قبل غيرهما ، ذلك أن « المربي هو نفسه بحاجة للتربية » كما قال ماركس .

والاشتراكي الذى يكتفى بترديد الشعارات والعبارات الثورية والذى من ثم لا يقوم بتربية وتثقيف نفسه باستمرار ، كما لا يساعد البروليتاريا وجموع الشغيلة على تربية وتأهيل أنفسهم ، وتمكينهم بالتالى من بناء وإدارة المجتمع والدولة ، لا يستطيع أن يكون لبنة حية وعنصرا ايجابيا فى مرحلة تحول الثورة الى دولة .

ولربما كانت الدولة الثورية فى حاجة الى خبرة الاختصاصى البرجوازي الذى يحسن أداء عمله تحت أشرافها أكثر من حاجتها الى مثل هذا الاشتراكي الفاقد لكل خبرة ، والذى يصر على الا يسعى اليها ويتملكها ، بحجة أن ما قدمه للثورة من خدمات يغبنيه ويعفيه عن مواصلة تطوير نفسه .

ولقد سبق أن واجه لينين حالة كهذه داخل حزبه بعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، ولم يملك إلا أن يخاطب البلاشفة الذين — بدلا من أن يؤهلوا أنفسهم جيدا للقيادة وإدارة المجتمع الجديد — راحوا يمنون على الناس بأدوارهم القديمة في الثورة — أن يخادبهم بمثل هذه الصراحة المتناهية : « ان الشيوعى الذى لا يقدم الدليل على حذقه فى توحيد عمل الاختصاصيين وتوجيهه بتواضع ، متغلغلا الى جوهر الأمر ، دارسا آياه بالتفصيل ، ان هذا الشيوعى خسار فى كثير من الأحيان . وعندنا كثيرون من أمثال هذا الشيوعى . وانى لعل استعداد لاعطائهم بالدريجات مقابل اختصاصى برجوازي واحد قد يدرس عمله بوجدان » * « هاذا كانوا اقتصاديين واخصائين وادباء » ترتب عليهم ان يدرسوا فى البدء تجربتنا العملية بالذات ، وان يدرسوا باصلاح الأخطاء ، وتحسين العمل . بالاستناد فقط الى دراسة الوقائع المعينة دراسة مفصلة . ان الدراسة هى شأن العالم ، وهنا . ما دامت المسألة لا تتعلق عندنا من زمان بالمبادئ العامة ، بل بالتجربة العملية على وجه التدقيق ، فان « اختصاصيا فى العلم والتكنيك » ، وان برجوازيا ، ولكنه يعرف العمل ، أثنى لنا عشر مرات ، فى هذه الحال أيضا . من شيوعى متبجح ، مستعد لأن يدمج « الموضوعات » فى أى لحظة من النهار والليل ، ويتقدم « بالشعارات » ، ويقترح التجريدات المحض ، أكثر من معرفة الوقائع ، وأقل من الجدالات المنطقية التى تدعى بالمبدئية الشيوعية » (لينين المختارات فى ١٠ مجلدات ، المجلد ١٠ . دار التقدم — موسكو ١٩٧٨ ص ٣١٢) .

ويمضى لينين أكثر فى مصارحة رفاقه ، ومنهم قادة بارزور ، منها اياهم الى ان أى دور مجيد وعظيم يمكن أن يكونوا قد لعبوه فى مضمار الاطاحة بالعهود السابق ، لا يعطيهم حكا اعفاء عن امتلاك المعرفة العامة والعملية لتكيفية بناء وإدارة المعهد الحاضر ، وان عليهم الا يتباهوا بالقدر الذى أتيح لهم من الثقافة وأن يقللوا من العطرسة

وعند ذلك فإن أيّنين يلفت انتباه هؤلاء القادة إلى أن التعاون الحديث عن أدوارهم في الماضي وتفضيها لا يفيدهم بحالته من حالات الانتفاخ الذاتي المرضية فقط ، وإنما يضيف ، ذلك المانع بينهم وبين المخرجين ، وهو عيب يمتن أن يلازم أمثال هؤلاء القادة الذين ينظرون يستجرون أمجاد الماضي ، ويؤثر «ن دم على أدوارهم فيها .

يقول لينين : « لقد لوحظ من زمان ان نوافس الناس ترتد في معظم الحالات بفضائلهم ، وهذا هي نوافس الكيريين من الشيوعيين القادة . فحيلة عشرات السنين قمنا بعمل ضليل . دعونا الى الاملاحة بالبرجوازية ، علمنا الحذر من الاشتراكيين البرجوازيين ، وغضينا هم وانتزعنا منهم السلطة . وقمنا بمقاومتهم . انه عمل ضليل ، ويريدنى عالمى . واذن حسبنا ان ندعم قيا كيريا . فنتجت الحقيقة القاتلة بان لا يفضل العظماء عن المنحكات . فالتاريخ يار . . . دافعنا روسيا وانتزعنا روسيا من المستشرقين فى صالح الضحايا . ونفعل المستشرقين . . . فيجب علينا ان نتعلم كيفية ادارة روسيا . وهذا الغرض يجب ان نتعام التواضع واحترام العمل الجدى الذى يقوم به » الخ . اذ يدعى العلم والتكتيك » . لهذا الغرض ، يجب ان نتعلم تحليل الضمانات العملية الجديدة بانتباه وبشكل جدى ، واسلامها تدريجيا . هاتين دلائل ومبادئ أقل من غرور المثقفين ، والغرور الدواويني . وانظر من وراءه ما تعنيه تجربتنا العملية فى المركز وتوابعه . وما سبق واعطانا العام ايده » .

(المصدر السابق ص ٣٢٣) .

ولكن بناء الدولة الثورية القادر على ، بأغلة المجتمع التي جديد مهمة بأغلة الدعوة والتعقيد ، فليس انه هذه الدولة من ان ، بل هي الداخلية والخارجي ، هو وحده الذي يعمل على تحقيق هذه المهمة فمعد

تحول الثورة الى دواة لا تكون الطبقة العاملة وحلفاؤها قد امتلحت بهـد الكوادر المؤهلة لذلك نظرا لأن المجتمع القديم قد حرمها من امكانيات التزود حتى بالحد الأدنى من المعرفة والثقافة • وعبر السعي من أجل امتلاك فن ادارة الدولة وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي تؤدي الى اقامة المجتمع الاشتراكي تحدث الاحتكاكات والنزاعات والصراعات بين القوى المستوعبة لمهمة الدولة في تجسيد وتحقيق الثورة ، والقوى التي باسم الثورة تعمل على عرقلة وخلخلة عملية اقامة أجهزة ومؤسسات الدولة ، وعلى تبهيت واضعاف هيبة الدولة •

وكما كتب لينين فان « دخول طبقة جديدة الى المسرح التاريخي ، بوصفها زعيمة المجتمع وقائده » لا ينقضى ابدا دون مرحلة من « المذبذبات » العنيفة ، والهزات ، والنضالات والعواصف ، من جهة ، ودون مرحلة من الخطوات المترددة ، والتجارب والتأرجحات ، والتقلبات في اختيار الامة اليك الجديدة التي تستجيب للموضع الموضوعي الجديد ، من جهة اخرى » • (لينين المهام المباشرة أمام السلطة السوفيتية دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ ص ٣٤) •

ولكن لينين يوضح أنه ليست الثورة الروسية هي وحدها التي بليت ببروز مثل هذه الظاهرة ظاهرة تعرضها أثناء سيرها لبناء دولتها النورية لهذا النمط من القادة الذين يريدون أن يكونوا كل شيء ، ولكنهم لا يحسنون عملا ، والذين يتحول بعضهم • بعد أن يلفظه موج الثورة الى مجرد تليب ينبح ، ظمأ رأى الثورة تزيح من طريقها عقبة جديدة •

فجميع الثورات العظمى في التاريخ لم تشهد فقط ظاهرة هؤلاء القادة المتعاليين بغير علو ، المتطاولين بدون حول ولا طول ، وانما أيضا ظاهرة امتلاء مجرى الثورة بالأوباش والاوغاد واللصوص والمدعين المحسوبين على الثورة والمنسوبين الى الثوار •

غير أن الثورة الروسية — بسبب من طبيعتها الاجتماعية —، الطبقيّة البروليتارية، قادرة على أن تتجاوز الامتحان بنجاح . وعلى أن تخلق كادرها القيادي المدرب والمؤهل لإدارة الدولة الجديدة ولتوجيه المجتمع، وستخلق بذلك ليس فقط القادة الواعين لمهمتهم التاريخية وعيا علميا عميقا، والمؤمنين بها ايمانا راسخا، وانما أيضا الممثلين لخبره ونحن تحقيق هذه المهمة .

يكتب لينين في هذا الصدد : « أن ايا من الحركات السعبيه للعميقة والجبارة التي يعرفها التاريخ لم تخل من الزبد القذر ، من المغامرين والمحتالين والمتصلفين والسياحين اللزقين (الملتصقين) بالمجددين غير المجربين ، لم تخل من خرافة اخلاط الحابل بالنابل ، لم تخل من الفوضى ، لم تخل من الهرج والمرج الباطل ، لم تخل من بعض « الزعماء » ممن يحاولون البدء بعشرين أمرا في آن واحد ، ولا ينفذون أى أمر منها الى النهاية . فلتعو كلاب المجتمع البرجوازي الصغيرة ، ابتداء من بيلور وسوف حتى مارتوف ، ولتنبح لدى كل شظية من خشب تقع أثناء قطع الغابة القديمة ، واذا كانت تنبح على الفيل البروليتارى فلأنها بالضبط كلاب صغيرة ، لندعها تنبح . فأننا نسير في طريقنا ، مجتهدين أن نمتحن ونكتشف ، بفائق الصبر وبالسع الاحتراس ، المنظمين الحقيقيين ، أولئك الموهوبين فكرا بصيرا ، وحسا عمليا سليما ، أولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مع القدرة على تسيير العمل المشترك الحازم والمتفق عليه ، الذى يقوم به عدد كبير من الأشخاص فى نطاق التنظيم السوفيتى ، على تسيير هذا العمل بلا ضجة « ورغم الضجة والهرج والمرج » ، فقط أمثال هؤلاء يجب علينا أن نقدمهم الى المناصب المسئولة ، مناصب القادة فى العمل الشعبى والادارة ، بعد امتحانهم عشر مرات ونقلهم من أبسط المهام الى أصعبها . نحن لم نتعلم ذلك بعد . ولكننا سنتعلمه » . المصدر السابق (٣٥ — ٣٦) .

ان المكانة الاجتماعية والسياسية والعلمية والتكنيكية التي تحتلها دولة الاتحاد السوفيتى فى عالم اليوم لهى ابلغ برهان على مدى صدق نبوءة لينين هذه *

فى ضوء هذه التجربة الثورية العالمية الرائدة واستلهاها لهما يمكن القول ان الثورة فى اليمن الديمقراطية قد واجهت نقصا فى الكادر القيادى المتمرس ، وضعفا فى مستوى الخبرة الادارية والعلمية ، وميولا بيروقراطية . وانه كان لابد من التغلب على ذلك كله ، بغية ايجاد أجهزة لدولة قادرة على تحقيق كامل مهام الثورة القريية والبعيدة ، الديمقراطية والاشتراكية *

ومما زاد الأمر مسداحة فقدان الثورة للعديد من القيادات المجربة والخوادر المتمرسه التى تكونت فى مجرى الثورة ، والتى كانت قد شرعت فى تملك واستيعاب ديكتاتوريك الثورة والدولة *

ذلك بعد واحد من الأبعاد الأساسية لمؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ م يتحطب التغلب عليها جهدا ثوريا مضاعفا *

ومن فضائل الثورات أنها تصنع وتعيد انتاج قادتها وكوادرها الأساسية والادارية فى مدد قياسية *

وما من شك فى أن الثورة فى اليمن الديمقراطية ستحقق ذلك كله فى أمد قصير من الزمن وستخلق من ثم الكوادر العلمية والتكنيكية والادارية المؤهلة لبناء الدولة الديمقراطية الشعبية ، ولقيادتها صوب الاشتراكية ، وستمتلك بذلك ما أسماه لينين « المنظمين الحقيقيين ، أولئك الموهوبين فكرا بصيرا ، وحسا عمليا سليما ، أولئك الذين يأتلف عندهم الاخلاص للاشتراكية مع القدرة على تسيير العمل المشترك الحازم والمتفق عليه ... » *

ثورة ١٤ أكتوبر ...

ليست حركة القرامطة ...

ولا كومونة باريس(*)

البعض في اليمن - وربما خارجه - قد تغريه المقارنات الشكلية للأحداث ، دون نظر للملابسات التاريخية والخصوصيات الاجتماعية التي تحيط بكل حدث .

ووفق هذه النظرة المسطحة للأحداث فإن ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ في اليمن ان لم تلحق بمحير ثورة القرامطة التي قادها علي بن الفضل في القرن العاشر ، ولم يمض عليها أكثر من عقدين من الزمن ، فإن هذا المصير لن يختلف في أحسن الأحوال - عن مصير كومونة باريس في عام ١٨٧١ .

(*) نشرت في مجلة « قنسايا العصر » عدد مايو ١٩٨٧ .

فثورة القرامطة في اليمن — شأن الحركة القرمطية في العالم الاسلامى — قد أحاطت بها القوى الطبقية والسياسية ذات المصالح الاقتصادية الكبيرة والجاه الاجتماعى الرفيع والمواقع السياسية المهيمنة وأجهزت عليها •

وثورة كومونة باريس سرعان ما أطبقت عليها البرجوازية الفرنسية الكبيرة مسنودة بجيش بيسمارك الغازى •

أما لماذا الميل الى تشبيه الحدث الثورى اليمنى المعاصر بهذين الحدثين التاريخيين البعيدين هللانه هنا وهناك كانت التربة الاجتماعية غير معبدة ولا ممهدة ولا صالحة بعد لاحتضان واستنبات وانساج بذرة كهذه ، بذرة الثورة الاجتماعية الملبية لمصالح الجماهير الواسعة والكادحة ، ولأن محاولة كهذه تنسم بالمثالية والمزاجية والفوضوية ، ولم تخل هذه الحركات الاجتماعية كغيرها من الحركات المماثلة التى عرّفها التاريخ من مثل هذه السمات •

والمواقع أنه لا مجال حقيقيا للمقارنة بين هذه الأحداث الثلاثة الا من زاوية التطلع المشروع والنبيل نحو المساواة والعدالة الاجتماعية ، وهى سمة طبعت جميع الحركات الاجتماعية فى التاريخ منذ أن انقسم المجتمع الى أغنياء وفقراء ، مالكين واجراء ، سادة وعبيد ، حيث كان الحلم برفع الظلم الطبقي وتحقيق العدل الاجتماعى لا ينعكس فى أنماط من المذاهب الفكرية فقط ، وإنما فى أشكال من الانتفاضات الاجتماعية ، بدءا بأشهر انتفاضة شنها العبيد بقيادة سبارتاكوس ضد الدولة الرومانية الاستعبادية فى القرن السابق للميلاد الى الثورات البروليتارية الأوروبية فى القرن التاسع عشر ، وهى مذاهب وانتفاضات كانت تعبر عن الصراع الطبقي المحتدم بين الظالمين والمظلومين ، وعن تصميم المظلومين على نفض النير الاستعبادى عن كواهلهم •

وكما كتب انجاز * « فهكذا كانت حركة الممعدانيين الجدد ،
وتوماس مونتسر أثناء الاصلاح وحرب الفلاحين في المانيا ، وحركة
السوائيين الحقيقيين أثناء الثورة الانجليزية الكبرى ، هذه النضالات
الثورية المسلحة التي كانت تقوم بها طبقة لم يكتمل تكوينها كانت تصحبها
نظريات مناسبة : اللوحات الطوباوية عن النظام الاجتماعي الأمثل في
القرنين السادس عشر والسابع عشر ، نظريات شيوعية صريحة (موريلى ،
مايلى) في القرن الثامن عشر ، ولم يقتصر مطلب المساواة على الحقوق
السياسية ، انما كان يشمل أيضا أوضاع الفرد الاجتماعية ، وأعطى
البرهان على ضرورة إلغاء الفوارق الطبقة * وكان أول شكل ارتداه
المذهب الجديد هو شكل شيوعية مثقشفة ، منسوخة عن سبارطه ،
تحرّم التمتع بجميع أطايب الحياة * ثم ظهر الطوبون الثلاثة الكبار :
سان سيمون ، الذي كان يقر لحد ما بالميلول البرجوازية الى جانب الميلول
البروليتارية ، وفورية واوين ، وقد عاش أوين في البلد الذي تطوّر
فيه الانتاج الرأسمالى أكثر مما في غيره من البلدان ، وبتأثير التناقضات
الناجمة عن هذا الانتاج الرأسمالى وضع أوين اقتراحاته لالغاء
الفوارق الطبقة بصورة نظام مرتبط بالمادية الفرنسية مباشرة » (١) *

ولقد عرف الاسلام العديد من الحركات الاجتماعية والمذاهب
الفكرية التي عبرت عنها بدءا من حركة العدل الاجتماعي التي قادها
على بن أبى طالب ، والتي تناسخت في ثورة الزنج والمعارضة الشيعية
عموما لدولة الخلافة الاقطاعية السنية الأموية والعباسية ، مروراً بالحركة
القرمطية التي كانت اليمين احدى ساحاتها ، وانتهاء بأحداث الحركات
والدعوات التي شهدتها القرن التاسع عشر ، والتي تجسدت فيما دعا
اليه جمال الدين الأفغانى من تحرير المسلمين من الاستعمار والاستبداد
والظلم *

وكل هذه الحركات الاجتماعية التي عرفها الشرق والغرب سواء

في القرون القديمة أو الوسطى أو الحديثة والتي اخترقت وزعزت مختلف التشكيلات الاجتماعية منذ التشكيلة العبودية حتى التشكيلة الرأسمالية ، ما كان مقدرا لها أن تنتصر الآن درجة التطور الاقتصادي ، أولا وقبل كل شيء ، ودرجة تطور قوى الانتاج ، لم تكن تساعد على ذلك •

فالتاريخ لا يسير قفزا ، وانما يسير في حركة متدرجة ، ولكن صاعدة أبدا • والثورات لا تصنع أكثر من التعجيل بحركته هذه ضمن سياقها التاريخي — الاجتماعي ، وان ساعدت عوامل موضوعية تاريخية معينة على تجاوز هذه التشكيلة أو تلك • غير أنه من المستحيل أن تسبق مرحلة اجتماعية أعلى مرحلة اجتماعية أدنى في مضمار التطور التاريخي ، كأن تسبق الرأسمالية الاقطاعية أو تسبق الاشتراكية الرأسمالية • ومع ذلك تتلائم عدة أنماط اجتماعية ضمن حقبة تاريخية واحدة ، كأن يوجد النمط السابق للمرحلة الاقطاعية الى جانب النمط البرجوازي في ظل التشكيلة الاقطاعية السائدة •

ذلك يعني أن هناك قانونية تاريخية تحكم حركة المجتمع البشري ، وبمقتضاها يمضي المجتمع في حركة صاعدة من أدنى الى أعلى — رغم الانتكاسات والردات والكوارث الاجتماعية التي قد تدمر حتى حضارات بكاملها — وأنه ليس في الامكان ان تنتصر حركة اجتماعية لم تتوفر الشروط المادية ومن ثم الذاتية لانتصارها ، فرغبات الناس وحماسهم واهتمامهم واقدامهم وتصميمهم على بلوغ أهدافهم لا تكفي وحدها لتحقيق مطالبهم ومصالحهم ما لم تقترن بظروف مادية مواتية ، بامكانيات فعلية متيسرة ، بتطور اجتماعي متحقق • الناس يصنعون تاريخهم حقا ، ولكن وفق ظروف وشروط وعوامل موضوعية قائمة بالفعل تساعد على ذلك •

وليس هناك ما هو أدق من العودة الى صيغة ماركس في هذا الصدد : « ان أسلوب انتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الاجتماعى والسياسى والفكرى بصورة عامة . فليس ادراك الناس هو الذى يبعين معيشتهم ، بل على العكس من ذلك ، معيشتهم الاجتماعية هي التى تعين ادراكهم ، وعندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها ، تدخل فى تناقض مع علاقات الانتاج الموجودة أو مع علاقات الملكية — وليست هذه سوى التعبير الحقوى لتلك التى كانت الى ذلك الحين تتطور ضمنها ، فبعد ما كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه القوى . وعندئذ ينفتح عهد الثورات الاجتماعية . ومع تغير الأساس الاقتصادى يحدث انقلاب فى كل البناء الفوقى الهائل ، بهذا الحد أو ذاك من السرعة . وعند دراسة هذه الانقلابات ، ينبغى دائما التمييز بين الانقلاب المادى لشروط الانتاج الاقتصادية ، هذا الانقلاب الذى يحدث بدقة العلوم الدايعية — وبين الأشكال الحقوقية والسياسية والدينية والفنية والفلسفية . أو بكلمة مختصرة الأشكال الأيديولوجية التى يدرك فيها الناس هذا النزاع ويكافحون لأجل حله . فكما أنه لا يمكن الحكم على عهد انقلاب كهذا وفقا لوعيه . بل بالعكس ينبغى تفسير هذا الوعى بتناقضات الحياة المادية ، وبالنزاع القائم بين قوى المجتمع المنتجة وعلاقات الانتاج . ان أى تشكيلة اجتماعية لا تموت قبل أن تتطور جميع القوى المنتجة التى تفسح لها ما يكفى من المجال ، ولا تظهر ابدا علاقات انتاج جديدة أرقى قبل أن تنضج شروط وجودها المادية فى قلب المجتمع القديم بالذات ، ولهذا لا تضع الانسانية أبدا أمامها الا المسائل التى تستطيع حلها ، اذ أنه يتضح دائما ، عند البحث عن كتاب . أن المسألة نفسها لا تبرز الا عندما تكون الشروط المادية لحلها موجودة ، أو على الأقل أخذة فى التكون . ان أساليب الانتاج : الأسلوب الآسيوى ، والقديم ، والاقطاعى والبرجوازى الحديث ، (م ٢٠ - قضايا الثورة اليمينية)

مرسومة بخطوطها الكبرى ، يمكن اعتبارها بمثابة عهد متصاعده من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية» (٢) •

وانتكاس الانتفاضات الاجتماعية ضد العبودية والاقطاع والرأسمالية كان حتميا اذن لعدم توفر الظرف المادى المواتى ، لعدم اكتمال التكون الطبقي للقوى الاجتماعية المنتفضة ، لعدم تبلور الرؤية الاجتماعية ، لحدودية الوعى الأيديولوجى والسياسى لديها •

ولكن هذه الانتفاضات تظل نموذجا للصراع الطبقي عبر التاريخ ، ومثلا للبطلية الثورية التى كانت تجتريها دائما الجماهير الكادحة ، ورمزا للتعلق بقيم العدل والمساواة والحرية •

لقد كانت الحركة القرمطية فى اليهن وخارجها واحدة من هذه الحركات الاجتماعية الديمقراطية الفلاحية أساسا الموجهة ضد الاقطاع ، وما كان يمكن لها النجاح فى عهد الخلافة الاسلامية الاقطاعية المطبقة على العالم العربى — الاسلامى ، والتى كانت تعبر عن مرحلة من مراحل التطور التاريخى الطبيعية ما كان فى الامكان اجتنابها أو تجاوزها •

وحتى الثورات البروليتارية الحديثة التى انتشر لهيئها فى أوروبا القرن التاسع عشر ، وكانت كومونة باريس ذروتها ، ما كان فى الامكان أن تتكامل بالنصر ، ذلك أن الرأسمالية كانت تشهد مرحلة نمو ونهوض عاصفين ، وكانت علاقات الانتاج الرأسمالية لا تزال تدفع بقوى الانتاج نحو التطور بمقاييس متسارعة متصاعدة •

وعدا ذلك لأن البروليتاريا كانت ما تزال فى مرحلة التشكيل ، وكان ما يزال أمامها شوط تاريخى حتى تستكمل بنيانها الطبقي ، وحتى تصبح طبقة فى ذاتها وطبقة لذاتها ، وحتى تتمكن من جر قوى المجتمع

الأخرى ، وخاصة الفلاحين والعمال الزراعيين ، خلفها ، وحتى تتمكن من إقامة حزبها الاشتراكي العلمي الموجه لمسيرتها النضالية هذه .

وقفة عند كومونة باريس :

وعندما قامت كومونة باريس ما بين ١٨ مارس ١٨٧١ — ٢١ مايو ١٨٧١ على أكتاف بروليتياريا باريس لم تكن الا الظروف المحيطة الداخلية والخارجية ولا وضع البرولييتاريا الاجتماعى والأيدولوجى ليساعدا على انتصار الثورة .

فعندما ضغطت حكومة فرساي البرجوازية التى نصالحت مع الغازى الإنسانى وتواطأت معه من أجل خنق الثورة البرولييتارية داخل باريس فإن الثورة ذاتها كانت تعاني العديد من العيوب التى مكنت من القضاء عليها : كان فى مقدمتها سيطرة الفوضويين على قيادتها ، وضعف دور الجناح المنتمى الى الأممية ، وإلى الفكر الماركسى بالذات ، فيها ، مما أعجزها عن معرفة الاجراءات الثورية ، اللازم اتخاذها ، وانقضاها القدرة على التمييز بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، الى غير ذلك من السمات والشروط التى لم تكن قد توافرت بعد .

ورغم التمجيد لعمال باريس الذين حاولوا باعـلان الكومونة اقتحام السماء فإن مؤسسى الاشتراكية العلمية : ماركس ، انجلز ، لينين ، حرصوا على تبين أخطائها حتى يفيد منها الثوريون .

كتب انجلز فى هذا الحدد : « لقد كان أعضاء الكومونة منقسمين الى أكثرية من البلانكيين كانوا يسيطرون أيضا فى اللجنة المركزية للحرس الوطنى ، وإلى أقلية من أعضاء جمعية الشغيلة العالمية ، تتألف بحسبة رئيسية من اتباع مدرسة برودون الاشتراكية ، ولم تكن

الأغلبية العظمى من البلانكيين في ذلك الوقت اشتراكية الا من حيث
 انغريزة الثورية البروليتارية ، ولم يرتفع الا القليلون منهم الى ادراك
 أوضح للمبادئ . وذلك بفضل هيايان الذي كان مطلعاً على الاشتراكية
 العلمية الألمانية . ولذا يصبح من المفهوم لماذا فأت الكومونة كثير
 من الأشياء في المجال الاقتصادي وهي أشياء كان ينبغي تحقيقها بحسب
 أرائنا اليوم . ولا ريب أن أكثر ما يستعصى على الفهم هو ذلك الاحترام
 الذي وقفت به الكومونة اجلالاً أمام أبواب بنك فرنسا ، لقد كانت
 هذه أيضاً غلطة سياسية كبرى . فلو وقع البنك في أيدي الكومونة
 لفاق ذلك في أهميته عشرة آلاف من الرهائن والأرغم البرجوازية الفرنسية
 كلها على الضغط على حكومة فرساي لعقد الصلح مع الكومونة ، ولكن
 ما هو ادعى بكثير الى الدهشة صواب كثير من الاجراءات التي قامت
 بها الكومونة ، بالرغم من أنها كانت مؤلفة من بلانكيين وبرودونيين .
 وطبيعى أن البرودونيين هم المسئولون بصـفة رئيسية عن المراسيم
 الاقتصادية ، بفضائلها ونقائصها ، التي أصدرتها الكومونة ، كما أن
 البلانكيين مسئولون عن أعمالها وأخطائها السياسية . وقد شاعت
 سخرية التاريخ - وهو شيء عادى عندما يتسلم العقائديون الحكم -
 أن هؤلاء وأولئك قد أتوا بنقيض ما كانت تنص عليه تعاليم
 مذهبهم « (٣) » .

وفي مكان آخر يوجز انجلز عوامل سقوط كومونة باريس كالتالى :

« ومن جديد تبين الى أى حد كانت سيادة الطبقة العاملة هذه
 غير ممكنة حتى آنذاك ، أى بعد انقضاء عشرين سنة على المرحلة
 الموصوفة في هذا الكراس . فمن جهة تركت فرنسا باريس وشأنها
 لحكم القدر ، مراقبة بلا مبالاة كيف تنزف دماء باريس تحت قنابل
 ماك - ماهون ، ومن جهة أخرى استنفدت الكومونة قواها في حراع
 عقيم بين حزبين انقسمت اليها هما : حزب البلانكيين « الأغلبية » وحزب

البروونيين « الأقلية » . ولم يكن لا هؤلاء ، ولا أولئك يعرفون ما ينبغي فعله . وهكذا تبين أن الانتصار السهل في ١٨٧١ كان عقيما بقدر عقم الهجوم المفاجيء في ١٨٤٨ » (٤) .

أما اينين فيعرض — في مجرى جدله مع المناشفة — هـنات وثغرات كومونة باريس التي اسهمت في سقوطها بمثل هذه الذلهمات :

« وكلما خذنت كومونة باريس ، كومونة عام ١٨٧١ ، عزيزة علينا ، كلما قل أن يجوز لنا مجرد ذكرها . دون أن نبحت أخطاءها والأوضاع الخاصة اتى مرت بها . ان مثل هذا التصرف انما يعنى السير على غرار وحقق البلانينيين ، الذين سخر منهم انجلس . والذين بالغوا (في « بيانهم » الصادر عام ١٨٧٤) في اطراء أدنى عمل قامت به الكومونة . وما عدى ان يقول المشترك في المجلس العام للعامل الذى سيسأله عن هذه « الكومونة الثورية » المذكورة في القرار ؟ انه لن يثون بوسعه ان يقول له سوى تنى واحد . هو ان التاريخ يعرف بهذا الاسم حكومة عمالية كانت في عهدا لا تعرف ، ولم يكن بوسعها . ان تميز بين عناصر الانقلاب الديمقراطي وعناصر الانقلاب الاشتراكي . وكانت تخطط مهمات النضال من أجل الجمهورية مع مهمات النضال من أجل الاشتراكية ولم تستطع ان تحل قضية القيام بهجوم عسكري حاد على فرنسا ، وأخطأت في عدم الاستيلاء على بنك فرنسا . وبكلمة ، سواء أذكرتم في جوابكم كومونة باريس أم أى كومونة أخرى . فإنه يترتب عليكم أن تجيبوا كما يلي : كانت تلك حكومة ينبغي ألا تكون حكومتنا مثلها » (٥) .

وقفسة أمام حركة القرامطة :

والآن ما هو وجه الشبه بين الثورة اليمينية المعاصرة ، مجسده في ثورة ١٤ أكتوبر ، وبين الثورات والانتفاضات الأنفة الذكر ،

وبالذات بينها وبين الحركة القرمطية ، التي قادها على بن الفضل من جهة ، وبينها وبين خومونه بارييس من جهة أخرى ؟ ثم هل هناك أدنى تشبه بين الملابس التاريخية التي احاطت في القرن العاشر بالحركة القرمطية ، والملابس التاريخية التي تحيط في الربع الأخير من القرن العشرين بالثورة اليمنية المعاصرة ؟ أو هل الظروف التاريخية الخاصة والعامة التي لابسست كومونة بارييس عام ١٨٧١ تشبه من قريب أو بعيد الظروف التاريخي المعاش الذي تتحرك في سياقه ثورة اليمن المعاصرة ؟

وإذا كان من الصعوبة بمكان العثور على أوجه شبه حقيقية وملموسة فهل لابد مع ذلك أن يكون مصير الثورة في اليمن الديمقراطية مشابها لمصير ثورة القرامطة ، ومصير كومونة بارييس ؟

في كتابنا « اليمن .. الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال » الذي صدر عام ١٩٧٢ أوضحنا ان دمع الجبهة القومية ، ومن ثم الثورة في اليمن الديمقراطية ، بأنها مجرد حركة قرمطية هو موقف أيديولوجي - تاريخي ثابت لقوى الاقطاع اليمنى تجاه القوى المناوئة له ، الخارجة عليه ، الراضة لاستغلاله وتحكمه والطامحة الى إقامة مجتمع ديمقراطي عادل .

وقلنا فيه انه « حدثت عملية انقسام طبقي واجتماعي حادة وعنيفة وتحصدت خارطة القوى السياسية ، وتبلورت منطلقاتها ، ولم تعد هناك خيوط اجتماعية ذات نسيج معين متداخل مع أخرى ذات نسيج آخر ، وتجاوبت القوتان السياسييتان المتصارعتان في شكل عمودي وأفقي على نطاق الساحة اليمنية كلها ، قوة محافظة ، وأخرى متحررة ، قوة تجتر الماضي ، وأخرى تستلهم المستقبل ، قوة تأخذ بمنطق « السلف الصالح » وأخرى بمنطق الخلف الثائر ، قوة تمثل سقف المجتمع اليمنى مجسدا في رجالات الاقطاع والارستقراطية القبلية .

والبورجوازية الكومبرادورية ، واخرى تمثل قاع المجتمع اليمنى مجسداً
في الجماهير التسعبية من الفلاحين والعمال والبرجوازية الصغيرة .

وبدأت معرخته اعلامية محتومة وناطقة استخدمت فيها كل الأسلحة .
بما في ذلك اسلحه العصور الخوالى ، ولم تكتف القوى الاقطاعية فيها
باتهام الجبهة القومية بانها انفصاليه ، وضد الوحدة اليمنية ، وأنها
صاحبة شعارات « مسنودة » ، وانما اتهمتها أيضاً بأنها « طائفية
قرمطية » وفئة « اسماعيلية » .

وليس هناك ما يجسد ويبلور أيديولوجية الاقطاع والارستقراطية
القبلية في اليمن مثل هذا « النعت » الذي تطلقه على خصومها
الطبقيين ، وليس هناك ما يعبر بصديق موضوعي ، وأمانة حقيقية عن
مفاهيمها مثل هذا الوصف ، بل ليس هناك ما يعكس مدى الحضور
التاريخي والوعي السياسي بأحداث الماضي ، والحس الطبقي في
مواجهة العير الذي تعينته الطبقة الاقطاعية اليمنية مثل هذا
« المصطلح » التقليدي القديم الذي وسم به الاقطاع العربي تلك
القوى المناوئة له .

ان خلورة وعمق ، وبعد هذا الاتهام الذي توجهه القوى
الاقطاعية في اليمن ضد الجبهة القومية لا تتضح بدون رجعه الى الوراء
لمعرفة الظروف التاريخية التي نشأت فيها الحركة القرمطية ، ولاستكناه
طابعها السياسي « (أنظر ص ٢٩٦ - ٣٢٤ من الكتاب) » .

ليس جديداً اذن القول بأن الثورة في اليمن الديمقراطية مجرد
ثورة قرمطية خارجة على الاسلام الرسمي ، وليس جديداً أيضاً
الاحطاف الواسع ضدها من قبل جميع ذوى المصالح الطبقيية
الاستغلالية التي حاولت غير مرة - وحتى عن طريق الحرب والتدخل

الخارجى المسلح — الحاقها بمصير الحركة القرمطية التى انقض عليها أعداؤها بانحراب والقسى حتى آخر ركن لها فى عدن •

غير أن الثورة اليمنية المعاصرة ، مجسدة فى ثورة ١٤ أكتوبر ، أثبتت بانتصارها على جميع محاولات وأدائها انهاء بطبيعة ما تمثله ، وبمؤازرة الحركة الوطنية اليمنية لها • وتعبيرها عن مصالح ومطامح الجماهير اليمنية العريضة ، وبعلاقاتها مع قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم أجمع — أنها من ذلك الطراز من الثورات العصرية التى ليس الى هزيمتها من سبيل ، « والتى لا تمتلك فقط مقومات البقاء والاستمرار ، وانما أيضا مقومات النمو والتطور الدائمين •

لماذا سقطت كومونة باريس ؟

كذلك شأن تصور أن الثورة فى اليمن الديمقراطية مجرد محاولة جنونية لاقتحام السماء ، لن يكون مصيرها بأفضل من مصير كومونة باريس ، تصور يلغى غارق التطور التاريخى الذى حدث فى العالم منذ عام ١٨٧١ الى اليوم •

عام ١٨٧١ كان بيسمارك — بانتصاره على امبراطورية نابليون الثالث — وبتوحيده ألمانيا فور ذلك ، قد انتزع زعامة أوروبا ، مثلما غدت ألمانيا الموحدة أول دولة فيها • وما كان لكومونة باريس المحاصرة بجيشه الفاتح المنتصر ، وبجيش حكومة فرساي البرجوازية المتواطئة معه ، أن تصمد طويلا •

وكما كتب لينين : « وكان لابد للكومونة أن تمنى بالهزيمة بعد أن خذ لها حلفاء الأمس ، ولم يعد يدعمها أحد • وانصدت خسرها البرجوازية كلها فى فرنسا وجميع الملاكين العقاريين ، ورجال البورصة ، والصناعيين ، وجميع اللصوص الكبار والصغار ، وجميع

— ٣١٣ —

المستثمرين • وهذا الائتلاف البرجوازي الذي ساند به بيسمارك (الذي أطلق من الأسر سراح ١٠٠.٠٠٠ جندي فرنسي لأجـ... قهر باريس (الناثرة) • اتفـاع أن يـه تعدى الفلاحين الجهلاء والبرجوازية لافـية، الحـيرة على البروليتاريا الباريسية ويطوق نصف باريس بطوق حديدي (الـب الثاني : ن يـادسـه الجيش الألماني) (١) •

وكان العالم كله من روسيا القيصرية إلى الشرق إلى أمريكا إلى الغرب ينف • محققا لبـيسمارك المفتاح الموحد • الذي ما أن طرح فرنسا المختالة أرضا • حتى أعلن وحدة ألمانيا من على أرضها المفتوحة • وما أن هزم البرجوازية الفرنسية ومرغ انفها في الرغام • حتى استخدمها في القضاء على ثورة باريس البروليتارية • بغية تحطيم معنويات البروليتاريا الأوروبية كلها • وعلى رأسها بروليتاريا ألمانيا الفتية •

قال أنجلز في هذا الصدد « كان بيسمارك قريبا من الهدف • فإن الامبراطورية البروسية الألمانية الجديدة كانت قد أعلنت رسميا في فرساي • في قاعة لويس الرابع عشر الاستعراضية • وكانت فرنسا منبـحة أمام قـدميه عاجزة كلياً • وكانت باريس المستعصية التي لم يتـاسر هو نفسه على المس بها قد دفعها تـير إلى انتفاضة الكومونة ثم سحقها جنود الجيش الامبراطوري السابق المعادين من الأسر • وكان جميع التافهين الضيقى الأفق في أوروبا يعجبون الآن ببـيسمارك مثلما كانوا يعجبون في الخمسينيات بـتمـذجه الأصلي • أويس بوناـرت • وقد صارت ألمانيا بمساعدة روسيا أول دولة في أوروبا • وتركزت السلطة كلها في ألمانيا في يد الديكتاتور بـيسمارك » (٧) •

ولهـق ذلك كله فإن الشروط الذاتية لانتصار البروليتاريا الباريسية لم تكن قد توافرت بـعد • فقد كانت البروليتاريا ما تزال في حالة

تكون • ولم يستوعودها بعد ، ذلك أن البرجوازية نفسها كانت ما تزال في مرحلة النمو الأولى ولم يكتمل تكوينها بعد ، وقوى الانتاج ذاتها لم تتطور الى الحد الذى تنشأ معه علاقات انتاج رأسمالية ماضجة تتولد معها بروليتاريا كاملة النمو ، ناهيك أنه لم يكن ضد وحد حزب بروليتارى حقيقى يدرك اهدافه جيدا والفكر الماركسى كان ما يزال يشك الحلقة الضعيفة اذا ما قورن بالفكر البلانكى والبرودونى المهيمن فى وسط العمال • ولم ينشأ أدنى تحالف مع الفلاحين ، ولم تكن هناك تجمعات نقابية فعالية لا وسط العمال ولا وسط الفلاحين • وكان معظم سكان البلاد من البرجوازية الصغيرة •

وحسب اللوحة التى رسمها لينين للوضع الاجتماعى فى فرنسا لانه لم يكن هناك مفر من هزيمة كومونة باريس ، ذلك انه « لأجل الثورة الاشتراكية المظفرة ينبغى أن يتوفر على الأقل شرطان : تطور القوى المنتجة الرفيع ، واستعداد البروليتاريا • ولكن هذين الشرطين لم يكونا متوفرين فى عام ١٨٧١ ، كانت الرأسمالية الفرنسية لا تزال قليلة المتناور ، وكانت فرنسا آنذاك على الأغلب بلد البرجوازية الصغيرة (الحرفيين والفلاحين وأصحاب الحوانيت وخلافهم) • ومن جهة أخرى لم يكن هناك حزب عمالى ، ولم يكن لدى الطبقة العاملة استعداد وتدريب مديد ، بل انها كانت بسوادها حتى لا تتصور بوضوح تام مهامها ووسائل تحقيقها • ولم تكن هناك لا منظمة سياسية جدية للبروليتاريا ، ولا نقابات واسعة وجمعيات تعاونية » (٨) •

تلك وغيرها من العوامل كان وراء سقوط كرمونة باريس بعد شهرين فقط من قيامها •

تبدل خارطة العالم بعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى : والسؤال الآن هو هل اللوحة الاجتماعية اليوم فى العالم ، وفى اليمن الديمقراطية ، هى ذاتها ؟ واذا كانت قد اختلفت فى الربع الأخير

من القرن العشرين عنها في الربع قبل الأخير للقرن التاسع عشر هما هي أهم هذه المتغيرات ؟ وهل في ضوء هذه المتغيرات يمكن للثورة الجذرية أن تنتصر ليس في العالم المتقدم فحسب ، وإنما في العالم النامي أيضا ، إذا ما تواهنت الى جانب هذه المتغيرات الشروط المحلية اللازمة لذلك ؟

لقد تغيرت الخارطة الاجتماعية والسياسية العالمية تغيرا هائلا . وكما حفت روما القرون الوسطى الاقطاعية — الكهنوتية عن أن تكون محور العالم ، كفت إنجلترا — وبعدها فرنسا وألمانيا — عن أن تكون مركز الكون ، وسقط خلال ذلك لواء القيادة البرجوازية للعالم من ايديها . مجتمعه ، منذ تمكنت الطبقة العاملة التي هزمت في باريس أن ترفع لواء الثورة البروليتارية العالمية على يد لينين في روسيا ، وتحقق بذلك حلم وتنبؤ ماركس وإنجلز بأن روسيا غدت مركز الثورة العالمية .

فبثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا عام ١٩١٧ والتي غطى علمها سدس الكرة الأرضية بشمولها آسيا الوسطى والشرق الأقصى فيما أصبح يدعى الاتحاد السوفييتي وضع حجر الأساس لعالم جديد ينتفي فيه استغلال الانسان أخيه الانسان .

وبالدور الجبار الذي لعبه الاتحاد السوفييتي في تحطيم النازية والفاشية والعسكرية في بلدان المحور خلال الحرب العالمية الثانية وفي نسو منظومة الديمقراطية الشعبية التي سارت في طريق الاشتراكية والتي غطت مساحة واسعة تمتد من برلين الى بكين ، بذلك أشرقت شمس الاشتراكية من شرق الكرة الأرضية ، من حيث لم تكن تحتسب حتى أكثر العقول عبقرية في القرن التاسع عشر .

وفي عقر دار الرأسمالية ، في الغرب الرأسمالي المتطور ، نهضت

طبقة عاملة ذات أحزاب اشتراكية علمية تمثل البديل الثورى والتاريخى للراسمالية • والتحدى اليومى المباشر لها ، وحفار قبرها النشيط •

وفى العالم النامى انطلقت حركات تحرر وطنى أمكنها أن نشغل جزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية التى تمسك بقيادها الطبقة العاملة العالمية ، وان تقيم دولا وطنية حديثة متحررة معادية للامبرياليه . بل وامكن لبعضها أن تصبح معادية للراسمالية ذاتها ، وان تنتهك من موقع أيديولوجى الى آخر ، من الموقع الوطنى ، الى الموقع الديمقراطى الثورى ، الى الموقع الاشتراكى العلمى ، وأن تدفع بشعوبها فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية التحررية ، فالثورة الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى •

لقد أمكن ذلك كله بفضل تبادل علاقات القوى بين النظام الاشتراكى العالمى ، والنظام الرأسمالى العالمى ، حيث غدا الأول هو الممسك بزمام المبادرة التاريخية ، وغدا ممكنا بفضل وجوده ومساعدته لا تحطيم حلقات الاستعمار أينما وجدت ، وانما أيضا تجاوز مرحله الرأسمالية ذاتها ، والسير مباشرة عبر مراحل وسيطة فى اتجاه الاشتراكية •

اليمن الديمقراطية فتيل فى النسيج الثورى للعالم الجديد :

لقد دخلت اليمن الديمقراطية التى قامت فيها حركة تحرر وطنى ضد المستعمر البريطانى بلغت من عنفوانها حد خوض النضال الشعبى المسلح ضده حتى تمكنت من اجلائه ، ومن اقامة نظام وطنى تحررى ما لبث أن تطور الى نظام ديمقراطى ثورى ذى توجه اشتراكى يقوده حزب طليعى هو الحزب الاشتراكى اليمنى - دخلت ضمن هذا النسيج الثورى للعالم الجديد الذى تقف فى طليعته منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى •

واللوحة التى يرسمها الحزب الاشتراكى اليمنى للعالم الجديد
تؤنذ مدى وضوح الرؤية لديه وعمق انتمائه اليه « وصدق ايمانه به »

جاء فى برنامج الحزب « ان السمة الرئيسة التى تميز العصر
الراهن هى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق العالم »
ان عصرنا هو عصر الصراع بين النظامين الاجتماعيين العالميين المتناقضين ،
عصر الثورات الاشتراكية وانتصار حركة التحرر الوطنى وانهيال
الامبريالية وتصفية نظام الحكم الكولونىالى ، عصر انتفاخ شعوب
جديدة باستمرار طريق التوجه الاشتراكى ، عصر الاشتراكية على
الصعيد العالمى »

ويتأكد فى عصرنا بأن الرأسمالية كنظام وكملاقات انتاج قد
انتهت مهمتها التاريخية ونشأت ظروف موضوعية لانتقال البشرية الى
النظام الاشتراكى ، ويجتاح عالمنا اليوم تيار التجديد الثورى
الاشتراكى بقيادة الحابقة العاملة وحلفائها »

لقد دشن انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى بداية هذا
العصر ، وشكل انعكاسا حاسما فى تاريخ البشرية ، مسجلا بداية انهيار
الامبريالية ، وانبثاق النظام الاجتماعى الاشتراكى الجديد الذى يعبر
عن المصالح الجذرية للجماهير الكادحة »

ان انتشار الاتحاد السوفيتى والشعوب والقوى المناهضة
الأخرى على الفاشية والنازية الألمانية والعسكرية اليابانية قد أدى
الى انتصار الاشتراكية فى عدد من الدول ، مفسحا المجال لقيام
وتربخ النظام الاشتراكى العالمى ، ومشكلا بداية انطلاقا جديدة لحركة
التحرر الوطنى العالمية ، ووجه ضربات قاصمة لنظام الحكم الكولونىالى
للامبريالية »

وكان ذلك ، بحق ، مكسبا رئيسيا للطبقة العاملة ونضالها الثورى ، فظهور المنظومة الاشتراكية وتعاظم جبروتها ، وانتصارات الحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى ، قد غير وجه كوكبنا كله ، وغير ميزان القوى على الصعيد العالمى لصالح قضية الاستقلال الوطنى والديمقراطية والاشتراكية والسلم .

ان التقدم الشامل للنظام الاشتراكى العالمى ، ونجاحات جميع القوى المناضلة من أجل التغيير الثورى للعالم يضيق باستمرار من امكانيات الامبريالية والرجعية ، ويظهر بما لا يدع مجالا للشك ، وبصورة وضاعة وساطعة ، افضلية النظام الاشتراكى . وتتخرط باستمرار شعوب جديدة فى النضال المعادى للامبريالية والرأسمالية على حد سواء ، وتنهج طريق التحرر القومى والاجتماعى باتجاه الاشتراكية » (ص ١ — ٣) .

من حركة ٢٢ يونيو التصحيحية حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى :

ان انتقال حركة الثورة من موقع الى موقع لم يتم بدون صراع حتى داخل الجبهة القومية التى قادت حركة الثورة . ولقد كانت حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ هى المنعطف الحاسم الذى اقصيت معه من السلطة والتنظيم القوى المعبرة عن مصالح وأيديولوجية البرجوازية الوسطى المتطلقة الى التعاون مع الكومبرادور ومع القيادات العسكرية والبيروقراطية التى خلفها لاستعمار ، وانتقلت به البلاد الى أفق الثورة الديمقراطية .

وفى مجرى النضال من أجل تغيير بنىة المجتمع التقليدية والبرجوازية نشأ تيار فوضوى يسارى طفولى فى التنظيم وفى الدولة يخلط بين المراحل الديمقراطية والاشتراكية ، بل ويدمج المرحلة

الاشتراكية في المرحلة الديمقراطية ، هذا الخلط للأوراق . هذا الدمج للمراحل ، هذا الجهل بقوانين التطور الموضوعية ، هذه النزعة الارادية المثالية المستعلية على الواقع ، تذكرنا بما حدث في كومونة باريس وبملاحظات مؤسس الاشتراكية العلمية الانتقادية لذلك ، والتي ذكرناها آنفا .

لقد نبه الاشتراكيون العلميون اليمينيون داخل الجبهة القومية وخارجها الى خطورة المبلانكيين والبروديين الجدد الذين كان على رأسهم رئيس الدولة سالم ربيع على .

ولعل محاضرة عبد الفتاح اسماعيل الأمين العام للجبهة القومية التي ألقاها في ١٣ سبتمبر ١٩٧٢ كانت واحدة من أكبر وأقوى الطلقات التي سددت الى هذا النهج المغامر النزق المعبر عن أيديولوجية البرجوازية الفلاحية القروية الضيقة الأفق ، والمحدودة الرؤية ، والضالة المضللة ، والتي ما لبثت أن كشفت عن خلفيتها اليمينية المستترة بالتطرف اليساري ، حين رفض ربيع على إقامة حزب طليعى من طراز جديد بحجة عدم وجود طبقة عاملة في البلاد ، وحين تحفظ على تمتين العلاقات مع الاتحاد السوفيتى بذريعة أن ذلك من شأنه أن يثير الدول العربية المحافظة الى غير ذلك من المواقف اليمينية .

لقد نبه عبد الفتاح اسماعيل الى أن مثل هذا النهج يخالف برنامج الجبهة القومية الوطنى الديمقراطى الذى لم يجف مداده بعد ، والذى كان المؤتمر الخامس لها الذى عقد ما بين ٢ - ٦ مارس ١٩٧٢ قد أقره للتو . وقال : « هناك من يريد تجديد كل شئ دفعة واحدة — بل وهناك من يطرح ضرورة برنامج جديد ، بأفكار جديدة .

لقد وضعنا برنامجا لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . وإذا كان الآخرون ، في نفس الظروف ، قد قطعوا هذه المرحلة بخمسة

— ٣٢٠ —

عشر أو عشرين عاما •• وإذا ما فكرنا نحن • أو امتلكتنا طموحا بقطب...
هذه المرحلة خلال عشرة أعوام ، مستفيدين من تجارب الآخرين ، فهذا
شيء جيد ، على أساس أن نكون واعين تماما لكوننا نقطع مرحلة محددة
هي مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وان نفهم أن مهام هذه المرحلة
محددة ولا يمكن أن تكون نفس المهام التي تواجهها مرحلة البناء
الاشتراكي •

غير أننا هنا نتصرف تجاه بعض المهام وكأننا نطبق مهام الثورة
الاشتراكية •• نتصرف وكأننا لسنا في مرحلة محددة هي مرحلة الثورة
الوطنية الديمقراطية •

نعود الى السؤال المطروح : الى أى مدى نحن ملتزمون بخطط
الثورة •• ببرنامج مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية •• والى أى مدى
نحن نطبق ونجد البرنامج في نضالاتنا اليومية ؟

إذا لم تكن هذه المسألة واضحة أمامنا • فربما نقع في مزالق ،
وقد نتراجع في أبسط الاحتمالات •

ان البرنامج يمثل شيئا متقدما • والأصدقاء يقولون عنه انه
يمثل الحد الأعلى لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية •

وبصرف النظر عما يقوله الآخرون ينبغي أن نكون ملتزمين بهذا
البرنامج «(٩)» •

لم يتوقف الصراع المتعدد الأشكال مع التيار اليساري المغامر •
وعندما هزم أيديولوجيا وسياسيا وتنظيميا في التنظيم لجأ الى مغامرته
الانقلابية اليمينية في ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ، هذه المغامرة التي أمكن للتنظيم
ضربها في اليوم التالي مباشرة واسدال الستار على مدبريها وعلى شططهم
من أساسه •

وبذلك أزيحت العقبة الكداء أمام قيام الطليعة الاشتراكية المنشودة التي كان قد تم التمهيد لها باعلان التنظيم السياسى الموحد - الجبهة القومية فى أكتوبر ١٩٧٥ على أساس اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ الذى أقرته المنظمات الثلاث التى تشكل منها الان هذا التنظيم ، ممثلة فى الجبهة القومية ، اتحاد الشعب الديمقراطى ، حزب الطليعة الشعبية *

ففى أكتوبر ١٩٧٨ م تأسس الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أعلن الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية أيديولوجية ونظرية علمية له ، واعتبر المرحلة التى تمر بها الثورة هى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى بانجازها كاملة غير منقوصة تضع الثوة أقدامها على عتبة التحول الاشتراكى *

وكما جاء فى برنامج الحزب : « الحزب الاشتراكى اليمنى هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة الأخرى • وهو التعبير الحى عن وعى هذه الطبقة لمحالها الحقيقية ومستقبلها ودورها التاريخى • وترتبط نشأة الحزب ارتباطا عضويا بتراث شعبنا الكفاحى • وهو يستلهم ويتطور كل ما هو تقدمى وثورى فى تراث الشعب اليمنى القومى والتقدمى ، وهو المكمل لكل نضالات الشعب •

وهو هدف الحزب تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية • والانتقال نحو بناء الاشتراكية ، مسترشداً ، بـ « ديل تحقيق » هذا الهدف النبيل بنظرية الاشتراكية العلمية ، « خـذاً بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا » (حـ ٦) *

ان برنامج الحزب دستوراً لبرامج الوطنية الديمقراطية

— ٣٢٢ —

البالغة النضج ، وكان ربطه بين هذه المرحلة من سير الثورة وبين المرحلة الاشتراكية قمة في الوضوح ، وكانت معالجته لقضية الوحدة اليمنية والأسس التي ينبغي أن تقوم عليها غاية في الدقة ، وكان ربطه بين القضية الوطنية والقضية القومية والقضية الأممية مثلاً نموذجياً على الفهم الديالكتيكي للعلاقة المتبادلة والمتداخلة بين الخاص والعام ، والجزئي والكلّي •

كيف أمكن أن يحدث شيء كهذا في حزب كهذا ؟ !

غير أن تركيب الحزب العضوى ، والاستيعاب العميق لجميع قياداته وكوادره وأعضائه للبرنامج ولنظرية الاشتراكية العلمية التي صيغ على أساسها لم يكن بذات القدر والمستوى من النقاء والنصاعة والوضوح •

ان الانفجار الدموى والمأساوى الذى حدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ م وأطاح بقيادات وكوادر وأعضاء كثيرين فى الحزب كان على رأسها عبد الفتاح اسماعيل الذى اعترف بيان المكتب السياسى الذى أذاعه الرفيق الأمين العام على سالم البيض فى ١٠-٢١-١٩٨٦ بأنه كان « مؤسس حزبنا » - ان ذلك يوضح مدى الخلل الذى كان يعتور الحزب •

ليس بيت القصيد هو مجرد الاتفاق على أن ما حدث فى ١٣ يناير ١٩٨٦ هو محض مؤامرة دبرها ما أسمى باليمين الانتهازى التصفوى •

بيت القصيد هو معرفة كيف أمكن أن يحدث ما حدث فى حزب طليعى ، تفترض فيه الوحدة الأيديولوجية والتنظيمية والسياسية . ويستبعد فى مثله أية امكانية للجوء الى السلاح لحل قضايا خلافية فى المدى •• كيف أمكن أن يحدث شيء كهذا فى حزب كهذا ؟

— ٣٣٣ —

لقد عرفت الأحزاب الطليعية منذ وجدت وإلى اليوم ، بما فيها حزب البلاشفة ، جناحاً ثورياً ، وجناحاً انتهازياً ، وبينهما جناح وسطي أسماه لينين بالمستنقع ♦

غير أن النزاع بينها كان يحسم داخل إطار الشرعية الحزبية ووفق النظام الداخلي للحزب ، وحتى باتخاذ أقصى عقوبة حزبية وهي الطرد من الحزب ♦

أما أن ينقض طرف أو أطراف في الحزب على طرف أو أطراف أخرى فيه ويصفى الخلاف معها بقوة السلاح فتلك هي المفارقة التي لا عهد للأحزاب الاشتراكية العلمية الحقيقية بها ، وذلك هو الخروج الذي لا خروج بعده على ألف باء الديمقراطية الشعبية والديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الحزبية التي أرسى أسسها ماركس وإنجلز وبلورها لينين ♦

فألام يعود اذن مثل هذا الخرق التنظيمي والخروج النظري على بدهيات المبادئ الاجتماعية والحزبية للممارسة — اللينينية

هل يعود الى طبيعة النشأة الأولى للجبهة القومية التي كان استخدام السلاح في مواجهة المستعمر هو ما ميزها عن سواها من التنظيمات الوطنية القائمة آنئذ ؟

هل عادة الاحتكام الى القوة التي لجأ اليها اليمين الانتهازى بانقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨ ضد يسار الجبهة القومية والعناصر الوطنية والديمقراطية الأخرى المتعاطفة معه وضد قرارات المؤتمر الرابع للجبهة القومية ، والتي لجأ اليها أيضا اليسار الانتهازى بانقلاب ٢٥ يونيو ١٩٧٨ ضد غالبية التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية — هل هذه العادة غدت متأصلة الى حد أن الحزب الاشتراكي

— ٣٢٤ —

اليمنى — طليعة الطبقة العاملة وحلفائها — لم يستطع أن يتحرر منها الى حد أن أحد أطرافه عاد هو كذلك اليها وقام بانقلابه الدموي ضد الطرف الآخر . مما رمى البلاد في أتون حرب أهلية بلغت أصدأها العالم كله ، وأغزعت كل القوى الحليفة ، ووضعت التجربة الثورية كلها أمام امتحان عسير لم يسبق أن ووجهت بمثله من قبل ؟

هل هي عودة الى التقاليد القبلية القروسطية التي سهلت تحكم المستعمر في البلاد ، والتي قامت على الثأر والثأر المضاد — هذه التقاليد التي كانت الجبهة القومية بتركيبها ودعوتها الوطنية التحررية وتعبئتها للشعب ضد المستعمر وعملائه وركائزه وباقامتها دولة وطنية ديمقراطية موحدة على أنقاض الشتات القبلى والاقليمى والتجزئة الاقطاعية الطويلة الأمد التي كرسها المستعمر وفق سياسة « فرق تسد » — كانت قد شرعت في وضع حد لها ؟

هل غلبة العنصر البرجوازي الصغير في الحزب ، ولا سيما العنصر البرجوازي الفلاحى ، بكل ما يحمّله من تقاليد موروثة من الريف خاصة ، ومن نزاعات قديمة ، ومن تفكك وانغلاق — هل غلبة هذا العنصر ، والغياب النسبى للطبقة العاملة عنه وعن مواقع القيادة والتوجيه فيه هو السبب ؟

هل نشأة الحزب الحديثة نسبيا وعدم تشربه وتشعبه — فيما خلا بعض قياداته وكوادره وأعضائه — بالفكر الاشتراكى العلمى هو العلة لما حدث ؟

هل هو انبعاث لنزعة « الاستبداد الشرقى » التى لا تطيق سماع أو قبول الموقف والرأى المخالف والتى ظهرت في أحزاب طليعية مماثلة في بلدان « شرقية » أخرى ككمبوديا مثلا ؟

— ٣٣٥ —

هل هو عدم الايمان بفكرة الديمقراطية الحزبية أو عدم القدرة على الاحتكار اليها جملة وتفصيلا ، وجعلها المرجع الأول والأخير في حل أى وكل نزاع يشجر داخل الحزب مهما بلغ حجمه ومداه ؟

هل يمكن القاء المسئولية فيما حدث داخل الحزب على عائق البرجوازية البيروقراطية والبرجوازية الطفيلية والبرجوازية بشكلا ، عام التي شهدت قدرا من الانتعاش على هامش تجربة الثورة بفعل ضعف اليقظة الحزبية الكاملة تجاهها ؟

تلك وغيرها من الأسئلة العديدة التي لا محيص من طرحها في محاولة للإجابة الصحيحة والمتكاملة والمنقعة لا يهتم الذين حكموا على التجربة سلفا لا بسماعها ولا بالبحث عن اجابة عليها •

التفسير العبثى :

فليس هناك تجربة من الأساس • هنا كلفقط حركة قمرطية ظهرت في الجزء الجنوبي من اليمن في القرن العشرين شبيهة بتلك التي ظهرت فيه في القرن العاشر ، ولن يكون مصيرها مختلفا عن سابقتها • فالأعداء المحذقون بها ، والنزاعات الداخلية التي تفتك بها كفيلة كلها بإنهائها •

وفي أحسن الأحوال هي محاولة ملفولية تتكرر في عدن بعد ما فشلت في باريس ، وهي الأكثر تحضرا ونطورا من عدن • ولن يكون مآل « كومونة عدن » مختلفا عن مآل « كومونة باريس » • وإذا كان بيسمارك بروسيا قد لعب دورا في القضاء عليها ، فلن تعدم اليمن وجود بيسمارك بالمقاس اليمنى يساعد في تشييعها إلى نهايتها الحتمية •

التفسير العدمى :

على أن هناك نمطا آخر من « الفلاسفة » الذين ربما أصاخوا السمع

لمثل هذه الأسئلة ، غير أن اجابتهم عليها واحدة لا تتغير : ألم نقل لكم أن ظروف اليمن لا تحتل أكثر من قيام نظام وطنى فى أفضل الحالات ، وان حكاية قيام نظام ديمقراطى ثورى ، أو نظام ديمقراطى ثورى بتوجه اشتراكى أو المتطلع الى قيام الاشتراكية وتشكيل حزب طليعى من أجل ذلك كله مجرد أوهام فى أوهام • ويضيفون : انظروا هذا المسلسل الدموى الدورى الذى يستنزف ليس الحزب الحاكم فقط وانما انشعب أيضا • لا تقولوا لنا هذا من فعل اليمين الانتهازى ، وهذا من فعل اليسار الانتهازى ، وهذا من فعل النسخة المركبة التى ضمت الى جانبها الجناح التصفى • هذه مجرد محاولات لعدم رؤية الحقيقة فى عينها • أما هذه الحقيقة ، فهى ان حركة القوميين العرب التى ورثت من الفاشية الشيء الكثير باعتراف مؤسسيها ومؤلفاتها الكلاسيكية لم تنس الأصل الذى جاءت منه ، والذليع القديم الذى نشأت عليه ، ولم يجد فى تطويرها وتشذيبها أو صقلها أى مسعى نحو اكتساب الفكر الاشتراكى العلمى وهى فى ١٣ يناير ١٩٨٦ م وما تلاه من أيام دامية لم تصف فقط الحساب مبع بعضها البعض عبر تصارع أجنتها على السلطة وانما صفت معها أيضا أولئك الذين دخلوا معها فى تحالف أو فى وحدة تنظيمية من الفصائل والعناصر الأخرى ذات النشأة السياسية الخالية من العنف والدم والثأر والمضاد •

ويضيف البعض من هؤلاء : الترياق من هذا السم الزعاف الذى يفتك بجسم اليمن الديمقراطية هو المبادرة الى تحقيق الوحدة اليمنية التى ستضع حدا لحرب القبائل ، ونزاع الفصائل ، وصراعات الأجنحة • ولا يهم لهذا الغرض البحث عن هوية نظام الدولة الموحدة ، وعما اذا كانت تسير فى طريق التطور الرأسمالى أو طريق التوجه الاشتراكى • فهذه مصطلحات مستوردة لا تنطبق على اليمن التى لا رأسماليين فيها ولا اشتراكيين ، ولا طبقات برجوازية أو اقطاعية أو بروليتارية ، وانما يوجد فيها وطنيون من مختلف القوى الاجتماعية ، والدولة الوطنية

— ٣٣٧ —

الموحدة هي كل ما يجمعهم ويوحدهم • وكل من يساعد على قيام هذه الدولة — أيا كانت وجهته — هو الوطنى الحقيقى وكل من لا يساعد على ذلك فهو وطنى مزيف حتى ولو رفع أكثر الشعارات بريقا ، وادعى أعظم الأفكار تقدما •

والأنه لا سوق داخل الحزب الاشتراكى اليمنى ولا حتى بين الوطنيين المستنيرين لمثل هذه البضاعة المغشوشة اذن فالجميع انفصاليون وجهلة ولا يعرفون لا مصلحة وطنهم ولا حتى مصلحة انفسهم • وخير عقاب لهم على هذا العقوق الوطنى والكفران بالوحدة هو هذه التصفيات الدموية الدورية المتلاحقة التى ستنتهى بسقوط الجميع • وبذلك يفتتح الطريق أمام البديل الوطنى الموحدوى الذى لا بديل له ! لا حاجة الى تنفيذ مثل هذه الرؤية العدمية • فهى واضحة للعيسان •

الحضور السياسى الفعال للطبقة العاملة حتى الاستقلال :

لنتجاوز الآن الشامتين والمشنعين على التجربة الثورية فى اليمن الديمقراطية والذين يتمنون لها الهلاك حتى باستحضار التجارب التاريخية التى يرونها قريبة منها كالحركة القرمطية ، وكومونة باريس والتى غدت أثرا من آثار التاريخ •

ولنتجاوز « الفلاسفة » الذين على طريقة دوهرنج ، بدون ثقافة دوهرنج رفضوا الماركسية وتصوروا أنهم يقدمون البديل •• ولا بديل لديهم الا اللغو والادعاء والعقم الوقوف خارج حركة التطور ، وبعيدا عن مجرى النضال الوطنى والاجتماعى والثورى عموما •

ولنعبد الى الأسئلة الأنفة الذكر ، ولنحاول التفكير فى امكانية العثور على الاجابات الموضوعية والشفافية عليها •

بادئ ذي بدء يجب التأكيد على انه ليس شرطا لقيام الحزب الطليعى أو وضع الأساس له الانتظار حتى يكتمل تكوين الطبقة العاملة ، فجميع الأحزاب التى قامت منذ ايام ماركس وانجلز حتى ايام لينين وحتى يومنا هذا شرعت فى التكون فى نفس اللحظات التى كانت نتكون فيها الطبقة العاملة •

ولو أن تشكيل هذه الأحزاب قد تأخر حتى تنضج الطبقة العاملة وحتى تتوافر جميع شروط بنائها وعوامل نجاحها فى مهمتها التاريخية لعنى ذلك ببساطة الغاء دور العامل الذاتى فى التعجيل بعملية التطور وفى المساعدة على انضاج الظروف الموضوعية للتغيير الثورى ، ولكن ذلك مسلكا ميكانيكيا لا دياكتيكيا تجاه حركة المجتمع •

وكما نبه ماركس : « قد يكون من السهل جدا ، بالدلع ، صنع تاريخ العالم ، لو كان النضال لا يقوم الا ضمن ظروف تؤدي حتما الى النجاح » (١٠) •

والطبقة العاملة اليمينية ، أو نواتها • وفى مقدمتها عمال المصافى ، لم تكن قط فى حالة غياب • لقد كانت — على العكس من ذلك تماما — فى حالة حضور اجتماعى وسياسى ملفت للنظر منذ منتصف الخمسينيات بل ان ميلاد الحركة الوطنية اليمينية قد ارتبط بميلاد الحركة العمالية التى توسطت ساحة النضال الوطنى والاجتماعى ، وطرحت الشعارات السياسية والثورية الجديدة التى لا عهد للحركات السياسية الاصلاحية الاقليمية بها • فهمى التى رفعت شعارات التحرر من الاستعمار والاستبداد معا وتحقيق الوحدة اليمينية على انقاضهما • وكانت من ثم حركة وطنية واجتماعية فى وقت واحد ، حركة موجهة ضد الامبريالية والرأسمالية والاقطاع • وكانت الحركة العمالية هى التى مارست أشكال وأساليب النضال الحديثة التى لم تعرفها الحركات

— ٣٢٩ —

السياسية التقليدية السابقة ، والتي تمثلت في الاعتصامات والاضرابات والعصيان المدني والمسيرات والمظاهرات * وكما عرفت الطبقة العاملة العمل النقابي وتمكنت من اقامة منظمة نقابية ، خاصة بها تمثلت في المؤتمر العمالي الذي سرعان ما صفت قياداته الانتهازية الاصنجية في مجرى ثورة ١٤ أكتوبر من خلال « النقابات الست » لأنها عرفت العمل الحزبي وكانت الحوض الذي يغترف منه الجميع ، بدءا من أول تنظيم ماركسي : الاتحاد الشعبي الديمقراطي ، مرورا بالجبهة القومية ، وانتهاء بمنظمة البعث التي تحولت في مطلع السبعينيات الى حزب الطليعة الشعبية * ولم تكن الطبقة العاملة بعيدة عن مجرى الثورة المسلحة التي قادتها الجبهة القومية منذ اندلاع شرارة ثورة ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ م *

بل ان الطبقة العاملة ، وفي مقدمتها عمال المصافي ، أنجبت قيادات ثورية * كان على رأسها عبد الفتاح اسماعيل الذي كان مسؤولا عن قطاع عدن ، اى عن تلك الساحة الأساسية التي كان يجثم عليها الوجود البريطاني بكل ثقله العسكري والسياسي والاقتصادي والاعلامي *

ان التطور السريع للجبهة القومية وانتقال أهم قياداتها وكوادرها التي اكتوت بنيران التجربة النضالية ، من المواقع الوطنية الى المواقع الديمقراطية الثورية ، ومن ثم الى المواقع الاشتراكية العلمية وحدوث ذات الشيء بالنسبة لحزب الطليعة الشعبية ، ونشؤ أرضية مشتركة فكرية وسياسية بينها مجتمعة ، بما فيها تنظيم عبد الله باذيب الماركسي ، وقيام التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية ، ومن ثم الحزب الاشتراكي اليمني ، ان حدوث ذلك كله ليس بمعزل عن الخلفية العمالية التي استندت اليها منذ قيامها الحركة الوطنية اليمنية *

هل بعد الطبقة العاملة عن مواقعها القيادية في العملية الثورية وراء الأرملة ؟

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه على الفور هو : اذن لماذا لم تتمكن الطبقة العاملة من الحفاظ على مركزها هذا ؟ ولماذا لم تستطع ان تكون في حالة حضور سياسي وتنظيمي فعال ومتصاعد بعد قيام دولة الاستقلال وبعد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ ، ومع قيام التنظيم السياسي الموحد الجبهة القومية عام ١٩٧٥ ، وعند قيام الحزب الاشتراكي اليمني عام ١٩٧٨ م ؟

هل تمكنت القوى الاجتماعية والسياسية ذات المنشأ الفلاحي بحكم حجم الدور الذي لعبته ابان فترة الكفاح المسلح ضد المستعمر البريطاني من انتزاع المكانة الأساسية في التنظيم ؟

أو ما كان التركيب الاجتماعي — الطبقي للبلاد يساعد على ذلك من حيث أن طبقة الفلاحين كانت أقدم وأعرض طبقات المجتمع ، بينما كانت الطبقة العاملة ما تزال في حالة تخلق ؟

أو ما يعنى ذلك أنه ، وان نشأ تحالف طبقي بين الفلاحين ، والعمال ، والبرجوازية الصغيرة شارك فيه المثقفون الثوريون ، الا ان القيادة فيه كانت وظلت في يد العناصر المنحدرة من الريف ومن طبقة الفلاحين العريضة بكل تراثها وتقاليدها وروح المحافظة النسبية لديها ، وبكل شتاتها وانغلاقها ، بل وبكل نزاعاتها ، ناهيك عن الرواسب التي تسربت الى صفوفها من القوى الاقطاعية والارستقراطية القبلية التي كانت تتسيد عليها ؟

أما كان المنزوع النزق لربيع على ، وعلى ناصر محمد انعكاسا طبيعيا لمثل هذا الوضع ؟ أما كان الانفجار الذي حدث بفعلهما في

خيال التنظيم والدولة والمجتمع تعبيرا عن هذه الوضعية التاريخية - الاجتماعية - السيكولوجية التي لم تلمسها يد الثورة الا مساً خفيفاً ، دون ان تتمكن تماماً - رغم اجراءات الاصلاح الزراعى ، ورغم قيام الأشكال الاقتصادية الجديدة ممثلة في مزارع الدولة ، والتعاونيات . ومحددات ناجير الآليات ، ورغم العمل الأيديولوجى والحزبى - لم تتمكن من استنبات وضعية اقتصادية - اجتماعية جديدة تماماً تختفى معها كل تركة الماضى ، وكل الأنماط الاقتصادية القديمة ، وكل العادات والسلوكيات الموروثة ؟

اولا تظل هذه البيئة تربة صالحة لتوليد أشكال جديدة من الأزمات الاجتماعية والانفجارات السياسية ما لم يعد حرثها وقلبها رأساً على عقب ، لا بتجذير وتعميم الثورة الديمقراطية بشكليها الاقتصادية والاجتماعى فقط ، ولا بتفجير الثورة الثقافية بحيث تنمر المدينة والريف معا ، ولا بتصعيد نسبة الفلاحين في الحرب على نسبة الموظفين فحسب ، وانما بالدرجة الأولى بوضع الطبقة العاملة في مكانها الطبيعي والريادى من العملية الثورية بمجملها ، بحيث تكون قائدة التحالف الطبقي المتشكل من عموده الفقري : العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون ، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين ، بدرجة أساسية ، وبحيث تتحدد درجة حضورها الكمي والكيفي في الحزب ، حتى تتمكن - آخر الأمر - سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق ممثليها النموذجين - من أن تكون الحلقة الوسطى في سلسلة القيادة الحزبية من الأدنى الى الأعلى .

تفسير قيادة الحزب للزامة :

أو ليس حديث الرفيق الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني على سالم البيض الذى بثه التلفزيون السوفيتى بمناسبة مضى عام على أحداث ٢٣ يناير الدامية ، والذى ، نشرت جزءاً منه « وكالة أدب »

— ٣٣٢ —

عدن» في عدد ١٩-٨-١٩٨٧ م مثل الماعة هامة في هذا الاتجاه وانطوى على اشارة مست عمق القضية المبحونة اعلاه . حيث أوضح انه من « بين الاسباب التي أدت الى الازمة يمكن في المقام الأول ابراز ما يلي : ضيق القاعدة الاجتماعية للحزب ، وان الطبقة العاملة — أكثر الفصائل طليعية وتنظيما — لا تزال حتى الآن اقل الطبقات من حيث العدد . ولا يزال الوعي الطبقي للفتات الواسعة من الشريحة اليمينية منخفضا . وثمة تفكك في وسط الفلاحين — أكثر الطبقات من حيث العدد — » .

تلك هي أنفذ نظرة سددت حتى الآن ، تم بها اختراق الخلاف الخفيف الذي أحاط بالازمة التي كانت أحداث ١٣ يناير مجرد اعلان دموى رهيب بوجودها والذي لم تفلح — باستثناء — الاشارات السريعة التي تضمنتها بيانات اللجنة المركزية للحزب — لم تفلح الكتابات المقروءة حتى الآن في النفاذ منه .

وتلك هي أول ضربة غاس في التربة . بغية التفنيس في قاع المجتمع ، وفي عمق تركيبة الحزب العضوية والأيديولوجية ، عن الجذور الحقيقية لما حدث .

الوثيقة التحليلية الموعودة تحمل التفسير الشامل للازمة وسبل الخروج النهائي منها :

وتلك أول بشارة للوعود الذي قطعه الحزب على نفسه بأن يقف وقفة غاحصة دارسة متأنية عميقة أمام الازمة وأمام مجمل التجربة الثورية ، بغية تشخيص نقائصها وعيوبها وشراتها التي كانت أحداث ١٣ يناير ترجمة نهائية — وان دامية ومهولة — لها ، وبغية استخلاص الدروس والعبر ، وتقديم المعالجات الشاملة لها ، لتمكين التجربة الثورية في اليمن الديمقراطية لا من أن تستعيد فقط الثقة فيها لدى

— ٣٣٣ —

شعبها ولدى كل القوى التقدمية في العالم الحريصة عليها ، وانما
أيخسها من أن تنتقل الى المرحلة الأخيرة والعليا من المسيرة الثورية
الديمقراطية ، وتدخل مباشرة في رحاب بناء المجتمع الاشتراكي ، عبر
النضال الحثيث من أجل اقامة اليمن الديمقراطي الموحد ذي التوجه
الاشتراكي .

وحسب صيغة أمين عام اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني
الرفيق علي سالم البيض فإن أهمية انجاز هذا الوعد ، وضع الوثيقة
التحليلية المنشودة ، يتجاوز في أهميته الثورة اليمنية ليشمل الثورة
العربية كلها التي رأت فضاءاتها الطليعية فيها الأشعة الأولى للفجر
العربي : « أما مسألة تقييم مراحل تطور التجربة الثورية في اليمن
الديمقراطية فهي موضوع دراسة واسعة تقوم بأعدادها لجنة مكلفة
من قبل اللجنة المركزية لتتقدمها لكونفرانس الحزب الاشتراكي اليمني
الذي سيعقد في منتصف العام القادم » وهذه الدراسة بمثابة وثيقة
تحليلية لكل جوانب التجربة بسلبياتها وإيجابياتها . الا أننا نود أن نؤكد
أن التجربة الثورية في اليمن الديمقراطية بقدر ما هي ملك لكل الثوريين
اليمنيين ، فهي ملك لكل الثوريين العرب .

ونعتبر الاسهام في دراسة وتحليل جوانب هذه التجربة من
قبلهم جزءاً من مهمتهم النضالية ، وذلك لايماننا العميق بأن العمل
الثوري العربي كل لا يتجزأ » (مجلة) (« الحرية » ٢٨ ديسمبر ١٩٨٦
— ١٠ يناير ١٩٨٧) .

بل ان الأهمية الاستثنائية لهذه الوثيقة المنتظرة تتجاوز الساحة
اليمنية والعربية الى المحيط العالمي — كما يقول الأمين العام المساعد
الحزب الرفيق سالم صالح محمد في محاضرته الضافية التي ألقاها
بمناسبة ذكرى الاحتلال عدن ، وذكرى تأسيس صحيفة « ١٤ أكتوبر » ،

وذكرى انقلاب ١٣ يناير ١٩٦٦ ، وذكرى انقلاب ١٣ يناير ١٩٨٦ المستنوم — ذلك « أن الوثيقة التحليلية التي ستقدم الى الكونغرس ليست ملكا للحزب ، بل هي ملك للجماهير ، ولحركة الثورة العالمية ، التي تكن كل التقدير والاحترام لحزبنا ، وثورتنا ، ونظامنا التقدمي ، وتجربتنا الثورية » (صحيفة « ١٤ أكتوبر » ٢٠-١-١٩٨٧) •

حكمة انجلز الثورية حكمة الحزب :

مرشد الحزب في وضع هذه الوثيقة التحليلية الموعودة تلك الحكمة الثورية التي علمنا اياها انجلز : « في كل ثورة تقترب حتما كثرة من الحماقات ، كما في كل زمن آخر ، وحين يهدأ الناس أخيرا الى حد أن يصبحوا من جديد قادريين على الانتقاد فأنهم يخلصون الزاما الى الاستنتاج التالي : لقد فعلنا أشياء كثيرة كان من الأفضل أن لا نفعلها ، ولم نفعل أشياء كثيرة كان ينبغي فعلها ، ولهذا سارت الأمور سيئا » (ماركس — انجلز ، انتخابات في ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨١ ، ص ١٧٢) •

أما الهدف من وضعها ، فهو تصحيح ما كان معوجا ، وتكوين ما كان غير مستقيم ، والتغلب على ما كان سيئا ، وحتى يسير كل شيء على نحو أحسن وبشكل أفضل •

دلالة أصالة الثورة :

ان تتمكن الثورة من تجاوز محنة ١٣ يناير بكل هولها ومضاعفاتها ، وان تعيد تطبيع الأوضاع ، وأن تمضي في طريق إعادة وحدة الحزب والشعب والمؤسسات الجماهيرية والرسمية ، وان توثق علاقاتها أكثر فأكثر مع كل الحلفاء الثوريين في الوطن العربي وفي العالم ، وفي مقدمتهم المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، وأن تؤكد تمسكها بدورها — كتجربة ثورية طليعية في الوطن العربي — وأن

تخصص جزءا من اهتماماتها من أجل وضع مثل هذه الوثيقة التحليلية الانتقادية ، فذلك ليس دليل صحة وعافية وثقة غامرة بالنفس وبالخيار الثورى الذى لا رجعة عنه فحسب ، وإنما هو أيضا برهان قاطع على أصالة وجذرية وعمق الثورة التى لا تريد المحن والازمات والكوارث الا اصرارا وتصميها على المضى فى دربها النضالى حتى النهاية درب الديمقراطية الثورية ، والوحدة اليمنية التقدمية ، والاشتراكية العلمية والأمية البروليتارية ، درب الاسهام فى صنع عالم جديد خال من الاستغلال والقهر ، والاستعمار والاستبداد ، والهيمنة والحرب ، درب التحرر والتقدم والرخاء والسعادة والسلام .

عصر الثورة الاشتراكية لا عصر الاقطاع والبرجوازية :

أفلا يعنى ذلك أنه رغم القيمة التاريخية العظيمة والمهمة لكل من الحركة القرمطية ، وكومونة باريس ، وأن الثورة اليمنية مجسدة فى ١٤ أكتوبر والحركة الوطنية التقدمية اليمنية عموما ، تختلف عنهما من وجوه عديدة : أولها أنها واحدة من ثورات القرن العشرين التقدمية التى تمثل جزءا لا يتجزأ من الثورة العالمية المعاصرة التى تقودها الطبقة العاملة العالمية ، وفى طليعتها الطبقة العاملة المنتصرة فى المنظومة الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ؟

وليس ما هو أدل على ذلك من أن التجربة الثورية اليمنية - بخلاف العديد من التجارب الثورية التى قادتها البرجوازية وسقطت تحت وطأة صراعاتها وضيق أفقها وانساحها المجال لقوى التآمر الخارجية للتلاعب بمصيرها - أنها وبرغم كل الاختناقات والهزات والازمات والمحن التى مرت بها - ظلت دائما قادرة على النهوض والتعافى والتجاوز والاقتحام ، والانطلاق من مرحلة أدنى الى مرحلة أعلى .

— ٣٣٦ —

أو ليس ذلك ما تدل عليه أخيرا القدرة العظيمة والحيوية الفائقة
التي أمكن الحزب بهما لا أن يتجاوز المأزق التاريخي الذي وضعت فيه
الثورة بفعل أحداث ٢٣ يناير ١٩٨٦ م الدامية ، وإنما أن
يشرع في التهيؤ لانطلاقة ثورية أكثر عنفوانا ، وأبعد مدى ، وأعلى
تطبيقا .

أليس توطيد العلاقات مع قوى الثورة العالمية ، واحتضان هذه
القوى ، ولا سيما الاتحاد السوفيتي ، للثورة في اليمن الديمقراطية بلهفة
وحرارة ، وتقديمه الدعم الشامل لها أكثر من أي وقت مضى دليلا
آخر على أن الثورة لا تعيش عصر الخلافة الاقطاعية والامامية التي
قضت على حركة القرامطة ، ولا عصر ببسمارك الذي هتك بكومونة
باريس ، وإنما عصر الثورة الاشتراكية العالمية الذي دشنته لينين بقيام
ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ؟

— ٣٣٧ —

- (١) ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ص ١٣٥ .
- (٢) ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٣ و ٢ .
- (٣) ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨١ ص ٢٢١ .
- (٤) ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ١ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ص ٢٢٢ .
- (٥) لينين ، خطتنا الاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، دار التقدم ، موسكو ص ٧٤ .
- (٦) لينين ، المختارات في ١٠ مجلدات ، المجلد ٣ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٦ ص ٥٣٢ .
- (٧) ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٢٨٢ — ٨٣ م .
- (٨) لينين ، المختارات في ١٠ مجلدات ، المجلد ٣ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٦ ، ص ٥٣٣ .
- (٩) مجلة « الثوري » ، عدن ، ٦-١٢-١٩٨٦ ، الحلقة الثالثة والأخيرة ، ص ٣ .
- (١٠) ماركس — انجلس ، منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ٢ ، الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ص ٢١٦ .

نظرة على تجربة الثورة

فى اليمن الديمقراطية

وآفاقها المستقبلية(*)

وجهة نظر البرجوازية الصغيرة :

المصلحة الاجتماعية الضيقة للبرجوازية الصغيرة والتي تنجم عنها محدودية رؤيتها الاجتماعية تجعلها تقيس كل شئ يحدث من حولها بمقياسها الخاص والمحدود هذا *

الصراعات السياسية التي تحدث بين أجنحتها بغية الاستئثار بالسلطة ، والتي كانت تؤدي دائما الى خروج السلطة من أساسها من يدها الى يد البرجوازية الكمبرادورية والطفيلية أو الى يد البرجوازية البيروقراطية — كخطوة أولى — والى سقوط أوطانها فى ظلك التبعية الامبريالية — آخر الأمر — هذه الصراعات الصغيرة والعقيمة التي تحلج تاريخ البرجوازية الصغيرة والتي كانت تؤدي الى هلاك الثورات الديمقراطية منذ القرن التاسع عشر ، والى اليوم يريد منظرو البرجوازية

— ٣٤٠ —

الصغيرة ومتحذلقو التنظير تعميم دلائلها ، بحيث تشمل تلك الثورات الديمقراطية التي تمسك بقيادها قوى تعلن التزامها بأيديولوجية الطبقة العاملة ، وتؤكد عزمها على تحويل هذه الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية .

وهي تطلق هذا التعميم بقدر غير قليل من الفرح ، بل وبقدر كبير من الشماتة .

أما المناسبة لاطلاق هذا التعميم — أو قل هذا التعميم — فهي ما حدث في اليمن الديمقراطية في يناير ١٩٨٦ .

وحيثيات هذا الحكم تقول أنه حدث في حزبها الحاكم الراحل لراية الاشتراكية العلمية انفجار ربما فاق في حجمه ومداه وآثاره ما حدث في الأحزاب الوطنية والقومية الداعية الى اشتراكية أقل حمرة ، وأقرب الى طبائع الأشياء في عالمنا العربي .

وعلى ذلك فإنه لا أحد أحسن من أحد . فالجميع بشر ، بل وبشر ينتمون الى عالم بطبيعته معقد التكوين الاجتماعي والطائفي والفتوى والقبلي والعرقى والفكرى والنفسى ، ولم يمر بمرحلة الاندماج الاجتماعي ، والانصهار الوطني . فنحن ما نزال شعويا وقبائل في حاجة الى أن نتعارف وتتألف ، الى أن تدخل في علاقات من نسيج اجتماعي جديد ، ينتمى الى طبيعة العصر ، تتبلور معها وحدتها الاجتماعية ، وينهض معها المجتمع المدني الحديث بتقاليده وعاداته وقيمه ومثله الحضارية الراقية ، ولسنا في حاجة الى شعارات لاقصة لا طائل من ورائها ، ولا مردود لها .

والعرب — من المحيط الى الخليج ، وبجميع أنظمتهم التقليدية

— ٣٤١ —

والوطنية والتقدمية — لم يصلوا بعد الى هذا المدى من التطور التاريخي — الاجتماعي — الحضاري — الفكري •

ولذلك — وحتى تتخلق وتكتمل ملامح الشخصية الوطنية — الاجتماعية لكل قطر عربي والمجسدة في دولة مركزية حديثة ، وتتخلق وتكتمل ملامح الأمة العربية في دولة قومية مركزية أو اتحادية متطورة — حتى ذاك غائه لا محيص من أن تنفجر النزاعات الموروثة عن المجتمع القديم الاقطاعي الذي لم يمت نهائيا بعد ولن يموت الا بقياس المجتمع الحديث — أيا كانت وجهته رأسمالية أو اشتراكية أو وسطا بينهما •

واليمن — ولا سيما شطرها الجنوبي — يحتفظ بتركة ثقيلة من العهد الاقطاعي ، ناهيك عن تركة الحكم الاستعماري البريطاني الذي دام أكثر من قرن وربع قرن ، والذي — وفقا لسياسة — « لفرق تسد » قسم الجنوب اليمني المحتل الى ثلاث مناطق أو كانتونات : مستعمرة عدن ، محميات عدن الغربية ، محميات عدن الشرقية ، فـوق تمزيقه للمحميات الى أكثر من عشرين سلطنة و إمارة ومشيفة ، قبل أن يجمع هذا الشتات والفتات في دولة هورية اتحادية تسهلا للاحكام قبضته عليها في مواجهة رياح الثورة العربية واليسنية التي أخذت تهب في وجهه في خمسينيات وستينيات القرن •

وتضيف هذه الحثثيات أن ما حدث في اليمن الديمقراطية من نزاعات أهلية دامية عشية وغداة وبعد جلاء المستعمر ، سواء بين الجبهة القومية ومنافستها جبهة التحرير ، أو بين أجنحتها ذاتها ، أو داخل الحزب الاشتراكي اليمني — آخر الأمر — لهو برهان على مدى ثقل هذه التركة القروسطية •

— ٣٤٢ —

وتختتم هذه الحثييات بالقول بأنه ليس هناك مؤشرات فعلية تؤكد بأن الثورة في اليمن الديمقراطية ستتمكن بسهولة من الخروج من الدوامة العاصفة التي ما زالت تلفها منذ عشية الاستقلال وإلى اليوم ، وإن ركاب الماضي — رغم الجهد الهائل لازاحته — ما هتئ بجثم على أدمغة الناس : فوق أن جذوره الاجتماعية ما تزال كامنة في باطن التربة التي لم يعد حرثها وقلبها بشكل كامل .

أما الخلاصة لمثل هذه الحثييات فهي : رجاء لا تزايدوا علينا يساريي اليمن . فليس حالكم بأفضل منا نحن ممثلي البرجوازية الصغيرة — كما تحبون أن تسمونا — بل اننا نخشى أن تكون حالكم أدعى إلى الشفقة ، ذلك أن نزاعاتكم على السلطة أكثر حدة ، وأشد عنفا ، وما تنزغونه من الدماء وتفقدونه من الأرواح والأموال والاطمئنان بسببها ما يفوق ما حدث في أي بلد تحكمه البرجوازية الصغيرة ، وما يخسركم كل ما انجزتموه خلال مسار ثورتكم ، وما يلقي الظلال على صحة اختياركم وعلى سلامة الطريق الذي آنتم ماضون فيه .

وفي جميع الأحوال . . لم يعد المحك هو الزيادة بالشعارات والأقوال والنظريات . فالمرجع الذي يحتكم إليه هو الممارسة والأفعال والانجازات المحققة .

وفي هذه الناحية فإن حظ ثورتكم الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكي — كما تفضلون تسميتها — ليس بأفضل من حظ الثورات الوطنية الديمقراطية التي تقودها البرجوازية الصغيرة .

التطور يسير في خط متعرج صاعد :

بادئ ذي بدء نحن نعترف بأن الثورة في اليمن الديمقراطية قد نزغت من الدماء وخسرت من الأرواح ، وفقدت من الامكانيات ما لم

— ٣٤٣ —

تعرفه أية ثورة عربية ، اذا ما قورن ذلك كله بعدد سكانها وشدة
امكانياتها •

ولكن ذلك كله قد حدث لا لأنها أخطأت طريقها ، وإنما لأنها
اختارت الطريق الصعب المليء بالأشواك والعقبات والذي لم يسبق لأى
قطر عربى أن غامر بتجريب السير فيه وباختبار قدرته على مواجهة
جميع مخاطره ومشاقه •

ونحن نعتزف أن تركة الماضى الاقطاعى والاستعمارى فيها ثقيلة
وهائلة ، حيث لا مجال لمقارنتها بأى قطر عربى آخر ، وأن جميع الأنماط
الاقتصادية الاجتماعية التى عرفتها البشرية بجميع افرازاتها الأيديولوجية
قد وجدت فيها بدءاً من النمط المشاعى البطريكى وانتهاءً بالنمط
الرأسمالى •

غير أن السرعة والجذرية والمثابرة التى عاجت بها الثورة فى
اليمن الديمقراطية هذه الأنماط حتى تم لها انشاء بنية اقتصادية
— اجتماعية جديدة ذات توجه اشتراكى هى ما يميز هذه الثورة ،
وما يمثل سيماء وجهها وخصوصيتها •

نحن لا نزعم أن الأنماط الأخرى قد اندثرت •• ولكننا نقول
أنها ذات طابع هامشى اذا ما قورنت بالنمط الديمقراطى الثورى ذى
الوجهة الاشتراكية ، الذى يمثل الحلقة المركزية واللوحه المستقبلية التى
تتشكل خطوطها وملامحها وألوانها الزاهية يوماً بعد يوم •

ونحن لا ننكر الافرازات الأيديولوجية المتخلفة التى ما زالت تلوث
الحق التجربة الثورية وتلعب دوراً فى اثاره غبار الماضى ، وفى تعميم
الطريق الثورى ، الى جانب السموم الأيديولوجية والمكائد السياسية

٣٤٤ -

التي تصذرهما الأوساط الاستعمارية والرجعية ، بغية عرقلة مسيرة الثورة •

ولكن السؤال هو : لماذا أمكن للثورة أن تحافظ على توازنها ، دون أن تتعثر أو تسقط أو تتنكس ، بل وأن تواصل مسيرتها الثورية ، وأن تتقدم باستمرار خطوات أبعد الى الأمام ؟

الجواب يكمن في طبيعة التشكيلة الاقتصادية - الاجتماعية الجديدة الآخذة في التكون وفي دفع المجتمع بجميع مؤسساته وكل منظومته السياسية والأيدولوجية في طريق الثورة الاشتراكية ، ومن ثم في طريق تجاوز كل الأنماط الأخرى الموروثة عن الماضي الاقطاعي وما بعد الاقطاعي وعن العهد الاستعماري •

ليس شرطاً أن تضي التجربة في خط صاعد مستقيم • فكما ان ذلك غير ضروري فهو غير ممكن •

المهم أن تكون التجربة ، وأن تظل على خط التقدم ، الذي يتخذ له في سيره منحنيات وزوايا متعرجة ، ولكن متصاعدة أبداً نحو الثورة الاشتراكية ، نحو الذروة التي لا ذروة بعدها للاشتراكية •

ان تحدث مفاجآت ، وحروب استعمارية ، وحروب أهلية ، وكوارث اجتماعية ، وزلازل طبيعية وتراجعات وقتية • • • لذلك أمر مفترض ومحسوب في قوانين التطور ، وفي عرف الحياة ، ولكن الشيء الأساسي والجوهرى هو مضى حركة التطور والتقدم باستمرار قدما الى الأمام ، ذلك أن التطور - كما يقول لينين - « تطور على نحو لولبى ، اذا صح التعبير ، لا على نحو خط مستقيم ، - تطور بفترات وكوارث وثورات ، - « انقطاعات في التدرج » ، تحول الكمية الى كيفية ، اندفاعات داخلية نحو التطور يثيرها التضاد والتصادم في القوى

— ٣٤٥ —

والاتجاهات المتميزة التي تعمل في جسم معين ، أو في حدود ظاهرة معينة ، أو في قلب مجتمع معين » (لينين ، مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقدم ، موسكو ص ٢٦) •

لوحة الثورة العامة والساظمة :

لقد تعرضت الثورة في اليمن الديمقراطية لذلك كله ، وليس هناك ضمانة لدى أحد بالألا يحدث شيء من ذلك على الإطلاق •

غير أنه يمكن — اذا ما فحصت الثورة ملف تجربتها بعين نقادة — تجنب أشياء كثيرة ، وقطع الطريق على كل مراهنه على بقايا الماضي ودماسئس الثورة المضادة في أن تؤثر على مسار الثورة أو تعرقل توجهها التقدمي •

ومن أجل ذلك دعا الحزب الاشتراكي اليمني الى اقامة كونفرانس عالم في يونيو ١٩٨٧ للقيام بعملية الفحص الشاملة لهذه التجربة الثورية ، وشكل لهذا الغرض لجانا تحضيرية وإدارية وإعلامية ، وكلف مجموعة خاصة بوضع وثيقة تحليلية تكون أساسا لعملية التقييم هذه التي سينهض بها الكونفرانس •

ودعت الثورة الاعتيادية السابعة للجنة المركزية التي انعقدت ما بين ٦ — ٨ يناير ١٩٨٧ رجال الكلمة الى المشاركة في عملية التحضير هذه بنقدديم رؤيتهم حول مسار التجربة « وممارسة النقد بصورة موضوعية وبعيدا عن الاثارة » (صحيفة ١٤ أكتوبر ١٩٨٧ — ١٩٨٧) •

وفي هذا الاطار يمكننا القول أنه ورغم المنجذاب الكبيرة التي حققتها الثورة لأن هناك أشياء كثيرة لم تنجزها على النحو المطلوب • ولأنها لم تتمكن من فعل ذلك — نظرا لأن القيام بذلك عملية تاريخية تحتاج الى زمن أطول — فإنه لم يكن هناك مناص من أن تمر الثورة

— ٣٤٦ —

بجملة من التعقيدات والتراكمات السلبية التي لم تكن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ سوى اللحظة التي أعلنت فيها عن نفسها على نحو تجاوز كل حد ، وفاق كل تصور .

لقد كان من أعظم انجازات ثورة ١٤ أكتوبر اقامتها لدولة مركزية في الشطر الجنوبي من اليمن على انقاض الكيان الصوري الهزيل والعميل الذي خلفه المستعمر فيها والمشكل من الشظايا الاقطاعية والكمبرادورية المجمعة بشكل اصطناعي تحت قبعة المندوب السامي البريطاني .

وكما لعبت الجبهة القومية دور القائد للثورة فإنها لعبت دور الباني لهذه الدولة المركزية الوطنية التحررية .

ولقد أمكن للجبهة القومية أن تنهض بهذه المهمة المزدوجة ، لأنها كانت الحلقة الوسطى بين جميع التنظيمات السياسية والبطرة الأساسية التي تجمعت فيها الروايفد من جميع الطبقات والفئات الاجتماعية ، والجسر السياسي الممتد والعريض الذي ربط برباط وطني وشيق كل جزء من أجزاء اليمن الديمقراطية .

ولقد لعب الحس الوطني والكفاح الشعبى المسلح ضد العدو الأجنبى دورا هاما فى جر أوسع الجماهير خلف تنظيم الثورة الجبهة القومية .

كما لعبت عملية التحويل الاجتماعى الواسعة لصالح هذه الجماهير ، والتي تمثلت فى اجراءات الاصلاح الزراعى والتأمين واقامة القطاع العام والتعاونى والمختلط دورا آخر هاما فى تعزيز مكانة هذا التنظيم فى أوساطها .

— ٣٤٧ —

وبقيادته لمنظومة البلاد السياسية الرسمية والشعبية ، ممثلة في أدوات القمع الطبقي والأجهزة الحكومية والاتحادات النقابية والمهنية والتنوعية غداً تنظيم الجبهة القومية هو العمود الفقري لجسم المجتمع والدولة ، والعنصر الأساسي الموحد والقائد لهما ، والدافع والموجه لحركة الثورة ، في المسار الوطني - الديمقراطي .

وبهذه المكانة الخاصة التي احتلها في البلاد ، وبطوره الأيديولوجي الذي مكّنه من الانتقال من المواقع الوطنية الديمقراطية الى المواقع الاشتراكية العلمية ، وبتعاون وتحالف التنظيمات الديمقراطية والتقدمية الأخرى معه وعلى نحو متصاعد باستمرار ، أمكن قيام تنظيم سياسي انتقالي هو التنظيم السياسي الموحد - الجبهة القومية الذي انبثق عنه في أكتوبر ١٩٧٨ الحزب الطليعي : الحزب الاشتراكي اليمني الذي يتولى مهمة قيادة الثورة والدولة والمجتمع على طريق التوجه الاشتراكي ، طريق إقامة اليمن الديمقراطي الموحد ، طريق الاشتراكية ومن ثم طريق التحالف مع قوى العملية الثورية العالمية .

هذا المنحى التاريخي الذي سارت فيه حركة الأحداث في اليمن الديمقراطية منذ قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ وإلى اليوم بين ضخامة وبعدد القفزة العملاقة التي جرت فيها والتي حولتها من موقع تابع للإمبريالية البريطانية ، ومن مهباءة لقوى التخلف الاقطاعية والكومبرادورية والرجعية العميلة الى موقع متقدم في جبهة قوى الثورة العربية وإلى غصيل جسور بين فصائل جيش الثورة الأممية المسك اليوم بزمام المبادرة التاريخية .

كشف السابيات التي بلغت ذروتها بأحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ :

ضمن هذا الاطار الثوري المثير ، وفي ثنايا هذا المنحى التاريخي

— ٣٤٨ —

الهائل ، وفي تضاعيف هذه اللوحة السياسية المشرقة يمكن ويجب البحث عن جوانب النقص والقصور وعن السلبيات والثغرات ، وعن جميع الظواهر المتخلفة والمرضية ، وعن العوامل الموضوعية والذاتية التي أدت آخر الأمر — الى تلك الكارثة الوطنية التي فجعت بها البلاد في ١٣ يناير ١٩٨٦ ، واهتز لهولها جميع الحلفاء وأشرفاء في العالم •

لا نزعم أن جهدا فرديا — أيًا كان — يستطيع أن يشخص ذلك كله ويقدم العلاج الشافي له ، فذلك لا يستطيع النهوض به الا جهد الحزب كله مستعينا في ذلك بكل خبرة نظرية وعملية توضع تحت تصرفه من قبل أحزاب الاشتراكية العلمية الشقيقة ، وعلى رأسها حزب لينين العظيم •

١ — رغم قيام الدولة المركزية الوطنية الحديثة في اليمن الديمقراطية ، الا أن عملية الدمج الوطني ، والتحديث الاجتماعي ، والتجديد الثوري لم تصل الى العمق ، ولم تكن كلية وشاملة ، بحيث تنصهر وتذوب فيها كل الولاءات الضيقة والمقفلة الموروثة — الاقليمية والقبلية والقروية ... الخ — ويتخلق وينبتق عنها ولاء واحد ووحيد ولا منازع له هو الولاء للكيان الوطني الواحد ، مجسدا في اليمن الديمقراطية ، باعتبارها نواة للكيان الوطني اليمني كله ، وصورة مبشرة وواعدة ونموذجية له ، وأساسا متينا يقوم عليه وبه صرح اليمن الديمقراطي الحديث الموحد ، الذي يمهى معه كل ولاء ضيق ومحدود •

٢ — لم تتمكن المنظومة السياسية ، ممثلة في الحزب وأجهزة الدولة ، والمنظمات الجماهيرية — رغم سمتها الوطنية الثورية العسامة — أن تتخلص نهائيا من الموروث القديم ، حيث ظلت بقايا الأيديولوجيات والعادات المحدودة والضيقة تؤثر وتتشدد وتعرقل وتشوش على المسيرة الوطنية ، وعلى الطابع الوطني العام للمؤسسات الرسمية والشعبية •

٣ — في هذا الصدد يتحمل الريف مسئولية خاصة ، من حيث أنه موطن الأنماط القديمة ، ومنبع التقاليد المحافظة ، والنظرة المترتبة ، والتخلف الشديد والنزعة المحلية الضيقة ، والفتوية القروية ، والشبكات الاقليمية ، والعلاقات القبلية والعشائرية * (وهى مظاهر لها وجود في شمال الوطن ، اضافة الى مظاهر أخرى) *

٤ — رغم أن الطبقة العاملة هى أصفى الطبقات الاجتماعية ومسحتها الوطنية العامة أكثر وضوحا ، الا أن بعض الرواسب المحدودة المخدرة من الريف تسربت الى صفوفها *

٥ — تعتبر فئة المثقفين المدنيين والعسكريين المنخرطين في الحزب والمنهدين من شتى طبقات وفئات المجتمع أكثر الشرائح الاجتماعية استنارة ووعيا * غير أنه بسبب الأصول البرجوازية الصغيرة للكثير منهم بكل ما ينجم عنها من محدودية النظرة الاجتماعية والسياسية لم يتمكنوا من امتلاك الوعي الاشتراكي الكامل ، والوضوح الأيديولوجي التام ، ولم يتمكنوا من ثم من حسن الأداء السياسى والتصرف بنضج وتفهاء *

٦ — رغم أن سكان المدن اليمنية — وعلى رأسها العاصمة عدن — كانوا منذ الخمسينيات أكثر تنورا وديناميكية سياسية ، الا أن نمط الحياة الاستهلاكية الذى أخذ يغزو البلاد بفعل تأثير حقبة النفط وأموال كبار البرجوازيين المغتربين أو العائدين ، قد ترك أثره على يغلطة وهمة وثورية اعداد واسعة من سكان هذه المدن ، الى حد أن بلغ هذا التأثير بيت الزوجية ، حيث تؤثر الفتاة الزواج من مغترب ثرى على الزواج من مناضل كادح *

٧ — وعدا تأثير البرجوازية التقليدية ، وجيوب البرجوازية الريفية ، لانه نمت بشكل ملحوظ ومؤثر على أوضاع المجتمع والدولة

والحزب عناصر بيروقراطية وتكنوقراطية غير متجاوبة مع منحى الثورة الديمقراطية وتوجهها الاشتراكي • وتعمل بأساليب ملتوية على إهتداء اقتصاد وتجارة البلاد مرتبطين بالسوق الرأسمالية ، ومن ثم تعمل على عرقلة تحررها الاقتصادي الكامل والاقتراب أكثر فأكثر من السوق الاشتراكي •

٨ — لم يكن كل شيء يسير على ما يرام في قطاع الدولة الزراعي ، وخاصة في القطاع التعاوني الذي عانى من التعثر أكثر من سواء من المجالات الأخرى في البلاد ، ناهيك عن أعمال التلاعب التي حدثت في محطات تأجير الآليات الزراعية لصالح القطاع الخاص الذي توسع في بعض الحالات على نحو غير قانوني •

٩ — مثل قطاع المقاولات الذي تضخم — رغم محدوديته — عنصر استغلال الأموال الدولة وعنصر الفساد لبعض موظفيها ، والبـؤرة الأساسية للبرجوازية الطفيلية •

١٠ — لم تقم في البلاد خلال المرحلة القصيرة من عمر الثورة القاعدة الصناعية — التكنولوجية المتينة التي من شأن قيامها أن يحدث تغييرا هائلا في البنية التحتية للمجتمع وأن يلعب دورا حاسما في عملية تحديث وتطوير الحياة الاجتماعية ، وأن يفسخ ويقضى على البنى والأنماط الاقتصادية والاجتماعية القديمة والمتخلفة ، وأن يضاعف — أولا وقبل كل شيء — من عدد الطبقة العاملة ، ويساعد على بلورة وعيها الاجتماعي — الطبقي ، وتمكينها — آخر الأمر — من أن تتواجد على نحو مكثف في بنية الحزب التثليمية ومن أن تحتل موقعها القيادي الفعلي على رأس الحزب والدولة والمجتمع •

١١ رغم احتكاك الدولة للتجارة الخارجية الا أنه جرى تحايل فعلى على ذلك من خلال التشجيع غير القانوني لبعض التجار ذوي

الأموال الخارجية على استيراد السلع ، دون تحويل عملة ، من السرقة
الرأسمالى العربى والأجنبى ، بكل ما يصاحب ذلك من احتمالات تقديم
رشوة للموظفين المعنيين ، ومن اقتراب مؤثر من بعض كبار المسئولين •

١٢ — رغم الأهمية التاريخية والثورية العظمى لقيام الحزب
الطليعى ، الا أن فترة التحضير لقيامه كانت من القدر ، بحيث لم تتح
لعناصره وكوادره وقياداته الوقت الكافى للتمازج والانصهار والذوبان
فى كلية حزبية واجدة بحيث ينفصل كل فصيل من الفصائل التى تكون
منها الحزب عن تجربته السياسية والتنظيمية الخاصة ، وعن الحنين الى
أساوبه الخاص فى العمل والأداء • كما أن الدماء الجديدة التى دخلت
الحزب بعد التوحيد كانت تفتقد التجربة الضرورية ، والنضج السياسى
والثقافى المطلوب ، وكانت — فى الأغلب الأعم — اضافة كمية الى الحزب
أكثر منها اضافة نوعية •

٢٣ — رغم التحولات الثقافية والتعليمية والتربوية التى حدثت
فى البلاد من خلال المدارس والمعاهد والجامعة والبعثات المرسلة الى
الخارج والخبراء والمحاضرين العرب والأجانب وخاصة من البلدان
الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ، ورغم الالتزام بمنهج
الاشتراكية العلمية فى قيادة هذه العملية ، الا أن البنية الأيديولوجية
للمجتمع والدولة لم تتوحد ، حيث ظل هناك وجود لمختلف الأيديولوجيات
الطبقية ، مما عكس نفسه حتى على وضعية الحزب وأدخل الاضطراب
والتشويش على رؤية الطبقة العاملة ونظريتها العالمية لدى أقسام منه ،
وأثر من ثم على سياسته وتكتيكاته ، بل وأثر على وحدته التنظيمية
والفكرية •

١٤ — لم يجز التنبيه الى ضرورة وأهمية الثورة الثقافية التى تغمر
الريف والمدينة والقرى لا تكتمل الثورة الاجتماعية بدونها ، والتى

لا تستطيع الثورة قطع المرحلة الديمقراطية ، والانتقال الى المرحلة الاستراتيجية قبل تحقيقها • ولم يتم التوقف عند تعليمات لينين ، الواضحة والمركزة في هذا الصدد •

١٥ — كان هناك خرق واضح لمبدأ القيادة الجماعية والمركزية الديمقراطية وللأسس التنظيمية اللينينية التي لا وجود لحزب طليعى بدونها • وبدون التقيد الصارم بها • وكان هناك ميل الى التكنيلية ، والى الولاء الشخصى ، بل والى النزعة المحلية ، والولاء للجماعة المنتمية الى هذه المنطقة أو تلك ، مما أصاب وحدة الحزب بشرخ حقيقى ظل يكبر ويتسع ، دون أن يبذل الجهد الكافى والشامل لمعالجته منذ البداية ، والحيولة من ثم دون توسعه وتعمقه •

١٦ — جرى خروج شعلى على مبدأ الديمقراطية الداخلية للحزب ، مما عكس نفسه على مختلف المؤسسات الرسمية والمنظمات الجماهيرية ، وعلى مصداقية التوجه الديمقراطى الشعبى ، وجرى الى معالجة قضايا الحزب والدولة بطرق ملتوية تذكر بمؤامرات القصور التى كان يلجأ اليها الملوك والأئمة والسلاطين وكل طامح فى الاستئثار بالعرش والسلطة السياسية •

١٧ — تنكب النهج الديمقراطى الحزبى والشعبى واستسهل النهج التأمري فى معالجة معضلات الثورة الوطنية الديمقراطية ، هذا النهج الذى مارسه اليمين الانتهازى فى انقلاب ٣٠ مارس ١٩٦٨ وقبيل حركة التصحيح مباشرة ، ومارسة اليسار الانتهازى باقدامه على انقلاب ٢٥ يونيو ١٩٧٨ •

غير أن هذا النهج بلغ ذروة غير مشهودة ولا مسبوقة بأقدام على تناصر على تدبير أحداث ١٣ يناير الانقلابية الدموية ، هذه الأحداث التى كانت نتاجا لكل ما سبق حصره من العوامل ، بل ولغير

ذلك من العوامل التى لم نتوفر على رصدها هنا ، والتى تتطلب مزيداً من التنقيب والبحث والاستقصاء .

كيف ترى سلبيات الحزب الاشتراكى اليمنى فى ضوء الوقفة النقدية لحزب لينين أمام سلبياته ؟؟

لكم شدد لينين ، أسوة بماركس وانجلز ، على ما أسماه « الديمقراطية المستقيمة » التى لا تستطيع الثورة الاجتماعية الأصلية أن تمضى الى الأمام بدونها ، والتى تميز الثورة الديمقراطية التى تقودها الطبقة العاملة من خلال حزبها الطليعى عن الثورة الديمقراطية التى تقودها البرجوازية الصغيرة والتى تنتهى دائماً الى الهلاك .

الديمقراطية المستقيمة المجسدة لمصالح ومطامح العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الاجتماعية الكادحة والمنتجة تؤول حتماً الى الاشتراكية ، وعبرها تتحقق كثير من الانجازات ذات الطابع الاشتراكى .

والديمقراطية المستقيمة لا تحتل أى شكل من أشكال العمل السياسى والحزبى الملتوى والتأمري ، فالجماهير ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والمتطلعة الى بلوغ الاشتراكية عبر الممارسة الديمقراطية الحزبية والشعبية ووفق وثائق الحزب ودستور الدولة المقررة والموضوعة من وجهة نظر الاشتراكية العلمية فى غير حاجة الى الممارسة الملتوية والتأمرية . فذلك مما لا يتفق مع طابعها الشعبى ومصالحها السياسية ولا يتناغم مع سعيها نحو الديمقراطية والمزيد من الديمقراطية .

الالتواء فى العمل السياسى هو داب قوى اجتماعية أخرى غير مؤمنة ولا منتشعة بالديمقراطية ، ولا مستعدة لتقبل مفهوم الديمقراطية المستقيمة بكل ما يقود اليه من تحويل المجتمع والدولة فى اتجاه الاشتراكية ، وفى اتجاه بناء مراح الديمقراطية الاشتراكية ، أكمل وأرقى شكلاً للديمقراطية .

يكفى أن نستحضر هنا في مضممار التأكيد على أهمية اشاعة الديمقراطية الشعبية بأوسع معانيها في حياة البلاد تلك الحملة الشاملة التى يقودها الحزب الشيوعى السوفيتى بقيادة أمينه العام جورباتشوف منذ الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب فى أبريل ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرين للحزب ، والتى تتخذ من عملية تعميق الديمقراطية الاشتراكية والتغيير الاجتماعى عنوانا لها ، والتى طالت بالنقد والنقد الذاتى كل شئ فى المجتمع والدولة والحزب ، واعتبرت أنه ليست هناك مناطق محظورة أو محرمة أو محايدة لا يمكن الوصول إليها واخضاعها من جديد للفحص والمراجعة والتقييم والنقد والتصحيح والتقويم ، بما فى ذلك تاريخ الحزب وتاريخ التجربة الاشتراكية .

لا بأس من ايراد بعض الفقرات الانتقادية التى تضمنها تقرير جورباتشوف فى الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى ٢٧ يناير ١٩٨٧ ، والتى لا تعدو أن تكون غيضاً من غيوض هذه الحملة العارمة . فهى تقدم مثلاً نموذجياً لجميع أحزاب الاشتراكية العلمية ، ولا سيما الحاكمة منها - لكيفية الوقوف الجاد والصارم أمام تجربة الحزب .

ومثل هذه الوقفة مطلوبة أكثر من حزب حديث التكوين وذى خبرة محدودة فى مجال البناء الحزبى وقيادة المجتمع والدولة ، وفى ظروف داخلية وخارجية بالغة التعقيد والصعوبة .

والحزب الاشتراكى اليمنى واحد من هذه الأحزاب الحديثة النشأة والخبرة التى تحتاج الى الاستفادة القصوى من تجارب الأحزاب الطليعية العريقة والرائدة فى مضممار نقل أوطانها من المرحلة الديمقراطية الثورية الى المرحلة الاشتراكية ، فالاشتراكية المتطورة ، وعلى أسسها حزب لينين العظيم .

والحزب الاشتراكي اليمني يحتاج الى ذلك أكثر ، وهو يقوم بعملية تقييم لتجربته وتجربة الثورة ، بغية اصلاح الأخطاء ، والتغلب على الأسباب التي أدت الى ذلك النهج غير الديمقراطي وغير السليم والمتناقض مع جوهر المبادئ التي يقوم عليها ، والذي كانت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ أمر وأبرز وأسوأ نتائجه •

جاء في التقرير أنه خلال الفترة الماضية « ازدهرت الميول البيروقراطية والشككية ، وتبلورت حالات التطير الشديد من النقد • وفي جملة من الحالات أخذت الأطماع المتجاوزة لحدود التحمل تتغلب على التقويمات والتقويمات الذاتية الواقعية » ••

« لقد انعكست أوضاع الحزب نفسه ، وأوضاع ملاك كوادره أيضا على الوضع الاقتصادي الاجتماعي والسياسي الذي نشأ في تخوم عقدي السبعينات والثمانينات •

لم تتمكن أجهزة الحزب القيادية من أن تقيم في الوقت المناسب تقريبا انتقاديا خطرا تنامي الاتجاهات السلبية في المجتمع وفي تصرفات قسم من الشيوعيين ، وأن تتخذ القرارات التي تطلبها الحياة بالحاح •

ولم يقدر العديد من منظمات الحزب القاعدية على التمسك بالمواقع المبدئية • وهي تمتلك القدرات الهائلة وتنشط عمليا في داخل كافة أسر العمل • ولم تخض كل منها النضال الحازم ضد الظواهر السلبية واستباحة كل شيء والتكافل في السوء ، ضد ضعف الانضباط وانتشار الكسر • ولم يجز التصدي اللازم دائما للمصلحة والنزعة المحلية الضيقة ولما ظهر التعصب القومي •

ان منظماتنا الحزبية كانت تعوزها في بعض الأحيان الكفاحية ••• والانتباه الى تكوين الخصال الفكرية والسياسية لدى الشيوعيين • ومن

ناغل القول أن الدرجة العالية من الالتزام الفكرى وعمق الوعي والادراك والاستعداد لجعل المصالح الشخصية خاضعة للمصالح العامة والتفانى في خدمة الشعب هي أروع الخصال التى تميز بها دوماً البلاشفة .

وأثر في الوضع القائم في الحزب أيضاً أن الأجهزة الحزبية لم تعرف عدد من الحالات الاهتمام اللازم لمراعاة المبادئ والقواعد اللينينية في الحياة الحزبية مراعاة صارمة . ولعمري أن هذا ظهر أكثر ما ظهر في انتهاك مبدأ الجماعية في العمل ، وإننى أقصد هنا أضعاف دور الاجتماعات الحزبية والهيئات المنتخبة ، وهو ما حرم الشيوعيين امكانية المشاركة بنشاط في مناقشة القضايا المهمة حيويًا ، وفي خاتمة المطاف التأثير فعلياً في الوضع في أسر العمل وفي المجتمع ككل .

كما تم الاخلال ، أحياناً كثيرة ، بمبدأ تساوى الشيوعيين : فالعديد من أعضاء الحزب الذين تسنموا مناصب قيادية باتوا بلا حسيب ولا رقيب عليهم ، مما أدى الى الفشل في العمل وإلى انتهاك خطير لأدب السلوك الحزبى .

ولا مجال للسكوت أيضاً عن سخط الشغيلة العادل على تصرف أولئك القياديين الممنوحين الثقة والصلاحيات والمفترض بهم أن يذودوا عن مصالح الدولة والمواطنين ، بينما راحوا أنفسهم يسيئون استعمال السلطة ويكبحون الانتقاد ويكدسون الثروات ، حتى أن بعضهم قد ضلّع في أعمال إجرامية ، ان لم يكن مدبرها .

تبدت في أشد أشكالها امتساخا العمليات السلبية من انحطاط الكوادر وانتهاك الشرعية الاشتراكية ... » .

كما « ينبغي الاقرار بأنه لم يتم التمكن خلال هذه السنوات من وضع حاجز متين يوجه الأشخاص غير الشرفاء المساكرين الطماعين

الذين يسعون الى المكاسب من وراء البطاقة الحزبية *

أننا قد تراجعنا الى حد ما عن القاعدة القائلة : ليس المهم عدد الأعضاء الجدد ، بل نوعية الصفوف الحزبية * وهذا انعكس على كفاحية المنظمات الحزبية » *

إذا ما طالع الحزب الاشتراكي اليمني وجهه في مرآة هذا النقد ، فلسوف يكتشف أن فيه كثيرا من الندوب والجروح والقسامات غير السارة أكثر بكثير مما لدى حزب البلاشفة *

وإذا كانت هذه هي الظواهر السلبية في حزب لينين بعد حوالي تسعة عقود من وجوده ونضاله ، ويعد حوالي سبعين سنة من عمر اعلانه ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقيام الاتحاد السوفيتي ، فلا شك أنه وجدت في حزب وليد استخلص من برائن مجتمع متخلف كالحزب الاشتراكي اليمني ظواهر سلبية أكثر بكثير *

بدون الاقرار بذلك لا يمكن فهم كيف أمكن حدوث ما حدث في ١٣ يناير ١٩٨٦ ولا كيف يمكن الحيلولة دون حدوث تراكمات سلبية أخرى يتكرر بها ما حدث في ذلك اليوم المشؤوم *

ان اقدام الحزب على وضع وثيقة تحليلية حول تجربته تؤكد ليس فقط اقراره بهذه الحقيقة القاسية ، وانما أيضا عزمه على تصحيح الوضع ، ومنع تعرض الحزب والبلاد لمأساة أخرى *

الأمولة الثورية التي يقدمها حزب لينين في مضمار التغيير والتجديد والديمقراطية :

غير أنه من المهم أولا معرفة كيف عالج حزب لينين الظواهر السلبية في صفوفه وفي الدولة والمجتمع ، فمعرفة ذلك تزودنا بدرس ثمين نحن أشد ما نكون حاجة اليه *

يقول جورباتشوف في التقرير الآنف الذكر :

« كل ما قيل ، يا رفاق ، يشهد على ما صار اليه الوضع من خطورة في شتى ميادين المجتمع ومدى ضرورة التغييرات في العمق • ومن الأهمية بمكان التأكيد التالى مجددا : لقد وجد الحزب في ذاته القوة والجرأة لتقييم الوضع بشكل منصف ، والاقرار بضرورة التغيير الجذرى في السياسة والاقتصاد وفي المجالين الاجتماعى والروحى والانعطاف بالبلد الى طريق التحولات •

وفي ظل هذا الوضع طرحت ، أيها الرفاق ، مسألة تعجيل التنمية لاقتصادية والاجتماعية مسألة التغيير (التجديد) • والمقصود في جوهر الأمر هو الانعطاف والتدابير التى تتسم بطابع ثورى • نحن عندما نتحدث عن التغيير وما يرتبط به من عمليات اشاعة الديمقراطية في المجتمع على أكمل وجه ، نقصد بقولنا هذا تحويل المجتمع تحويلا ثوريا وشاملا حقا وفعلا •

مثل هذا الانعطاف الجذرى ضرورى ، وليس أمامنا سوى هذا السبيل • والتراجع غير جائز ، بل أنه مستحيل •

وبتساءل جورباتشوف عما اذا كانت هناك ضمانات فعلية لأحداث مثل هذا الانعطاف الثورى والجذرى ويجيب بالايجاب كما يلى :

« ان تحليل الحالة التى وجد نفسه فيها مجتمعنا قبيل اجتماع نيسان (أبريل) الكامل للجنة المركزية ، وخبرة التغيير ، طرحان بكل الحاح أهم مسألة وهى : الدينا ضمان بأن عملية التغيير التى بدأت ستواصل حتى النهاية ، وأن الأخطاء السابقة لن تتكرر ، واننا سنستطيع تأمين نمو مجتمعنا على النحو المطلوب ؟

عن هذه الأسئلة يجيب المكتب السياسى مؤكدا : نعم ، لدينا مثل هذه الضمانات •

انها وحدة ارادة ووحدة عمل الحزب والشعب اللذين تجمعهم
خبرة ما عايشاه ، وادراكهما المسئولية الملقة عليهما عن حاضر ومستقبل
وطننا الاشتراكي .

انها أيضا تطوير ديمقراطية النظام الاشتراكي من كافة الفواحي ،
ومشاركة الشعب الفعلية والمتزايدة النشاط في حل كافة المسائل المتعلقة
بحياة بلادنا ، والاستعادة الثامة للمبادئ اللينينية ، مبادئ العلانية
والرقابة الاجتماعية ، والنقد والنقد الذاتي ، والنزاهة والاخلاص
السياسيان اللذان يتجسدان في تطابق الأقوال والأعمال .

وأخيرا ، انها تطور الحزب نفسه تطورا سنيما ، وقدرته على
التحليل الانتقادي لنشاطه وعلى تجديد أشكال وطرق عمله ، وتحديد
آفاق تطور المجتمع على أساس النظرية ، والنضال من أجل المهام
الجديدة التي تطرحها الحياة .

وتعميق الديمقراطية الاشتراكية ، وابداع المواطنين السوفيت
الخلاقة ، ودور الشيوعيين الطبيعي في الشؤون العملية — كل ذلك
بالذات يضمن نجاح التحولات الثورية التي أقرها المؤتمر السابع
والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي ، ويجعلها مستمرة لا رجعة
فيها » (أنظر تقرير ميخائيل جورباتشوف في « أبناء موسكو ،
ملحق العدد ٦) .

على أن اجابات جورباتشوف عن توافر ضمانات الانعطافة الثورية
في الاتحاد السوفيتي تصلح أيضا لجميع البلدان الاشتراكية ، كما تصلح
كذلك لبلدان التوجه الاشتراكي ، ومنها اليمن الديمقراطية ، حتى مع
وجود فوارق في مستويات التطور التاريخي بين الاتحاد السوفيتي وهذه
البلدان .

— ٣٦٠ —

فالمهم في جميع الأحوال هو وجود الحزب الطليعى القائد للعملية الثورية ووحدة عمله والتفاف الشعب حوله ، وإشاعة الديمقراطية الواسعة والعميقة في صفوفه وفي الدولة المجتمع ، وضمان الاشتراك الكامل للشعب في العملية الثورية ، والانضباط التام والواعى للمبادئ التنظيمية اللينينية في حياة الحزب ، وجعل الجماهير الشعبية شريكا فعالا في الرقابة الاجتماعية الى جانب الرقابة الحزبية العليا ، وممارسة النقد والنقد الذاتى باستمرار ، والتحدى بالاستقامة والنزاهة والتجرد والمبدئية عند مباشرة أى مسئولية ، وربط الأقوال بالأفعال ، وقدرة الحزب على تطوير نفسه باستمرار ، وتربية وإعادة تربية أعضائه وكوادره وقياداته والابتكار الدائم لوسائل وأشكال العمل الأكثر ملاءمة وفعالية وجدوى ، وامتلاك الروح الخلافة والمبدعة والمجددة أبدا ، واستشراف المستقبل دائما ، والتحديد العلمى للطرق العلمية الضامنة لبلوغه ... الخ .

اعراب جورباتشوف عن الثقة في قدرة الحزب الاشتراكى اليمنى على مواصلة قيادة مسيرته الثورية :

وليس هناك شك في أن الحزب الاشتراكى اليمنى الذى تمنى من تخريب آمال القوى المعادية بخروجه من قلب المحنة التى أدلقت عليه وعلى الثورة والبلاد بفعل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية التى ألحقت الأصدقاء والشرفاء في كل مكان من العالم يمتك تلك المبررات التى تجعله يؤكد أن لديه من الضمانات وسيتوفر لديه من الضمانات ما يكفى ليس لأن يرسم الجراح ، ويرأب الدسدع ، ويقوم وحده الحزب ، ووحدة الشعب ، ووحدة المجتمع ، ووحدة الوطن ووحدة المؤسسات الرسمية والجماهيرية ، على أوثق وأقوى مما مضى فحسب ، وإنما أيضا لأن يضمن بمسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية الى نهايتها المظفرة ، وأن ينتقل بالمجتمع الى الرحاب الاشتراكية عبر فضائه في ذات الوقت من أجل تحقيق وحدة الوطن اليمنى ذلك سائى أسس ديمقراطية

— ٣٦١ —

وأن يستعيد ويثبت موقعه الطليعى والمرموق فى اطار حركة الثورة العربية ، وأن يرسخ مكانته فى اطار حركة الثورة العالمية •

ذلك أيضا ما استشفه وأكد عليه بقوة أمين عام الحزب اليسوعى السويشى ميخائيل جورباتشوف فى الكلمة التى القاها فى المأدبة التى اقامها تكريما للوفد الحزبى اليمنى الديمقراطى برئاسة أمينه العام الرفيق على سالم البيض : « ان شعب اليمن الديمقراطى عاش فترة صعبة وواجه محنا عصيبة : غالا الأحداث المأساوية التى وقعت فى كانون الثانى (يناير) ١٩٨٦ والضحايا البشرية الكبيرة والدمار اثارته أسى صادقا لدى المواطنين السويش •

وانطلاقا من واجب الصداقة والتضامن سعينا الى مساعدة الأصدقاء اليمنيين فى تذليل الازمة والاسراع فى ايقاف اراقة الدماء •

ولدى ذلك لم تفارقنا الثقة قط بأن الحزب الاشتراكى اليمنى سيتغلب على المحنة ، ويستخلص منها العبر الصحيحة ، ويستجمع قواه لتصحيح الأخطاء المرتكبة ، ويحافظ على النظام التقدمى فى البلاد الضرورى لشعبها للغاية •

وبدعم الأصدقاء زادت اليمن الديمقراطىة عن حقها فى تقرير مصيرها بنفسها من دون تدخل خارجى •

ونتمكن الحصيلة الرئيسة للعمل المتعلق بإزالة آثار أحداث كانون الثانى (يناير) فى صمود النظام التقدمى فى البلاد ، وحصول الحزب الاشتراكى اليمنى على امكانية مواصلة تطوير البلاد طبقا للاختيار الذى قام به الشعب اليمنى الجنوبى •

ان الهدوء فى البلاد ، وتعزيز وتوسيع مكسبات الثورة اليمنية

الجنوبية ، هي ضمان كذلك لاستعادة المواقع الدولية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومكانتها .

نتمنى لكم ، أيها الرفيق على سالم البيض ولكل قيادة الجمهورية ، اجتياز المعبر الوعر بسرعة ، وتوحيد الحزب والشعب في نمط الدولة الديمقراطية التقدمية وفي النضال من أجل المصالح الوطنية لليمن الديمقراطية . وواضح مدى أهمية هذه المهمة . وفي حلها يلقي الأصدقاء اليمنيون الجنوبيون وسوف يلقون الدعم الثابت من جانب الاتحاد السوفيتي » (نص الخطاب كاملا في صحيفة « ٢٤ أكتوبر » ١١-٢-١٩٨٧) .

ظروف الحزب الاشتراكي اليمني أكثر مواتاة للتطور والتطور من ظروف الحزب الثوري الشعبي المنفولى :

في ضوء كل ما سبق يتحتم علينا الرد على جملة من الأقاويل والتخرصات والتخريجات التي تلبس ثوب التنظير والمشككة في طبيعة النهج الذي سارت عليه الثورة في اليمن الديمقراطية والتي اتخذت من أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ مناسبة لاعادة تشويهاتها لمجمل التجربة الثورية .

فوفقا لهذا السائل الأسود الذي يقذف به وجه الثورة فإنه لم يكن هناك ولن يكون هناك في اليمن الديمقراطية الا حروب قبلية ، بغية الاستئثار بالسلطة ، وفرض حكم القبيلة الأقوى على جميع القبائل ، وأنه لم يكن ولن يكون فيها لا توجه اشتراكي ، ولا حكم ديمقراطي نوري . ولا حتى حكم وطني .

واضح أن من يفكر على هذا النحو يحمل عقلية أثرية محضة ، ولا علاقة له بحياة العصر الذي مس التطور الذي حدث فيه كل شيء حتى أوضاع القبيلة والعشيرة .

— ٣٦٣ —

على أن الأمر ليس مجرد نظرة جامدة متخلفة ، ولا مجرد جهل وقصور في الفهم ولا حتى سذاجة وبلاهة سياسية ، وإنما هو بالأحرى موقف سياسى مقصود ، هدفه تزييف الحقيقة ، وتشويه الواقع ، وتضليل الرأى العام ، وتصوير أنه لم يحدث شيء منذ جلاء الاستعمار البريطانى من البلاد حتى اليوم . فليست هناك ثورة ولا منجزات ثورية ، وليس هناك وطن متحرر ، متطور ، ولا وطنية . واذن فإن على جماهير الشعب أن تبحث لها عن بديل يخلصها من صراعات القبائل الدورية على الحكم .

ليس لنا أن نواجه مثل هذا الطرح الشائى المشوه بالسخرية والازدراء ، ولا بالابتسام والضحك من مروجيه ، وإنما علينا أن نفترض حتى لدى بعض مروجيه أنهم يعنون ما يقولون وأن تلك هى قناعتهم ، وأن ذلك هو مستوى فهمهم .

وعلى أساس هذا الافتراض علينا أن نحاورهم .

لقد قلنا فى مطلع هذا البحث أن الأنماط السابقة للرأسمالية وحتى السابقة للاقطاعية لم تمنح تماما ، وأن بقاياها الأيديولوجية والسيكولوجية لم تختف دفعة واحدة ، وأنها من ثم لعبت دورا فى حدوث ما حدث .

وقلنا أن الشيء الأساسى هو تكون بنية اقتصادية — اجتماعية جديدة عكست نفسها فى بنية الدولة ، وأنه بفضل ذلك أمكن ليس فقط تحجيم أثر الأنماط السابقة واثرااتها الثأرية والمتخلفة ، وإنما أيضا الامساك بزمام الموقف السياسى وقيادة الثورة ، وتوجيهها وجهتها المرسومة سلفا .

ولقد خرجت الثورة ، بفضل حزبها القائد ودعم الحلفاء وعلى رأسهم حزب لينين ، من المأزق ، وثبتت أركان النظام التقدمى ،

— ٣٦٤ —

ومضت في مسيرتها النضالية المحددة والمجيدة • والوضع اليوم في اليمن الديمقراطية ، رغم كل ما جرى فيها من أحداث جسام ، هو أفضل بكثير من وضع منغوليا العشرينيات ، الذي استحق من لينين المباركة والتأييد : « أنا شخصياً اشترك في الحركة الثورية منذ ٣٠ سنة ، وأعرف بتجربتي الشخصية مبلغ الصعوبة التي يجابهها كل شعب في التحرر من مستعبدية الخارجيين والداخليين • ولكن منغوليا • رغم أنها بلد تربية الماشية ، ورغم أن سواد سكانها رعاة رحل ، قد حققت نجاحات كبيرة في ثورتها ، والرئيسي أنها وحلّت هذه النجاحات بإنشاء حزبها الثوري الشعبي ، ومهمته أن يصبح حزباً جماهيرياً ، وأن يحول دون العناصر الغريبة وتوسيعه » (لينين ، حركة شعوب الشرق التحررية الوطنية ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٣٦١) •

والحزب الاشتراكي اليمني هو اليوم في وضع أكثر تطوراً بكثير من الحزب الثوري الشعبي المنغولي في مطلع العشرينيات • وما اعتورته من اختلالات وانشقاقات وما أصيب به من عاهات عائد بالدرجة الأولى الى أن البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية الجديدة لم تكن قد استكملت تكوينها ، والى أن الأنماط القديمة والنمط البرجوازي الصغير في الريف والمدينة كانت تتسارع وتحاول التنفيذ الى الحزب والدولة معا • غير أن المهم في الأمر هو احتفاظ الحزب بالزمام في يده ، وقدرته على الحفاظ على النظام الثوري الذي أقامه ، وعزمه على معالجة الشروخ والجروح والعاهات التي أصيب بها • وعلى استكمال بناء التجربة الثورية ، وآفاقها على أرسخ القواعد الاقتصادية وعلى المضي قدماً في عملية تحديث المجتمع ، وتعزيز الوحدة الوطنية والاجتماعية ، وإشاعة الديمقراطية داخله وداخل المجتمع ، وإعادة تربية أعضائه والمجتمع عموماً بروح الوطنية العميقة وبالثقافة الديمقراطية والتقدمية والانسانية ، مسئلتها في ذلك نظرية الاشتراكية العلمية والأممية البروليتارية •

ان الظروف الداخلية والخارجية في الربع الأخير من القرن العشرين هي أكثر مواتاة له من ظروف الربع الأول والثاني من القرن العشرين التي كانت تحيط بالحزب المنغولي والذي تمكن مع ذلك بفضل سيره على هدى التوجيه اللينيني وفصل الدعم السوفيتي أن ينقل الثورة المنغولية من المرحلة الديمقراطية الى المرحلة الاشتراكية بعد مضي عشرين عاما فقط من قيامها •

لقد جاء في التوجيه اللينيني ردا على سؤال الوفد المنغولي عما اذا كان « ينبغي على الحزب الثوري الشعبي أن يتحول الى حزب شيوعي ؟ » - جاء فيه : « أنا لا أوصي بهذا ، لأنه لا يجوز » تحويل « حزب الى آخر » ذلك أن الحزب الشيوعي هو حزب البروليتاريا ولأجل ذلك فإنه « لا يزال يترتب على الثوريين أن يبدلوا الكثير من الجهد في بنائهم السياسى والاقتصادى والثقافى قبل أن ينشأ من عناصر الرعاة جمهور بروليتارى يساعد فيما بعد على تحويل « الحزب الثورى الشعبى الى حزب شيوعي • ان مجرد تغيير اللافتة ضار وخطر » (المصدر السابق ، ص ٣٦٢) •

في امكاننا أن نجزم بأن قيام الحزب الاشتراكى اليمنى في أكتوبر ١٩٧٨ بعد القضاء على التيار اليسارى الانتهازى ذى العمق اليميني القروى الذى رفض الاقدام على هذه الخطوة بحجة أن الظروف الداخلية والخارجية لا تساعد على ذلك - أن قيامه ليس مجرد تغيير لافتة ديمقراطية بلافتة اشتراكية ، وانما مثل نقلة نوعية الى حد كبير لعب فيها عبد الفتاح اسماعيل دورا بارزا •

والعبرة المستخلصة من أحداث ١٣ يناير واطفاء الماضى ليس العودة الى الوراء ، وانما التفتيش عن مكامن الخلل والضعف والمبادرة الى معالجتها واصلاحها ، والتقدم الى الأمام •

وهى عملية اجتماعية وسياسية وثقافية لا تنجز الا فى مدى تاريخى كامل ، من حيث انها تعنى الشروع فى تصنيع البلاد ، بما يعنيه ذلك من اتساع قاعدة البروليتاريا المعنية قبل غيرها باكمال مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال الى المرحلة الاشتراكية وتحقيق وحدة اليمن على ذات الأسس التقدمية ، وتعنى تعميق التحولات الاجتماعية فى الريف وتقويم أوضاع التعاونيات ، وتحديث حياة الريف ، والتغلب على بقايا العلاقات والأوضاع والمعادن والنفسيات الموروثة فيه من الماضى ، وتعنى حصر تأثير البورجوازية والبرجوازية الصغيرة ، تمهيدا لتحجيم وجودها الاقتصادى والاجتماعى ، ومن ثم الغاء وجودها فى مرحلة لاحقة ، وتعنى اطلاق الثورة الثقافية من عقالها وتعميمها فى الريف والمدينة ، وتعنى أولا وقبل كل شئ تجذير وترسيخ وحدة الحزب والشعب والمجتمع والوطن ، وجعل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى أساس ودرع وروح هذه الوحدة .

أبرز الثغرات فى تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وسبل التغلب عليها :

لا مجال اذن للتراجع عن الخيار الاجتماعى والأيدىولوجى ، وانما المطلوب هو انضاج الشروط الموضوعية والذاتية التى تؤكده وتعززه .

وتلعب الشروط الذاتية دورا حاسما فى هذا الصدد ، وعلى رأس هذه الشروط ترسيخ الوعى الاجتماعى والأيدىولوجى بصحة وسلامة المنحى الثورى الذى سارت فيه اليمن الديمقراطية ، وبالذات تبنى حزبها لنظرية الاشتراكية العلمية التى فى ضوءها تتحرك ثورتها الديمقراطية فى اتجاه الافق الاشتراكى .

والطبقة العاملة هى الأكثر والأجدر والأقدر على فهم واحتضان هذه النظرية ، من حيث انها نظريتها . ومهمة المثقفين الثوريين هى

تقريبها لها وتمكينها من تمثيلها * وبذلك تتمكن من أن تتحول من طبقة في ذاتها الى طبقة لذاتها ، ومن أن تشيعها لا بين العمال الزراعيين بحسب وانما أيضا بين الفلاحين التعاونيين وجميع جماهير الريف والمدينة ، وان تشكل معهم حلفا تحت قيادتها يمكنها من قيادة الثورة الديمقراطية وتحويلها الى ثورة اشتراكية *

قال لينين : « والماركسية انما تستوعبها الطبقة العاملة ومفكروها ، على الوجه الأسهل والأسرع والأكمل والأرسخ ، في ظروف الحد الأقصى من تطور الصناعة الكبيرة * والعلاقات الاقتصادية المتأخرة ، أي التي تتأخر في تطورها ، تحمل أبدا على ظهور أنصار للحركة العمالية لا يستوعبون سوى بعض جوانب الماركسية ، سوى بعض أقسام من المفهوم الجديد ، سوى بعض الشعارات والمطالب ، ويكونون عاجزين عن التخلص بحزم من جميع تقاليد المفاهيم البرجوازية بوجه عام والمفاهيم البرجوازية - الديمقراطية بوجه خاص ، وفضلا عن ذلك ثمة ينبوع للخلافات لا ينضب هو الطابع الديالكتيكي للتطور الاجتماعي الذي جرى فيه الثورة ، من التناقضات وعن طريق التناقضات (لينين ، ضد الانتهازية اليمينية واليسارية وضد التروتسكية ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٦ ص ١٧٣ - ١٧٤) *

ليس هناك ما يشخص أبرز النواقص والعيوب والسلبيات التي لازمت الحركة الاشتراكية اليمينية والحزب الاشتراكي اليمنى مثل هذا التشخيص اللينيني *

فلدينا علاقات اقتصادية متأخرة حتمت ظهور قوى سياسية تدعو للعدل الاجتماعي وللتقدم الاجتماعي ، وعبر تطلعها الى تحقيق شئ من ذلك أطلت على الفكر الاشتراكي العلمى * غير أن بعض فئاتها لم تستطع أن تستوعب سوى بعض جوانبه ، ولم تستطع أن تبنى سوى

أقسام من نظريته العالمية ، ولم تستطع أن تهضم سوى بعض شعاراته ومطالبه ، ومن ثم لم تستطع التخلص من المفاهيم البرجوازية الريفية والمدنية ، ومن المفهوم البرجوازي — الديمقراطي ، ناهيك أن حركة الصراع الناجمة عن التناقضات بين القديم والجديد ، بين البنية الجديدة الآخذة في التطور في الاتجاه التقدمي ، وبين الأنماط القديمة البرجوازية ، والتي لم يكن منها مفر ، والتي انعكست داخل صفوف الحزب — أن هذه الحركة كانت منبعاً للخلافات داخل الحزب ، اتخذت — وذلك هو الأمر المؤسف — شكلاً تناحرية ، بينما كان في الامكان حلها عبر الديمقراطية وبالديمقراطية ، ووفقاً لوثائق الحزب ، وعلى رأسها البرنامج والنظام الداخلي .

اتفاق المستقبل : غير أن التشخيص اللينيني يتلزم مع تقديم المخرج والحل ، والذي يتمثل في اشاعة الصناعة الحديثة — وذلك ما بدأت اليمن الديمقراطية في الشروع فيه بالفعل — وفي تمكين البروليتاريا ومفكرها ومثقفها من استيعاب الماركسية — اللينينية — وذلك ما أخذ به الحزب أكثر من أى وقت مضى ، ومن هنا الدورات الأيديولوجية ، التي تنظم اليوم والتي تشمل الحزب كله من الأعلى إلى الأدنى .

ذلك هو مفتاح الخلاص من النواقص الاجتماعية والسياسية والفكرية ، وذلك هو السبيل لتحديث المجتمع وتجاوز الأنماط الاجتماعية القديمة بكل مخطاها واغراتها ، وذلك هو الطريق لخصر ودحر مفاهيم البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية ، وذلك هو منحى تحقيق وتأكيد وحدة الحزب التنظيمية والفكرية والسياسية ، وترسيخ وتعميق الوحدة الوطنية والشعبية والاجتماعية ، وفتح الطريق لتحقيق الوحدة اليمنية .

— ٣٦٩ —

وذلك هو الخط الثورى والوحيد الذى يعيد اليمن الديمقراطية الى موقعها الريادى فى اطار حركة الثورة العربية ، والذى يمكنها أكثر فأكثر من أن تلعب دورا طليعيا فى تحقيق وحدة أطرافها فى جبهة نضالية ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والعنصرية ،، والذى يجعل نجمتها تزداد تألقا وتوهجا ضمن مجرة البلدان ذات التوجه الاشتراكي .

دور الثقافة الثورية الأساسى

فى التطور التاريخى المتصاعد

لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م(*)

التطور التاريخى لا يسير وفق ارادة علوية ولا حسب مشيئة هذا الزعيم أو ذاك ، ولا طبق رغبة هذه القوة الاجتماعية أو تلك ، وإنما يسير وفق قوانين موضوعية تلعب خلالها ارادة الناس ووعيهم دورا معجلا أو معطلا أو معرقلا .

درجة تطور القوى المنتيجة ، درجة التقدم الانتاجى الاقتصادى هى التى تحدد طابع علاقات الانتاج والبنية الاجتماعية عموما ومن ثم طابع النظام السياسى .

البنية التحتية المتمثلة فى علاقات الانتاج تفرز البناء الفوقى السياسى والأيدىولوجى المطابق لها .

غير أن ذلك لا يعنى أن البناء الفوقى لا دور له تجاه حركة التطور التاريخى لجرد أنه انعكاس للظروف المادية - الاقتصادية . فهو يكتسب فى لحظة معينة دورا حاسما .

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » فى ١٢/١٠/١٩٨٧ .

ان ذلك يعنى بوضوح أنه يمكن أن يشهد المجتمع ، وخاصة المجتمع الرأسمالى ، تطورا هائلا أو نسبيا فى القوى المنتجة والاقتصاد والتكنيك والعلم ، بينما تظل العلاقات الانتاجية والاجتماعية متخلفة ، ويظل البناء الفوقى السياسى والأيدىولوجى والخلقى والروحى فى حالة انحطاط ، ويظل الانسان من ثم فى حالة اغتراب عن عمله ومجتمعه ونفسه ، ولا يعدو أن يكون أسيرا لدى الرأسمالى وعبدا للعمل المأجور الذى يقوم به لصالحه •

ان هذا التناقض الفادح بين القوى الانتاجية والتكنيكية والعلمية المتطورة وبين العلاقات الانتاجية والاجتماعية والروحية المتدنية هو ما نبه اليه ماركس بمثل هذه العبارات البليغة : « هناك واقع عظيم يميز قرننا التاسع عشر ، واقع لا يتجرأ أى حزب على انكاره ، فمن جهة ، استيقظت قوى صناعية وعلمية لم تكن حتى لتخطر فى بال الناس فى أى من العهود السابقة فى تاريخ البشرية ، ومن جهة أخرى ، تتبدى علائم انحطاط يتجاوز جميع الويلات المعروفة فى التاريخ منذ أواخر زمن الامبراطورية الرومانية •

وفى زمننا يبدو كأن كل شئ ينطوى على نقيضه ، فنحن نرى أن الآلات التى تملك قوة عجيبة لتقصير مدة العمل البشرى وجعله أوفر ثمرا تجلب للناس الجوع والأعياء ، ومصادر الثروة الجديدة غير المعروفة حتى الآن تتحول ، بفضل سحر ما غريب وغير مفهوم ، الى مصادر للفقر ، وانتصارات التكنيك تبدو كأن الانحطاط الأخلاقى كان ثمنها ، ويخيل أن الانسان يمشى أما عبدا لغيره من الناس ، وأما عبدا لسفالاته بالذات بقدر ما تخضع البشرية للطبيعة لنفسها • وحتى نور العلم الصافى لا يمكنه ، حسبما يبدو ، أن يشع الا فى خلفية الجهل المألقة ، وكأن جميع اكتشافاتنا وكل تقدمنا تؤدى الى هذا الواقع ،

ليس هناك تلازم ميكانيكى بين الواقع المادى الذى هو الأساس لنشؤ هذا النسق أو ذلك من الأفكار والقيم ، وبين هذه الأفكار والقيم • فهى بعد نشوئها تكتسب شيئا من الاستقلالية وتتولد وتتطور تطورا داخليا خاصا بها • وتتجاوز حتى أساسها المادى الذى غرزاها وتغدو قادرة على الرؤية الى آفاق أبعد من تلك الأفاق المحددة التى تحتتمها علاقات الانتاج القائمة • بل وتصبح مبشرة بمنحى للتطور الاجتماعى والتاريخى مخالف لمنحى التطور القائم •

ذلك ما يفسر ظهور النظريات التقدمية ، وخاصة نظرية الاشتراكية العلمية التى ولدتها ظروف القرن التاسع عشر المادية ، ظروف الانتاج الرأسمالى ، التى كما انتجت الصناعة الحديثة ، والتكنيك المتقدم ، أنتجت طبقة جديدة هى طبقة العمال التى جاءت أيديولوجية ونظرية الاشتراكية العلمية تعبيرا عن مصالحها ومطامحها ، رؤيتها ازاء التاريخ والحياة والسيطرة الانسانية عموما •

لقد تجاوزت هذه النظرية المجتمع الذى نبئت فى ظله ، وأخذت تبشر وتدعو الى اقامة مجتمع جديد خال من الاستغلال الرأسمالى وكل أشكال الاستغلال التى عرّفها التاريخ والتى ما تزال قائمة هنا أو هناك من أنحاء الكرة الأرضية •

ولم ينبق هذه النظرية محصورة فى اطار المجتمع الأوروبى الذى نشأت فيه ، وانما تجاوزته الى شتى أنحاء الأرض ، حتى غدت نظرية الملايين من جماهير الكادحين فيها ، وحتى أمكن اقامة مجتمعات اشتراكية على أساسها ليس فى البلدان الأوروبية فحسب ، وانما أيضا فى البلدان المتأخرة عن أوروبا ، مما أتاح لها تجاوز تأخرها ، والمضى فى طريق التطور الاقتصادى والتكنيكى والعلمى بسرعة قياسية ، بل بسرعة تفوق سرعة تطور البلدان الرأسمالية التقليدية •

وهو أن القوى المادية تكتسب حياة فكرية ، بينما تفقد الحياة البشرية جانبها الفكرى وتنحط الى درجة قوة مادية . ان هذا التناحر بين الصناعة المعاصرة والعلم المعاصر من جهة ، والاملاق المعاصر من جهة أخرى ، هذا التناحر بين القوى المنتجة والعلاقات الاجتماعية فى عهدنا هو واقع محسوس ، ومحتم ، ولا جدال فيه » . « ماركس انجلس ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ١ الجزء ٢ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٠ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ » .

ذلك كان هو الوضع فى البلدان الرأسمالية أيام ماركس . ولقد تفاقم هذا الوضع اليوم واشتد التناقض فى عهد الرأسمالية الاحتكارية ورأسمالية الدولة الاحتكارية ، بين المستوى البالغ التطور للقبوى الانتاجية والاقتصاد والتكنيك والعلم والمستوى البالغ الانحطاط للقيم الأيديولوجية والثقافية والأخلاقية للمجتمع الرأسمالى ، ولا سيما المجتمع الرأسمالى الأمريكى .

غير أن المجتمع الرأسمالى كما يفرز القيم الروحية المنفسخة والمتعفنة والمريضة فان القوى الحية والجديدة والثورية فيه ، ممثلة فى الطبقة العاملة ومفكرىها والمثقفين المستنيرين عموما ، تطرح أيديولوجية وفكرا وقيما روحية متقدمة .

ان انتشار هذه القيم الأيديولوجية والفكرية المتقدمة الى البلدان الرأسمالية الضعيفة التطور أو التى لم تبلغ مرحلة الرأسمالية بعد يتيح لمثل هذه البلدان لا تبنى هذا العطشاء الروحى الحى فحسب ، وانما أيضا البناء عليه وتطويره ، بحيث يتجاوز مستوى التطور الثقافى لهذه البلدان مستوى تطورها المادى . ان ذلك كان هو شأن روسيا فى القرن التاسع عشر . « وينبغى التنبيه مرة أخرى

من الأحكام السطحية على التقدم التاريخي . بالطبع ، ان تطوّر القوى المنتجة يمثل الشرط الأهم للتقدم الاجتماعى . بيد أنه لا ينبغي تبسيط هذه الحقيقة وعدم رؤية أنه فى بعض الحالات بوسع الثقافة الروحية سبق مستوى تطور القوى المنتجة . فمن المعروف ، على سبيل المثال ، أن روسيا فى القرن التاسع عشر كانت متأخرة عن بعض البلدان الرأسمالية من حيث تطور القوى المنتجة ، بيد أن هذا لم يعفها عن إعطاء البشرية مفكرين وثوريين وشعراء وكتّابا وموسيقين ورسامين وعلماء ومخترعين عظماء . ان القضية تقوم فى أن تطور الثقافة (وظاهرات البنى الفوقية عامة) لا يجوز ربطها بمستوى القوى المنتجة بمعزل عن علاقات الانتاج ، عن ما نضج من التناقضات الاجتماعية والطبقية والقومية » (خانتسيك موجيان ، مراحل التاريخ . دار التقدم ، موسكو ١٩٧٩ م ، ص ٩٥) .

ان هذا المستوى الروحى المتطور الذى بلغته روسيا من خلال اقتباسها للثقافة الغربية الرفيعة ، وهذا العطاء الثقافى العالى الذى أضافته ، والذى فجر فيها ينابيع الحيوية ودفع بطلانها الى العمل الجسور من أجل انهاض روسيا المتأخرة ، وتجديد حياتها ، وجعل منها بالفعل بؤرة ثورية ملتزمة منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ان ذلك هو الذى ألهم ماركس وانجاز تلك النبوءة القائلة بأن فجر الثورة العالمية سينبثق من الشرق ، ومن روسيا بالذات ، وان لهب هذه الثورة سيمتد الى الغرب ذاته .

ان انتشار نظرية الاشتراكية العلمية فى روسيا انتشار النار فى الهشيم ، وان ذلك التطوير الخلاق الذى أدخله لينين عليها قد قفز به مستوى التطور الثقافى فى روسيا الى الذروة ، حتى وان كان هذا المستوى قد انحصر بالدرجة الأولى على مثقفى روسيا من البلاشفة

وعلى الطليعة البروليتارية التي أمسكت بقيادة حركة التطور الاجتماعي والتاريخي فيها •

ولكن الثقافة الثورية ذات الطابع الديمقراطي التي انبثقت أول ما انبثقت من الغرب تجاوزت حدود روسيا الى الشرق عموما • وفتحت كوات من النور في جدرانها السميكة المظلمة ، وأخذت تدفعه منذ مطلع القرن العشرين الى النضال السياسي للخروج من كهوف القرون الوسطى ، والافلات من قبضة الاستعمار العالمي ، ومن أجل صنع حياته الجديدة • ان ذلك هو ما نبه اليه لينين عندما كتب في ١٣ أبريل ١٩١٣ : « لقد استيقظت في آسيا الروح « الأوروبية » • لقد غدت شعوب آسيا واعية وعيا ديمقراطيا » • (لينين ، استيقاظ آسيا • دار التقدم موسكو ص ٢٢) •

وكان قيام الثورة في روسيا المتأخرة برهانا حاسما على الدور الخاص الذي يمكن أن تلعبه الثقافة الثورية في بلد مختلف •

وبعد قيام هذه الثورة ، ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، أخذت تغمر الشرق موجة أخرى من الوعي الاشتراكي في الوقت الذي شرعت حركات التحرر الوطني فيه تحقق نهوضا غير مسبوق •

وبالاعتماد على مثل هذه الثقافة الثورية ، الديمقراطية ، والاشتراكية ، وبدعم قلعة الثورة العالمية ، الاتحاد السوفيتي ، أمكن تفجر الثورات الوطنية الديمقراطية ، والثورات الديمقراطية الشعبية في البلدان الرأسمالية ذات التطور الاقتصادي المتوسط ، والضعيف في البلدان التي لم تصل مرحلة الرأسمالية بعد • بل وأمكن تحويل

بعض هذه الثورات الى ثورات اشتراكية ، أو مضيها في طريق التوجه الاشتراكي .

واليمن الديمقراطية هي واحدة من هذه البلدان التي تسير بثقة وثبات في طريق التوجه الاشتراكي . والسؤال هو كيف أمكنها تحقيق هذه الطفرة الثورية ، رغم أنها لم تلتحق بركب حركة التحرر الوطني العربية والعالمية الا في وقت متأخر جدا ، ولم يتسرب اليها أئمة الثقافة الثورية ، والوعى الديمقراطي والوعى الاشتراكي ، الا مع الخمسينيات ؟

هناك عوامل عامة ، وعوامل خاصة ، ساعدت اليمن الديمقراطية على انجاز مثل هذه القفزة الثورية :

١ — أن الحركة الوطنية اليمنية التي كان مركزها الأساسى في عدن ظهرت في مرحلة تاريخية متطورة كان المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي ، قد أصبح يمسك خلالها بزمام المبادرة الثورية والتاريخية ، بعد اندحار الفاشية وتصدع جبهة الامبريالية العالمية ، وأصبح للافكار الاشتراكية جاذبية لا تقاوم .

٢ — أنها انبثقت في مرحلة تاريخية كانت فيها حركة التحرر الوطني العالمية في حالة من المد المتصاعد . وكانت فصائل من هذه الحركة تنتقل الى مواقع الديمقراطية الثورية ، والى مواقع الاشتراكية العلمية . وتدفع بشعوبها في طريق الاشتراكية .

٣ — انها انطلقت في حقبة تاريخية كانت فيها حركة التحرر الوطني العربية في عنفوانها ، وكانت مصر الناصرية أثناءها — أي كانت ذبذبات نهجها القومى — تلعب دورا قياديا فيها . وتعمل على دعم ومساندة كل تحرك ثورى عربى ضد الاستعمار والرجعية . بما في ذلك التحرك

الثورى فى اليمن ، الذى عبرت عنه ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ •

٤ — انها بززت فى وقت كانت فيه أقسام من حركة التحرر الوطنى العربىة تطور مفاهيمها الثورية فى اتجاه ديمقراطى جذرى وتتطلع الى تبني الفكرى الاشتراكى العلمى ، أيا كانت مداخلها اليه •

٥ — أن الجبهة القومية ، التى كانت الحلقة الوسطى فى الحركة الوطنية اليمنية ، كانت تتقدم منذ منتصف الستينيات فكريا وسياسيا ونضاليا • وتمضى فى خط متصاعد نحو امتلاك الرؤية الديمقراطية الثورية المنسجمة ، وتتحرك منذ مطلع السبعينيات نحو تبني الفكر الاشتراكى العلمى ، شأنها فى ذلك شأن حركة القوميين العرب التى كانت تاريخيا أحد فروعها •

٦ — أن ظهور الحركة الوطنية اليمنية فى منتصف الخمسينيات قد تراكب مع ظهور الحركة العمالية التى اقتحمت المعركة الوطنية بوسائل وطرائق بروليتارية ثورية فى النضال كالمسيرات والمظاهرات والاحتشادات الجماهيرية بكل ما كان يؤدى اليه ذلك من التحام واشتباك مباشر مع المستعمر ، ومن شحذ للمعزائم الثورية ، ومن خبرة نضالية منتامية ، ومن بلورة تقاليد كفاحية راسخة •

٧ — أن نواة الوعى الاشتراكى التى بزغت منذ هذا الوقت لم تقتصر على نخبة محدودة من المثقفين الثوريين ، وانما نفذت بهذا القدر أو ذاك الى صفوف الطبقة العاملة •

٨ — أن القاعدة التى كانت تستند اليها الجبهة القومية كانت جبهة شعبية واسعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، جبهة تمتد من

— ٣٧٩ —

البرجوازية الوسطى والصغيرة والمثقفين الوطنيين والديمقراطيين ،
وانتهاء بالعمال ، بما في ذلك عمال المصافي •

٩ — أن محاولة ممثلي البرجوازية الوسطى — بعد الاستقلال —
دفع حركة التطور في الاتجاه الرأسمالي الليبرالي الاصلاحى ، بكل ما
يؤدى اليه ذلك من الدوران في فلك التبعية الاقتصادية والسياسية
والثقافية للرأسمال الامبريالى ، قد اصطدمت بمقاومة واسعة من
هذه القاعدة الشعبية العريضة التى كانت تستند اليها الجبهة
القومية والمسنودة أيضا بالقوى والفصائل الديمقراطية والتقدمية
الأخرى خارجها •

١٠ — أن محاولة ممثلي البرجوازية الصغيرة الفرقة ارياك المسيرة
الديمقراطية الثورية التى كانت قد بدأتها الثورة منذ قيام حركة ٢٢
يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ بتجنحاتهم اليسارية المتطرفة الفوضوية
أول الأمر ، وبإعتطافهم ذات اليمين آخر الأمر قد اصطدمت هي
الأخرى بهذه القاعدة العريضة من الجماهير الشعبية والقوى
الثورية التى كانت قد تاطرت في التنظيم السياسى الموحد — الجبهة
القومية منذ أكتوبر ١٩٧٥ ، ما أتاح لها الخلاص من مخاطر هذه
الزمرة المغامرة بانتصارها عليها في ٢٦ يونيو ١٩٧٨ •

١١ — أن تبنى التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية
للفكر الاشتراكى العلمى قد حتم — بعد ازاحة حجر البرجوازية
الصغيرة المسعورة من الطريق — تحويل هذا التنظيم الى حزب من
طراز جديد ، حزب اشتراكى علمى ، هو الحزب الاشتراكى اليمنى
الذى أعلن في أكتوبر ١٩٧٨ •

١٢ — أن ما ساعد على المضى في هذا الخط الشورى الصاعد

اليمن الديمقراطية ...

وتحصاا عقدين ...

من النضال ... (*)

لم يعد للاسطورة والمعجزة مكان فى عصرنا • غير أن هناك من الحقائق ما يكاد يشبه فى غرابته ومفارقاته الاسطورة والمعجزة •

والا فكيف يمكن فهم هذا الذى حدث خلال عقدين من الزمن فى هذا الجزء من الوطن العربى ، وهذا الشطر من اليمن •

ميناؤه الشهير منذ أقدم العصور ، والذى كان احدى حلقات للوصل الهامة بين الشرق والغرب ، وأحد الشرايين التجارية والحضارية الواصلة بينهما ، والذى كان لبذلك مطمعا للغزاة وللغاثين منذ الامبراطورية الفارسية واليونانية حتى الامبراطورية العثمانية والبريطانية - كيف أمكن أن يدور مع الزمن دورة كاملة ، ويتحول فجأة - فى ظرف عقدين من الزمن فقط - من موضوع للتاريخ الى ذات له ، من حجر فى بناء صرح الامبراطوريات العالمية القديمة والجديدة ، الى واحد من أنشط معاول الهدم للامبراطورية ، التى لم تكن تغرب

(*) نشرت فى صحيفة « ١٤ اكتوبر » فى ١٢/١٢/١٩٨٧ •

أبدا أن اليمن الديمقراطية ، على عكس البلدان العربية الأخرى ، ثم تكن تعاني من وطأة الفكر السلفى وتجمعاته ، وان البرجوازية الكومبرادورية وقوى الاقطاع فيها كانت مجرد ظل للاستعمار وان البرجوازية الوسطى كانت شريحة رقيقة ، وان نواة القيادة في حركة التحرر الوطنى في جنوب الوطن اليمنى كان معفودا منذ البداية للجماهير الشعبية الكادحة والعريضة والمنظمة والمسيسة والتي اخذت تنتقل بسرعة غير عادية من امتلاك الوعى الوطنى ، الى امتلاك الوعى الديمقراطى ، الى تبنى الوعى الاشتراكى ، الذى لا يبرح يتجذر ويتعمق ويترسخ في صفوفها *

وبين جميع هذه العوامل يبدو واضحا ان تملك الثقافة الثورية ، بدأ من الثقافة الوطنية ، مروراً بالثقافة الديمقراطية ، وانتهاء بالثقافة الاشتراكية ، بكل ما تنطوى عليه من بعد أسمى ، وتجسيد هذه الثقافة الثورية في تنظيم سياسى أخذ بتكيف ويتطور باستمرار وفق درجة التطور التى بلغت هذه الثقافة - أن ذلك كان العامل الرئيسى وراء هذا الخط البيانى الصاعد أبدا الذى سارت فيه ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ، حتى بلغت اليوم مرحلة النوجه الاشتراكى *

ورغم الازمة الثقافية التى مرت بها التجربة الثورية خلال هذا العقد ، ورغم تأثير « الأزمات التى أضعفت الوحدة الفكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » حسب تعبير (الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ - ١٩٨٦ ، ص ٥٣) والتى كانت أحداث ١٣ يناير أبرز تجلياتها ، فان صمود الحزب لها ، وانطلاقه بمضاء نحو تجاوز آثارها ، ودعوته لاشاعة الثورة الثقافية وتعميق مجرى الثورة أكثر فأكثر ، يؤكد على نحو قاطع على أن تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية تمتلك أسباب بقائها ونموها وتقدمها وتحولها من مرحلة تاريخية الى مرحلة تاريخية أعلى *

— ٣٨٢ —

عنهما الشمس ، والى واحدة من أبدع أدوات البناء للعالم الجديد الذى لا مكان فيه قط لغير الحضارة التى تليق بشرف وكرامة الانسان ؟ !

كيف أمكن لهذا الميناء — ميناء عدن — الذى أسماه محمد على باشا حاكم مصر بأنه « عين اليمن » التى أخذتها بريطانيا باستيلائها عليه عام ١٨٣٩ ، بينما كانت قواته فى طريقها اليه انطلاقا من « المخا » التى كانت قد بلغتها فى محاولة لاقامة امبراطورية الضاد — حسب تعبير نجله ابراهيم باشا — كيف أمكن له أن يستعيد نور عينه التى خيل للامبراطورية البريطانية انها قد فقدتها ، وأصابته اليمن كلها بعمى أبدى ؟ !

كيف أمكن أن تتحول عدن من مجرد واحدة من الدرر التى رصع بها التاج البريطانى الى غرة من الغرر السنية فى جبين الثورة العالمية ؟ !

هل يعود ذلك الى أن الثورة فيه لم تتم بانقلاب من أعلى ، والى أنها — وان بدت فى الأصل كامتداد لثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى شمال الوطن — كانت انقلابا من أسفل ، انفجارا شعبيا من الأعماق ، تحركا جماهيريا أفقيا ورأسيا شمل كل الطبقات والقوى الأساسية والجذرية فى المجتمع من فلاحين وعمال ومثقفين وفئات وسطى ؟

هل مرد ذلك الى أن الثورة فيه — فى هذا الجزء من الوطن اليمنى .. كانت واحدة من الثورات القليلة فى منطقة التحرر الوطنى العالمية التى اكتسبت طابع حرب شعبية انصهرت وتبلورت فيها قوى البلاد الحية ، وتخلفت فى أتونها حركة وطنية ديمقراطية أصيلة لا تستطيع كل رماك الصحراء أن تطفئ وهجها ، كما لا تستطيع كل قوى التآمر الخارجية أن تكسر شأفتها ؟

هل مرجع ذلك أن هذه الثورة بحكم طبيعتها « العامة » هذه تخلصت على الفور من قشرة المجتمع العليا المتكلسة فور التخلص من المحتل الدخيل ، وكشفت بذلك عن المياه الجوفية الفوارة المتدفقة في قاع المجتمع ، وأطلقت « العفريت الشعبى » من القمقم الذى ظل حبساً فيه ، وتركته يصفى الحساب مع سجانیه ومهدرى أدميته ومستبجى حقوقيه ؟ !

هل يكمن السبب فى أن هذه الثورة بسبب طبيعتها الشعبية القارحة هذه لم تستطع احتمال ظهور بثور وقروح ودمايل على وجهها وفى جسمها ، فعملت باستمرار على التخلص منها ، حتى ولو اقتضى الأمر اجراء عمليات جراحية سريعة تقوم بها ، وهى ماضية فى دربها ؟

هل عملية التطهير والتطهير الذاتى الدائبة والمستمرة هى سبب احتفاظ الثورة بلياققتها وسمتها وعافيتها ، رغم النزيف الدموى الذى ترتب عليها ، والذى يكاد يكون قياسيا وفائق الحد بالنسبة لثورة كمثلها ؟

هل قدرة الثورة على توليد نواة طليعية من صلبها تمسك بقيادها وترتاد بها طريقا وعرا وشائكا وغير مطروق من قبل فى منطقة كالمنطقة التى تنتمى اليها ، والتى كما يجثم عليها ارث تاريخى ثقيل ما يزال يجثم عليها نفوذ « استبدادى شرقى » واستعمارى غربى ساحق ومزدوج — هل ذلك هو سر صمود الثورة ومضيها بخطى واثقة فى الدرب الصعب والخطر الذى اختارته فيما يشبه التصدى الذى لا عودة عنه ؟

هل صفاء رؤية الثورة ، ورفضها الحاسم لكل التنظيرات الانتهازية القاتلة بالمساواة ما بين الشرق والغرب ، ما بين معسكر الاشتراكية

ومعسكر الامبريالية ، ما بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، ما بين الصديق والعدو ، ورفضها من ثم لسياسة « الموازنة والتوازن » بينهما ، واتخاذها موقعها الملائق بها كثورة شعبية في معسكر قوى الثورة العالمية ، واضطلاعها بمسؤوليتها فيه ، واعلانها صراحة أنها فيصل أصيل في جيش هذه الثورة الأممية ، وتحويل نفسها الى جزء من هذا الكل الذى لا يقهر ولا يظلم ، ونقلها عدن - عاصمة هذه الثورة - من موضعها الذليل السابق كموطىء من مواطىء القندم للامبريالية العالمية الى مكانها العزيز السامق اليوم كموقع متقدم في جبهة الثورة التقدمية العالمية - هل ذلك هو سر الأسرار في تمكن اليمن الديمقراطية - خلال عقدين من الزمن فقط من نيلها للاستقلال الوطنى - من بلوغ المكانة المشرفة التى بلغت اليوم بين الثورات التحررية الوطنية الديمقراطية المتأججة والسائرة في طريق التوجه الاشتراكى ؟

ان مجمل ما أوردناه من تساؤلات تتضمن اجاباتها هو الذى يفسر هذا الخط البيانى الصاعد الذى تسير فيه اليمن الديمقراطية ، وهو الذى يفسر هذه الحيوية الفائقة الحد التى تتمتع بها ثورتها ، وهذا التطلع نحو آفاق أكثر رحابة واشراقا .

ومجمل ما أوردناه هو الذى يوضح بجلاء ما بعده جلاء سر اصرار الثوار اليمنيين على أن تتحقق وحدة اليمن ضمن هذا الخط البيانى الصاعد ، وفي سياق هذا المنحى الثورى المتسارع ، لا ان يدفع بها خارج هذا الخط ، وبعيدا عن هذا السياق ، مما يعنى عدم تحقيقها على الاطلاق .

يقول الصياحون والمتصايحون ، كما قد يقول المحبون والمشفقون ، ولكن ثورتكم هذه كلفتكم الكثير ، وأكثر من الكثير . لقد التهمت نيرانها حتى بعضا من بنيتها ، بل وخيرة من بنيتها ، ناهيك

أنها' التهمت — أخيرا — حتى أولئك الذين كانوا من أوائل مشعلها وطلائع قادتها ، غاى ثورة هذه ، واى ثوار انتم ، وأى نهاية تنتظركم اذا كان هذا الطريق الدامى هو طريقكم ؟ !

حقا ان الثورة هى مدمم للقديم المتعفن الفاسد ، وبناء للجديد الناهض والسليم ، وان الانسان هو أثمن رأسمال لديها ، وأنه هو هدف الثورة بقدر ما أنه هو وسيلة تحقيقها ، وان العنف فى عرف الثورة هو التحويل السريع والحاسم للواقع المادى الذى أنبت الشرور الاجتماعية ، واستبداله بواقع مادى يلبي حاجات الناس جميعا ، ويشبع طموحاتهم ، ويتيح لكل فرد منهم التطوير. الحر والكامل لنفسه كشرط للتطور الحر والكامل للجميع — حسب ميغة ماركس — •

ولكن السؤال هو : أية ثورة خلت من الدماء والآلام ، والأخطاء والخطايا ؟ فليست الثورات البرجوازية وحدها هى التى واجهت هذا الامتحان ، حتى لقد أكلت الثورة الفرنسية المع زعمائها ، وعلى رأسهم روبسبير ، وانما حتى الثورات الاشتراكية لم تسلم من هذا الامتحان •

وحتى وطن الاشتراكية الأول ، وحزب لينين العظيم ، لم يفلتا — بعد رحيل ربان الثورة لينين — من الوقوع فى مثل هذه المحن •

وفى الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وقف حزب البلاشفة عبر تقرير أمينه العام ميخائيل جورباتشوف أمام عينة من هذه المحن ، لا باعتبار ذلك فقط وقفة نقدية أمام الماضى ، وانما أيضا بغية الاعتبار بها للسير نحو المستقبل على نحو أكثر رشدا وأمانا ، وأكثر استقامة وإنسانية •

« واذا كنا اليوم ننظر الى تاريخنا ، وبروح انتقادية أحيانا ، فذلك فقط لاننا نريد أن نتصور الطريق الى المستقبل بشكل أفضل وأكمل •

(م ٢٥ - نصايا الثورة اليمنية)

وينبغي تقييم الماضى بشعور من المسئولية التاريخية وعلى أساس الحقيقة التاريخية « حسب تعبير جورباتشوف ، ويضيف :

« وأخيرا ، نحن بحاجة الى تقييمات صادقة لهذه الفترة وكل الفترات الأخرى فى تاريخنا » ونحن نحتاج الى ذلك اليوم على نحو خاص « حيث تجرى عملية التغيير - بيريسسترويكا - . نحن بحاجة الى تلك التقييمات ليس لتسوية الحسابات السياسية أو لاثارة مشاعر مؤلمة ، كما يقال ، بل لتقدير كل ما هو بطولى فى الماضى حق قدره واستخلاص العبر من الأخطاء والمفوات » .

وإذا كانت ١٥ سنة من وفاة لينين قد شهدت حركة التصنيع الجبارة ، والكلخوزات والسوفخوزات الواسعة والثورة الثقافية الغامرة ، وانتصاب دولة الاتحاد السوفيتى العملاقة ، وترسخ مواقعها على النطاق الدولى ، وابتداع الأشكال الجديدة لإدارة الاقتصاد الوطنى وتنظيم المجتمع ، والتأثير على مصائر حركة التحرر والتقدم فى العالم كله ، فإنها شهدت أيضا سلبيات وخسائر أضعفت من المثل الاشتراكى ، وبهتت من الديمقراطية اللائقراطية ، والقب الأسباب على الجوهر الانسانى للاشتراكية ، وأخلت بمعادلة المركزية الديمقراطية ، حيث أفسحت المجال للمركزية الشديدة ، والبيروقراطية المفرطة ، والنزعة الفردية التحكمية ، وعبادة الذات ، مما عكس نفسه على حياة الحزب والدولة والمجتمع وعلاقات الناس .

« لكى يفهم المرء وضع تلك الأعوام ينبغي له أن يأخذ فى الحسبان أن النظام الإدارى - الأمرى الذى بدأ يتكون إبان عملية التصنيع وتلقى زخما جديدا أثناء اشاعة الكلخوزات قد انعكس على مجمل حياة البلاد الاجتماعية - السياسية . وبعد أن ترسخ هذا النظام فى الاقتصاد أخذ يمتد الى البناء الفوقى أيضا ، فيجد

من انتشار القدرة الديمقراطية للاشتراكية ، ويعيق تقدم الاشتراكية » •

« لقد زاول كل ذلك تأثيرا وبيلا على التطور الاجتماعى — السياسى للبلاد ، وأسفر عن عواقب وخيمة •

انه من الواضح تماما أن عدم وجود المستوى اللازم لاشاعة الديمقراطية فى المجتمع السوفيتى هو بالذات الذى جعل أمرا ممكنا عبادة الفرد ، وانتهاك الشرعية ، والتعسف والتكبل فى الثلاثينات •

وأقول بصراحة أنها جرائم حقيقية ترتكب على أرضية السلطة • لقد تعرض للأعمال تنكيل جماعية آلاف عديدة من أعضاء الحزب ويجب علينا أن نتكلم عن ذلك بكل صراحة • فهذا ما لا بد منه لأجل ترسيخ مثال الاشتراكية اللينينى ترسيخا نهائيا ولا رجعة فيه » •

وينبه جورباتشوف الى « أن الفهم الخزيه لنجزائنا الهائلة وللمصائب الماضيه على السواء ، وتقييمها السياسى التام والصائب ، سيعطيان مرشدا أدبيا حقيقيا من أجل المستقبل » •

من أجل ذلك فان المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى شكل — كما يقول جورباتشوف — « لجنة لأجل البحث من جميع النواحي فى الوقائع والوثائق الجديدة » المتعلقة بسلبيات المرحلة الماضيه ، وذلك كله « سوف ينعكس أيضا فى تدوين تاريخ الحزب الشيوعى السوفيتى ، الذى ستكلف لجنة خاصة تابعة للجنة المركزية باعداده » •

لقد تعمدنا ابراد هذه المقتبسات من تقرير جورباتشوف للاعتبار بها ، ونحن نلقى نظرة على حصيلة عقدين من الزمن منذ

الاستقلال بايجابياتها وسلبياتها ، وحتى لا تركبنا عقدة ذنب تجاه ما امتحنت به البلاد من الأخطاء والخطايا خلال عملية البناء والتجديد الثوريين ، وحتى لا يسترسل الذين لا يروق لهم نهج التوجه الاشتراكي من أساسه في غيهم بتصوير أن الثورة في اليمن الديمقراطية استثناء بين الثورات من حيث كم ما نزل فيها من دماء ، وحجم ما تعرضت له من رزايا ، وقدر ما اقتترف في حق صفوف عديدة من مناضليها وأبنائها البررة من حماقات وآثام .

وليس هناك من يسعى الى تبرير السلبيات التي رافقت مجرى الثورة ، كما أنه لا مصلحة لأحد في تجسيم ايجابياتها .

لقد كانت فترة انتقال صعبة ومعقدة ، شأن كل فترات الانتقال في كل زمان ومكان ، وما كان يمكن توليد مجتمع جديد من رحم مجتمع قديم بدون نزيف وآلام ، فذلك لا يحدث لا في مملكة الحيوان ولا في مملكة الانسان ، ناهيك عن مملكة المجتمع التي تنطوي على أشكاه من التناقضات الحادة الموضوعية والذاتية التي تؤدي الى الصدام ، الذي قد يكتسب أحيانا طابعا دراميا .

وعندما لا يكون مثل هذا المجتمع قد عرف تقاليد ديمقراطية أو حتى ليبرالية ، وعندما تتشابه فيه مختلف الأنماط الاقتصادية - الاجتماعية التي عرفها التاريخ ، بكل ما تفرزه من أيديولوجيات وعادات متباينة ، وعندما لا يكون قد بلغ مرحلة تكون الدولة المركزية الواحدة التي تساعد بطبيعة وجودها على صهر المجتمع في بوتقة وطنية واحدة ، وعلى تشكيل لصمة وطنية واجتماعية على انقاض الأواصر المحدودة والمخلقة الاقليمية ، والقروية والقبلية ، والبطركية والعرقية ، والطائفية ، وعندما يطلب من الثورة والدولة الجديدة التي

— ٣٨٩ —

صنعتها معالجة مثل هذه التركة التاريخية الثقيلة ، واصلاح ما أفسدته قرون من التخلف والركود والأوتوقراطية ، والاستبداد ، والاقطاع والرجعية ، والاستعمار ، وأن يتم انجاز ذلك كله في أقصر وأسرع الآجال — عندهما يكون الأمر كذلك فانه لا ينبغي توقع أن تسير حركة البناء والتجديد والتطوير والتحضير بدون معوقات أو عراقيل ، ومن دون مقاومة من قبل قوى الماضى ومخلفاته ورواسبه ومن دون مقاومة قوى الثورة المضادة فى الداخل والخارج •

ففى فترات الانتقال تصطرع باستمرار آلية وعقلية وتوجهات الماضى مع آلية وعقلية وتوجهات الحاضر • والمستقبل يظل مرهونا على نتيجة المعركة بينهما •

والراصد لحركة الأحداث منذ الاستقلال والى اليوم يدرك انه رغم الأزمات الاجتماعية والسياسية والحزبية والنفسية التى مرت بها تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ، الا أن ميل ميزان القوى ظل دائما فى يد قوى المجتمع الحية ، يد قوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين — عسكريين ومدنيين — وغيرهم من الفئات الكادحة ، والساعية الى المضى قدما نحو ترسيخ البنية الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الديمقراطي الثورى والتوجه الاشتراكي وتغليبها على الأنماط السابقة الموروثة عن المجتمع القديم ، ونحو تسويد نظرية العصر التى لا بديل لها ، نظرية الاشتراكية العلمية ، وتمكينها من دحر بقايا الأيديولوجيات الأخرى المناهضة ، ونحو اقامة أمتن وحدة اجتماعية ووطنية وحزبية ، وأسس حضارية جديدة ، ونحو بناء دولة يمنية مركزية موحدة وطنية ديمقراطية •

ورغم أن الثورة فى اليمن الديمقراطية تتحقق فى واحد من أكثر أجزاء الوطن العربى تخلفا ، الا أن النقلة النوعية الاجتماعية والسياسية

— ٣٩٠ —

والتنظيمية والفكرية فيه لم يصل الى مستواها أى قطر أو نظام عربى قادت الثورة فيه البرجوازية الصغيرة ، ولن يستطيع الوصول اليها الا اذا أصبحت السلطة فيه فى يد قوى أكثر ثورية وجذرية •

ورغم الكوارث والمحن التى جابهتها هذه الثورة ، والتى خادت تهزها من الأعماق ، وتزعزع المكانة المتميزة التى احتلتها على الصعيد القومى والدولى ، فإن الثورة بحيويتها وأصالتها ، وعمق انتمائها الى جماهير الكادحين ، وصدق توجهها الشعبى وصلابتها إيمانها بالمستقبل وكل قوى المستقبل فى العالم تجاوزت هذه الكوارث والمحن التى خانت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الذروة العليا لها ، والتى قدمت مع ذلك عبرة تاريخية تفيد منها جميع الثورات فى العالم النامى ، مفادها أنه — أيا كانت الخلافات داخل الحزب الحليعى — فإنه لا مجال لحلها بغير الديمقراطية الداخلية فى الحزب ، وبغير اشاعة الديمقراطية ، والمزيد من الديمقراطية فى الدولة والمجتمع •

وذلك أيضا هو الاستخلاص الذى وصل اليه حزب لينين ، وذلك هو مغزى « التفكير السياسى الجديد » الذى لا ينطوى على أهمية خاصة بالاتحاد السوفيتى وحده ، وإنما يحمل مداولا تاريخيا — علميا ، فوق أنه « يعنى كذلك أخلاقيات جديدة ، ونفسية جديدة » — كما قال جورباتشوف فى اللقاء الذى افتتح فى ٤ نوفمبر ١٩٨٧ لممثلى الأحزاب والحركات التى شاركت فى احتفالات الذكرى السبعين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى •

ولم تغفل ثورة ١٤ أكتوبر أهمية الوقفات النقدية مع النفس لقد فعلت ذلك بعد حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ ، وحاولت ذلك بعد الخلاص من التيار اليسارى الانتهازى فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ وغفلت ذلك — بعد أحداث ١٣ يناير الدامية ١٩٨٦ — وهو ما

تجلى في « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ - ١٩٨٦) » ، كما تجلى في « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني الى الكونغرس الحزبي العام » الذي « قدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية » للحزب ، وهما الوثيقتان اللتان أقرهما الكونغرس خلال فترة انعقاده ما بين ٢٠ - ٢١ يونيو ١٩٨٧ م .

حقا أن هاتين الوثيقتين تمثلان وقفتين على طريق طويل ممتد ستعدد عليه الوقفات النقدية ، غير أن ما ورد فيهما حول تقييم ايجابيات وسلبيات التجربة الثورية لابد أن يؤخذ بالحسبان باعتباره ضوئا كاشفا لا بالنسبة لماضي التجربة فحسب ، وانما بالنسبة لمستقبلها أيضا .

لم يكن من باب ارضاء النفس ما جاء في الوثيقة النقدية التحليلية حول الأهمية الخاصة لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية بالنسبة لجمال الثورات العربية :

« تمثل التجربة الثورية لليمن الديمقراطية نموذجا فريدا في المنطقة العربية ، وهي جزء لا ينفصم من حركة التحرر الوطني العربية والعالمية ، فقد انطلقت الثورة الشعبية المسلحة امتدادا لتراث الحركة الوطنية اليمنية ، وتلاحم النضال الوطني ضد الاستعمار بالنضال الاجتماعي ضد الرأسمال والاقطاع . ومنذ ٢٢ يونيو ١٩٦٩ ، اتخذت اجراءات حذرية لضرب مصالح الشركات الاحتكارية الأجنبية والمالية . والاقطاع ، وتثبيت أسس سلطة وطنية ديمقراطية يتطور مضمونها نحو الديمقراطية الشعبية . »

ان الالتزام بنظرية الاشتراكية العلمية - أيديولوجية الطبقة

العامة - والسعى لتطبيقها على الواقع اليمنى بصورة خلاقة .. وبناء حزب طليعى للعمال وحفائهم الفلاحين ، والسير بثبات لانجاس : مهام مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بأفاقها الاشتراكية والتحالف المبدئى مع المنظومة الاشتراكية ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ، هى أبرز مميزات هذه التجربة « (ص ٤ - ٥) »

أما العوامل الموضوعية والذاتية التى تسببت فيما تعرضت له التجربة والحزب من معضلات وانحرافات فتلخصها الوثيقة فى الصيغة العامة التالية التى لا يستطيع أحد الاعتراض عليها :

« لقد عانى الحزب فى غضون تلك الفترة من صعوبات ومشاكل كبيرة ، وانحرافات يمينية ويسارية خطيرة ، لم تضر الحزب وتمس وحدته الكفاحية فحسب ، بل كادت أن تقضى عليه وتجهض التوجه الاشتراكى برمته »

ان مصادر المصاعب والانحرافات الانتهازية التى واجهها الحزب تعود الى عدد من الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بنشأة الحزب وتطوره من جانب ، وبطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع والصراعات الطبيعية المعتملة فيه من جانب آخر ومؤامرات وتخريب القوى الامبريالية والرجعية »

وتتمثل الأسباب الموضوعية فى تدنى نسبة الطبقة العاملة فى اطار الحزب والمجتمع ، وشيوع فئات البرجوازية الصغيرة وتأثيرها على الحزب ، وضغط فئات الرأسمال المحلى والاجنبى وقوى الثورة المضادة الداخلية والخارجية ، والاشكالات والمصاعب الموضوعية لعملية التطور الاقتصادى والاجتماعى فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبقاء النزعات المناطقية كنتيجة لعدم نضج واكتمال الأساس الاقتصادى والاجتماعى للوحدة الوطنية »

وتكمن الأسباب الذاتية في صعوبات الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلمية ، وعدم قدرة واستعداد بعض الأعضاء في القيادة وفي الحزب بصورة عامة على استيعاب ودراسة الفكر الجديد والاهتداء به ، وضغط تأثيرات الأيديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وبقايا الأفكار التقليدية ، والتساهل تجاه الاتجاهات المغايرة لخط الحزب ، وخرق مبادئ المركزية الديمقراطية والقياسات الجماعية والنقد والنقد الذاتي ، الى جانب الميول التكتلية وعدم مراعاة المعايير المبدئية في اختيار وانتخاب الكوادر والقيادات الحزبية والاستعاضة عنها باعتماد أسلوب التوازنات ومراكز القوى والولاءات الشخصية ، وضعف أشكال المراقبة الحزبية والجماعية والنقد والمحاسبة ، والتساهل تجاه عناصر التيارات الانتهازية ، (ص ٣٩) .

ان التغلب على العوامل الموضوعية والذاتية الآتية الذكر يعنى حدوث انعطافة نوعية حاسمة في حياة الثورة والحزب والدولة والمجتمع ، بل وفي حياة الوطن اليمنى كله ، مما يسهل عملية النضال من أجل تحقيق مجمل أهداف قوى البلاد الحية والتقدمية في التحرر الوطني الكامل ، والتقدم الاجتماعي الشامل ، والديمقراطية السياسية الغامرة ، والوحدة اليمينية التامة ، والاشتراكية المنشودة .

ولذلك فان « تقرير اللجنة المركزية » الذي القاه الأمين العام الرفيق على سالم البيض أمام الكونغرس الحزبي العام يشير الى أن بلوغ الثورة أهدافها هذه يتطلب التعجيل بعملية التغلب على هذه العوامل الموضوعية والذاتية التي عطلت انطلاق قوى الثورة بكامل إمكانياتها المكتنزة في أعماقها ، كما يتطلب التقيد الصارم بالأسس الفكرية والمبادئ التنظيمية التي لا يستطيع أي حزب طليعي المضى الى الأمام بدون مراعاتها الدقيقة والصارمة ، وذلك أيضا ما علمتنا اياه تجربة الثورة والحزب خلال الفترة الماضية .

« وفي هذا السياق أكدت التجربة على ضرورة وجود الأعمال الملموسة الصادقة والتعامل المبدئي الصارم مع هذه المبادئ لأنها تشكل ضماناً للحزب من أي انحرافات يسارية كانت أم يمينية ، وفي هذه الأعمال الملموسة ينبغي الربط المحكم بين الديمقراطية التي تعنى إطلاق مبادرة الأعضاء ، وحققهم في النقاش الديمقراطي ، إلى اتخاذ القرار بالأغلبية ، وانتخاب هيئات الحزب ، وبين المركزية والانضباط الحزبي الواعي والصارم والنظام الداخلي ، والقيادة المنتخبة ، والقرارات المتخذة بالأغلبية . »

وبالعودة إلى تجربة حزبنا فأننا نشعر أننا بحاجة إلى تصحيح فهم وممارسة أعضاء ومرشحي الحزب للديمقراطية ، ليدرك الجميع أنها مسؤولية كبيرة ، وأن لها حدوداً : هي وثائق الحزب وقرارات هيئاته ، وهي لا تكتمل إلا بالانضباط الحزبي الحديدي لوثائق الحزب وإرادته الجماعية ، وفي نفس الوقت يجب أن تقف بحزم أمام أي ظواهر لمصادرة الديمقراطية من خلال غرض الرأي والتعصب وإصدار الأخطاء المسبقة وردود الأفعال ، وإسقاط الأعضاء المرشحين ، ومصادرة حقوقهم في طرح آرائهم وملاحظاتهم وعدم احترامهم والاستخفاف بها . »

ويعتبر مبدأ النقد والنقد الذاتي سلاحاً بيد الحزب وأعضائه للحفاظ على نقاوة الحزب وتطويره بصورة مستمرة . ولذا ينبغي أن نعزز ممارسته ، ولا نسمح بردود الأفعال الضيقة ، والتعصب تجاه النقد والنقد الذاتي الحزبي والمبدئي البناء ، أو ممارسة هذا المبدأ الحزبي الهام في المسائل الهامشية والشككية واستخدامه بصورة تعكس الاحقاد وتصفية الحسابات « (ص ٧) » .

إن دياكتيك حركة الثورة في اليمن الديمقراطية يبين بجلاء قاطع أنها — رغم الهزات والاختناقات والأزمات والكوارث — تسير باستمرار

— ٣٩٥ —

الى الأمام ، وانها فى صعوبة دائب ، وانها تنتقل دائما من الأدنى الى الأعلى •

وذلك هو مقياس المقاييس فى تقييم مدى أصالة وجذرية وعمق الثورات ، وليس ما تتعرض له عبر حركتها المتقدمة المتنامية هذه من التزامات ومن المحن والكوارث •

وكما أوضح لينين — بالاستناد الى ماركس وانجلز : — « لقد كان ماركس وانجلز يريان فى ديالتيك هيغل أوسع مذهب من مذاهب التطور وأوغرها مضمونا ، وأشدّها عمقا ، وأثمن اكتساب حقيقته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية • وكانت كل صيغة أخرى لبدأ التطور نترأى لهما وحيدة الجانب ، فقيرة المضمون ، تشوه وتفسد السير الواقعى للتطور (الذى يتميز أحيانا بقفزات وكوارث وثورات) فى الطبيعة والمجتمع » • (لينين مصادر الماركسية الثلاثة وأقسامها المكونة الثلاثة ، دار التقدم ص ٢٥) •

بل انه قد تحدث ردة للثورات قد تغتلبها حركة تصحيح لمسارها • ومما تتميز به ثورة ١٤ أكتوبر فى اليمن الديمقراطية أنها لم تنتكس قط ، وانها ظلت قادرة على معالجة وتجاوز عثرات الطريق وعلى القفز خطوات أبعد الى الأمام •

هناك من يحلو له أن يشنع على هذه الثورة ويتهمها بمحاولة حرق المراحل ، ويرى فى ذلك السبب العميق لكل ما واجهها من محن اجتماعية وسياسية •

والواقع أنه ليس هناك حرق مراحل فى سيرة هذه الثورة ، وانما هناك ايمان عميق وأصيل بإمكانية تجاوز مرحلة الرأسمالية ،

— ٣٩٦ —

والسير في طريق التوجه الاشتراكي صوب أفق الاشتراكية الوضاء ،
وهى مقولة لينينية أثبتت صحتها العديد من الثورات التى مرت وتمر
بظروف مشابهة لظروف اليمن الديمقراطية •

حقا أن تركة التخلف الثقيلة — إضافة الى الظروف المعاكسة
المحيطة باليمن الديمقراطية — تلعب دورا لا يستهان به في عرقلة سير
هذه الثورة • غير أن ما يستحق التنويه أنه رغم ذلك كله أمكن لهذه
الثورة أن تعيش وان تنمو وان تسير في خط صاعد باستمرار •

وبقدر ما تتمكن هذه الثورة من حل تناقضاتها الطبيعية ، ومن
ترصين وحدة أداتها القيادية الطبيعية ، ومن تعزيز وحدة البلاد
الوطنية والاجتماعية ، ومن تمتين وحدة الحزب والشعب ، ومن تعميق
الايمان بسلامة نهج التوجه الاشتراكي وسط الجماهير العريضة ،
ومن السيطرة على النظرية وحسن تطبيقها من قبل الحزب ، ومن معالجة
المعضلات الداخلية والخارجية بمقدرة ومرونة ، ومن ترسيخ العلاقات
الاممية مع أحزاب الطبقة العاملة والثورية في العالم كله ، وفي مقدمتها
حزب لينين العظيم ، بقدر ما تتمكن الثورة من ذلك كله ، بقدر ما
تتوفر شروط موضوعية وذاتية داخلية وخارجية ، أكثر مواتاة لمضيها في
الدرب الذى اختارته ، درب التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتهادى ،
والديمقراطية الشعبية ، والوحدة اليمنية الديمقراطية •

الخاص والعام ...
في عملية التجديد الديمقراطي ...
التراث الثقافي - السياسي ...
في الوطن اليمني ..

عند تقييم تراث أى وطن من الأوطان لا محيص من التشاور مع
لينين الذى يقف جميع الشرفاء والاخيار فى العالم وقفه اجلال واكبار
وتقدير وامتنان أمام ما خلفه فى هذا المضمار ، فهذا المفكر العبقري
الفذ ، وهذا المعلم الانساني العظيم ، قد ترك لنا كنزا نظريا لاحد
لخسوبته وتنوعه ، وشموليته ، وعمقه ، وقدرته على الاستمرار
والتجدد ، وعلى الاحتفاظ بشعلته العلمية المضيئة وهاجة متألثة أبدا .

وأى باحث فى علوم الفلسفة والاجتماع والاقتصاد ، والتاريخ ،
وغيرها من العلوم سيجد أمامه دائما هذا المعين الذى لا ينضب
ولا يغيض .

وفى كل قضية من قضايا الناس الحية - للينين فيها رأى ، ورأى
عميق مدروس .

ان من هذه القضايا التى حسمها لينين بالرأى السديد القاطع :
قضية العمومية ، والخصوصية فى التراث ، أى تراث ، والايجابى ،
والسلبى فيه ، وما يمكن أخذه أو نبذه منه .

غفى الوقت الذى يضع فيه حداً فاصلاً بين الثقافة البرجوازية المعبرة عن أيديولوجية الطبقة الرأسمالية ، وبين الثقافة البروليتارية المعبرة عن أيديولوجية الطبقة العاملة ، ويشجب فيه القول بوجود ثقافة قومية لا دأبقية . واعتبار « الثقافة الاممية ثقافة لا قومية » ، فإنه انطلاقاً من المفهوم المادى التاريخى الديالكتيكى ذاته ومن واقع أن تاريخ البشرية هو تاريخ انصراف الطبقي ، الذى يولد أيديولوجيات وثقافات متصارعة ، يؤكد « أن كل ثقافة قومية تحتوى عناصر ، وان غير متطورة ، من ثقافة ديموقراطية واشتراكية ، لأنه يوجد فى كل أمة جمهور كادح مستمر ، تولد ظروفه الحياتية بالضرورة أفكاراً ديموقراطية واشتراكية . ولكنه توجد أيضاً فى كل أمة ثقافة برجوازية (غالباً ما تكون أكليريكية ومغرفة فى الرجعية) لا تبدو بشكل « عناصر » وحسب ، بل بشكل ثقافة سائدة . ولذا فإن « ثقافة القومية » بوجه عام ، هى ثقافة الملاكين العقاريين ، ورجال الدين ، والبرجوازية . وتأسيساً على ذلك « فإننا إذ نضع شعار « الثقافة الاممية ، ثقافة النزعة الديموقراطية والحركة العمالية العالمية » إنما نستخلص من كل ثقافة قومية مجرد عناصرها الديموقراطية والاشتراكية ، ونستخلصها بوجه الحصر واطلاقاً ، لمعارضة الثقافة البرجوازية ، لمعارضة التعصب القومى البرجوازى فى كل أمة من الأمم » . (لينين ، فى الثقافة والثورة الثقافية ، موسكو (الترجمة العربية) ص ١٦ - ١٧) .

كان لينين يمثل هذا الطرح الجدلى لقضية التراث يجادل أولئك الذين تملكهم الطفولة اليسارية ، من ذوى النظرة الطبقيّة المحدودة والقاصرة ، ومن ثم الجاهلة ، الذين كانت تنقصهم المعرفة الموسوعية الشاملة التى تميز بها لينين ، وتميز بها من قبله مؤسس الاشتراكية العلمية : ماركس ، وانجلز ، وكان بذلك ينكر نظرتهم العدمية الى التراث ، والى كل الثقافات السابقة ، وينبهم الى أن مثل هذا الموقف المتعنّت والمقفّل ازاء كل ما أنجز من فكر من قبل ، والرافض رفضاً تاماً

له ، هو موقف لا علاقة له البتة بالثورة الثقافية ، ولا يفيد الثقافة البروليتارية قط ، كما أنه موقف غير جدلى ، ومن ثم غير علمى ، من حيث أنه لم ير من الثقافات السابقة الا ما كان سائدا منها ، ثقافة الطبقات المستغلة المسيطرة ، ولم يمتد بصره ليرى ما خلف الأكمة ، ليرى ثقافة الطبقات الشعبية المسحوقة ، التى لا محيص من التفتيش عنها تحت أثرية وركام الثقافات الارستقراطية المتحكمة ، والتى كثيرا ما شوهرتها هذه الثقافات ، أو اخضعتها لها •

أما قال ماركس وانجلز - قبل لينين - فهو : « ان أفكار الطبقة الحاكمة هي ، فى كل عصر من العصور ، الأفكار السائدة ، والطبقة التى تتصرف بوسائل الانتاج المادى ، تتصرف فى الوقت نفسه ، وبالتالي ، بوسائل الانتاج الفكرى ، حتى أنه تخضع لها فى الوقت نفسه ، وبصورة وسطية ، أفكار أولئك الذين هم محرومون من وسائل التعبير الفكرى » ان الأفكار السائدة ليست الا التعبير الفكرى عن الشروط المادية السائدة » (ف • كونسطنطينوف • دور الأفكار التقدمية فى تطوير المجتمع • (الترجمة العربية) دمشق ١٩٧٤ ، ص ٦٢ - ٦٣) •

ولتبيان مدى خطأ النظرة العدمية الى التراث أوضح لينين فى مقاله الشهير الذى كتبه فى مارس ١٩١٣ بعنوان (مصادر الماركسية الثلاثة والأقسام المكونة لها) أنه حتى الماركسية نفسها ، انصبا هى تنمية وتطويع « لنظريات الممثلين الأكثر أصالة للفلسفة ، والاقتصاد السياسى ، والاشتراكية » • وان « نظرية ماركس » انما « هى الوريث الشرعى لأفضل ما انجبته البشرية فى القرن التاسع عشر : الفلسفة الألمانية ، والاقتصاد السياسى الانكليزى ، والاشتراكية الفرنسية » •

ومن أجل الاجهاز على مفهوم « الثقافة البروليتارية » الخالصة ، والخالية من شوائب الثقافات الأخرى ، والنقية ، والتى ينبغى البدء

فيها من نقطة الصفر ، من أجل الاجهاز على هذا المفهوم الخيالي المثالي البرجوازي الصغير الذي كان يروج له قادة ما يسمى « حركة الثقافة البروليتارية » التي تأسست في الاتحاد السوفيتي عام ١٩١٧ بقيادة بوجدانوف ، فان لينين صاغ في ٨ أكتوبر ١٩٢٠ مشروع قرار بمناسبة انعقاد مؤتمر « بروليتكولت » — منظمة الثقافة البروليتارية هذه — جاء فيه من جملة ما جاء فيه « لقد اكتسبت الماركسية أهميتها التاريخية العالمية بوصفها أيديولوجية البروليتاريا الثورية ، لأن الماركسية لم تطرح جانبا على الاطلاق أثمن مكتسبات العهد البرجوازي ، بل بالعكس ، استوعبت وأعدت صياغة كل ما كان ذا قيمة في تطور الفكر البشري ، والثقافة البشرية خلال أكثر من ألفي سنة وان العمل اللاحق على هذا الأساس ، وفي هذا الاتجاه بالذات ، العمل الذي يستوحى التجربة العملية لديكتاتورية البروليتاريا بوصفها نضال البروليتاريا الأخير ضد كل استثمار ، هو وحده الذي يمكن اعتباره تطويرا للثقافة البروليتارية فعلا » •

كما جاء فيه : « ان مؤتمره « بروليتكولت » لعامة روسيا يتمسك بثبات وجهة النظر المبدئية هذه ، ويرفض بأحزم وجه جميع المحاولات الرامية الى تلغيق ثقافة متميزة .. » •

كما جاء في « مسودة قرار عن الثقافة البروليتارية » الذي صاغه لينين في اليوم التالي باسم المؤتمر والذي رفض فيه كل محاولة لاستتباط ثقافة خاصة من المعدم للبروليتاريا جاء فيه : « لا اختلاق ثقافة بروليتارية جديدة ، بل تطوير خيرة نماذج وتقاليد ونتائج الثقافة الموجودة من وجهة نظر الماركسية عن العالم وظروف حياة ونضال البروليتاريا في عهد ديكتاتوريتها » • (لينين ، في الثقافة والثورة الشاغية • ص ٤٦ - ٤٩) •

وفي حديثه الى الشباب الشيوعيين الذى أجراه عام ١٩٢٠ أيضا ، وأكد فيه أنه ما كان ممكنا أن يحدد ماركس الأسس النظرية للثورة الثقافية ، لو لم يكن مستوعبا « كل ما أنتجه العلم القديم » ولو لم يقرأه « بفكر نقدي » قال موضحا علاقة التراث بالثقافة البروليتارية : « يجب أن نفكر ، عندما نتكلم عن الثقافة البروليتارية بكل هذا • لم يكن بوسعنا أن نحل هذه المسألة ، لو لم نكن مستوعبين تماما للثقافة التى أنتجتها الانسانية عبر العصور ، ولدور هذه الثقافة الأساسى فى مساعدتنا على خلق الثقافة البروليتارية • لا تنبثق الثقافة البروليتارية من مكان مجهول •

وهى ليست اختراع أشخاص أخصائيين فى الموضوع • هكذا قول ، هو حماقة ليس الا • يجب على الثقافة البروليتارية أن تكون التطوير المنطقى لمجموع المعارف التى راكمتها الانسانية تحت نير المجتمع الرأسمالى ، والملاكين العقاريين ، والبيروقراطيين • إن كل هذه الطرق والمسالك قد قادت وستقود الى الثقافة البروليتارية ، تماما ، كما أن الاقتصاد السياسى الذى أعاد ماركس التفكير فيه ، قد بين لنا مصير المجتمع الانسانى ، وعين لنا الانتقال الى الصراع الطبقي ، فى بداية الثورة البروليتارية » •

وينبه لينين الشباب الشيوعى الى أنه لا يستطيع أن يحدد عالمه ، ويعيد صياغته بمجرد « الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية ، وتعلم الشعارات الشيوعية فحسب • ليست هذه هى الطريقة لبناء الشيوعية • ولا يمكن للمرء أن يكون شيوعيا ، الا اذا أغنى ذاكرته بكل المعارف التى خلفتها البشرية » • (جاك ميلو ، ميشيل سيمون ، غى بس • لينين ، الفلسفة والثقافة ، بيروت ، (الترجمة العربية) ١٩٧١ • ص ١٤٦ - ١٤٨) •

— ٤٠٣ —

في ضوء هذه القانونية التاريخية العامة المتعلقة بالتراث عموماً ،
والتي بسطتها أمامنا بوضوح كامل الماركسية — اللينينية ، كما يتضح
ذلك من النصوص السابقة — ترى أى نوع من التراث ينبغي علينا
التنقيب عنه واستحضاره ، ووضعه في مكانه من عملية التجديد
الديمقراطي لحياة شعبنا ووطننا اليمني ؟

إذا أخذنا مفهوم التراث بشقيه : المادى ، والفكرى ، فأن
بإمكاننا أن ننظر باعتزاز كبير الى ما صنعتته أيدي الجماهير اليمنية
الحاذقة من منشآت تقنية • ومآثر حضارية عالية التطور بمقياس
زمانها ، والتي تأتى المسدود ، وعلى رأسها سد مأرب ، أحد عجائب هذا
العصر ، في الصدارة منها •

حقاً أن المجتمع اليمني في هذا التاريخ القديم كان مجتمعاً
شبه عبودي ، فأن الذين كانوا يهيمنون على هذه المنجزات ، ويتمتعون
بشمارها ، ويتخذون منها أدوات قوة لمواقعهم الطبقيّة الحاكمة
والمتحكمة ، هم السادة من الأقبال ، والأقبان ، والأذواء ، والكبراء ،
وفي مقدمتهم الملوك التابعة •

غير أن هذه الحقيقة التاريخية لا تنفى أن الأيدي الماهرة
الحاذقة العاملة التي حملت العبء الأساسى في صنع هذه الحضارة
اليمنية المبكرة ، بكل انجازاتها المتنوعة هي أيدي الشعب ، أيدي القوى
العاملة والمنتجة فيه وليست أيدي السادة القابعين على عروشهم ، ولا
أيدي رجالات « المزود » — مجالس الشورى — التي لم تكن تضم سوى
علية القوم من رؤساء القبائل ، وأصحاب الأراضي ، والكهنة ، وغيرهم
من السادة التبتلاء •

وإذا تركنا جانباً الدور الذى نهضت به اليمن في انجاح الدعوة

والحركة الاسلامية التي انطوت على بعد قومي في مواجهة التسلط البيزنطى والفارسى ، وبعد اجتماعى في مواجهة الاستغلال التجارى لبعض البيوت الكبيرة القرشية في مكة ، ودورها في اقامة الامبراطورية العربية الاسلامية ، هذا الدور الذى امتزج فيه الشعور بالغبطة والبهجة لنهوض اليمنيين بقسط واغر في اعلاء الراية الاسلامية ، وفي الانتصار للدعوة المحمدية ، بالشعور بالغين والاحباط ، لان الذين أسهموا بهذا النصيب الضخم ، لم يحصلوا على المكانة السياسية الملائمة والثقة في ظل الخلافة الاسلامية ، أقول اذا تركنا هذا الدور جانبا ، فأننا سنجد أن اليمنيين شاركوا في كل الحركات السياسية المعارضة التى قامت في وجه الخلفاء وخاصة منذ الخليفة الرابع عثمان بن عفان ، الى آخر خليفة أموى ، ومن أول خليفة عباسى أسهموا في مبدأ الأمر في اقامة حكمه ، الى أقوى خليفة عباسى عرفه العصر الذهبى العباسى ، وهو المأمون ، كما شاركوا في قيادة المعارضة الشيعية ، سواء ضد الخلافة الأموية ، أو العباسية ، وسواء في شتى أصقاع العالم العربى - الاسلامى ، أو في اليمن ذاتها .

وكما كانت اليمن مكتبة للفكر المعتزلى العقلانى - بعد أن طاردهته الخلافة العباسية ، بعد عصر المأمون - فأنها كانت منطلقا لواحدة من أكثر الحركات الاجتماعية ديمقراطية في التاريخ الاسلامى كله ، ألا وهى الحركة القرمطية التى تمكنت حتى من تأسيس دولة لها فيها دامت حوالى عقدين من الزمن ، قبل أن تأنى عليها سيوف قسوى الاقطاع التى أحاطت بها من كل مكان في اليمن .

ولربما كانت المآثر التاريخية التى حققها الشعب اليمنى في مواجهة حملات الاضطهاد القومى التى قادتها الخلافة الاقطاعية العثمانية - التى حلت محل الخلافة العباسية - منذ مطلع القرن السادس عشر والى

القرن العشرين ضد اليمن والعرب جميعا — ربما كانت هذه المسألة التاريخية ليس مبعث فخر اليمن واليمنيين فحسب ، وإنما أيضا مبعث فخر جميع العرب •

حقا لم تخلف اليمن — على المستوى الفكرى — مآثر باقية بذات الحجم ، حيث ظلت في هذا الميدان متخلفة عن مراكز دولة الخلافة ، وحيث أفقدتها الفتن الداخلية بين أئمتها وامرائها ، وصراعاتهم الملاحية على السلطة ، والحروب الخارجية التى شنت عليها ، أفقدتها الاستقرار ، وحرمت مفكريها من الفرص اللازمة للاسهام بالقسط المطلوب في ميدان الابداع الفكرى ، والثقافى •

وكانعكاس للبنية الاقتصادية — الاجتماعية ذات الطابع شبيهة الاقطاعى شبه القبلى ، فإن الثقافة التى كانت سائدة خلال هذه الحقبة التاريخية الطويلة التى امتدت منذ صدر الاسلام الى القرن العشرين كانت ثقافة القوى الاقطاعية القبلية ، بكل نزاعاتها واحكامها ، وكل افرازاتها المذهبية ، وكل أشكالها الطائفية ، والعرقية ، التى كانت تعبر — في الواقع ، وان في تلاوين محرفة — عن صراعاتها على السيادة السياسية •

وإذا كان من حق المؤرخين أن يحققوا ويمحصوا أحداث هذه الحقبة التاريخية المديدة ، بكل انعكاساتها ، وافرازاتها ، فإنه لا يهمل الباحث في التراث والباحث عما يفيد منه حركة النهوض الوطنى والاجتماعى اليمنية الحديثة ، سوى تلك الجوانب الايجابية والمضيئة المعبرة — على المستوى الفكرى — عن العقولانية ، والمعبرة — على المستوى الاجتماعى — عن التطلع الى العدالة •

وبتصفح التراث اليمنى خلال هذه الحقبة سيعثر الباحث على صفحات كثيرة تعكس النزعة العقلانية ، وروح التطلع الى العدالة •

ولأننا لسنا هنا في مضمار تتبع هذه الصفحات ، فأننا نكتفي
بإيراد مثل واحد فقط ، يعبر عن الرغص لشريعة النجور الاجتماعي
التي كان يطبقها الأئمة على الشعب ، ويستنزفون بها خيراته •

يقول محمد بن اسماعيل الأمير — أحد علماء الدين — والذي
عاش ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، في هذا الصدد :

انى ومن بيت الامام عصابة في العد قد زادوا على الالاف
مستزقون من الرعايا ليتهم قنعوا بأكل فرائض الأصناف
بل يأخذون من الرعايا كل ما يحوونه كرها بلا استنكاف
[ابن الأمير وعصره • مجموعة مؤلفين يمنيين • ص ١٥] •

وفي مضمار دفاعه عن وطنه الذى كان قد بدأ الوهابيون النجديون
بقيادة السلطان عبد العزيز بن محمد بن سعود في انتهاكه ، ورفضه
لدعوة محمد بن عبد الوهاب الدينية المتطرفة ، التي تبنتها أسرة آل
سعود ، وأخذت تتوسع تحت ستارها ، في مضمار ذلك يقول :

وقد جاء من تأليفه برسائل يكفر أهل الأرض فيها على عمد
ولفق في تكفيرهم كل حجة تراها كبيت العنكبوت لدى النقد

[محمد يحيى الحداد • تاريخ اليمن السياسى • القاهرة •
١٩٧٦ • ص ٣٤٠] •

وباستثناء ما يمكن العثور عليه من أفكار اصلاحية عامة في الأطار
الاسلامى في « مجلة الحكمة اليمانية » التي أصدرتها مجموعة من المثقفين
الدينيين بتشجيع من نجل الامام يحيى حيمد الدين « السيف عبد الله »
ما بين ديسمبر ١٩٣٨ — فبراير ١٩٤١ ومن أفكار اصلاحية في هذا

— ٤٠٦ —

الاطار ، وفي اطار نيبرالى غربى لدى حركة المعارضة التى قامت ضد حكم الامام يحيى ونجله الامام احمد ، والتى اشتهرت باسم حركة الأحرار اليمنيين ، واستمرت قائمه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى حين قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى قادتها مجموعة من اضباط ، بدعم من البورجوازية الوسطى التجارية ، وتأيد كامل من مصر الناصرية ، أقول باستثناء ذلك كله ، هأننا لا نعثر لا فى مجلة « الحكمة » ولا فى كتابات حركة الأحرار على تراث ذى طابع وطنى ديمقراطى ، يمكن الالهاده منه فى مجال اعاده صياغة الثقافة اليمنية الحديثة .

ان السبب فى ذلك يعود الى أن هذا التيار التقليدى لم يتطور ليصبح حركة وطنية مناهضة للاستعمار البريطانى فى جنوب البلاد ، ولسياسة التوسع السعودى فى شمالها ، ولم ينم ليصبح حركة تجديدية تستهدف الاطاحة بالنظام الاقطاعى — القبلى — الكهنوتى من أساسه ، وظل عند حدوده المتواضعة ، حدود ادخال اصلاحات وتحسينات على النظام القائم ذاته ، بما يسمح للطبقة الاقطاعية بمجملها ، وللطبقة الكومبرادورية الناشئة ، من الاسهام فى ادارة دفة الحكم .

وعندما رفعت حركة الأحرار شعار الجمهورية منذ عام ١٩٥٦ ، بشكل خجول ومتردد ومتقطع ، هأنها لم تقصدها بها الجمهورية البرجوازية الديمقراطية ، ولذلك فأنها رشحت رئاستها عام ١٩٥٩ شيخا اقطاعيا كبيرا ، هو الشيخ حسين بن ناصر الأحمر ، على أن ينوب عنه فى ادارتها — فى حالة قيامها — أحد رجال الكهنوت المعبرين — بطبيعة تفكيرهم — عن مصالح وأيديولوجية القسوى الاقطاعية .

وكما لم يترك الاقطاع اليمنى — بشقيه الحاكم والمعارض — سوى

ثقافة صفراء متخلقة • فإن البرجوازية اليمينية ، التي كانت طفيلية أساسا من حيث أنها لم تكن منتجة ، لم تخلف سوى العقم والأجذاب ، ولم تدع لغير تبني الثقافة الاستعمارية ، تعبيرا عن خواتمها وذيئيتها •

ان جميع الأحزاب البرجوازية ، ابتداء من الجمعية العسدية ، وما تفرع منها من أحزاب ، مرورا برابطة أبناء الجنوب العربي ، وحزب الشعب الاشتراكي ، وانتهاء بحزب الأحرار اليمينيين الذي مثل — شأن الرابطة — مصالح الانقطاع والبرجوازية معا — هي التعبير السياسي والفكري البائس عن هذا الواقع المجذب العقيم •

فقط مع نمو الطبقة العاملة اليمينية ، وظهورها على المسرح السياسي منذ منتصف الخمسينيات ، وبروز الأحزاب والتجمعات الوطنية التي عبرت في أغلب الأمر عن غثات البرجوازية الصغيرة ، والشرائح الدنيا من البرجوازية الوسطى ، أخذت تبرز شعارات وتطرح أفكار ذات طابع وطني ديمقراطي ، وان تفاوت حظها من حيث الموضوع والعق و الشمول •

ان أبرز هذه الأحزاب والتجمعات التي أخذت في الظهور منذ نهاية الخمسينيات حركة القوميين العرب ، التيار الناصري ، حزب البعث ، الذي كان يصطارع فيه تياران : يميني يراهن على الجماعات الاصلاحية الانتهازية البرجوازية في جنوب الوطن ، وعلى الجناح الاقطاعي — الاصلاحى — الانتهازى في شماله ، ويسارى يطمح الى التعاون مع أطراف الحركة الوطنية اليمينية •

على أن التجمع الماركسى الذى أخذ يتكون منذ منتصف الخمسينيات ، والذي غدا تنظيما علنيا منذ عام ١٩٦١ ، وان لم يعتبر نفسه حزبا شيوعيا ، وانما تجمعا وطنيا ديمقراطيا ، ومن هنا تسمية

نفسه بـ « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » قد طرح أكثر الشعارات السياسية وضوحا ، وقدم أكثر الأفكار الوطنية والاجتماعية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، تبلورا .

ان المحصلة الثقافية للنشاط السياسى والفكرى ، والأدبى ، والصحفى ، لهذا التجمع منذ منتصف الخمسينيات ، وان « الميثاق الوطنى » الذى جاء تنويجا لهذا النشاط ، تضع هذه الطليعة الماركسية المبكرة بقيادة عبد الله باذيب — ودون منازع — فى مكان الصدارة من التراث الثقافى الوطنى .

ان مجمل التراث السياسى والفكرى الذى خلفته لنا أطراف الحركة الوطنية اليمينية ومجمل النضالات التى خاضتها قد مهدت لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، ولانفجار وليدها الحى ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ .

على أن هذا التراث الثقافى الثورى ما كان بإمكانه أن يتحول الى مستوى أن يكون ثورة ثقافية ، ذلك أن مثل هذه الثورة لا تتحقق قبل قيام الثورة السياسية والاجتماعية التى تغير البنيان التحتى للمجتمع ، وتعيد صياغة العلاقات الانتاجية والاجتماعية فيه .

ولكن هذه الثورة الوطنية الاجتماعية لم تشمل الوطن كله ، ومن ثم فإن الثورة الثقافية قد تعثرت فيه .

فالثورة العسكرية والسياسية التى قامت فى شمال الوطن لم تستطع — نتيجة سيادة الفكر الاصلاحى ، ونقص الفكر الثورى ، ونتيجة قوة وخشونة الوضع الاقطاعى — القلى ، وضعف وعجز البرجوازية الوسطى والصغيرة ، المدنية والعسكرية — لم تستطع أن تنمو وتتحول الى ثورة اجتماعية تخلع الطبقة الاقطاعية من جذورها ،

— ٤٠٩ —

ودخلت — بدلا من ذلك — في مصالحات ومساومات معها ، انتهت الى اجهاض الثورة العسكرية والسياسية ذاتها ، والى استيلاء الاقطاع والكومبرادور على السلطة في ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وفتح شمال الوطن للنفوذ الرجعى والاستعمارى ، وفى مقدمته النفوذ الرجعى السعودى ، والامبريالى الأمريكى .

ان هذه الردة التى ما يزال يعيشها شمال الوطن الى اليوم لم تسمح حتى بشيوع تلك الثقافة الثورية التى كانت أطراف الحركة الوطنية اليمنية قد بدأت فى بثها قبل قيام ثورة سبتمبر .

وبدلا من هذه الثقافة الثورية ، وبدلا من تنميتها وتعميقها ، ظهرت الى العلن من جديد الثقافة الاقطاعية المتخلفة والفضلة ، بكاف افرزاتها المريضة والموبوءة ، كما ظهرت من جديد الثقافة الأوتوقراطية ، التى تقوم على تقديس وتمجيد الفرد ، وبالذات الفرد الحاكم ، وعلى التطبيل والتزوير له ، وعلى النفاق الذى لا حد له فى نفس الوقت الذى أخذت تشيع فيه الثقافة الليبرالية البرجوازية ، بكل قيمها النفعية ، والبراجماتية ، والمصلحية ، والأنانية ، وبكل تفسخها وتحللها وفسادها ، ناهيك عن انتشار الأساليب الدعائية للحكم على مستوى أجهزة الاعلام ، والمفرطة فى ديماجوجيتها وفى تخريبها وتزوينها للوعى الوطنى والاجتماعى .

ان العكس من ذلك هو ما حدث فى جنوب الوطن فالثورة المسلحة التى انطلقت شراراتها فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ ضد المستعمر البريطانى وضد صنائعه وركائزه من السلاطين والأمراء الاقطاعيين قد صهرت فى أتونها قوى الثورة ، وأئضجتها ، وكما بلورت قسما من هموى التقدم فيها ، فانها كشفت ملامح العناصر البرجوازية الوسطية المتخلفة بين صفوفها .

— ٤١٠ —

وكان لابد أن تخذ الثورة المسلحة بطرد المستعمر البريطانى ، بعد اجتلال دام أكثر من قرن وربع قرن . كما كان لابد ان تتعمق الثقافة الثورية بعد نيل الاستقلال فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، وأن تقضى العناصر النرجوازية الوسطية المتخلفة التى أمسكت بالسلطة غداة الاستقلال ، وأن تتفجر الثورة السياسيه والاجتماعيه فور اقضاء هذه العناصر بحركة ٢٢ يونيو التصحيحيه عام ١٩٦٩ التى قادها الجناح التقدمى فى الجبهة القومية ، ولقى فيها كامل الدعم من إقصاء الديمقراطيه الأخرى .

على أنه ما لبث أن حدثت مفارقة غريبة . فبينما أمكن تغيير البنية الاقتصادية — الاجتماعيه ، بكل أشكالها القطاعيه ، وشبكه القطاعيه ، والكومبرادورية ، والاستعماريه ، وتحرير الاقتصاد الوطنى ، والمضى على طريق التقدم الاجتماعى ، والتطور الاقتصادى . أخذت تظهر منذ مطلع السبعينيات مخاطر تيار يسارى طفولى مغامر متمرج فيه ملامح المشاعيه البطيريكية البدائيه ، بملامح « شيوخية الفكنات » التى لا تقل بدائيه وفضاظة عن المشاعيه البطيريكية ، والتى تقوم على مصادر حتى المكيات الصغيره ، الفلاحيه ، والحرفيه ، وفرض التعاونيات غرضها ، وعلى المساواة فى التقشف . وعلى الديكتاتوريه الفرديه ، وحب الزعامة الذى يبلغ حد رفض كل شكل من أشكال الديمقراطيه الحزبيه والجماعيه ، وعلى التطرف ، والعفوية ، والانفعال فى كل تصرف ، وكل اجراء ، وعلى احتقار التاريخ ، والتراث ، والثقافه ، وعلى الانعزال عن الهموم الوطنيه ، والقوميه ، والانسانيه ، والانكفاء على النفس ، وعبادة الذات .

وتأثرا بالثورة الثقافية المادية التى كانت المثال النموذجى لهذا التيار اليسارى الطفولى المغامر ، دعا هذا التيار الى نوع من الثورة الثقافية التى كانت تهدف أول ما تهدف الى تحطيم المثقفين الثوريين

- ٤١١ -

فبل غيرهم ، والى اشاعة الجهل ، والفوضى والخشونة ، والارهاب ،
والذعر ، فى صفوف الشعب ، وفى صفوف قواه التقدمية •

ان أحداث الأيام السبعة العجاف التى امتحن بها التنظيم
السياسى ، الجبهة القومية ، وامتحن بها معه اجمع ، خلال شهر
أغسطس ١٩٧٢ ، هى مجرد رمز لهذا النمط من التفكير اليسارى
المفوضى الفوضى •

على أن التنظيم السياسى ، ومعه كل فصائل وعناصر الحركة
الوطنية والتقدمية اليمينية تمكن فى آخر الأمر من محاصرة هذا
التيار المغامر ، ومن ثم من التغلب عليه وعلى محاولته الانقلابية
الطائشة فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ ، ومن وضع حد نهائى للانتهازية اليسارية
من أساسها ، وان لم يقض على تركتها ونهجها تماما •

وبذلك « فتح » المجال ليس فقط لاشاعة الديمقراطية الحزبية فى
التنظيم ، والديمقراطية السياسية فى صفوف الشعب ، وانما أيضا
لتحويل التنظيم ذاته من تنظيم ديمقراطى ثورى ، الى حزب طليعى من
طراز جديد ، حزب يحتضن قضية الوطن بمجملها ، فى نفس الوقت
الذى يحتضن فيه القضية القومية ، والقضية الأممية ، حزب طبقى
جماهيرى ، حزب اشتراكى يمنى ، يقود مسيرة الثورة اليمينية المعاصرة
بكل أبعادها ، الوطنية ، والاجتماعية ، والثقافية ، وبكل آفاقها القومية
التقدمية والانسانية الأممية •

وأيا كانت الأزمات التى تعرض لها هذا الحزب والتى شرع
الآن فى ستخلاص العبر والدروس منها ، وفى تقديم المعالجات
الصائبة لها ، وفى البحث عن مخرج أوسع لحل أزمة العمل الوطنى
الديمقراطى عموما ، فأنه لا محيص من تبيان الأهمية التاريخية لقيامه •

— ٤١٢ —

وبقيام الحزب الاشتراكي اليمني ، الذي انبثق مع انعقاد مؤتمره الأول خلال الفترة ما بين ١١ — ١٣ أكتوبر ١٩٧٨ بدأت مرحلة تاريخية جديدة في مضمار العمل السياسي .

وبقيامه « فتح » الطريق — لأول مرة — نصهر وصياغة الأداة القيادية الواحدة للثورة اليمنية المعاصرة ، بكل أهدافها الراهنة والمستقبلية ، وكل مهامها المرحلية ، والتاريخية وبكل أعماقها الوطنية الديمقراطية ، والديمقراطية الاشتراكية .

وبقيامه وجد الإطار التنظيمي الذي لا تتشكل وتترصن وتوحد فيه الطلائع الاشتراكية اليمنية فحسب ، وانما تتوحد وتتبلور وتنضج وتكتمل فيه رؤيتها الوطنية — الاجتماعية — الديمقراطية — الاشتراكية — الأممية الواحدة ، وتتجسد وتتأكد فيه هذه الرؤية سياسيا وتنظيميا ونضاليا .

وبقيامه قام جسر العبور الوطني للانتقال باليمن من وهدة الانفصال والانعزال والتجزئة والتفتت التي أسقطتها فيها القوى الاستعمارية والاقطاعية الى مستوى التوحيد الوطني ، واعادة نسج الشخصية الوطنية اليمنية الحديثة المتكاملة السوية ، وقيام دولتها المركزية الموحدة ، الوطنية الديمقراطية . ومن ثم الديمقراطية الاشتراكية .

وبقيامه لم تثبت وترسخ السلطة الثورية والنظام الديمقراطي التقدمي في جنوب الوطن اليمني فقط ، وانما مضت به وتحت قيادته أيضا ثورة التحرر والتوحيد الوطني وعملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي وبزغت بشائر الثورة الثقافية المنشودة .

وبقيامه وجدت الأداة الطليعية المنظمة التي تتحسس اتجاه حركة التاريخ عموما ، وتتعرف على قوانينها الموضوعية العامة

- ٤١٣ -

المسيرة لها ، كما تتحسس في ضوئها اتجاه حركة التاريخ في وطنها ،
وتتعرف على قوانينها الموضوعية الخاضعة للحركة لها ، وتعمل على
السيطرة عليها ، وعلى ترشيد حركة التطور ، والتعجيل بعملية التجديد
الديمقراطي والثوري لمجتمعها على هداها .

وبقيام الحزب الاشتراكي اليمني وتحت قياداته أخذت تدخل
اليمن - موضوعا - فيما يمكن تسميته عصر الصحوة الوطنية
والاجتماعية والتاريخية والفكرية التي تتيح لها ليس فقط اعادة
كتابة تاريخها كتابة علمية موضوعية وفق منهج المادية التاريخية ،
وليس بحسب بعث تراثها ، وغربلته غربلة شديدة صارمة في ضوء
ذات المنهج ، وانتباز الرجعى منه ، ودفعه دفعا ، والاحتفاظ بالديمقراطي
منه ، واحيائه احياء ، وانما تتيح لها أيضا تمثل واستيعاب الثقافة
العربية والعالمية التقدمية ، بل وتتيح لها اغناءها بتجربتها الثورية
الخاصة .

والحزب الاشتراكي اليمني ، الذي يعتبر أول حزب طليعي
اشتراكي علمي حاكم في المنطقة العربية كلها ، يمثل بكل ولكل ما سبق
أول تجربة ثورية رائدة في الوطن العربي ، وهي تجربة وان كانت حتى
الآن خاصة من خصائص الثورة اليمنية ، الا أنها قابلة للتعميم ، ولو
في أشكال مختلفة ، بالنسبة للوطن القومي الأكبر ، وخاصة بالنسبة
للأقطار العربية المتقدمة فيه ، وهي من ثم تجربة ثورية ملهمة بكل
مقياس من المقاييس .

وهو بكل ولكل ما سبق أيضا يجمع في ذاته الخاص ، والعام
معا : الخاص الوطني ، والعام الأممي ، ويوحدهما في وحدة عضوية
ثورية هرمونية متنامية متعاظمة .

— ٤١٤ —

ولا يغير من هذه الحقيقة ما حدث في ١٣ يناير ١٩٨٦ • بل
أن قدرة الحزب على تجاوز الكارثة ، وعلى المضي بالمسيرة الثورية
الديمقراطية بتوجيهها الاشتراكي الى الأمام هو شهادة له ، وشهادة
أيضا على أنه وجد ليبقى ، وليظل ممسكا بزمام المبادرة التاريخية ،
وليدفع باليمن في اتجاه تحقيق أهداف الثورة اليمنية في التحرر
الوطني الكامل ، والتقدم الاجتماعي الشامل ، والوحدة اليمنية
الديمقراطية ، والاشتراكية •

وما من شك في أن حركات التحرر الوطنية الديمقراطية — ولا سيما
في الوطن العربي — ستجد في هذا التراث الثقافي والسياسي الديمقراطي
ما هو عام صالح للإلهادة منه والاضافة اليه •

ولا يتناقض مع هذا الموقف مع التاريخي والسياسي المتميز
الحزب الاشتراكي اليمني أن يكون سابقا الى انطلاق شعار الحريات
الديمقراطية لكل قوى المرحلة التاريخية الوطنية والقومية والديمقراطية
والاشتراكية ، والى السماح لها بتشكيل أحزابها المستقلة ، والى
دعوتها الى الدخول في تحالف جري ، سواء على مستوى كل من شطري
اليمن أو على النطاق اليمني كله ، يحتل فيه موقعه اللائق به •

ان عملا كهذا من شأنه أن يوحّد كل قوى التقدم والبعث
والتقدم في اليمن ، وان يوحّد جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تكون
الدعم الأساسي لقيام اليمن الديمقراطي الموحد • وان يؤسس له
مناخا دليعيها • وأن يندسبه الجماهيرية التي كانت للمجبهة القومية
أثناء حرب التحرير ضد المستعمر ، وأن يباور مكانته العربية والعالمية ،
ويجعل منه تجربة جديدة بالنأمل والتأمل والاحتذاء في بلدان التوجه
الاشتراكي •

اليمن الديمقراطية في مرحلة البناء وإعادة البناء الديمقراطي في ضوء « البيريسترويكا » (*)

أشارت حركة التجديد الثوري الديمقراطي الاشتراكي الواسعة المصطلح في الاتحاد السوفيتي والتي دخلت التاريخ باسم إعادة البناء أو (البيريسترويكا) وما زالت تثير جدلا غير مسبوق ولا معهود في عالمنا . وكان لابد أن تعمّر موجتها عالمنا العربي ، وان يصيبنا - نحن في اليمن - رشاش منها أو حتى قطرات ، وهو ما ظهر بالفعل على مصدر صحفنا . وكان لابد أن تتعدد الآراء حولها - شأن ما هو حادث بالفعل في كل مكان ، حتى في الاتحاد السوفيتي نفسه - .

وكما دشنت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عصرا جديدا في تاريخ البشرية ، فإن ثورة التغيير وإعادة البناء هذه أكدت مجددا أن هذه الثورة ما تزال تمسك بزمام المبادرة التاريخية في يدها ، وإنها لا تملك القدرة فقط على حل تناقضاتها وتجديد ذاتها ، والانتقال الى مرحلة أعلى أكثر تطورا ورقيا في سعيها الدائب والثابت نحو إقامة المجتمع الشيوعي ، وإنما تحرك أيضا سكون العالم ، وتبعث الحيوية في جسم الحركة الثورية العالمية ، وتتقدم الصفوف لحل

(*) نشرت في « ١٤ أكتوبر » عدد ١٢-٧-١٩٨٨ و ١٣-٧-١٩٨٨

و ١٤-٧-١٩٨٨ .

مشاكل العالم الكبرى ، وعلى رأسها مشكلة نزع السلاح وقرار السلام
العالمي •

ولأن تناول ثورة التغيير وإعادة البناء هذه في صحافتنا اليمنية
لم يكن بذات المستوى والعمق والاهتمام الذى تناولت به في الصحافة
العالمية والعربية فإن الفرصة ما تزال متاحة أمام رجالات الفكر والقلم
في اليمن للوقوف أمام هذه الثورة بالتأمل والتحليل والتقييم
واستخلاص الدرس التاريخي منها ، واستنباط ما هو عام وعالمي
وشامل ، ومن ثم صالح لكل الثورات الاشتراكية والثورات السائرة في
طريق التوجه الاشتراكي •

على أن وقفة متمنعة متأملة مستبصرة كهذه قد لا تغطيها
المقالات السريعة ، ولا الأبحاث الفردية ، وإنما قد تتطلب جهدا
منظما في شكل ندوات علمية جامعية وحزبية وتخصصية •

غير أن أى جهد أولى وفردى يظل مطلوبا في هذا الصدد
حتى تتاح مثل هذه الندوات العلمية التي قد تنظم على مستوى عالمي
أو اقليمي أو قطري •

ولعل شيئا من ذلك قد بدأ يحدث منذ الآن ، وهو ما نلمسه
مثلا في الندوة التي نظمتها مجلة « المستقبل العربي » بعنوان (اشكالية
الاشتراكية) ، والتي نشرتها في عدد ٧ — ١٩٨٨ منها •

واحساسا بالحاجة لأية معالجة — ولو أولية وفردية — فإن صحيفة
١٤ أكتوبر لم تقنع بما نشر على صدر صفحاتها من آراء متباينة
حول البيريسسترويكا وموقع الثورة اليمنية منها ، وإنما طالبت أولى الرؤى
بالمضى في الحوار أكثر • ومن هنا دعوة رئيس تحريرها الزميل محمد

حسين محمد « الى مزيد من الحوارات والنقاشات ، ولكن الهادفة فعلا ، والمستجيبة لمهام المرحلة — مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية — وفق سياسة وتوجه الحزب الاشتراكي اليمني وعلى قاعدة خصوصيات الواقع المعاش » • (صفحة ١٤ أكتوبر ٧-٧-١٩٨٨ م) •

والمتابع للحوارات التي جرت حتى الآن يلاحظ أن هناك اتفاقا عاما بين المتحاورين على الأهمية الفائقة لثورة التغيير وإعادة البناء الجارية في الاتحاد السوفيتي لا بالنسبة لمواطني الاشتراكية الأول فحسب ، وانما أيضا على النطاق العالمي •

ولعل نقطة الجدل أو الخلاف تتمثل في مدى علاقتنا بذلك • ومدى قربنا أو بعدنا من هذه الثورة ، ثورة التصحيح والتجديد والتطوير لمثل الاشتراكية ، بعد أن لحق بالاشتراكية — عمليا — عبر فترة ستالين وبريجنيف ما لحق بها من تشويه أو تسطيح أو تأليه أو ركود أو بيروقراطية أو حتى انحراف أو اجرام أو امتحان لانسانية الانسان ؟

ولذلك طرح السؤال الطبيعي نفسه عما اذا كنا قد بنينا فعلا ، حتى نقوم بإعادة البناء من جديد ، تصحيحا وتقويما لما يمكن أن يكون قد حدث خلال عملية البناء من خروج على مبادئ ومثل الثورة الوطنية الديمقراطية بتوجهها الاشتراكي وعما اذا كان هناك ما يمكن الاستفادة منه في هذا المضمار من عملية التصحيح والتقويم الجارية في الاتحاد السوفيتي ؟

ومما كتب يتضح أن هناك رأيين : رأي يقول اننا ما نزال في مرحلة البناء ، وان تلقف شعارات الانعطافة التاريخية التي تجرى في الاتحاد

السوفييتى هو نوع من النقل الميكانيكى ، أو التعامل العاطفى مع هذه الشعارات التى لا يستوعبها واقعنا الخاص والمعقد الذى لم يضع قدمه حتى على أولى درجات السلم الاشتراكى ، حيث ما يزال يتعثر فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية الصعب الذى اختاره .

ورأى آخر يميل الى القول بأنه من الممكن الاغادة مما يجرى فى الاتحاد السوفييتى . حتى ولو كنا ما نزال نمر به رحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وأنه « فى سبيل تلافى اخفاقاتنا وتجاوز سلبياتنا ووضع أسس متينة لبناء حاضرنا ومستقبلنا فإنه لا ضير من اطلاق أية تسميات متواضعة أقل من اعادة البناء ، المهم جوهر الأمور ، وليست التسميات أو المصطلحات » - كما جاء فى مقال الزميل محمد حسين الأنف الذكر - .

وعندما عدت الى بعض ما كتبت بعد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م المساوية ، فى محاولة للإجابة على سؤال : كيف أهكن أن يحدث شئ كهذا فى حزب كهذا ؟ وكيف جاز اللجوء الى الأسلوب المتأمرى فى حل قضايا الخلاف فى حزب يبنى أيديولوجية الطبقة العاملة ، وجدتني أستجد بماركس وانجسلز ولينين فى تفسير ما حدث ، واستعين بما حدث فى الاتحاد السوفييتى خلال فترة ستالين ، وأتوقف فى هذا الصدد عند ثورة النقويم والتصحيح والتغيير التى يقودها جورباتشوف .

ولربما كانت المقاتلتان المطولتان اللتان نشرتهما مجلة قضايا العصر فى عدد مايو ويونيو ١٩٨٧ م بعنوان « ثورة ١٤ أكتوبر ليست حركة القرامطة ولا كومونة باريس » ، و « نظرة على تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وافتاقها المستقبلية » يجسدان واحدا من الأمثلة على ذلك .

وكان رأى أن عدم التقيد بـ « الديمقراطية المستقيمة » - حسب

تعبير لينين — هو أسس الأسس في حدوث ما حدث * و « الديمقراطية المستقيمة لا تحتل أى شكل من أشكال العمل السباسب والحزبى المتقوى والتآمرى ، فالجماهير ذات المصلحة فى الثورة الديمقراطية والمتطلعة الى بلوغ الاشتراكية عبر الممارسة الديمقراطية الحزبية والشعبية ووثق وثائق الحزب ودستور الدولة المقررة والموضوعة من وجهة نظر الاشتراكية العلمية فى غير حاجة الى الممارسة المتتوية والتآمرية ، فذلك ما لا يتفق مع طابعها الشعبى ومصلحتها السياسية ولا يتناغم مع سعيها نحو الديمقراطية والمزيد من الديمقراطية *

الالتواء فى العمل السياسى هو دأب قوى اجتماعية أخرى غير مؤمنة ولا متشعبة بالديمقراطية ، ولا مستعدة لتقبل مفهوم الديمقراطية المستقيمة بكل ما يقود اليه من تحويل المجتمع والدولة فى اتجاه الاشتراكية ، وفى اتجاه بناء صرح الديمقراطية الاشتراكية ، أكمل وأرقى شكل للديمقراطية *

يكفى أن نستحضر هنا فى مضممار التأكيد على أهمية اشاعة الديمقراطية الشعبية بأوسع معانيها فى حياة البلاد تلك الحملة الشاملة التى يقودها الحزب الشيوعى السيوغيتى بقيادة أمينه العام جورباتشوف منذ الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب فى أبريل ١٩٨٥ والمؤتمر السابع والعشرين للحزب ، والتى تتخذ من عملية تعميق الديمقراطية الاشتراكية والتغيير الاجتماعى عنوانا لها ، والتى طالت بالنقد والنقد الذاتى كل شىء فى المجتمع والدولة والحزب ، واعتبرت أنه ليست هناك مناطق محظورة و محرمة أو محايدة لا يمكن الوصول اليها واخضاعها من جديد للفحص والمراجعة والتقييم والتصحيح والتقويم ، بما فى ذلك تاريخ الحزب وتاريخ التجربة الاشتراكية ، الى اخر ما جاء فى المقال الأخير * ص ١٤٧ *

بك اننى أوردت عينات من ملاحظات جوربوتشوف الانتقادية
كما أوردت الضمانات التى حددتها حتى تمضى عملية التغيير واعادة
البناء قدما الى الأمام •

واعتبرت ذلك كله أمثلة ثورية يقدمها حزب لينين لكل أهزاب
الطبقة العاملة ، ولا سيما الحاكمة منها ، فى مضمار عملية التغيير
والتجديد والديمقراطية سواء داخل الحزب أو المجتمع أو الدولة ،
وقلت : « على أن اجابات جوربوتشوف عن توافر ضمانات الانعطافة
الثورية فى الاتحاد السوفيتى تصلح أيضا لجميع البلدان الاشتراكية ،
كما تصلح كذلك لبلدان التوجه الاشتراكي ، ومنها اليمن الديمقراطية ،
حتى مع وجود فوارق فى مستويات التطور التاريخى بين الاتحاد
السوفيتى وهذه البلدان •

فالمهم فى جميع الأحوال هو وجود الحزب الطليعى القائد
للمعملية الثورية ووحدة عمله ، والتفاف الشعب حوله ، وإسهامه
الديمقراطية الواسعة والعميقة فى صفوفه وفى الدولة والمجتمع وضمان
الاشراك الكامل للشعب فى المعملية الثورية ، والانضباط التام والوعاى
للمبادئ التنظيمية اللينينية فى حياة الحزب ، وجعل الجماهير الشعبية
شريكا فعالا فى الرقابة الاجتماعية الى جانب الرقابة الحزبية العليا ،
وممارسة النقد والنقد الذاتى باستمرار ، والنهلى بالاستقامة
والنزاهة ، والتجرد والمبدئية عند مباشرة أى مسئولية ، وربط الأقوال
بالأفعال ، وقدرة الحزب على تطوير نفسه ، باستمرار وتربية واعادة
تربية أعضائه وكوادره وقياداته والابتكار الدائم لوسائل وأشكال
العمل الأكثر ملاءمة وفعالية وجدوى ، وامتلاك الروح الخلاقة والمبدعة
والمجددة أبدا ، واستشراف المستقبل دائما والتحديد العلمى للطرق
المعملية الضامنة لبلوغه ••• الخ [ص ١٥٠ - ١٥١] •

ذلك ما هو عام ومشترك في البيريسترويكا ، والذي يصانح من ثم لكل حزب عمالي بينى تجربة اشتراكية أو يتطلع الى بنائها ، سواء كان ينتمى الى عالم الشرق أو الغرب أو الى العالم النامى .

وهو يكاد يكون كسفا جديدا لقانون ماركسى - لينينى مستنطن كل التراث النظرى الذى خلفه مؤسسو هذا الفكر ، والذى كاد يرين عليه الصداً خلال فترة « الاشتراكية التعبوية » لحكم ستالين « اشتراكية الشكنة العسكرية » التى حذر منها ماركس ، اشتراكية البيروقراطية المفرطة ، وتركيز كل خيوط السلطة فى يد الزعيم الفرد ، بكل ما يترتب على ذلك من سوء استخدام لها يبلغ حد خرق قوانين الدولة المرعية ، ناهيك عن الخروج على الديمقراطية الاشتراكية ذاتها ، وعلى روح السماحة الانسانية التى تميز الاشتراكى عن غيره ، وهو ما نبه اليه لينين ، وحذر بفصيح العبارة من حدوثه على يد ستالين نفسه : « ان الرفيق ستالين ، الذى أصبح أميناً عاماً ، قد حصر فى يديه سلطة لا حد لها ، وأنا لست على ثقة فى أنه سيعرف على الدوام كيف يستعمل هذه السلطة بما يكفى من الاحتراس » .

هذا التنبيه الذى يبلغ حد دق جرس الانذار الذى اطلقه لينين فى ٢٥-١٢-١٩٢٢ م كرره بعبارة أقوى فى ٤-١-١٩٢٣ م : « ان ستالين مفرط فى المفاظة ، وهذه النقيصة التى يمكن احتمالها تماماً فى بيئتنا نحن الشيوعيين وفى الاتصالات فيما بيننا ، تصبح أمراً غير محتمل فى منصب الأمين العام . ولهذا اقترح على الرفاق أن يفكروا فى أسلوب لنقل ستالين من هذا المنصب وتعيين شخص آخر لهذا المنصب ، يمتاز من جميع النواحي الأخرى عن الرفيق ستالين بميزة واحدة فقط ، هى أن يكون أكثر تسامحاً ، وأكثر ولاءً ، وأوفر لطفاً ، وأشد انتباهاً للرفاق ، وأقل تقلباً فى الأهواء : ... الخ » (لينين

المختارات في ١٠ مجلدات ، المجلد ١٠ دار التقدم موسكو ١٩٧٨ ،
ص ٥٣٠ — ٥٣١ — ٥٣٢) •

لم يكن هذا المنحى البيروقراطي الفردي المجاني لروح ومنطوق الديمقراطية الاشتراكية بدون مقاومة داخلية من الحزب البلشفي • غير أن النجاحات الهائلة في بناء الاشتراكية وفي الدفاع عنها ، ولا سيما خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي اقامة منظومة اشتراكية عالمية من حول الاتحاد السوفيتي ، جعل من ستالين أسطورة تاريخية بزت أسطوره هتلر ، ولذلك لم يكن في الامكان التغلب على الجانب الاستبدادي فيه طيلة حياته •

غير أنه أمكن للحزب عام ١٩٥٦ من خلال المؤتمر العشرين له ان يقف وقفة نقدية حازمة أمام سلبيات وأخطاء الفترة الستالينية ، هذه الموقفة التي ارتبطت بالأمين العام الجديد للحزب خروشوف • ورغم تغلب الفريق المحافظ بقيادة بريجنيف على الفريق المجدد ، مما هرض فترة ركود وبيروقراطية أخرى ، الا أن الحزب تمكن بعد موت بريجنيف وتحت قيادة أندروبوف من الامساك بزمام المبادرة من جديد ، ومن التحكم في قيادتها ، ودفعها الى أفق تاريخي جديد تماما منذ نسلّم جورباتشوف دفة الأمور في أبريل ١٩٨٥ م •

ان الخطاب السياسي الجديد الذي يوجهه حزب لينين ليس مقصورا على الاتحاد السوفيتي ولا على المنظومة الاشتراكية ، ولا على الأحزاب الماركسية - اللينينية في العالم ، فهو خطاب الاشتراكية الى العالم كله ، الى مستقبل البشرية كلها •

والمعنيون به قبل غيرهم هم قوى التحرير والتطوّر والتغيير والديمقراطية والتقدم والاشتراكية والسلام في العالم •

أما كيف يترجم على مستوى الشعوب وحركات التجديد والأحزاب والأنظمة الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ، فذلك ما يخضع للملابسات الموضوعية الاجتماعية والتاريخية لكل منها على حدة .

واليمين الديمقراطية واحدة من الأنظمة الديمقراطية الثورية ذات التوجه الاشتراكي التي يقود مسيرتها حزب يعتبر نفسه فصيلا في جيش الثورة العالمية والأهمية البروليتارية .

وهي من ثم معنية حتى النخاع بهذا الخطاب . وتكمن قدرتها الإبداعية وإسهامها الوطني ومن ثم القومي والأهمي ، في كيفية استخلاص اللباب والجوهر والروح التي تحايثه وتسرى في أعماقه وتتلبس كل كلمة فيه ، وتحسن تطبيق ذلك كله على ظروفها الموضوعية الخاصة ، بكل قسماتها التراثية والثقافية ، وكل سماتها الاقتصادية والاجتماعية ، بل وبكل الظروف المحيطة بتجربتها المتميزة في المنطقة ، سواء الظروف الوطنية أو القومية أو الإسلامية .

أن أصالة هذه التجربة الثورية المتفردة والمقدامة تتجلى هنا بالضبط : في كيفية تمثيل واستيعاب وممارسة الخطاب الاشتراكي الأهمي على نحو مبدع وفعال ، وبذلك تصبح تجربتها الخاصة هذه جزءا لا يتجزأ من رصيد هذا الخطاب العام .

وذلك ما يبدو أن الحزب قد أدركه جيدا ، بل ان ذلك ما عبرت عنه أيضا « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ - ١٩٨٦ » وما عبر عنه أيضا تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني الى الكونغرس الحزبي العام الذي قدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني .

— ٤٦٤ —

فالروح العمامة التي تجرى في هاتين الوثيقتين اللتين أقرهما
كونفرانس الحزب الذي عقد ما بين ٢٠ - ٢١ يونيو ١٩٨٧ كما تنطوى
على تقييم نقدي للفترة الماضية ، ولا سيما الفترة الواقعة ما بين
:شؤ الحزب وأحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ ، فإنها تقدم معالجات نظرية
وأيدولوجية وسياسية وعملية محددة لتصحيح وتقويم وتجديد
وتعميق مسيرة الحزب والدولة والمجتمع ، ومن ثم التجربة الثورية *

بل ان التقرير ينطوى على معالجات نقدية للفترة الواقعة ما بين
أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ وانعقاد الكونفرانس ، أى أنه انطوى على
نقد ذاتى ، وعلى دعوة للنفس للمسارعة فى اصلاح النفس *

ولعمري ذلك هو جوهر ومغزى البيريسثرويكاً ♦

أكثر من ذلك فإن الوثيقتين الحزبيتين كما مدعوان الى الانخراط في عملية البناء للنظام الديمقراطي الثوري ، هانها تدعوان الى اعادة البناء لهذا النظام الذي تعرضت مسيرته الثورية الديمقراطية وتعرض حزبه ودولته ومؤسسته الرسمية والمدنية والعسكرية ، ومنظـومتـه السياسية ووحدته الوطنية والشعبية والاجتماعية ، وهيـه ومثـله ومجـمل المبادئ التي قام على أساسها ، لأضرار وخسائر لا تحتمل ، ناهيك عن الضرر النفسي والروحي الذي أصاب الناس جميعاً ، وكاد يفقدون الثقة في سلامة المسيرة الثورية من أساسها ♦

ولا حاجة للحديث عن الأضرار التي أصابت مكانة وسمعة التجربة الثورية على النطاق الوطني والقومي والعالمي ♦

أليس ذلك كله في حاجة الى « اعادة البناء » قد تغوص حتى الجذور والأعماق والى اعادة نظر في كثير من الأساليب والوسائل والأشكال التي أثبتت التجربة المساوية ان استمرارها كفيلاً بتعطيل آلية التجربة الثورية من أساسها واصابتها بالعطب والهلاك ؟ ♦

— ٤٢٦ —

أليس ذلك هو ما تنبه اليه الوثيقتان الحزبيتان اللتان لخصتا خبرة الحزب التي استخلصها من قلب المأساة ومن عمق أعماق التجربة كلها منذ الاستقلال وحتى لحظة اقرارهما ؟

الا يتفق ذلك أيضا مع مغزى ما تدعو اليه «ايريسسترويك» ؟

هل نحن في حاجة الى ايراد فقرات من الوثيقتين تؤكد ذلك ، كما تؤكد أن الحزب ، وهو يضعهما كان في خلفية تفكيره المثل الذي يضربه حزب اينين العظيم في نقد وتصحيح وتقويم مسار التجربة السوفيتية ، واستلهامه روح الشجاعة ذاتها في محاسبة النفس ، وحملها على تحمل المسؤولية التاريخية بجدارة ونزاهة وتجرد ومبدئية واستقامة ؟

فحول مقولة البناء جاء في « الوثيقة النقدية ... » : « في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ بدأت عملية بناء الدولة الوطنية الديمقراطية وسمت ظروف يمنية وعربية بالغة التعقيد ، اذ ورثت البلاد أوضاعا اقتصادية واجتماعية وثقافية متخلفة ، ولم تعرف نظام الدواة المركزية ولا نظاما قانونيا موحدا ... » (ص ٤٥) .

وحول الأسلوب غير الديمقراطي الذي كانت تداربه الدولة في فترات عديدة ، حتى بلغت الأمور ذروتها في ١٣ يناير الدامي وما تلاه من أحداث مأساوية جاء فيها : « وفي فترات مختلفة بعد الاستقلال برزت أجواء من الشكوك المتبادلة وضعف الثقة ، روح التآمر والارهاب ومحاولات التخلص من المخالفين في الرأي من المناضلين بطريقة عنيفة غير قانونية وخرق دستور البلاد والقوانين النافذة والمبادئ الديمقراطية في حياة التنظيم والحزب والمجتمع ، وأفسح المجال للخوف والانتقام ،

وقد استخدمت القيادات الانحرافية الانتهازية اليسارية واليمينية هذه الأساليب التآمرية لتثبيت مواقعها في السلطة « * (ص ١٠٠ — ١٠١) .

وتعيد الوثيقة جذور نزعة التسلط الفردي الى فترة « سالمين » وتشدد على ذلك بخطوط سوداء تحت كل سطر : « ان ظاهرة النزعة الفردية التي كرسها سالم ربيع تبرهن بان التهاون تجاه دراسة واستيعاب الفكر الاشتراكي العلم ، والانشداد نحو رجاحة ونفوذ السلطة ، وعدم ممارسة المركزية الديمقراطية ، والقيادة الجماعية ، والنقد والنقد الذاتي وغياب الرقابة في أعمال التنظيم والدولة ، يمكن أن تزرع بالقائد — مهما كان رصيده النضالي — مظاهر حب الذات والعظمة والفطرسية والفردية ، بل تؤدي به الى الانحراف » (ص ٢٣) .

ولاستئصال هذه النزعة من جذورها ، ولحيلولة دون ظهورها في أى شكل وعلى أى مستوى فان الوثيقة تدعو الى ممارسة النقد وتعميق الديمقراطية الحزبية والشعبية والتشريعية .

وتلقى في هذا الصدد مسئولية خاصة على الأجهزة الأيديولوجية التي تتحمل عبء صياغة الرأي العام ، وبلورة الوجدان الوطني وتسهم بقدر كبير في خلق الانسان الجديد المتحرر من علاقات الماضي المحلية والمحدودة والضيقة الأفق :

« وحول المسألة الثقافية تتحدد مهامنا في تنمية الثقافة الوطنية والتقدمية ، والعمل على تصاهر الجهود من قبل وزارة الثقافة والاعلام والاتحادات الابداعية ، لوضع خطط مستقبلية منسقة ، وتوفير كافة

الامكانات لتشجيع ازدهار الثقافة ، وتوفير جو من حرية الابداع والنقد والدعم المادى والمعنوى للمثقفين ، ووسائل نشر ثقافته بحيث تسهم الانتاجات الأدبية والفنية فى عكس تاريخنا النضالى وتضحيات الكادحين وبطولاتهم والكشف عن النواقص من أجل تجاوزها ، وغرس القيم الجديدة ، وبناء الانسان الثورى الجديد » •
(ص ٦٨)

وتتداخل مع عملية « البناء » هذه وتتكامل معها عملية « اعادة البناء » لكل شئ ، بدءا من الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ، مروراً بالمؤسسات الحزبية والشعبية والتشريعية والتنفيذية ، وانتهاء بالنفوس والأرواح التى تعرضت جميعها للأضرار والأذى ، والتى تتطلب دائما البناء واعادة البناء باستمرار حتى بدون أن تتعرض لأعراض داهمة ، وأحداث جسيمة كتلك التى تعرضت لها اليمن الديمقراطية بشكل شبه دورى خلال مسيرتها الثورية الصعبة والمجيدة •

ان مما يلفت الانتباه — وذلك ليس بصدفة — ان تعبير « اعادة البناء » قد ورد فى وثيقتى الحزب ، ولا سيما فى « التقرير » بل انه تكرر فى « التقرير » كثيرا ، حتى بدا كما لو أن مقولة « اعادة البناء » قد احتلت الأولوية ، مما يشير الى أن هناك احساسا عاما كار طاغيا بان تلفا كبيرا لحق حياة البلاد المسادية والروحانية ، ينبغى اصلاحه ، واعادة تعمير حياة الناس ، وبأن ابنية شكلية قد أقيمت على أسس غير سليمة أو بطريقة غير صحيحة ، ومن ثم لابد من اصلاحها واعادة بنائها على نحو متين وسليم ، وحتى بدا كما لو أن منطق الليبريسترويكما الجارية فى الاتحاد السوفيتى كان هناك فى الأفق فى مثل نجمة هادية ، عندما كان الحزب يصوغ وثائق التصحيح هذه ، وعندما كان يأتزر ، وعندما كان يتخذ قراراته فى كونفرنسه العام •

لا بأس من اقتباس بعض النصوص التي تدلل على ذلك .

حول إعادة فهم الديمقراطية الحزبية جاء في « التقرير » :
و « بالعودة الى تجربة حزبنا ، فإننا نشعر أننا بحاجة الى تصحيح فهم
وممارسة أعضاء ومرشحي الحزب للديمقراطية ، لبدرك الجميع أنها
مسئولية كبيرة ، وان لها حدودا : هي وثائق الحزب وقرارات هيئاته
وهي لا تكتمل الا بالانضباط الحزبي الحديدي لوثائق الحزب وارادته
الجماعية . وفي نفس الوقت يجب أن نتقف بحزم أمام أى ظواهر لمصادرة
الديمقراطية من خلال فرض الرأى والتعصب واصدار الأحكام
المسبقة وردود الأفعال واضطهاد الأعضاء والأعضاء المرشحين ومصادرة
حقوقهم في طرح آرائهم وملاحظاتهم ، وعدم احترامها والاستخفاف
بها .

ويعتبر مبدأ النقد والنقد الذاتى سلاحا بيد الحزب وأعضائه
للمحفاظ على نقاوة الحزب وتطويره بصورة مستمرة لذا ينبغى أن نعزز
ممارساته ولا نسمح بردود للأفعال الضيقة والتعصب تجاه النقد
والنقد الذاتى الحزبى والمبدئى البناء أو ممارسة هذا المبدأ الحزبى
الهام فى المسائل الهامشية والشككية ، أو استخدامه بصورة تعكس
الاحقاد وتصفية الحسابات » (ص ٧) .

وعن محاربة النزعة الفردية والبيروقراطية أكد « التقرير » أنه
لا مجال لعودة النزعة الفردية و « ان مناخلى حزبنا وجماهير شعبنا
يدركون من تجربتهم الخاصة ، تجربة المعاناة والألام ، هذه الحقيقة ،
ومن غير الممكن أن يسمحوا بتكرارها مجددا » (ص ٦) كما أكد أنه
لابد من إدارة « وشن حرب لا هوادة فيها ضد البيروقراطية ومظاهر
الفساد والرشوة والتعالى على الجماهير والتظاهر . ويجب توسيع

— ٤٣٠ —

الديمقراطية في أوساط العاملين لزيادة دورهم في إدارة سلطة الدولة «
(ص ١٣) •

وحول « بناء » و « إعادة بناء » مؤسسات الدولة ورد فيه
« ان نجاحات كبيرة على هذا الطريق قد تحققت ، غير أن الواقع
المعاش يملئ علينا واجب الاعتراف بأننا ما زلنا بحاجة الى المزيد من
النضال الذى لا هوادة فيه في سبيل استكمال وإعادة بناء عدد من
أجهزة ومؤسسات الدولة على أسس ثورية مبدئية والامساك بالحلقة
الهامة في هذه العملية الحاسمة والمتمثلة بالكادر وسياسة العمل معه •
لقد قطعنا شوطا طيبا على صعيد بناء أجهزة إدارة الدولة المختلفة خلال
الفترة الماضية بهدف بناء جهاز حديث للدولة في اليمن الديمقراطية ،
ملبية لمتطلبات المرحلة التاريخية الراهنة التى تمر بها تجربة الثورية في
بلادنا رغم كل الصعوبات الجدية العديدة التى صاحبت عملية
البناء وإعادة البناء لمختلف أجهزة ومؤسسات الدولة ، والتى لا زالت
بعضها قائمة حتى اليوم • لذلك فان جهدا كبيرا ونضالا صبوراً ومثابرا
ينبغى أن يبذل على هذا الطريق حتى نتمكن من استكمال بناء جهاز
الدولة الحديث والإدارة الكفؤة المخلصة لنهج الحزب » (ص ٢٠ —
(٢١) •

ولتعميق الطابع الديمقراطى الشعبى للسلطة دعا « التقرير » الى
اعطاء فاعلية أكبر للمجالس الشعبية ومجلس الشعب الأعلى ومنحتها حق
ممارسة مبدأ « العلنية » لاشراك جماهير الشعب في معركة كيف تدار
وتناقش قضاياها في هذه المجالس الممثلة لأرادتها ومصالحها : « ان
زيادة دور ومكانة مجلس الشعب الأعلى والهيئات المنتخبة من قبله كهيئة
الرئاسة واللجان الدائمة ، وكذلك الحال لمجالس الشعب المحلية ، والمكاتب
التنفيذية ، واللجنة الدائمة فيها في غاية الأهمية ، فينبغى توسيع أشكال

الممارسة الديمقراطية لهذه الهيئات واللجان وزيادة فاعليتها كقيادات
جماعية يومية تسهم في تعزيز الطابع الديمقراطي الشعبي لسلطة الدولة ،
كما تكتسب العلنية في نشاط المجالس ... » (ص ١٩ - ٢٠) *

بل ان مبدأ « العلنية » كشكل من أشكال الممارسة الديمقراطية
العامة ينبغي أن يعم حتى وسائل الاعلام الجماهيرى ، ناهيك عن
المؤسسات التخصصية والنوعية : « ان تطبيق مبدأ العلنية وشموله
أشكالا أخرى غير البث الاذاعى والتلفزيونى ، كمقعد الجلسات العلنية
المفتوحة أمام الاختصاصيين والمهتمين أو العاملين في الحقول المعنية لأمر
هام وركن رئيسى من أركان حياتنا الديمقراطية المنظمة وغلقا للدستور » *
(ص ٢٠) *

ولأن المنظمات الجماهيرية لم تكن في الوضع الملائم لأن « التقرير »
دعا الحزب الى « اعادة ترتيب أوضاع المنظمات الجماهيرية » كما دعا
هذه المنظمات الى أن « تناضل بحزم ضد بقايا الشككية والعمل
المكتئب ونوازع إصدار الأوامر من الأعلى » * (ص ٢٣) *

واعادة البناء المؤسساتية الديمقراطية التى نهـدف فى آخر الأمر
الى خلق الانسان الجديد ، والعضو المجتمعي السوى والمنتج تشمل
أيضا المجال الرياضى : « ان الاهتمام بالرياضة وتوسيع قاعدتها
الجماهيرية ، واكسابها طابعا وطنيا انسانية شاملا ، والاهتمام بالأندية
الرياضية والرياضيين ، وتوفير مستلزمات نجاحها ، وممارسة ظاهرة
التعصب هى جزء لا يتجزأ من قضية حزبنا فى بناء الانسان الجديد ،
واعاداده لعملية البناء والانتاج » * (ص ٢٦) *

وكان لابد أن تلقى المؤسسات العسكرية والأمنية نصيبها من اهتمام

« التقرير » وان يشاد بدور الاتحاد السوفيتى فى اعادة تجهيزها بكل المعدات اللازمة بعد كل ما تعرضت له من تدمير بفعل أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م المشؤومة : « اننا بهذا الصدد نود أن نعبر باسم حزبنا وشعبنا عن أعظم الشكر والتقدير لأصدقائنا الأوفياء وحلفائنا الاستراتيجيين للاتحاد السوفيتى العظيم وحزبه اللينينى المجيد على كل المساعدات السخية والعاجلة التى قدمت لنا كى تستعيد قواتنا المسلحة جاهزيتها وبأفضل مما كانت عليه قبل يناير ١٩٨٦ » .
(ص ٢٨) .

واعادة البناء لابد أن تشمل هيكل ومضمون العمل الأيديولوجى والثقافى والاعلامى والتربوى ، ولابد فى هذا الصدد من إيلاء مزيد من الاهتمام لتحسين مضمون العملية الاعلامية والثقافية واعادة ترتيب أجهزتها ومؤسساتها المختلفة .

ولا ريب فى أن عملنا الأيديولوجى واجه وما زال يواجه العديد من المصاعب بسبب بقايا تأثير المفاهيم والقيم المالية ، والعلاقات الاجتماعية المختلفة ، وقسوة العادات القديمة ، وآثار الممارسات الانحرافية للتيارات الانتهازية ليمنية واليسارية على الصعيد الأيديولوجى ، حيث لم يعط أى اهتمام يذكر لقضية التثقيف والدراسة النظرية الأيديولوجية الحزب ووثائقه الا بشكل مبادرات ذاتية محدودة . . . كما أن بعض القيادات قد تركت التثقيف الذاتى والدراسة النظرية جانبا لأسباب مختلفة أبرزها اعتقادها بعدم ضرورة ذلك ، واستعاض عنها بالوجاهة السياسية والاجتماعية . . . » (ص ٣٢) .

ويواصل « التقرير » :

« وفي صراعنا الأيديولوجى مع القوى المعادية تلعب مؤسساتنا الاعلامية والثقافية والتربوية دورا مؤثرا من شأنها أن تكون أكثر فعالية اذا ارتبطت بجهود أعضاء الحزب من أجل ترسيخ المبادئ الثورية ، وتدعيم قيم ومثل المجتمع الجديد في حياتهم اليومية ، والنضال الحازم في سبيل نقبـاوة السلوك الشخصى من الأخطاء والانحرافات ، الأمر الذى سيزيد من تأثير عمل الحزب الفكرى والتربوى في حياة المجتمع .. واذا ما قدمنا أيضا خيرة كوادر الحزب وأكثرها وعيا واخلاصا وحصانة فكرية للعمل في أجهزة الاعلام والثقافة والتربية فالواقع الراهن لهذه الأجهزة يتطلب إعادة بنائها بصورة تحقق سياسة الحزب في الجبهة الأيديولوجية والاعلامية » (ص ٣٢) .

ويتوقف « التقرير » أمام قضايا التربية والتعليم ، وأمام دور جامعة عدن في انشاء جيل قادر على التفكير والبحث والابداع ، والاسهام في إعادة صنع العقل اليمنى بما يتفق والنهج الأيديولوجى

والنظري والعلمي الذي اختارته البلاد ، ويلاحظ أن هناك قصورا ،
وان سلك التعليم ، وعلى رأسه الجامعة لا يخرج الآن سوى حملة
الشهادات ، لا حملة العلم والثقافة ورايات المستقبل وطلائع الفجر
الجديد :

« وعلى الرغم من الجهود التي تبذل لتطوير نشاط عمل جامعة
عدن والمعاهد والمدارس التقنية والمهنية ومؤسسات التعليم العام ،
لا بد من الإشارة الى أنه ما زالت ماثلة أمامنا حتى الآن في مركز الصدارة
مهمة تحويل المؤسسات التعليمية الى مراكز للتربية العلمية والسياسية ،
ومنابر للاشعاع الثقافي والفكري ، وربطها بخطط التنمية الاقتصادية
والاجتماعية ، وتخليصها من الطابع التقليدي الذي يجعل من مؤسسات
التعليم العام والجامعي مجرد قاعات للدراسة واكتساب الشهادات » .
(ص ٣٤) »

ولذلك لا بد من اعادة تأهيل المدرسين والأساتذة أنفسهم الى جانب
الطلبة والتلاميذ ، وتمكينهم من امتلاك الفكر والنهج العلمي والأيدولوجي
الجديد : « ويتعين على المنظمات الحزبية والقيادات الادارية ومنظمات
أشيد الطلابية أن تستخدم لأجل هذه المهمة الحيوية مختلف أشكال
العمل الفكري والتربوي في صفوف المدرسين والطلاب والتلاميذ ..
واجتذاب الأساتذة والمدرسين اللاحزبيين لدراسة الفكر الاشتراكي
العلمي ، وتاريخ الحزب الاشتراكي ليمنى ووثائقه .. » (ص ٤)

على أن الحلقة المركزية في عملية اعادة البناء تمثلت في القضية
الاقتصادية حيث واجهت الحزب والبلاد — بعد أحداث ١٣ يناير
التدميرية — مهمتان : السيطرة « على الحلقات الرئيسية في الاقتصاد
بصورة لا تسمح بنشوء أى مضاعفات لوضع كان في غاية الخطورة ،

— ٤٣٥ —

لا سيما بعد أن اهتزت العوامل التي كرسّت كأساس للنمو الاقتصادي خلال السنوات الماضية « و » العمل على إعادة ترتيب أولويات نضال الحزب على الصعيد الاقتصادي بصورة تتناغم جديلاً مع المضمون السياسي والطبقي لرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بأغلقها الاشتراكية » •

وقد اقتضى ذلك كله « ليس فقط محاصره العجز الناشئ عن الاختلال العميق بين الموارد والانفاق ، ولكن أيضا إعادة صياغة الوعي بالمشكلة الاقتصادية والمالية ليصبح ذلك خطوة باتجاه العمل على إعادة التوازن الى الاقتصاد » •

ومن أجل النجاح في عملية الإصلاح الاقتصادي هذه فإنه « كان من الضروري أن تتحول هذه القرارات والاجراءات الى صيغة متكاملة للعمل السياسي التبعوى بين صفوف الكادحين من قبل الأعضاء والمرشحين للحزب والهيئات الحزبية المختلفة والمنظمات الجماهيرية ووسائل الاعلام الجماهيرية المختلفة • واذا كنا خلال الفترة الماضية لم نجد الاهتمام الحري بهذا العمل الهام ، فان الفترة القادمة تتطلب منا اتباع الأشكال المختلفة لتوضيح المضاعبات الاقتصادية لجماهير الشعب عموماً ، وحشد الطاقات والجهود للاسهام في حلها ، ولكن علينا أن ندرك ن هناك عاملين يتحكمان في اطار صياغة متوازنة للوعي الاجتماعي هما :

العامل الأول يتمثل في الشعور لدى الجماهير بصدق هذه الاجراءات وأهدافها على المدى البعيد ، والعامل الثاني يتمثل في تعزيز الثقة لدينا بالمستقبل من خلال الاستقرار السياسي وما يوفره من مناخ لتنمية اقتصادية واجتماعية جادة ، بأهداف مترابطة ، تصبح بوضوحها لدى

— ٤٣٦ —

الجهامير موضوعا لنضالها الذى لن تتردد أن تقدم من أجله مزيدا من التصحيحات . (ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) .

وإذا كانت اجراءات التقشف من أجل ترميم الاقتصاد قد مثلت المهمة الأولى والعاجلة فإن مهمة إعادة البناء الاقتصادى أفقيا ورأسيا وفى مختلف ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والثروة السمكية وغيرها قد مثل المهمة المصورية التى يدور عليها ويرتكز عليها مجمل عملية البناء الديمقراطية الثورية ومستقبل التجربة كلها . هذه المهمة المتمثلة فى « إعادة أولويات نضال الحزب على صعيد الجبهة الاقتصادية من خلال الربط المحكم بين القرار الاقتصادى ومضمونه الطبقي السياسى من ناحية ، ونقلى مركز الثقل لحركة الحزب الى داخل الحياة الاقتصادية من ناحية أخرى ، ذلك لأن أهداف نظامنا الوطنى الديمقراطى لن تتحقق الا باقتصاد قوى ، يؤمن شروط ومقومات استكمالها حلقات تطوره بصورة ثابتة ، وتتغرز بصورة موازية لذلك ثقة الكادحين اليمينيين فى خياراته » . (ص ٤١) .

وفى هذا الاطار بالذات يعتبر استخراج ثروات البلاد المعدنية ، وعلى رأسها النفط بالتعاون مع الرفاق السوفييت واحدة من الروافع الاقتصادية والاجتماعية الأساسية التى توضع بها التجربة الثورية الديمقراطية فى مدارها الذى يمكنها من التحليق أبعد فأبعد فى اتجاه تلبية مطالب الشعب ومطامحه المادية والمعنوية ، وفى اتجاه التقدم الاجتماعى والاقتصادى والثقافى الثابت والدائم : « ان اكتشاف النفط فى بلادنا من قبل الرفاق السوفييت هو ثمرة للتعاون الاقتصادى بين بلادنا والاتحاد السوفيتى ، ويعدد برهانا اضافيا لأهمية دور المساعدة الأهمية المقدمة لبلادنا من البلدان الاشتراكية ، وفى طليعتها الاتحاد السوفيتى ، لتطوير اقتصادنا الوطنى ودليلا على صحة سياسة حزبنا

الموجهة نحو تطوير القاعدة الانتاجية الوطنية ، بالاعتماد على
قوانا الذاتية وبمساعدة طفائنا في المنظومة الاشتراكية » • (ص ٤٤) •

وعملية اعادة البناء للبنية الاقتصادية والاجتماعية ستشمل قطاع
الدولة والمزارع التعاونية والمختلطة وكل منشأة صغيرة أو كبيرة بدءاً
من أول منشأة عرفتها البلاد — وهي ميناء عدن — حتى أحدث منشأة
تصلها بثتى أقطار الأرض ، حيث سيتم « العمل على اعادة تنظيم نشاط
مؤسسات قطاع الدولة ، ورفع كفاءتها التشغيلية » وحيث ستشكل
« الجهود لتحسين العمل فى مختلف قطاعات الاقتصاد الوطنى عاملاً
مساعداً لتسريع نمو هذه القطاعات خلال الخطة الخمسية الثالثة ،
فى قطاع النقل والمواصلات لفتح أول خط لربط بلادنا والبلدان
الاشتراكية عبر المحطة «انقرسبوتنيك» والشبكة الوطنية و (عرب سات)
وسيقم تنفيذ عدد من المشاريع الهامة ، من أهمها اعادة بناء ميناء
عدن •• « (ص ٤٤) •

وعداً عملية الترميم للمساكن التى تضررت بفعل أحداث ١٣
يناير فان توفير مساكن لجميع المواطنين هى احدى أهم المهام فى
عملية صياغة تجربة ديمقراطية حقيقية تجعل من الانسان وسيلتها
الأساسية وهدفها ، « فى الوقت الذى سيعمل الحزب فيه على بذل
الجهود الكبيرة لحل هذه المشكلة من خلال مشاريع الخطة ، فان اشراك
المواطنين فى بناء مساكن لهم عبر التسهيلات التى ستقدم من قبل الأجهزة
المختصة سيدفع بالجهود المشتركة نحو التغلب على هذه المشكلة
الحادة ، كما أنه من الضرورى العمل على تنظيم التسكين عبر المكاتب
التنفيذية فى المحافظات ، ووضع نظم التسكين التى تحقق العدالة بين
الناس ، إضافة الى ضرورة اعطاء اهتمام بصيانة المساكن » • (ص ٤٦) •

وإذا كانت أحداث ١٣ يناير الدامية والمأساوية قد أحدثت

« هزة للقيم والأخلاق الثورية لأوساط واسعة من شعبنا ولحالة الأمن والاستقرار والاطمئنان السيکولوجی والاجتماعی » — كما جاء في « الوثيقة النقدية » ص ٣ — إلا أن المضي في عملية إعادة البناء الشاملة الآتية الذكر من شأنه أن يثبت من جديد — وعلى أسس راسخ — كل القيم والأخلاق الثورية ، ويمكن للأمن والاستقرار من أن يستتب ، ويعيد الطمأنينة النفسية والاجتماعية لجميع الناس .

من مجمل ما سبق يتضح جلياً أن وثيقتي الكونفرنس الحزبي المدعمتين أيضاً بالقرارات الصادرة عنه والمستوحاة منهما قد أكدت على مقولتي « البناء » و « إعادة البناء » وشددتا « على الديمقراطية » و « العلنية » كمبدئين لا بديل لهما لاستئصال « النزعة الفردية » والروح « التآمرية » وإصدار « الأوامر من أعلى » الى غير ذلك من المبادئ والمفاهيم القسومية التي تكفل للتجربة الديمقراطية الثورية في هذا الجزء من الوطن اليمني أن تمضي قدماً الى الأمام ، مقدمة نفسها لجميع التجارب الثورية في المنطقة العربية ميزاتاً وفرادتها واستحقاقها بأن تكون التجربة البكر الرائدة والمقدمة التي يقودها حزب طليعی يبنی الفكر الاشتراکی العلمی .

هذه المبادئ والقيم التي ركزت عليها وثيقتا الكونفرنس بعبارات وكلمات تذكر بعبارات وكلمات ثورة التغيير وإعادة البناء «البيروسترويك» في الاتحاد السوفيتي ، تدل وحدها على أن الحزب الاشتراکی اليمني كان يتفاعل بعمق وحرارة وصدق مع ثورة التغيير وإعادة البناء هذه التي أخذت تغمر اشعتها المنظومة الاشتراكية ، وتتسلل الى جميع الأحزاب الرافعة للواء الماركسية — اللينينية في شتى أنحاء الكوكب .

ويكفي الحزب الاشتراکی اليمني فخراً واعتزازاً أنه كان من الأحزاب السبابة الى تفهم واستيعاب ثورة « البيروسترويك » هذه .

— ٤٣٩ —

وأنه مارس في ضوءها نقد تجربته النورية منذ قيامه حتى اللحظة
التي عقد فيها الكونغرس ، وأن نقده هذا لم يقتصر على الفترة
الواقعة ما بين ١٩٧٨ — ١٩٨٦ ، وإنما طال حتى الفترة اللاحقة الممتدة
إلى يونيو ١٩٨٧ ، مما مثل نقدا ونقدا ذاتيا شجاعا .

ويكفي الحزب فخرا واعتزازا أنه لم يكتف بالنقد وانتقد
الذاتي ، وإنما دعا بقوة إلى إجراء عملية تصحيح وتقويم وتعير وإعادة
بناء شاملة على أساس من الديمقراطية الحزبية والشعبية والشرعية .
وأنه أقر مبدأ « العلنية » في ممارسة العمل السياسي والأيدولوجي
سواء على نطاق مؤسسات الحزب والدولة أو المؤسسات الجماهيرية
والنوعية ، بما في ذلك المؤسسات الاعلامية .

إن هذا الحوار الديمقراطي الصريح والمفتوح حول أهم وأدق
القضايا والذي لم تشهد البلاد له مثيلا ، من قبل والذي لا تحتضنه
الصحافة بحسب ، وإنما تدعو الناس إليه ، وتحدد محاوره ، هو برهان
على مصداقية توجه الحزب نحو تعميق وتعميم « الديمقراطية المستقيمة »
التي أكد عليها لينين ، والتي يتوقف عليها أمر تعبئة جماهير الشعب
ورصها خلف الحزب لبناء وإعادة بناء التجربة الديمقراطية الثورية ،
والسير بها حتى النهاية ، ومن ثم التقدم إلى الأمام صوب رحاب
الاشتراكية .

وبذلك كله تقدم هذه التجربة نفسها لجميع جماهير الشعب
اليمنى باعتبارها تجربتها هي التي يرتبط ببقائها واستمرارها وتطورها
مستقبلا كله .

وبذلك يفتح الطريق أمام الوحدة اليمنية التي ستصنعها هذه
الجماهير ذاتها على مثالها وبطريقتها ، وبما يحقق مصالحها وطموحاتها

— ٤٤٠ —

في العدالة الاجتماعية والديمقراطية السياسية ، والكرامة الوطنية ،
والرقى الحضارى ، والسمو الروحى •

أفلا يحق لنا القول — فى ضوء كل ما سبق — أن نجمة
« البيريسترويكا » كانت هناك فى الأفق الواصل الصافى ، وإن ابصار
الحزب الاشتراكى اليمنى كانت شاخصة نحوها ، مستضيئة بنورها ،
عندما كان يضع آخر وثائقه فى الكونغرس الحزبى العام ، والتقى تمثل
إضافة نظرية وسياسية حقيقية ؟ ومع ذلك فإنها لا تمثل كلمة الحزب
الأخيرة والنهائية •

للإجابة على هذا السؤال بطمأنينة وراحة بال ربما تطلب الأمر
إعادة قراءة المقال من جديد ! أو إعادة قراءة الوثائق ذاتها ، أو حتى
متابعة تصريحات وخطابات قادة الحزب !

على أن مهمة المثقفين ، ورجال الفكر والقلم منهم خاصة ، لا تنف
عند هذا الحد ، وإنما تمضى أبعد فى اتجاه اكتشاف آفاق
جديدة ، ووسائل وأشكال مبتكرة لعملية البناء وإعادة البناء الثورية
الديمقراطية بكل أبعادها الوطنية والاجتماعية والقومية والأممية
والإنسانية وكل تطلعاتها وتوجهاتها الاشتراكية •

المسألة الزراعية ...

والمسألة الأيديولوجية(*)

دعت صحيفتنا « ١٤ أكتوبر » و « صوت العمال » المثقفين وأولى الاختصاص الى خوض نقاش مفتوح حول: وضع الزراعة ، والنوع الاقتصادي عموما ، لمعرفة الأسباب التي ادت الى حالة الركود ، وربما التردى في الانتاج الزراعى ، والتي صاحبت جميع العهود التي مرت بها الثورة بعد الاستقلال مباشرة وحتى اليوم .

وهو نقاش هام وحيوى ويمثل في صراحته وانفتاحه صفحة من صفحات مرحلة البناء واعادة البناء الديمقراطي التي أخذت البلاد تسير فيها بثقة في النفس يدلل عليها مثل هذا النقاش ذاته ، كما تدلل عليها مظاهر ملموسة أخرى .

ولا يهم أن يجتهد البعض منا ويخطئوا في اجتهادهم ، المهم أن يقول كل منا كلمته بأمانة واستقامة ، وأن يقولها انطلاقا من ايمانه بالثورة ، وحرصه على استمرار مسيرتها ، ورغبته في تذليل المشاكل التي تواجهها ، وتصحيح وتقويم كل ما يستحق التصحيح والتقويم في أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية .

(*) نشرت في « ١٤ أكتوبر » عدد ٢٧/٧/١٩٨٨ .

— ٤٤٢ —

والأهم من ذلك كله أن تتمكن جهات الرصد والتتبع والاختصاص في الحزب والدولة المعنية بشئون الزراعة والاقتصاد والتجارة ... الخ لا من جمع وتقييم كل ما يكتب في هذا الصدد فقط ، وإنما أيضا من وضع اليد بالخبرات المتكدسة لديها وخبرات الدول الشقيقة والصديقة ، وخاصة الدول الاشتراكية والدول السائرة في طريق التوجه الاشتراكي ، على مآمن العمل ، وإصلاح جوانب الخلل ، والتغلب على حالة الركود والتردى في مضمار العملية الانتاجية الزراعية قبل غيرها ، ومن ثم اثبات أن عملية التحويل الاجتماعي الديمقراطي للريف ولصالح الكادحين تؤدي فعلا — لا قولا — الى إطلاق قوى الانتاج فيه — وفق ما تقول النظرية — الى احداث نهوض زراعي ، وتحسين في مستوى معيشة الريف ، وازدهار انتاجي يغطي حاجيات الريف والمدينة معا ، الى حد الاكتفاء الذاتي ، بل والى تصدير الفائض منه للسوق الخارجي .

وبذلك نثبت صحة خيارنا التاريخي ، وأفضلية مشروعنا الديمقراطي الثوري بتوجهه الاشتراكي ، ومصداقية وثائق الحزب والدولة التي تؤكد ذلك كله .

ان فتح ملف الزراعة والاقتصاد بهدف إعادة قراءته في ضوء معطيات الواقع الفعلي ، وسد الثغرات ، وتلافي الأخطاء ، وتصويب المسيرة الانتاجية بمجملها — وهو ما شددت عليه وثائق الكونغرس الحزبي العام — ان ذلك لا يستقيم ولا يكتمل بدون أن تتواءم معه اجراءات أخرى ، بدون فتح الملف الأيديولوجي — الثقافي ، ملف العقيدة والروحانية التي تسير آلية المجتمع كله ، بما في ذلك العملية الانتاجية عامة ، وضمنها العملية الزراعية .

حقا أن علاقات الانتاج هي الأساس الذي يقوم عليه مجمل البناء

— ٤٤٣ —

الفوقى السياسى والحقوقى والفلسفى والثقافى والأيدىولوجى ، غير أن هذا البناء يعود بدوره فيؤثر اما سلبا أو ايجابا على هذا الأساس ذاته ، بل انه يدخل كعنصر أساسى فاعل فيه ، كأداة انتاج واعادة انتاج له . فليست هناك حدود مطلقة لا فى الطبيعة ولا فى المجتمع بين الظواهر والأشياء . هناك تداخل دائما . والمقدمة قد تصبح نتيجة ، والنتيجة تصبح سببا ، وهكذا دواليك فى حركة جدلية لا نهاية لها من التفاعل بين العمليات الطبيعية والاجتماعية .

وجزاء مما تعرضت له الأوضاع الزراعية من ركود وحتى تردى تعود الى الانسان ذاته . وكما ان الاشتراكية لا يصنعها الا الاشتراكيون ، فان المجتمع السائر فى طريق الديمقراطية والتوجه الاشتراكى لا يصنعه الا الديمقراطيون والمؤمنون حقا بالتوجه الاشتراكى .

والفلاح الذى لم يهيا فكريا وروحيا ، ولم يعد تثقيفه وتنوعيته بمدى ارتباط مصلحته بمقولة « الأرض لمن يفلحها » كأساس لعملية الإصلاح الزراعى الديمقراطية ، وارتباطها كاملا بنظرية تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية — هذا الفلاح من الصعب عليه ان يتعامل مع الأرض — وقد أصبحت تعاونية أو ملكا من أملاك الدولة — بذات الارتباط السابق والخاص بها ، والحب لها ، والحرص عليها ، والحرارة فى العمل فيها ، والحماس فى الذود عنها فى مواجهة أى عملية تلاعب فيها ، أو اخلال بالعمل بها من أى كان .

والمسئول الادارى — أيا كانت درجته — لا يستطيع أن يكون فى وضع أفضل من هذا الفلاح ما لم يتشبع هو نفسه بذات العقلية والروحية الديمقراطية الاشتراكية ، وما لم تحكم سلوكه بمجمله وهو يتعامل مع الأرض المملكة للتعاونية أو الدولة والعاملين عليها .

وأعمال التلاعب بالأرض وفي الأرض الجديدة بشكليها الاقتصاديين
الجديدين ، وهو ما تطرقت اليه الصحافة منذ حين ، لا يتحتم
مسئوليتها الفلاح وحده ، ولربما كانت مسئولية الإدارة أكبر .

كان لينين يقول ان علينا أن نبني الاشتراكية بالمادة التي خلفتها
لنا الرأسمالية . ومهمة الاشتراكيين أن يبذلوا أقصى ما لديهم من جهد
من أجل تطوير وتحسين هذه المادة الاجتماعية - البشرية ، حتى
تكون مهيأة لإقامة صرح الاشتراكية .

ونحن لم نرث من المجتمع السابق للرأسمالية ، المجتمع شبيه
القبلي - شبه الاقطاعي - الكمبرادوري - الاستعماري مادة أفضل
من تلك المادة التي انتجها المجتمع الرأسمالي المتطور ، بل لعلها مادة
اجتماعية - بشرية أشد تعقيدا بكثير بفعل تعقد الوضع التاريخي
- الاجتماعي المتشابك - المتداخل ذاته ، وتعقد الروحية والنفسية
المنحدرة عنه .

غير أن الطليعة الاشتراكية حاملة الأيديولوجية والثقافة ، هي
المعنية بإعادة انتاج وصقل هذه المادة الاجتماعية - البشرية . وعلى
قدر ما تكون هي ، تكون هذه المادة التي منها ذاتها يتكون صرح
بناء المجتمع الجديد .

وهذه الطليعة هي أحوج ما تكون الى نظرية الطليعة عندما
تكون ما تزال « في دور التكوين » ، حسب تعبير لينين في « ما العمل ؟ »
وذلك يعنى أيضا تملك خبرة من سبقوا في مضمار الممارسة العملية لهذه
النظرية . ذلك « أن الحركة المبتدئة في بلاد غنية لا يمكن أن تكون ناجحة
الا اذا استوعبت تجربة البلدان الأخرى . وبلوغ ذلك لا يكفى مجرد
الاطلاع على هذه التجربة أو مجرد نسخ القرارات الأخيرة . انما

يتطلب هذا من المرء أن يمحس هذه التجربة وإن يتحقق منها بنفسه •
وكل من يستطيع أن يتصور مبلغ اتساع وتنشعب حركة العمال المعاصرة
يفهم مبلغ ما يتطلبه القيام بهذه المهمة من احتياطي من القوى النظرية
والتجربة السياسية والثورية أيضا » (ص ٢٦) •

ما من شك أن امتلاء المرء بشعور من الثقة بأنه أصبح اشتراكيا
مائة في المائة شيء رائع ، غير أن ذلك ما لم يترجم في الممارسة العملية
يظل مجرد ادعاء أو حتى فرضية نظرية ، شأن أي فرضية ، تتطلب
الاثباتات •

وتبوء كل أو بعض منا مركز الاستاذية والريادة في هذا الصدد
هو أكثر من رائع ، شريطة أن يبرهن على ذلك السلوك العملي ، السلوك
الذي يتسم بالطليعية ، ويعطى المثل النموذج الرائد والمهم •

والحزب الاشتراكي اليميني هو الذي يحتل اليوم - تاريخيا
وسياسيا - هذا الموقع ، ولا يملك الا أن يكون كذلك نظريا وعمليا .
وذلك « أنه لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة الا حزب يسترشد
بنظرية الطليعة » • (ص ٢٧) •

وقد لاحظ « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليميني
الى الكونغرس الحزبي العام » الذي « قدمه انرفيق على سالم
الببض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليميني » أن هناك
ثغرات ونواقص نظرية وأيديولوجية في صفوف الحزب تتطلب المعالجة :
« وبهذا الصدد ينبغي العمل على تحرير أساليب عملنا الأيديولوجي
وبصورة مستمرة من الشكليات والمواغظ والموسمية والتهافت بالجمان
الثورية المجردة والبعيدة عن الواقع •• لأن انفصال الكلمة عن الواقع
يؤدى الى اضعاف قيمة الجهود العظيمة المبذولة في مختلف الميادين »
(ص ٣٣) •

ويقنن بالاستيعاب الفكرى للأيدولوجية والنظرية الطليعية
الدراسة الميدانية للبنية الاجتماعية ذاتها داخل البلاد بكل أبعادها التحتية
والفوقية ومستوى التطور الذى حققته • ولذلك لابد من « رفع مستوى
الدراسة المنهجية لنظرية الاشتراكية العلمية ، ودراسة قضايا التطور
الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للبلاد ، والتأهيل النظرى للكوادر
الحزبية » (ص ٣٣) •

قد يتمكن الاختصاصيون من وضع أيديهم على العالم الحقيقية
لتعثر العملية الانتاجية فى ميدان الزراعة وغيره من الميادين ، غير أن
خلفية ستبقى هناك : الخلفية النظرية والأيدولوجية والسيكولوجية التى
تسير بها هذه العملية بكل ثغراتها ونواقصها الطبيعية والمفترضة فى
مجتمع ما يزال يخطو خطواته الأولى فى طريق تمثل نظرية ورؤية
جديدة لبناء حياته وبناء الحياة والكون من حوله •

وهى نظرية ورؤية ما برحت تدور وتعمق فى ضوء الخبرات
التاريخية المكتسبة لبلد الاشتراكية الأول والبلدان الاشتراكية الأخرى
وأحزاب الاشتراكية العلمية فى كل مكان •

وذلك ما تعلمنا اياه أيضا الثورة النظرية والعملية الجارية اليوم
فى الاتحاد السوفيتى — بكل آثارها العالمية — باسم « البيريسترويتا » :

ان إعادة فحص واقعنا برؤية نقدية — وهو ما شرعته وثائق
الكونفرانس وهو ما بدأته الصحافة أيضا — هو ملمح من ملامح
الاحرار على أن تسير عجلة البناء وإعادة البناء الديمقراطى دون توقف ،
لا على المستوى الاقتصادى والسياسى فحسب ، وانما كذلك على
المستوى النظرى •

وذلك يعنى أن مهمة المثقفين الثوريين هى فتح ملف الوضع الثقافى، والأيدىولوجى، ملف حياة الانسان الروحية والسيكولوجية، وتلمس مدى التطور الذى تحقق فى هذا الصدد، وجوانب النقص والقصور التى ما تزال موجودة هناك •

فليس هناك تطور حقيقى ما لم يقم على الأساس المادى والروحى معا، فالرأسمالية حققت وتحقق قدرا كبيرا من التطبور المادى والتكنيكى والعلمى • غير أن الاشتراكية هى وحدها التى تحقق الى جانب ذلك التطور الروحى والمعنوى والخلقى، والتى تخلق الانسان المتكامل الشخصية، الانسان الجديد، والفرد الحر • فحتى التطور المجتمعى العام والحر غير ممكن تحقيقه الا بالتطور الحر للانسان الفرد، ولا انسانية حرة الا بانسان حر • ذلك مغزى مقولة ماركسى: « التطور الحر لكل فرد، شرط للتطور الحر للجميع » • وذلك أيضا هو مدلول البيرسترويك • فلا اشتراكية متطورة حقا بدون اشتراكيين متطورى السمات الانسانية، رفيعى الخلق، حميدى الخصال، كريمى السلوك مع أنفسهم ومع كل فرد فى المجتمع •

ويمكن القول كذلك أنه لا مجتمع ديمقراطى سائر فى طريق التوجه الاشتراكى حقا بدون اناس ديمقراطيين واشتراكيين يعملون على صياغة الرأى العام فى المدينة والريف معا وخلق مثل وقيم الديمقراطية والاشتراكية، ويقدمون المثل النموذجى والرائد على ذلك بمسلكتهم العملى، وكل ما يأتون ويدعون •

ان حل المسألة الزراعية، والمسألة الانتاجية عموما، كما يحتاج الى جهد المتخصصين - وذلك ما ركز عليه لينين حتى لو كان هؤلاء برجوازيين - فانه أحوج ما يكون الى جهد الأيدىولوجيين القادرين على تربية النسل تربية جديدة، تربية ديمقراطية • واشتراكية، باعتبارهم القوة الانسانية الفعالة والواعية بين جميع قوى الانتاج الأخرى، غير أن هؤلاء الأيدىولوجيين هم فى حاجة كذلك الى أن يتعهدوا

أنفسهم بالتربية الأيديولوجية والنظرية دائماً وباستمرار وإلى أن
يجسدوا ذلك عملياً وعلى أرض الواقع .
ذلك هو لب نظرية الاشتراكية العلمية وغلستها المسادية
الديكالكتيكية .

وحسب موضوعة ماركس الثالثة عن فورباخ كان « النظرية المسادية
التي تنظر بأن الناس هم نتاج الظروف والتربية ، وبالتالي بأن الناس
الذين تغيروا هم نتاج ظروف أخرى وتربية متغيرة ، — هذه النظرية
تنسى أن الناس هم الذين يغيرون الظروف وأن المربى هو نفسه
بحاجة للتربية » . (ماركس — انجاس ، منتخبات في ثلاثة مجلدات ،
المجلد ١ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ، ص ٧ — ٨) .

ان العمل على تغيير الواقع الاجتماعي ، بما في ذلك واقع الريف ،
لا بد أن يسير جنباً إلى جنب مع العمل على تغيير أنفسنا ، وتغيير
ما بأنفسنا .

وكما أنه لا انفصام بين القاعدة المسادية والبنية الفوقية التي
تطابقها ، فإنه لا تطور ناجح لهذه القاعدة بدون أن تدخل البنية
الفوقية كشريك فعال في عملية تطويرها .

وإذا كانت السلطة السياسية ، هي أهم مسألة في الثورة وفي مجمل
البناء الفوقي ، فإن هذه السلطة السياسية لن تستطيع تحقيق مشروعيتها
بدون الأيديولوجية المبررة لها ، المقنعة للناس . لا، لها ومصداقتها .

ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة للعملية الانتاجية التي لا نستطيع
أن نتحرك بكامل طاقتها لصالح القوى الكادحة بدون اقتناع هذه
القوى بذلك ، أى بدون ترسخ الوعي الأيديولوجي لديها بأنفسها هي
التي تقطف ثمرة جهدها ، وبدون أن ترى ذلك يتحقق بالفعل .

وهكذا نقترب المسألة الزراعية أيضاً بالمسألة الأيديولوجية .

من أجل إعادة فتح ٠٠٠

الملف الثقافي اليمني(*)

في عدد أغسطس ١٩٨٨ ، وبمناسبة مرور ١٨ عاما على ميلاد مجلة « الثقافة الجديدة » التي تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ، وجه عضو اللجنة المركزية وزير الثقافة والاعلام الرقيق الدكتور محمد أحمد جرهوم في كلمته الافتتاحية للمجلة دعوة مفتوحة للمثقفين اليمنيين ولكل أبناء الشعب اليمني ، ولكل المهتمين بثقافة وتاريخ اليمن من أشقاء وأصدقاء للمشاركة في بحث مختلف محاور هذا المشروع المكونه من أربعة : قضايا الثقافة اليمنية - الثقافة انديمقراطية - الثقافة والابداع - المؤسسات الثقافية والاعلامية . ودورها في نشر وتعميم الثقافة .

وفي تواضع جم يؤكد « ملف المشروع الثقافي اليمني » المطلوب فتحه « ان طرح اشكاليات الثقافة اليمنية لا يهدف الى تعجل النتائج أو ابتسار الخلاصات . وهذا المشروع لا يقدم أجوبة بقدر ما يحاول أن يثير أسئلة تضع اشكاليات الثقافة والمجتمع على بساط البحث دون أن تضع اشارات حظر التجول أو تحول دون اشارة نقاش بناء وهادف حول ثقافتنا اليمنية المعاصرة بأبعادها الوطنية الديمقراطية » .

(*) نشرت في « ١٤ أكتوبر » عدد ٣١ / ١٠ / ١٩٨٨ .

(م ٢٩ - قضايا الثورة اليمنية)

أما الهدف المتوخى — فى خاتمة المطاف — فهو بلورة السياسة الثقافية ، ذلك « أهمية وجود سياسة ثقافية تعمل على تحويل المؤشرات النظرية العامة فى الخطة الى برنامج تنفيذى ملزم لكافة المؤسسات الاعلامية والثقافية وبواسطتها يمكن تحديد الانجاز السنوى ومؤشرات الواقع الثقافى » .

وبطريقة ضمنية زكى وأكد الأخ هشام على مساعد نائب وزير الثقافة والاعلام فى مقالته التى نشرها فى عدد ١٣-١٠-١٩٨٨ من صحيفة « ١٤ أكتوبر » بعنوان « الثقافة والمجتمع فى اليمن » أهمية فتح هذا الملف الثقافى : « ولعل الوقت قد حان لتقييم بمراجعة نقدية لواقعنا الثقافى ، لا سيما بعد المسار الزمنى للثورة اليمنية ، أى بعد انقضاء ٢٦ عاما على ثورة سبتمبر و ٢٥ عاما على ثورة أكتوبر . وفى اعتقادى ان هذه الفترة الطويلة نسبيا تقتضى هذه المراجعة النقدية لمعرفة مدى التغيير الذى الحق بالبنية الثقافية للمجتمع » .

أما الغاية من ذلك فهى « الاتجاه نحو التغيير الثقافى بإرادة مسبقة وبتخطيط واع ومدرس يفوق التخطيط لعمليات التغيير الاقتصادى » .

ولا أعتقد أن أحدا من مثقفى هذا الوطن الجادين — حزبين وغير حزبين — لا يدركون أهمية فتح هذا الملف الثقافى ، بل وإبقاءه مفتوحا باستمرار .

ولقد كان هناك احساس مبكر بالحاجة الى طرق باب « المسألة الثقافية » وبالعودة الى الصحافة اليمنية والى الكتب والكتيبات التى صدرت فى المراحل المتعاقبة من سير الثورة يتضح جيدا أنه كان هناك تنبه الى أن المستوى الثقافى لم يتواءم مع المستوى العام الذى بلغته الثورة فى تطورها ، مما عكس نفسه سلبيا على هذا المستوى العام ذاته .

وقد تعددت التصورات حول ما اذا كانت الثقافة اليمنية تمر بحالة أزمة أو ركود •

وقد جمع كتاب « مناقشات حول الثقافة اليمنية » الذي صدر عام ١٩٧٥ بعضاً من هذه التصورات •

ولم تجمع بعد المناقشات التي سبقت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية ، والتي أعادت طرح ذات السؤال الذي تعددت حوله الاجابات • وقد لاحظت « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ » ان الثورة واجهت ما هو أكثر من الازمة الثقافية ، ونهت الى ما أسمته لغالية « وتأثير الازمات التي أضعفت الوحدة الفكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » ، (ص ٥٣) •

ولعلنا ممن أحسوا بوطأة هذه المعضلة ، معضلة تملك الثقافة الوطنية والديمقراطية والتقدمية التي من الصعب تصور مضي قطار الثورة عبر جميع محطاته الاجتماعية والتاريخية بدون توافرها وبدون أن تحتل مكانها القيادي في القاطرة ذاتها •

ومنذ كتابة مسلسلنا « الخروج من نفق الاغتراب » • • واحداث ثورة ثقافية في اليمن « الذي نشرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » على مدى عامين تقريبا بدءاً من عام ١٩٧٩ الى آخر مقال لنا بعنوان « المسألة الزراعية » • • والمسألة الأيديولوجية « الذي نشرته الصحيفة في ٢٧-٢-١٩٨٨ ونحن يملكنا ذات الاحساس الذي يملأ وجدانات خيرة مثقفينا بأنه لا بديل لاعطاء المسألة الثقافية حقها من الاهتمام والتقدير •

ومما جاء في هذا المقال : « ان اعادة فحص واقعنا برؤية نقدية — وهو ما شرعته وثائق الكونغرس ، وهو ما بدأتها الصحافة أيضا — هو ملمح من ملامح الاصرار على أن تسير عجلة البناء واعادة البناء الديمقراطي دون توقف ، لا على المستوى الاقتصادي والسياسي فحسب ، وانما كذلك على المستوى النظري » .

وذلك يعنى أن مهمة المثقفين الثوريين هي فتح ملف الوضع الثقافي والأيديولوجي ، ملف حياة الانسان الروحية والسيكولوجية وتلمس مدى التطور الذى تحقق في هذا الصدد وجوانب النقص والقصور التى ما تزال موجودة هناك » .

فليس هناك تطور حقيقى ما لم يقيم على الأساس المادى والروحى معا . ونزعم أن دراستنا المطولة التى بلغت ١١٣ صفحة التى تقدمنا بها الى الندوة الثقافية التى نظمتها الدائرة الأيديولوجية التابعة للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى بالتعاون مع مجلة « النهج » ما بين ٢٨ — ٣٠ مارس ١٩٨٨ فى عدن كانت ممارسة تطبيقية من جانبنا لهذه الدعوة الخاصة بفتح الملف الثقافى اليمنى ، حيث عالجت مداخلتنا هذه التى لم يوزع منها فى الندوة سوى ملخصها الموضوع الثقافى فى اليمن قبل الثورة وبعده ، وذلك ما يتضح حتى من عنوان المداخلة : « المشاريع والتيارات الثقافية الديمقراطية والبيروقراطية والسلفية والاصلاحية والانعزالية فى اليمن » .

ونعتقد أن توفير فرص النشر لما كتب حتى الآن من قبل العديد من المثقفين حول الوضع الثقافى من شأنه أن يضع تحت تصرف الرأى العام مادة فكرية وروحية ستسهم فى تكوين رؤية عامة حول ماضى وحاضر الثقافة اليمنية ، وفى الاطلاع على آفاق مستقبلها » .

— ٤٥٣ —

ان ذلك يمثل احدى الخطوات العلمية لتنفيذ مشروع وزير الثقافة الخاص باعطاء الثقافة حقها من الاهتمام اللازم باعتبارها جزءا لا يتجزأ من عملية بناء المجتمع الجديد .

ان افساح المجال في الصحافة وفي شتى وسائل الاعلام لمناقشة حرية ومفتوحة حول الثقافة — اضافة الى عقد ندوات خاصة بذلك — يمثل شكلا من أشكال الاستجابة الفعلية لهذه الدعوة .

وربما كان الحوار الذى أجرته صحيفة « ١٤ أكتوبر » مع الزميل عمر الجاوى الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ونشرته في عدد ٢١-١٠-١٩٨٨ تحت عنوان « آراء للمناقشة » هو شروع في فتح أو اعادة فتح ملف الثقافة ، مما يعنى أن دعوة وزير الثقافة والاعلام قد أخذت تخرج الى حيز التنفيذ وان المثقفين مدعوون للاسهام في تقديم تصوراتهم حول ماضى وحاضر ومستقبل الثقافة في اليمن .

وحتى توضع « ورقة عمل » أكثر تحديدا ، وتعد ندوات خاصة بذلك تنتقل بها دعوة الأخ الوزير الى ميدان الممارسة المرجسوة فان دراستى المطولة الأنفة الذكر هي آخر كلمة عندي ، اذا ما أتيح لها مجال النشر .

وحتى ذاك غاننى اكتفى بالتوقف عندما نشر حتى الآن ، وهو مقال الزميل عمر الجاوى الذى قدمته الصحيفة لا باعتباره رأيا ، وانما آراء للمناقشة ، اعتبرتها فاتحة لحفر ودعوة الكتاب للمناقشة الوضع النقائى في ضوء « دعوة نحو فتح ملف المشروع الثقافى اليمنى » التى وجهها الرفيق وزير الثقافة والاعلام .

عند رسمه للخارطة الثقافية في اليمن قبل الثورة وبعدها يرى

الزئبل الجاوى أن هناك « اتجاهات ثلاثة فى الثقافة الوطنية .. وهى :
اتجاه وطنى .. واتجاه قومى .. واتجاه أممى .. » وهى « موجودة بالفعل فى كل أنواع الابداع القائمة » والمدارس الأدبية الراهنة ،
« وعلى نفس النسق الموجود فى العالم العربى » وكانت هذه الاتجاهات
مرتبطة بالحركة الوطنية اليمنية ، ومن ثم فى حالة صراع مع قوى
القديم وتياراته « وحركة الردة القائمة » ومثلت من ثم منحى يساريا
انتظم فيه الجميع من « ناصرين وبعثيين وقوميين وغيرهم » .

غير أنه لا يلبث أن يخرج الاتجاه الأهمى من مكانه فى خارطته
الثقافية ويحكم عليه بالعطالة والخواء ، سواء فى ميدان الانتاج الثقافى
عموماً أو فى ميدان الانتاج الأدبى والفنى ، تماما كما يحكم على ثوره
١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بأنها لا تعدو أن تكون طلقة رصاص سمعت فى ردغان
دفاعا عن شرف البندقية التى أراد الانجليز نزعها من أيدي لردغانيين
عند عودتهم بها من شمال الوطن ، وهو ذات الحكم العدمى الذى
يصدره على طريق التوجه الاشتراكى الذى اقتحمته الثورة ، ويرى
أنه لا وجود له وان بلوغه يشترط أولا تحقيق وحدة اليمن .

ومن العرض يتضح أن رئيس تحرير مجلة « الحكمة » يرى أن
هناك ثقافتين : ثقافة شعارات تزوج لها السلطة ، وترقم بها عديد
المراحل الانقلابية التى مرت بها ، ولا تجد لها ، أدنى انعكاس على
صعيد الأدب والفن ، أو صعيد الثقافة الوطنية الحقيقية ، ثم الثقافة
الوطنية الشعبية الحقبة المعبرة عن جوهر مصالح ومطالب وطموح
الشعب الأصيلة والتى تتجسد أيضا فى صيغ أمية وفنية راقية تعتبر
« الحكمة » منبرها الفعلى البليغ ، كما يعتبر اتحاد الأدباء ، والكتاب
اليمنيين وجدانها الحى ، ولسانها الفصيح ، رغم كل الاغلال التى
تقيدها السلطات الحاكمة .

من الجدير بالتنويه أن صحيفة « ١٤ أكتوبر » قد أبرزت في العديد من العناوين الكبيرة بعض هذه الأطروحات مثل : « الثقافة اليمنية لا تواكب الشعارات ، بل تمس جوهر قضائنا الوطنية » ، « الأغنيات والأناشيد التي تردد الأرقام التاريخية هي خارج الفن والأدب » .

ولا محيص من إيراد بعض الفقرات التي يبين بها أن هناك نمطين من الثقافة : ثقافة الشعارات الجوفاء .. والثقافة الوطنية الحقة المؤثرة على الاتجاه التاريخي لحركة الشعب : « أقول ذلك لأن حركة الثقافة الوطنية القائمة في بلادنا عموماً لا توحى إلا بما اقوله هذه اللحظة » أى أنها ثقافة لا تواكب الشعارات ، وإنما الجوهر الذى يمس قضائنا الوطنية مباشرة وبمعزل عن أى اغتيال لأى شعارات مطروحة ومؤقتة . أن ما يطرق الأذن من قصيدة وقصة وأغنية ومسرح وغير ذلك من الأشكال الفنية تجنب الشعارات المصطنعة وذهب ليمارس قضية الشعب الثورية .

لا يعنى أن قصائد وأغنيات وأناشيد قد رددت كل الأرقام التاريخية التي نسمعها عن الانتفاضات والمراحل .. ولكن هذه مجرد انتاج مراحل لا يذكر إلا بالمناسبات وهو خارج الفن والأدب » .

وانتاج المراحل والمناسبات — أيا كان الشكل الذى اتخذته — هو الذى صور للناس بأن ما يسمى ثورة ١٤ أكتوبر قد مرت بمنعطيات تاريخية عديدة حتى بلغت ما يسمى طريق التوجه الاشتراكي ، بينما الحقيقة غير ذلك تماماً ، فلا هي بثورة — أيا كانت التطورات التي حدثت ولم تكن في حسابان الذين أطلقوا الرصاص في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ في ردغان دفاعاً عن بنادقهم التي أراد الانجليز نزعها منهم — ولا هو

بتوجه اشتراكي ذلك المنحى الذى تسير فيه السلطة فى هذا الجزء الجنوبي من الوطن • ذلك هو فحوى اجابة أمين عام اتحاد الانديا والكتاب اليمينيين على سؤال الصحيفة عليه والذى كان نصه : « كان هدف تصفية الاستعمار البريطانى من شطرنج الجنوبى من الوطن الهدف الأول لثورة أكتوبر • ولكن الثورة بعد الاستقلال عاشت خيارات فكرية وسياسية انتهت الى اختيار مسار التوجه الاشتراكي لتطور المجتمع اليمنى فهل سار الأدب والثقافة اليمنية ايضا بتلك التحولات الفكرية • وكيف عايشها جماليا • • ؟ »

أما نص الاجابة فكان : « أولا أود من صميم قلبي أن اتحدث الى صحيفتكم الغراء بلغة أشعر بأنها لا تجانب الحقيقة ، خاصة والمسألة تتعلق بمناسبة الذكرى الفضية لاندلاع شرارة ردفان • وعليه لابد من طرح الأمور كما أعرفها • • وعلى وجه الخصوص ان اطلاق أول رصاصة فى ردفان كان بهدف آخر ، ولهدف آخر • غير أن التطورات حملت الشرارة مضامين تحررية عميقة • • أى انها كانت للدفاع عن ردفان وأصحاب ردفان • • فان (أى) العائدين من جبهات الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وتحولت الى إحدى المراكز المجابهة لتدخل الاستعمار والقوى المضادة للثورة والجمهورية فى بلادنا • • ثم بعد ذلك حصلت التطورات السياسية المعروفة فى سير الأحداث • • حتى طرد الانجليز • • والتغيرات السياسية حتى ارساء ما يسمى بنهج التوجه الاشتراكي فى هذا الجزء من الوطن •

نحن جزء من الحركة الثورية التاريخية فى بلادنا • بما فى ذلك الشعارات المطروحة فى هذا الجزء من الوطن والتي نشك فى أنها ترمى على طريق التوجه الاشتراكي • لانه لا يمكن تحقيق الاشتراكية دون تحقيق الهدف الأول للشعب اليمنى ، وهو توحيد الوطن »

ولان « حركة الثقافة الوطنية القائمة في بلادنا عموما لا توحى الا بما أقوله هذه اللحظة » .

أما المكانة الخاصة التي تحتلها مجلة « انحكمة » والدور المتميز الذي تنهض به في ميدان انتاج الثقافة الوطنية بكل أشكال تجلياتها: فينبعان من أنها امتداد عصري « للحكمة القديمة » « التي صدرت في ١٩٣٨ تعبر عن أرضية ثقافية لمن نسميهم بالرعييل الأول من المثقفين اليمنيين ، أى المدارس لتي تجاوزت التقليدية والرخود في مصر والعراق وغيرها من البلدان العربية » وأنها « أسهمت في تطوير الثقافة الوطنية بحكم طابعها كلسان حال اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، وهى قدمت شيئا يمكن تحديده بكونها فتحت بابا لقضية الابداع خارج الرسميات وبمعنى أدق تبنت حرية الكلمة غير المراقبة » .

القول بأن « الحكمة القديمة » قد تجاوزت حركة الثقافة في مراكزها الأساسية في مصر والعراق وغيرها واضح أمر المبالغة فيه ، وينفيه أن أقطابها مثل « أحمد عبد الوهاب الوريث وأحمد المطاع والعزب وغيرهم » كانوا تلاميذ لأقطاب الثقافة العربية والاسلامية الحديثة في مصر وغيرها من أمثال الشيخ محمد عبده ، وطه حسين ، وعباس محمود العقاد ... الخ .

أما أن يشهد أقطاب « الحكمة الجديدة » لأنفسهم فذلك أمر مفهوم ، ولا يعيبه الا شيء واحد وهو أن التاريخ لا يأخذ بشهادة المرء لنفسه ، وان كان يأخذ بشهادته عليها تماما كما أنه لا يعتبره حكما موضوعيا ما يقوله عهدا عن نفسه لما يخالطه من تصورات تضخم أفعاله ، ذلك أنه يكون دائما هناك اضطراب « عند وصف هذا العهد التاريخي أو ذاك الى مشاطرة أو هام هذا العهد » كما قال ماركس -

(ماركس — انجلس منتخبات في ثلاث مجلدات ، المجلد ، الجزء ١ .
دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣) •

واذا كانت ثنائية « الثقافة والديمقراطية » قد مثلت احـد
المحاور في ملف الثقافة الذي اقترح وزير الثقافة والاعلام فتحـه
ومناقشته فان رئيس تحرير « الحـمة » يرى أن هذه الثنائية
لم تشكل بعد معادلة متكاملة مرضية • فالثورة — الثورة باطلـاق
دون تحديد ما اذا كانت ثورة ٢٦ سبتمبر أو ثوري ١٤ أكتوبر أو
كلاهما معا — فتحت مجالا واسعا للطاقت الابداعية بصرف النظر عن
المعوقات التي تحد من ذلك كتقليص الحريات وضرب الديمقراطية
في هذا الجزء من الوطن •

نحن لا نفى أنه ما تزال هناك اشكاليات تتعلق باعطاء هامش
أكبر من الحرية للثقافة والمثقفين حتى لا تفقد الثقافة وحاملوها دورهما
الريادي في مضمار استشفاف آفاق المستقبل وفي صياغة وبلورة الرؤية
الكلية للطبقة أو الفئة التي يمثلونها •

وكما جاء في مداخلتنا الأساسية التي تقدمنا بها الى الندوة
العلمية المتعلقة بـ « السياسة الثقافية وخبرة العمل بين المثقفين التي
عقدت في عدن ما بين ٢٨ — ٣٠ مارس ١٩٨٨ والتي عالجت أشكالية
العلاقة بين الثقافي والسياسي ، وأكدت على رفض استتباع الثقافي من
قبل السياسي فان « هناك فارقا ما بين الطبقة وبين ممثليها من المثقفين •
فالتبقة وان وعت مصالحها الآنية المباشرة وفكرت لنفسها » ، فانهما
لا تستطيع أن ترى مصالحها الآجلة والبعيدة ، وكثيرا ما يكون وعيها
بهذه المصالح جزئيا لا كليا ، ومتعددا بتعدد فئاتها • والذي يتيح
لهذا النظر الكلي والشامل والبعيد والعميق لمصالحها هذه هم مثقفوها •
وهم الذين يعملون على خلق التجانس والتناغم في وعيها الطبقي • وهم

الذين يصوغون لها الفكر الاقتصادي والاجتماعى والسياسى الموحد لها ، والموجه لخطاها ، والمنظم لهيمنتها الطبقيه ، والبدنى لاجهزتها الايديولوجيه المسيطره فى الدوله والمجتمع .

فالمثقفون سواء كانوا من اعضاء الطبقيه أو من المنتمين اليها أيديولوجيا ليسوا مجرد أفراد - وانما هم جماعة ذات وظيفه بالغه الحساسيه والأهميه ، وهم بحكم وظيفتهم العليا المتساميه هذه يمتلكون استقلالية نسبيه تجاه طبقتهم »

واذا كان مطلب المثقفين باعطائهم حيزا أكبر فى ساحة الديمقراطيه مطلباً عادلاً ومشروعاً فإنهم ينقصون منه ويشككون فى مصداقيته ووجاهته عندما يتصرفون بحيال بعضهم بعضاً بما لا ينسجم معه ، حيث يجربون حق التعبير فى منبرهم الثقافى المتاح لهم عن البعض منهم بهذه الحجة أو تلك . وقد ترقى هذه الحجة الى مستوى أن تكون تهمة ادانة مختلقة لا تليق بهم ولا بمن توجه اليهم كالقول مثلاً بأن هذا البعض المحظور عليه الكتابة فى مجلة « الحكمة » يؤمن بتشطير الوطن ولا يدعو الى وحدته ، رغم أن مجمل كتاباته وحتى أطروحته العلمية التى استحق من أجلها أن يحمل لقباً أكاديمياً تتعلق بالوحدة اليمنية ، وإن كان المدخل التاريخى الذى يراه لتحقيقها غير ذلك المدخل الذى تقترحه « الحكمة » .

لا يخفى رئيس تحرير « الحكمة » هذه المفارقة التى تقع فيها المجلة حيث تشكو من نقص الديمقراطية وتطالب بالمزيد منها ، فى الوقت الذى تقع فيه الرأى الآخر لأنه لا يتفق مع وجهة نظرها : « وحين أتحدث عن حرية التعبير انما أقصد مداها الكامل أيديولوجياً وفنياً » و « حتى لا يقال أننا نبالغ كثيراً فى قضية الحرية المفتوحة نقول نعم . . نمنع نشر الانتحاج الذى يدعو الى النكوص والردة أى بقاء التشطير » (!) .

لا ينبغي أن نعتبر أن رأى رئيس تحرير « الحكمة » في أوضاع البلاد الثقافية والسياسية هو رأى جميع أعضاء اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، فالاتحاد يضم العديد من التيارات حتى وإن بدأ أن الطغيان فيه للجانب المهيمن على منبره الثقافى والاعلامى : « الحكمة » .

فهناك من يرى أنه لا حجر على احد في ممارسة حق التعبير بالرأى ومن يتفق مع وزير الثقافة والاعلام بأنه أن أوان مراجعة وتدقيق ملف ثقافته وطرح اشكالياتها واثارة الأسئلة المتعلقة بها والمرتبطة بحركة المجتمع والهادفة الى ترشيد ودفع « حركته دون ان تضع اشارات حظر التحول ، أو تحول دون اثاره نقاش بنباء وهادف حول ثقافتنا اليمنية المعاصرة بأبعادها الوطنية الديمقراطية » .

ليست هناك رؤية واحدة ازاء وضع الثقافة في اليمن — ماضيا وحاضرا ومستقبلا — هناك عدة رؤى وما عرضناه آنفا هو بعض منها . وسيظهر هتجح ملف الثقافة بالندوات التى ستعقد من أجله ، والمناقشات الصحفية والاعلامية عموما التى ستدور حوله الخطوط والملاحق التفصيلية الدقيقة له والتيار الأساسى الذى يمتلك الساحة الثقافية أو الذى هو في طريقه الى تملكها .

وعدا ذلك فان هذه الندوات والحوارات المفتوحة أمام الرأى العام من شأنها أن تساعد على وضع سياسة ثقافية مستقبلية ، بل وسياسة اعلامية مستقبلية ، تمثل أحد الروافد التاريخية — الروحانية والأيدولوجية — لحركة الشعب اليمنى المتجهة صوب ترسيخ قواعد التجربة الثورية الديمقراطية في جنوب الوطن ، والانطلاق بها قدما الى الأمام في طريق التوجه الاشتراكى وصوب توحيد أطراف الحركة الثورية اليمنية بجميع مشاربها الودنية والديمقراطية والتقدمية ، من أجل إقامة اليمن الديمقراطى الموحد ذى الآفاق القومية التقدمية ، والإبعاد الانسانية الأممية .

فى اليمن الديمقراطية مشروع سياسى ثقافى ديمقراطى لا حصار ثقافى(*)

تم أجد فى موضوع « الحصار الثقافى » للأخ محمد أبو بكر الحداد المنشور فى عدد يناير ١٩٨٩ من « الحكمة » حيثيات تبرر خطورة عنوانه ، اللهم الا اذا كان المراد هو رفض المشروع السياسى — الثقافى الذى تتبناه اليمن الديمقراطية كنواة قابلة للبلورة والتنمية والصقل والتطوير والتعميق ليصبح صالحا لليمن كله * والا اذا كان الهدف هو الدعوة لمشروع سياسى — ثقافى مضاد *

ولقد ان هذه الحيثيات فاننى أكتفى هنا — كرد غير مباشر — بتقديم الملامح العامة للمشروع السياسى — الثقافى الديمقراطى الذى ترفع لواءه اليمن الديمقراطية — ومعها الحركة الوطنية اليمنية كلها — والذى ما برح ينمو ويتكامل *

ففى مواجهة المشروع الثقافى السياسى للبرزوقراطية البرجوازية والتمازج مع العديد من الثقافات السلفية والاصلاحية والاستعمارية ، ينتصب المشروع الثقافى السياسى الديمقراطى بتوجهه الاشتراكى فى

جنوب الوطن والمتكامل مع المشروع الثقافي — السياسى الثورى الذى تقدمه الحركة الوطنية اليمنية عموما ، وخاصة جناحها اليسارى •

ان مما يميز النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن هو المنهجية العلمية الواضحة ، والانتماء الطبقي الصريح ، ورفض الثنائية والازدواجية والانتقائية والتلفيقية فى الأيديولوجية والثقافة ، وهى الأمراض التى عانت منها الأنظمة الوطنية الديمقراطية العربية وغير العربية التى قادتها البرجوازية الصغيرة وقادت من ثم الى هلاكها ، والتى ما يزال يعانى منها البعض الآخر ، دون أن يكون هناك ضمان للافلات من ذات المصير •

ان هذا التصميم النظرى ، المبني على المسداة الديالكتيكية والمادية التاريخية ، جنب هذا المشروع أيضا من الوقوع فى اشكالية ثنائية من طراز آخر كالأصالة والمعاصرة ، والتراث والحداثة ، والدين والدولة ، والثقافة والسلطة ، والوطنية والطبقية ، والقومية والأممية ، اذ لا أشكالية حقيقية ، وانما تفاعل وتكامل بين طرفي المعادلة ، مما يساعد على انجاح المشروع الثقافي السياسى الديمقراطى بتوجهه الاشتراكي •

وعبر مسيرة الثورة أمكن لها أن تنشئ مثقفيا متعددى الاختصاصات المواهب والمؤمنين برسالتها ، أيا كان حظهم أو حظ كل منهم من العلم والثقافة والاستيعاب لأبعاد هذا المشروع الاجتماعى — الثقافي — التاريخى •

وانذا كانت البرجوازية تنشئ مثقفيا الذين يمدون — بدرجة الأولى — انتقان مهنة معينة ليصبحوا اختصاصيين فيها فان الاشتراكية لا تكتفى فقط بإنشاء مثل هذا المثقف المتخصص فهو يظل دثقا ذا بعد

— ٤٦٣ —

واحد ، وانما تعمل على تربية وصياغة مثقف نقى وذى رؤية تسع
للكون كله وتعمل على تغييره عبر تغيير بنية مجتمعه ، وذلك هو المثقف
التقنى — السياسى ، المثقف الاختصاصى — الثورى ، المثقف المنتج —
القائد — المثقف البروليتارى — العضوى *

وما من شك فى أن اليمن الديمقراطية — حتى قبل أن تصل الى
المرحلة الاشتراكية — قد شرعت فى صنع مثل هذا الطراز من المثقفين
العضويين ، بل ان الحزب الاشتراكى اليمنى أيا كانت الهزات والازمات
التي تعرض لها — هو هذا المثقف الجماعى العضوى — حسب صيغة
جرامشى — ومجرد تغلبه على هذه الهزات والازمات هو دليل آخر على
أنه ذو أصالة اجتماعية ليس من السهل أن تؤثر عليها الأحداث ، وذو
رؤية سياسية — ثقافية متينة غير قابلة للكسر *

وكان المثقفون منذ بداية الثورة وعبر جميع مراحلها هم الجسر
الواصل بين مختلف الطبقات والفئات الشعبية ذات المصلحة فى الثورة
والحلقة الوسطى بين مجمل الفئات الوسطى التي أمسكت بقيادتها وتولت
التعبير عن أيديولوجية الطبقات الثورية *

ومنذ البداية امتزج المثقفون المدنيون بالمثقفين الفدائيين والعسكريين
المحترفين وخريجى الاكاديميات فيما بعد
ظلت تنمو وتتسع وتتكامل حتى استوعبت ، خيرة

وحسب صيغة برنامج الحزب الا
مكانة هامة فى المجتمع اليمنى ، وقد
خلال مراحل النضال التحررى الذى
كان المثقفون بين الصفوف الأمامية ،
مواقع الاشتراكية العلمية ، وأصبح

— ٤٦٤ —

على تنفيذ ارادة الشغيلة ، وخدمة تدلور مصالحها المادية والروحية
خلافاً لممارسات ودور فئات أخرى من المثقفين الذين لم يكن لهم في عهد
الاستعمار من هاجس سوى الركض وراء الكسب الشخصي والتعالى
على الجماهير •

والى جانب ذلك فقد أفسحت الثورة مجالاً لنشوء فئة المثقفين الثوريين
الكادحين والشغيلة ، وذلك من خلال اتاحة الفرص لدراساتهم سواء في
الجديدة المتحدة مع الطبقة العاملة والفلاحين والصيادين وغيرهم من
الداخل أو الخارج •

وفي الوقت الحاضر تشترك الاغلبية الساحقة من المثقفين في بناء
الاتحاد الوطني وفي تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية في بلادنا •

« ولقد قامت الثورة بعدد من الاجراءات في مجال تدوير التعليم
العام والعالي والثقافة في البلاد ، مما أدى الى زيادة عدد المثقفين » •
(دس ٥٧ — ٥٨)

ولأنه لا تعايش أيديولوجي ، ولا مساومة دليقية ، ولا وفاق سياسي
ولا مهادنة للفكر الاقطاعي السافى ، والبرجوازي البراجماتي ، والديني
المتزمت والمشبوه ولذل الرواسب الفكرية المتخلفة والمانحة عن الانماط
الاجتماعية السابقة للمرحلة الرأسمالية والاقطاعية ، إنما أنه لا مجال
لثقافة الاستعمارية . . ايا كانت لبوسها — فان برنامج الحزب شرع في
شن الحرب الأيديولوجية عايتها ، حتى يتم استئصالها نهائياً من حياة
المجتمع ومن رؤوس الناس وعاداتهم مع التسليم بأن حرباً كهذه قد تدلور
أمداً من الزمن لتعقدها واتساع جبهتها ، وامتدادها عبر الماضى والحاضر
والمستقبل ، وارتباطها بالانسان نفسه الذي لا تغيره الثقافة وحدها ،

وانما يغيره أيضا المجتمع ذاته وتطور علاقاته الانتاجية والاجتماعية والروحانية *

وكما جاء في البرنامج : « وبفضل العمل الهادف الذى قد قامت به الطليعة السياسية والسلطة الثورية والمنظمات الجماهيرية وجميع الشغيلة والكادحين ، وبالرغم من كافة العوائق والعراقيل التى كانت تضعها الانتهازية اليمينية واليسارية فإنه قد أحرزت في هذا المجال نتائج ايجابية ، حيث خطونا خطوة كبيرة على طريق التخلص من التركة الثقيلة التى خلفها الاستعمار والامبريالية والرجعية في هذا المضمار ، ووجهنا ضربات قوية الى مواقع وجذور الايديولوجية البرجوازية ومخلفات الاقطاع والرواسب القبلية والانفصالية ، وحدث ارتفاع ملحوظ للوعى الطبقي الثورى للجماهير الكادحة ، وكرست قيم ومفاهيم وعادات ثقافية ثورية جديدي في أوساطها ، كما تم أيضا تحقيق اجراءات جذرية خاصة بمحو الأمية وتعليم الجيل الجديد وجماهير الكادحين الواسعة على أساس الايديولوجية الثورية ومنجزات الثقافة الوطنية والانسانية التقدمية . ان نشاط الجماهير الكادحة الواعى والمبرمج في كافة ميادين الحياة الاجتماعية سيمكن بالضرورة من التغلب على المعتقدات البالية التى لا زالت تؤثر في حياة الناس بحيث يعطون في المطاف الأخير الولاء تدريجيا لنظام الدولة ويلتزمون بالاخلاص لقوانين وتشريعات سلطة الدولة . والحزب والدولة سيضعان حدا حاسما لآلة محاولات ترتدى اقنعه المعتقدات الدينية وتجند نفسها باسم الدين لأغراض سياسية مشبوهة ضد الثورة والنظام الجديدة ولأية محاولات تستهدف عرقلة وتصفية منجزات ومكاسب الكادحين » .

« وينطلق الحزب من حقيقة مؤادها أن هذه العملية معقدة وتدرجية وطويلة ولا يجوز أن تجرى عفويا ، ويتطلب تحقيقها من الحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية بذل جهد منهجية متواصلة . لذلك

فإن ما تم انجاز في هذا المجال لا يعتبر الا قاءة ضرورية لتحقيق
تحويلات أكثر جذرية وعمقا » • (ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦) •

ان أصالة وميزة هذا المشروع الثقافي الديمقراطي هو ذلك
التفتح الدائم والمستمر الذي اتسم به منذ كان بذرة في الميثاق الوطني
للجبهة القومية الى أن غدا اليوم رؤية متكاملة وممارسة حية ، ورفضه
من ثم الوقوف عند حد ، أو المراوحة في نقطة الوسط التي تختنق فيها
الثورات والمشاريع الديمقراطية التي تنقودها البرجوازية الصغيرة • كما
تتجلى أصالته وميزته في الاقتناع المبكر بأنه لا ديمقراطية ثورية بدون
مواصلة السير نحو الاشتراكية ، حتى ولو كان فهمه للاشتراكية ذا
مسحة برجوازية صغيرة ، ثم تحوله من مفهوم « الاشتراكية الثورية »
الذي جاء في « الميثاق الوطني » الى مفهوم « الاشتراكية العلمية » الذي
ما برح يتبلور في ذهن المناضلين عبر عملية التثقيف الذاتية والمنهجية
حتى اتخذ ذلك الموضوع الفكري الذي تجسد في برنامج الحزب
الاشتراكي اليمني •

وما برح هذا المشروع السياسي — الثقافي الديمقراطي بتوجيه
الاشتراكي وعمقه الوطني اليمني ، وبعبارة القوم التقددي ، وافقه
الانسانى الأسمى — ما برح يتأصل ويتفتح ويتنامى ويتكامل في مناخ من
الحرية الديمقراطية والعلمية الآخذة في الاتساع — . ايعدو لا مشروعا
صالحا لا من الموحّد فقط ، وانما أيضا ركنا ركينا في المشروع السياسى
— الثقافى — الحضارى — النهضوى العربى ، وخطبا متينا في المشروع
السياسى — الثقافى الحضارى العالمى الذى تشترك فى نسجه الانسانية
التقدمية كلها •

التعمق في دراسة ... الفكر الاشتراكي العلمي ... وتعميم الثورة الثقافية ... في اليمن الديمقراطية ... سبيل انتصار رسالة الحزب في اليمن(*)

يمثل قيام الحزب الاشتراكي اليمني كحزب للطبقة العاملة وحقائها ومثقفها ، وكحزب تكون من اندماج أكثر من فصيل ديمقراطي وقسام على أساس الاشتراكية العلمية ، ليس تحولاً فكرياً أيديولوجياً مشهوداً في الفكر اليمني فحسب ، وإنما تجربة رائدة ومهمة في الوطن العربي كله أيضاً .

وهو الحزب الوحيد في المنطقة العربية الذي يبنى من موقع السلطة أول تجربة ديمقراطية ثورية في الاتجاه الاشتراكي ، بعكس التجارب الديمقراطية الثورية التي قادتها أحزاب البرجوازية الصغيرة وانتهت إما إلى طريق مسدود ، أو رواحت في مكائنها دون ظهور مؤشرات تؤكد قدرتها على تجاوز المأزق الذي دخلت فيه بفعل احتكار البرجوازية الصغيرة والفئات الوسطى البيروقراطية للسلطة .

لقد لخصت ديباجة برنامج الحزب الاشتراكي اليمني الأهمية الاستثنائية التي يمثلها الحزب ، والمهمة الاجتماعية - التاريخية التي ينهض بها على النحو التالي :

« الحزب الاشتراكي اليمني هو طليعة الطبقة العاملة اليمنية المتحالفة مع الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الكادحة

الأخرى • وهو التعبير الحى عن وعى الطبقة لصالحها الحقيقة ومستقبلها ودورها التاريخى • وترتبط نشأة الحزب ارتباطا عضويا بتراث شعبنا الكفاحى • وهو يستلهم ويتطور كل ما هو تقدمى وثورى فى تراث الشعب اليمنى والقومى التقدمى ، وهو المكمل لكل نضالات الشعب • وهدف الحزب تحويل المجتمع تحويلا ثوريا لاستكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال نحو الاشتراكية ، مسترشدا فى سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل بنظرية لاشتراكية العلمية آخذا بعين الاعتبار الخصائص المحلية لنمو وتطور الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلادنا »

وينطلق الحزب الاشتراكى اليمنى فى برنامجه وسياسته وكافة ممارساته النظرية والعملية من الادراك الصحيح لطبيعة وجوهر المرحلة المعاصرة لتتطور التاريخى والعملية الثورية العالمية والاتجاهات الأساسية لتطورها ، ومن طبيعته الصراع بين حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية كجزء من الحركة الثورية العالمية وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية » (ص ١) •

ان وثائق الحزب جميعا بدءا بالبرنامج ، وانتهاء بالوثيقة النقدية التحليلية للكونفرنس الحزبى العام ، تشهد كلها بأنها وثائق نظرية وسياسية متقدمة وناضجة — وان احتاجت الى مزيد من التدقيق — •

غير أن التحدى الذى كان يواجهه الحزب ، كما كان يواجه التنظيم السياسى الجبهة القومية ، والتنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية ، هو فى مدى التقيد بهذه الوثائق والاحتكام اليها ، وفى القدرة على عبور الفجوة القائمة بين الفكر التقدمى والمتقدم الذى تجسده هذه الوثائق والذى يحدد كيفية ترشيد حركة المجتمع ، وبين الممارسة العملية لها ، ومن ثم دمج النظرية بالحركة واذابة الثغافى فى السياسى وتغليب الايديولوجية العلمية التى تتضمنها هذه الوثائق

على ما تبقى من الرؤى الأيديولوجية القديمة ، المتخلفة الغائرة في
ثنايا المجتمع •

كانت المعضلة دائما تتمثل في مدى الاستيعاب العميق لمحتوى
هذه الوثائق وللنظرية الاشتراكية العلمية التي تستهدى بها ، في التملك
الفكرى الكامل لها ، في التشبع الروحي بها ، في الممارسة المنسجمة
معه ، في التطبيق الخلاق لها ، في إعادة خلق بنية فكرية وسياسية
وسيكولوجية جديدة وفقها لها ومن ثم متحررة من آثار البنى
الأيديولوجية المتخلفة عن الماضي ، وقادرة بالتالى — ودون عوائق —
على قيادة عملية التجديد الديمقراطي للمجتمع وتنميتها بفعالية كاملة
والتعجيل بها الى أقصى مدى ممكن •

كان هناك نقص في التزود بالثقافة الاشتراكية العلمية ، وقصور
في التمثل للفكر الذى تدعوا له - وعدم القدرة على تسييد النظرة
العلمية الموضوعية في حل جميع المسائل والتعقيدات والتناقضات التى
تواجه الحزب والمجتمع • بل كان هناك نقص في التمثل الكامل للأفكار
والتصورات والقيم الديمقراطية والتقدمية ، وفي تشريحها وتحويلها الى
نسخ في عروق العضوية الحزبية ، والى حياة داخلية تتحكم في روح
وسلوك المناضل الحزبى •

ربما عاد ذلك الى أسباب عديدة منها انشغال الحزب بالمهموم
الاقتصادية والاجتماعية وبعملية التحويل الاجتماعى الديمقراطى
لبنية المجتمع ، دون أن يجد الوقت الكافى — نظرا لحدائة نشاطه
أيضا — للانصراف الى الدراسة الفكرية المتعمقة للنظرية وراثتها
النضالى • كانت عملية اقامة قاعدة مادية تتوازن عليها حركة الثورة
وتنهض على أساسها دولتها الجديدة ، واقامة هيكل اقتصادى
 واجتماعى وادارى وانشاء مؤسسات لها ومنظومة سياسية تعبر عن
قواها الاجتماعية وغير ذلك من الأطر والآليات الضرورية لتسهيل ومتابعة

حركه المجتمع في الاتجاه الوطنى انديمقراطى — كان ذلك هو الحلقة
المرحزیه القى ركزت عليها الدولة •
لا شك أن العمل من أجل بناء الحزب الطليعى كان هما مقيما
منذ البدايه ، ولا سيما منذ المؤتمر الرابع للجبهة القومية • غير ان ميام
هذا الحزب كان ولادة عسيرة هي اقرب الى العملية القيصرية منها
الى الولادة الطبيعية •

ولكى يستكمل نموه كان في حاجة الى الوقت والاستقرار السياسى •
وذلك ما لم يتح له دائما بفعل المؤامرات الخارجية والخروقات الداخلية
حتى من داخل الحزب ، وهو ما تمثل بصورة خاصة في الحداث ١٣
يناير ١٩٨٦ م التى كانت الحلقة العليا للأحداث السابقة لها •
ما من شك في أن بقايا الأيديولوجيات المعبرة عن الانماط الاجتماعيه
القديمة وعن وجود النمط البرجوازى قد عكست نفسها على الحزب
ولعبت دورا في الحيلولة دون تحقيق التجانس الأيديولوجى في صفوفه ،
وما من شك في أن ترديد الشعارات والمجهل الثورية قد حل احيانا
محل الدراسة المستأنية والضرورية للنظرية •

على أن السبب الأساسى لذلك كله هو صعوبة اطلاق وتعميم
الثورة الثقافية التى يستحيل بدونها اكمال مهام الثورة الوطنية
الديمقراطية والشروع في تحقيق الاشتراكية •

وصعوبة انجاز هذه الثورة تنبع من أنها تتعلق بالانسان ذاته ،
قبل أن تتعلق بالمجتمع وأنها تحتاج الى وقت طويل نسبيا ، على عكس
الثورة العسكرية والسياسية والاجتماعية • وكان برنامج الحزب قد
نبه الى أهمية هذه الثورة والى ارتباط مصير الثورة الاجتماعية بالمضى
فيها •

« يشكل المجال الأيديولوجى والثقافى والاجتماعى أحد المجالات
الرئيسية الذى يسعى الحزب الى تغييره الثورى ، ولا يمكن التحقيق

الناجح لمهمات المرحلة الراهنة والمرحلة اللاحقة للثورة الا بالاستناد الى السياسة التطبيقية الصحيحة في حل المسائل المتعلقة بهذا المجال .
وينطلق الحزب من حقيقة مؤداها أن هذه العملية معقدة وتدرجية وطويلة ولا يجوز أن تجرى عفويا . ويتطلب تحقيقها من الحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية بذل جهود منهجية متواصلة .
لذلك فان ما تم انجازه في هذا المجال لا يعتبر الا قاعدة ضرورية لتحقيق تحولات أكثر جذرية وعمقا .

ومن أجل تحقيق الانقلاب الجذري في الحياة الأيديولوجية والثقافية لابد من القيام بالثورة الثقافية الحقيقية . ويرى الحزب ان الأهم لنجاح هذه الثورة يكمن في أن تكون كل اجراءاتها منطلقة من نظرية الاشتراكية العلمية وتجرى على أساسها . ذلك لان من الضروري أن يحتل العمل على غرس قيم فكرية وثقافية وأخلاقية تعتمد على نظرية الاشتراكية العلمية مركز الصدارة في تحويل الحياة الأيديولوجية والثقافية للحزب والدولة والمنظمات الجماهيرية وجماهير الشغيلة والكادحين » (ص ٦٣ ، ٦٤) .

وكان عبد الفتاح اسماعيل قد أشار قبل ذلك الى صعوبة تحقيق هذا التحول الفكري والثقافي والأيديولوجي في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، بحيث يتمكن من حسم الصراع مع الأيديولوجيات والتقاليد الأخرى المناهضة ، وتسييد أيديولوجية الاشتراكية العلمية ، وتمكينها من تجسيد نفسها في واقع الحياة الاجتماعية ، وفي سلوك البشر ، ونبه الى أن ذلك سيستغرق زمنا قد يقصر وقد يطول :

« وحتى الآن نحن في درجة معينة من سلم التطور التاريخي في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . واذا قسنا الثقافة فسنجد أنها انعكاسا لدرجة سلم ذلك التطور . . ذلك لأنها انعكاس دقيق لواقع حال القوى المنتجة الاقتصادية . . صحيح أننا نستطعن أن نخطو خطوات ايجابية

على طريق اقتصادنا الوطنى من الاقطاع والراسمال الأجنبى - وهى تعتبر الحد الأدنى فى هذا الطريق ، وذلك بإقامه الأتسكال الاقنصاديه الجبديده ، والمتمثلة بمؤسسات العمل التعاونى ومزارع الدولة والقطاع العام ، لكن لم نقض كلية بعد على الأفكار والنظرات والتقاليد الثقافية لشبه الاقطاع والراسمالية ، فلا زالت جذور الثقافة القديمة فى مجتمعنا اليمنى عميقة الى حد يصعب استئصالها قبل مرور فترة زمنية من انتطور الاقنصادى والثقافى الثوريين ، فأساس الأفكار ، كما نعرف فى المادية التاريخية ، ليس أسلوب الانتاج ، وانما جانب منه فقط هو علاقات الانتاج .. وفى هذا الجزء من بلادنا لازال أسلوب الانتاج أسلوبا انتقاليا يطابق مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية التى نمر بها .

ونحن لا نستطيع القضاء دفعة واحدة على الثقافة ابقديمة المعادية للتطور والتقدم ، بل يلزمنا لذلك فترة تطول أو تقصر ، بحسب الظروف الذاتية والموضوعية لعملية التطور « (١) » .

أن أصعب مرحلة تمر بها نورة من الثورات هى الفترة الانتقالية التى تتسم دائما بالتعقيد الشديد . وكفترة انتقالية فانها ، ورغم محاولة تسييد الثقافة الجديدة تمتزج خلالها ثقافات وايدولوجيات عديدة . وتحمل بصمات الماضى والحاضر . وقبل ان تحسم الصراع مع مخلفات الفكر القديم التى تحتفظ بقوة هائلة على المقاومة والبقاء لا نستطيع أن تكون مطلقة اليد فى عملية دفع الثورة الاجتماعية الى أبعادها النهائية ، وفى الخروج بها نهائيا من أسر الماضى الى رحاب المستقبل .

ولان مثقفى المرحلة الثورية التى تمر بها الثورة ما يزالون فى حاله

(١) عبد الفتاح اسماعيل ، ثقافتنا الوطنية من القديم الى الجديد

تشكل وتكون ، ولم يستكملوا بناءهم النظرى والثقافى ، ولم يمتلكوا
قدرة كافية على اعادة تشكيل الرأى العام وفق متطلبات الثورة ووفق
المفاهيم والقيم الفكرية الديمقراطية الجديدة فان ذلك يعقد عملية
التطور الاجتماعى ، ويطيل أمد الفترة الانتقالية ، وقد تنشأ عنه
اهتزازات وأزمات تمس كيان الثورة ذاتها .

وحتى وان وجد المثقفون الطليعيون ، فإنهم ازاء تركة التخلف
الثقيلة وازاء فقدان التجانس الأيديولوجى والوضوح النظرى داخل
الحزب ككل لا يستطيعون أن يملوا ارادتهم على الجميع ، ولا يملكون
الا العمل البطئ والمثابر ، وترك الزمن والتجربة يلعبان دورهما فى
انضاج المفاهيم الجديدة وفى صياغة الوحدة الفكرية لكل أعضاء
الحزب .

لقد وقفت « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن
الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ م » التى أقرها الكونغرس الحزبى العام
الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ ونىو ١٩٨٧ م ووقف « تقرير اللجنة
المركزية » للحزب الاشتراكى اليمنى الذى قدمه الرفيق على سالم
البويض الأمين العام أمام العديد من هذه الصعوبات الموضوعية
والذاتية التى مر بها الحزب ومرت بها التجربة الثورية ككل ، وأمام
العديد من النواقص والثغرات وقدم لها المعالجات الصائبة .
وليس فى امكاننا سوى الاشارة الى بعض ما ورد فيهما فى هذا
الصدد كنموذج للممارسة الديمقراطية المسئولة ، وعلى العزم على
تجاوز هذه الصعوبات والنواقص والثغرات :

« ان المصاعب والانحرافات الانتهازية التى واجهها الحزب تعود
الى عدد من الأسباب الموضوعية والذاتية المتعلقة بنشأة الحزب وتطوره
من جانب ، وبطبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع والصراعات
الطبقية المعتمدة من جانب آخر ، ومؤامرات وتخريب القوى الامبريالية .

وتتمثل الأسباب الموضوعية في تدنى نسبة الطبقة العاملة في اطار الحزب والمجتمع وشيوع فئات البرجوازية الصغيرة وتأثيرها على الحزب ، وضغط فئات الرأسمال المحلي والأجنبي ، وقوى التسيير المضادة الداخلية والخارجية ، والاشكالات والمصاعب الموضوعية لعملية التطور الاقتصادي والاجتماعي في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وبقاء النزاعات المناطقية كنتيجة لعدم نضج واكتمال الأسس الاقتصادية والاجتماعية للوحدة الوطنية •

وتكمن الأسباب الذاتية في صعوبات الانتقال من مواقع الديمقراطية الثورية الى مواقع الاشتراكية العلمية ، وعدم قدرة واستعداد بعض الأعضاء في القيادة وفي الحزب بصورة عامة على استيعاب ودراسة الفكر الجديد والاهتداء به وضغط تأثيرات الايديولوجيات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وبقياس الأفكار التقليدية ، والتساهل تجاه الاتجاهات المغايرة لخط الحزب ، وخرق مبادئ المركزية الديمقراطية الحزبية والاستعاضة عنها باعتماد أسلوب التوازنات ومراكز القوى وعدم مراعاة المعايير المبدئية في اختيار وانتخاب الخوادر والقيادات والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتي ، الى جانب الميول التكتلية ، والولاءات الشخصية ، وضعف أشكال المراقبة الحزبية والجماعية والنقد والمحاسبة ، والتساهل تجاه عناصر التيارات الانتهازية • « الوثيقة » ، (ص ٣٩) •

وبذات الصراحة والثلاشفة الهادفة والمسئولة في مضمار تبين العيوب الذاتية التي لازمت حتى بعض القيادات في الحزب يقول « تقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني » : « ولا ريب أن عملنا الأيديولوجي واجه وما زال يواجه العديد من المصاعب بسبب بقاء تأثير المفاهيم والقيم البالية والعلاقات الاجتماعية المتخلفة وقوة العادات القديمة وآثار الممارسات الانحرافية للتيارات الانتهازية

اليمنية واليسارية على الصعيد الأيديولوجي ، حيث لم يعط أى اهتمام يذكر لقضية التثقيف والدراسة النظرية لأيديولوجية الحزب ووثائقه الا بشكل مبادرات ذاتية محدودة . كما أن بعض القيادات قد تركت التثقيف الذاتى والدراسة النظرية جانبا لأسباب مختلفة أبرزها اعتقادها بعدم ضرورة ذلك واستعيز عنها بالوجهة السياسية والاجتماعية ، وكذا بسبب النشاط الأيديولوجى المعادى الذى يقوم على خبرات متطورة وأساليب مجربة ، ولا يمكن اضعاف تأثير هذه المصاعب بدون عمل تربوى منها جى دؤوب » (ص ٣١ - ٣٢) .

وكما أن التشخيص الموضوعى والأمن للمعضلات الاجتماعيه والسياسية يساوى نصف حل ، فإن النصف الآخر يتكفل به المضى الى الأمام فى تعميم الثورة الثقافية فى تسنى ربوع البلاد .

لقد شرع بتنفيذ هذه الثورة الثقافية بالفعل من خلال العمل الجاد والدؤوب لمحـو الأمية الأبجدية واقامة المدارس الحديثة والجامعة ومراكز البحث العام والحزبى والمعاهد التخصصية ومعهد عبد الله باذيب للاشتراكية العلمية وفروعه وارسال البعثات الدراسية الى البلدان الاشتراكية ، واقامة الأجهزة الأيديولوجية الأخرى فى الدولة والحزب والمنظمات الجماهيرية ، ناهيك عن وسائل الاعلام .

غير أن هذه الثورة ما تزال فى بدايتها . فلم يقض على الأمية نهائيا ، ولم ينتشر الوعى الثورى الصحيح والشامل فى جميع انحاء البلاد ، والتأهيل العلمى والأدبى والفنى والمغوى ما يزال دون المستوى المطلوب ، والاستيعاب النظرى للفكر الاشتراكى ولخبرات الأحزاب الشيوعية ما يزال ضعيفا ، كما أن التطبيق الخلاق والمبدع لذلك كله على خصوصيه الواقع اليمنى ما يزال دون الحد الضرورى .

ورغم أن الأيديولوجية السائدة هى أيديولوجية الاشتراكية العلمية . الا أن سيطرتها على عقول وقلوب الناس لم تتحقق بعد ، ولم يتحقق

اعادة انبناء الثورى التى تأتى عملية اعادة بناء البنية الأيديولوجيه —
الثقافية فى مقدمتها — نصح بالتركيز على خلق النوعية الجيدة حتى
ولو كانت من حيث الكم قليلة • فالنوعية الجيدة هى القدوة والمثال
والنموذج الجدير بالاحتذاء والمثل •

وحسب تعبير لينين : « ينبغى اتباع هذه القاعدة : من الأفضل
أقل من حيث الكمية شرط أن يكون أحسن من حيث الكيفية • ينبغى
اتباع هذه القاعدة : من الأفضل بعد سنتين أو حتى بعد ثلاث
سنوات ، هذا أفضل من تعجيل الأمور دون أى أمل فى تكوين مادة
بشرية جيدة » (٣) •

هذه التوجيهات اللينينية لا تخص ثورة أكتوبر الاشتراكية
العظمى وحدها ، فهى بأصالتها وصدقها وعموميتها تخاطب كل ثورة
ديمقراطية تبغى الإيفاء بمهامها الخاصة هذه ، والانتقال الى مرحلة
الثورة الاشتراكية ، وهى من ثم تتعلق بالثورة الوطنية الديمقراطية فى
هذا الجزء من الزمن ، والتم ، لا غنى عنها من أجل مواصلة السير فى
دما الى الأمام فى طريق
، ، وملامسة تخوم الاشتراكية

م حثيثا على هذا الدرب يتطلب المزيد من الترصين
والصقل للإدارة الحزبية الطليعية القائدة والموجهة • وذلك ما نبهت اليه
(الوثيقة النقدية) حيث دعت الى « ضرورة تعزيز الوحدة المبدئية
للقيادة — اللجنة المركزية — المكتب السياسى ، على أساس الالتزام
الصارم فى مجمل نشاطاتها وأساليب عملها ببرنامج الحزب ومبادئ
الحياة الحزبية المحددة فى النظام الداخلى ، وبالأذات مبادئ المركزية
الديمقراطية والقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتى ، والموقف
ضد أية ميول لخلق الانقسامات والتكتلات وانزال القنوات الذاتية

أو العمل خارج الأطر والهيئات الحزبية : ووضع برنامج صارم لتأهيل أعضاء القيادة ورفع قدراتهم النظرية والعملية وتنقيفهم بأفكار الاشتراكية العلمية وتجارب الحركة الثورية العالمية وتجسيد المبادئ اللينينية للقيادة الحزبية » •

كما دعت الى « تعميق مستوى التربية الأيديولوجية للأعضاء والأعضاء المرشحين على أساس أفكار الاشتراكية العلمية ومقارنتها بتأثيرات الأفكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وبقياسها الأفكار التقليدية القديمة » •

ودعت في ذات الوقت الى تعزيز البنية للحزب من بين أوساط المثقفين الثوريين والجنود والفئات التعاونية من الفلاحين والصيادين والحرفيين والحد من التأطير الى الحزب من بين صفوف البرجوازية الصغيرة والموظفين الا في حالات استثنائية ، وبالذات من أولئك الذين يثبتون باللموس انحيازهم التام الى جانب الطبقة العاملة وفكرها ، (ص ٤٠) •

وأكدت الوثيقة على ضرورة مواجهة النزعات الشككية والادارية والبروقراطية في أساليب العمل وعلى « تعميق الطابع الديمقراطي لسلطة الدولة وإشاعة الديمقراطية في آلية سلطة الدولة وعلى صعيد المجتمع ، وتوسيع نطاق المشاركة الفعلية للكادحين في الحياة السياسية وفي ادارة شئون التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في البلاد من خلال رفع دور فاعلية مجاس الشعب الأعلى ومجالس الشعب المحلية ومنظمات الكادحين المهنية والابداعية ورفع مستوى مراقبة الجماهير على نشاط هيئات وأجهزة الدولة وكوادرها والعاملين فيها ، وتعزيز دور أجهزة حماية الشرعية الديمقراطية في الرقابة على تنفيذ القوانين وحماية النظام التقديمي » • (ص ٥١ و ٥٤) كما أن « تقرير اللجنة المركزية » لفت الانتباه الى أهمية « تطبيق مبدأ العلنية وشموله أشكالاً أخرى غير البث

الاذاعى والتلفزيونى كعقد الجلسات العلنية المفتوحة أمام الاختصاصيين والمهتمين أو العاملين فى الحقول المعلنة باعتبار ذلك ركنا هاما ورئيسيا من أركان حياتنا الديمقراطية المنظمة وفق الدستور » (ص ٢٠) •

لا نود الاطالة فى تتبع أبعاد الوقفة النقدية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية وستى المعالجات الصائبة التى تضمنها كل من (الوثيقة النقدية التحليلية) و (تقرير اللجنة المركزة) المقرين من الكونغرس الحزبى العام ، فما نشرناه يوضح الاتجاه الجاد الذى يمشى فيه الحزب لتقويم كل أعوجاج ، وتصويب كل مسلك ، وترشيد المسيرة كلها ، بما يكفل نهوضه برسالته التاريخية النبيلة ، وبما يؤكد مشروعية ومصداقية هذه الرسالة التى يتسع نطاقها لليمن كلها ، والتى تتضمن النضال من أجل إقامة اليمن الديمقراطى المتحرر الموحد المتقدم ، السائر على طريق الاشتراكية ، والكفاح من أجل معاضدة كل أطراف حركة التحرر الوطنى العربية وأحزابها التقدمية بما يساعد على إقامة نظام وطنى ديمقراطى فى كل بلد عربى ، وإقامة جبهة تقدمية عربية ، تمهيدا لتحقيق وحدة الأمة العربية على أسس ديمقراطية حققة ، كما تتضمن الاشتراك فى النضال العام الذى تخوضه البشرية التقدمية ، وفى طليعتها المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، من أجل رفع رامة الديمقراطية والاشتراكية والسلام فى العالم أجمع •

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٩/٩١٦٨

الترقيم الدولى

٧ - ١٤٧ - ١٣٣ - ٩٧٧

شركة دار الاشماع للطباعة

١٤ شارع عبد الحميد - جنينة قاميش

السيدة زينب - القاهرة

ت : ٣٦٣٠٤٦٩

٦ ميدان طلعب حرب القاهرة ن ٧٥٦٤٢١

مكتبة مذبول

MADBOULI BOOKSHOP

6 Talat Harb SQ. Tel: 756421